

جامعة تونس الاولى

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

# اطروحة شهادة التعمق في البحث

الحركة اليوسيفية في الجنوب التونسي

(1955 - 1956)

اشرف الاستاذ :  
محمد الهادي الشريف

سبتمبر 1996

اعداد الطالبة :  
عروسية التركي

جامعة تونس الأولى  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم التاريخ

أطروحة  
شهادة التعمق في البحث

الحركة اليوسفية بالجنوب التونسي

( 1955 - 1956 )

إشراف الأستاذ:  
محمد الهادي الشريف

إعداد الطالبة:  
عروسية البركي

سبتمبر 1996

# الفصل الثاني

المركبة اليوسفيّة

1956-1955

## مقدمة الفصل الثاني

يقول محمد صالح مزالي: " اليوسفية صفحة حزيننة من تاريخنا (1) كتبت بدم ودموع الدستوريين والتونسيين عموما، فقد فتحت هذه الصفحة بمناسبة الاتفاقيات الفرنسية التونسية حول " الحكم الذاتي " المبرمة في 3 جوان 1955 التي اعتبرها بورقيبة وشق من الدستوريين والتونسيين " خطوة الى الامام " في حين اعتبرها ابن يوسف والشق المؤيد له " خطوة الى الوراء " فكانت اتفاقيات " الصمبا " حسب عبارة الطاهر عميرة (2) اصل القلاقل والخصام بين التونسيين (3) ، اخوة الامس اعداء اليوم .

ومن هنا اعتبر البعض الحركة اليوسفية " قُتنة " ومؤامرة " اضعفت الحزب الدستوري الجديد وعرقلت خطوات الحركة الوطنية في فترة حاسمة تتطلب رص الصفوف والمحافظة على الوحدة القومية لمجابهة الاستعمار الذي ما زال جاثما على التراب التونسي ، في حين اعتبرها البعض الاخر مجرد خلاف شخصي بين زعمي الحزب حركته المطامع الشخصية في السلطة والنفوذ عند ما أو شكت البلاد على الاستقلال والتخلص من الهيمنة الفرنسية المباشرة ، بينما يذهب البعض الاخر الى انها خلاف في وجهات النظر حول مستقبل البلاد التونسية . تونس لا تكيه او تونس عربية اسلامية ؟

وبين هذا وذاك يقف البعض الاخر ليعتبر الحركة اليوسفية حركة وطنية اذكالية ، ثورية مناهضة للامبريالية والاستعمار الجديد .

(1) Mzali (M.S) : Au fil de ma vie, Souvenir d'un Tunisien, Collec- tion, Leon l'Africain, Edition, Hassan Mzali, Tunis, 1972, P:348.

(2) تصريحات الطاهر عميرة في المائدة المستديرة حول 20 مارس، المغرب العربي عدد 92 الجمعة

18 مارس 1988

(3) صدى الزيتونة : 28 ديسمبر 1955 .

وامام هذه الاشكاليات حاولنا ان نبحر في " مغامرة " تناولت  
هذا الملف الذي بقي محضورا لعدة سنوات ، محاولين التعمق  
فيه واستجلاء بعض خفاياه على ضوء ما توفر لنا من مصادر  
ومراجع <sup>رئيسا</sup> لم تتوفر لغيرنا في السابق ، علنا نقف على طبيعة  
هذه الحركة <sup>منقبيين</sup> عن جذور نشأتها ، متتبعين مراحل  
تطورها ، كاشفين عن علاقتها ولا سيما مع ابناء الجنوب التونسي  
متعرضين الى ما اسفرت عنه من نتائج ايجابية وسلبية ، محاولين  
الاعتماد على منهج تاريخي في نطاق قراءة نقدية للاحداث .

نشأة الحركة اليوسفية

مفهومها :

(1) - محاولة اعطاء تحديد لها :

ليس من السهل ايجاد مفهوم شامل للحركة اليوسفية لانها حركة غير واضحة المعالم تبدو وكأنها ظهرت فجأة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية أي في الدقائق الاخيرة من صراعها مع نظام الحماية الفرنسية ومع ذلك انتشرت بسرعة في كافة انحاء البلاد واعتنقها شرائح مختلفة من المجتمع التونسي وانضمت اليها عدة تيارات سياسية وفكرية مثبانية . فهل هي فتنة ؟ أو ثورة ثانية ؟ أو حركة معارضة ؟

أ- فتنة يوسفية ؟

أطلق انصار البورقيبية هذا الاسم على الحركة اليوسفية انتقاصا لها ولغاية صرف الناس عنها وبتبيين ذلك عند الوقوف على معان الكلمة (فتنة) .

\* دلغة : هي مصدر من فعل فتن يفتن فتنا وفتنة وتعني الظلال والكفر وتزيين المعاصي (1) واهل الفتنة هم الخارجون عن الطاعة .

\* اصطلاحا : الفتنة هي اختلاف الناس في الاراء وما يقع بينهم من قتال وهي تعبير عن الاضطرابات السياسية والحروب الاهلية .

\* مدلولها التاريخي : باعتبار " الفتنة أشد من القتل " .

لكلمة الفتنة " دلالة سلبية في تاريخ المسلمين وحتى في تاريخ تونس فقد عرف التاريخ الاسلامي " الفتنة الكبرى " التي مزقت وحدة صف المسلمين وقسمتهم الى ملل ونحل متصارعة . كما عرفت البلاد التونسية

(1) النجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) الطبعة العشرون بيروت ، لبنان

" الفتنة الباشية - الحسينية " ( 1728-1740 ) التي عمقت الانقسامية في

المجتمع التونسي وقسمته الى صفيين متناحرين وما زالت بقاياها  
راسبة في أعماق التونسيين الى اليوم مثلا التنافر بين جارة والمنزل  
رغم انها يشكلان مدينة واحدة ( قابس ) .

وهنا نلاحظ ان الفتنة الصقت باليوسفية دون البورقيبية فيقال الفتنة

اليوسفية " وليس " الفتنة اليوسفية البورقيبية " مثل ما هو الحال في

الفتنة الباشية - الحسينية " وهذا مقصود فالغرض القاء مسوءولية الانشقاق

في صفوف الدستوريين الجدد على بن يوسف فهو الذي يفتن الناس

" بخداعة " و " غرورة " فيجعلهم يضلون طريق الحق وبالتالي فهو يقوم

بما يقوم به الشيطان من أعمال وذلك فهو أخ الشيطان ويجوز للناس

لعنته كلما ذكر التبرؤ منه .

وهكذا نستنتج ان استعمال كلمة " فتنة " ليس استعمالا بريئا وانما

مقصودا لضرب الحركة اليوسفية لدى من اعتقد بانها تدافع عن الاسلام

والعروبة وتطالب بالسيادة الكاملة للبلاد التونسية .

### ب - " ثورة ثانية " ؟

هذا الاسم نجده متداولا كثيرا لدى العامة وخاصة من قبيل " الفلاحة "

فبالنسبة لهم الحركة اليوسفية هي ثورة ثانية في الترتيب بعد ثورة 52 و 1954

وذلك لعدة اعتبارات :

- اولا : اعتمادها " الكفاح المسلح " من جديد لمواجهة الحضور الفرنسي

- مشاركة عدة عناصر ممن شاركوا في الثورة الاولى بالاضافة الى عناصر

جديدة نذكر منها اولاد قبيلة ورغمة بالجنوب التونسي .

- ثانيا : تولى الظاهر لسود ( الثائر الذي لم يسلم سلاحه ) قيادة " جيش تحرير "

- رابعا : استعمال نفس الاسلوب " حرب العصابات " انطلاقا من الاحراش والجبال

واعتماد نفس التنظيم "نظام الفرق" .

ومن هنا تعتبر الحركة اليوسفية امتدادا للثورة الاولى (1952-1954)

في نظر من شاركوا فيها او مستهم شضاياها .

ج - اليوسفية : حركة معارضة؟

بالعودة الى التحولات العالمية التي افرزتها الحرب العالمية الثانية والتي  
نضجت في منتصف الخمسينات تبرز لنا الحركة اليوسفية كرواية مخالفة  
معارضة او كرواية نقيضة ، بديلة :رواية مخالفة لماذا؟

ان الحركة اليوسفية حركة مخالفة لما وافق عليه الحزب الدستوري  
الجديد في مفاوضات الحكم الذاتي الذي افضت الى بلورة مفهوم هذه الكلمة  
(concept de mot) الذي ظل مغمما ضبابيا في ذهن كلا الطرفين الفرنسي  
والتونسي الى جوان 1955 حيث تم الاتفاق حول مفهوم الحكم الذاتي  
في صياغته النهائية وقد امضى على هذا الاتفاق زعيم الحزب بورقيبة  
واذا بأمين عام الحزب صالح بن يوسف يظهر في موقف مخالف للتوجه  
الرسمي على الاقل للحزب . لماذا هذه المخالفة ؟

لوعدنا الى الاصل اللغوي لكلمة مخالفة نجدها تشير الى الخروج عن  
القانون . ومن هنا نفهم ان بن يوسف الذي كان داخل ايدولوجية  
الحزب ومسؤولا بارزا كأمين عام يشرف على تسيير الحزب اداريا وماليا  
قد خرج عن الخط العام للحزب ورفض الاعتراف باتفاقيات الحكم الذاتي  
في ظرف دقيق جدا اي لحظة " المخاض " بمعنى خروج تونس من وضعية  
الاستعمار المباشر الى وضعية جديدة لذا لا بد من رسم ملاحتها وبلورة  
صورتها المستقبلية ومن سيقوم بذلك ؟ الطبقة المثقفة ( الانتيليجنسيا )  
بما انه يصعب الفصل في ذلك الوقت بين الثقافة والسياسة فنشب الخلاف  
حول تصور الوضعية الجديدة لتونس ما بعد الاستعمار المباشر وبالتالي  
يسطر المشروع المستقبلي للبلاد التونسية فهل ستكون تونس دولة

تمنحها فرنسا حكمها الذاتي فقط او دولة تقرها هيئة الامم المتحدة  
والمجتمع الدوليا؟ وهذا يمكن لها ان تحدد مصيرها وتكون حرة  
في تحديد اختياراتها سواء في اتجاه الغرب فيكون عليها المام بالحضارة  
الغربية والتشبه بها على غرار الحركة الكمالية في تركيا لبناء المجتمع  
الجديد أو الاتجاه نحو الشرق فيجب عليها العودة الى حضارتها العربية  
الاسلامية والالتزام بقضايا الامة العربية الاسلامية من طرد الاستعمار  
واحياء القومية العربية الاسلامية .....

فبورقيبة - ان جعلناه ممثلا للخط العام للحزب يبرى ان مستقبل تونس  
يمكن ان يكون مشروعا مشتركا بين تونس وفرنسا على شرط اعتراف  
فرنسا باستقلال تونس الداخلي والذاتية التونسية طبقا لمبدأ "حق  
الشعب في اختيار حكومته" وبالتالي يظفي على مشروعه المستقبلي  
شحنة قانونية .

أما بن يوسف " المنشق " فهو يعطي " مشروعه المستقبلي " شحنة  
ايديولوجية " ثقافية اجتماعية فالمجتمع التونسي يحمل موروثا  
حضاريا وقياسا مشتركا بينه وبين المجتمع العربي الاسلامي اذ تجمعه  
به القيم المقتسمة والذاكرة الجماعية كما ان مصيره لا ينفصل عن مصيره  
ومستقبله هو من مستقبله ومن هنا جاءت فكرة الكفاح المشترك لمقاومة  
العدو المشترك في بلدان المغرب العربي وهذه نقطة التقاء صالح بن يوسف  
والقائد الطاهر لسود ، وفيها عودة ايضا الى ميثاق لجنة تحرير المغرب  
العربي الصادر في جانفي 1948 والذي جمع احزاب الحركة الوطنية  
في شمال افريقيا حول وحدة الكفاح لانجاز الاستقلال .

ومن الملاحظ ان هذا الميثاق الذي امضى عليه الحزب الدستوري القديم  
والحزب الدستوري الجديد قد وقع تجاوزه من طرف هذا الاخير في مناسبتين :

الأولى كانت في مفاوضات 1950-1951 التي شارك فيها بن يوسف مباشرة والثانية كانت في مفاوضات 1954-1955 والتي لم يعارضها بن يوسف وإنما عارض نتائجها .

فبن يوسف لم ينشق عن حزبه إلا بعد موافقة بورقيبة على اتفاقيات جوان 1955 والتي اعتبرها بن يوسف خطوة إلى الوراء "وأخيراً وتسهيلاً للامرفي اعطاء تحديد للحركة اليوسفية يمكن ان نختزلها في نسبتها إلى زعيمها صالح بن يوسف .

(2) - من هو صالح بن يوسف :

ولد في 1 أكتوبر 1907 بمغراوة وهي قرية تبعد أربعة كيلومترات عن ميدون شرقي جزيرة جربة (1) في عائلة ميسورة جمعت بين الفلاحة والتجارة وتعاطي بعض الصناعات التحويلية ( معصرة زيتون - شركة صيد بحري ) . . . .

وكان لهذه العائلة اشعاع في جربة وفي تونس العاصمة ، فمن طبيعة " الجرابية " ان ينتقل الرجال وحدهم إلى العاصمة وإلى أي مدينة أخرى للعمل في حين تمكث النسوة في المنزل تعتنى بالأطفال والفراسات تحت مراقبة وحماية " الجد " (2) بينما لا يعود الوالد إلى جربة إلا لبضعة أيام بعد شهرين أو ثلاثة أشهر وبذلك تبقى الصلة قائمة بين الابن المهاجر والنازح وبيئته الأصلية . وهكذا يمكن ان نستنتج ان صالح بن يوسف قد تربي في ظل جده في " البيت الكبير (العائلة) بجربة حيث درس في " الكتاب " ( جامع حاضر باش) القرآن والمبادئ الأولى للقراءة والكتابة وفي 1915 التحق صالح بن يوسف بالمدرسة الابتدائية

(1) مصدر سابق : المصنف الشابي : صالح بن يوسف / ص 13 .

(2) Mzabi (H): La Tunisie du sud - Est... P 339

(2) مصدر سابق :

في ساحة التريبونال (tribunal) بتونس العاصمة وفي 1922 تحصل على شهادة ختم التعليم الابتدائي " ثم التحق بمعهد كرنو وهو معهد أحدث جديد اجلب اهتمام كثير من الاولياء التونسيين فارسلوا أبناءهم الى هذا المعهد العصري "لأنّ لخريجيه آفاق أوسع من خريجي الصادقية .

ولم يكتف بن يوسف بما يتلقاه في هذا المعهد الثانوي من علوم فقد كان والده حريصا على ان ينهل من منابع معرفية مختلفة فخصص له أستاذا خاصا ( محمد مناشو ) للغة والادب والفقه ، كما كان يتابع الدروس الليلية بمدرسة " العطارين " حيث تتلمذ على يدي الأساتذة : الصادق الزمرلي والاصرم والفرنسيين " Marcir " " Murat " واختتم هذه ( 1 ) الدروس بشهادتي " البريفي " ( Brevet d'Arabe ) والدبلوم ( Diplome d'Arabe )

وفي صائفة 1930 تحصل بن يوسف على شهادة البكالوريا من معهد كرنو وتحويل الى باريس لمواصلة تعليمه " بالسرسون " حيث تحصل منها على الاستاذية في الحقوق والعلوم السياسية سنة 1933 - 1934 .

ويمكن ان نتبين ان المرحلة الاولى من حياة الرجل كانت تجسد حياة " بوجوازية " نبتت جذوره الاولى حتى الثامنة من عمره في الجنوب التونسي لما في هذه البئة من أخلاقيات وسلوكيات ثم أينع وشب في تونس العاصمة موطن السياسة والثقافة وأرض الفكر والأدب ومركز الفنون والملاهي والمقاهي ... ومنها ارتحل الى فرنسا حيث عاش أربع سنوات في عاصمة الأنوار باريس واطلع على الحضارة المغربية وعاش احتداد الصراعات السياسية والفكرية التي عرفتها فرنسا نتيجة ازمة 1929

مثلما عاش أحداث فجر الثلاثينات في تونس من مؤتمرا الفخارستي الى احتفالات بمائوية احتلال الجزائر وخمسينية احتلال تونس وما خلفته هذه الاحداث في نفوس الطلبة والمهاجرين المغاربة في فرنسا من احساس بضرورة تنسيق

( 1 ) مصدر سابق : النصف الشابي : صالح بن يوسف 000 ص 16

الجهود لمجابهة العدو المشترك (فرنسا) وتكتل الطلبة التونسيين حول "جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين" بفرنسا وكان صالح بن يوسف من العناصر البارزة فيها حتى انه ارتقى الى قيادة الجمعية برتبة امين عام مساعد (1) .

وبعد انشقاق الحزب الدستوري الجديد عن اللجنة التنفيذية في 2 مارس 1934 انحاز صالح بن يوسف والهادي نويرة و سليمان بن سليمان الى الحزب الجديد في حين ظل صاحبهم عبد الرحمان السعلاوي وهو مناضل دستوري قديم من انصار اللجنة التنفيذية (2) .

وفي صائفة 1934 عاد بن يوسف الى تونس ليرأس مكتب محاماة بمباب سوقية حيث كان بورقيبة قد فتح مكتبه مسبقا (158 نهج باب سوقية - تونس) بعد العمل لدى العديد من المحامين مثل السادة

بيتراسامة ( ) وصالح فرحات ( وصالح فرحات ) رئيس الحزب القديم ( وسانت (Sabat) ) في حين تمكن صالح بن يوسف من فتح مكتبه حال عودته الى أرض الوطن وهذا يفسر قدرته الملهمة على ذلك .

وربما هذا يجعلنا نتساءل بيننا وبين أنفسنا الا يخلق هذا الحوار بين محامين طموحين نوعا من المنافسة المكتومة ؟

كما أن هذا الثراء الواسع الذي عليه بن يوسف ، الا يثير الشعور بالغبين لدى من ذاق الحاجة الى المال ؟ ثم الم تسع عائلة بن يوسف ان تهيب لابنها الظروف الملائمة ليصبح صالح بن يوسف شخصية بارزة في المجتمع ؟

(3) - كيف ارتبط اسم صالح بن يوسف بالحركة :

لقد استهوت السياسة صالح بن يوسف منذ سن مبكرة من شبابه نظرا للوضع العام المتردي الذي عاشته البلاد التونسية طيلة العشرينات ومطلع الثلاثينات وهذا ما جعل بن يوسف يشارك بقية زملائه التلاميذ في الاحتجاج على السياسة الاستعمارية الاستفزازية . وما ان اطار القانوني لممارسة السياسة هو الحزب فقد اشترك بن يوسف في الحزب الحر الدستوري

(1) نفس المصدر : ص 20  
(2) مصدر سابق :  
2) Sliman Ben Sliman : Souvenirs politique 6 ...P 79

الاول وعمل مع مجموعة من الطلبة التونسيين المهاجرين في فرنسا على بعث شعبية دستورية بباريس عن طريق صديقه الطاهر صفر ، وعند عودته الى تونس انضم بن يوسف الى الحزب الدستوري الجديد دون ان يتحمل اية مسؤولية قيادة لافي الهيئة الادارية ولا في الديوان السياسي الى ان شن المقيم العام الفرنسي بيرطون (Peyrouton) حملة اعتقال في صفوف الدستوريين القدامى والجدد والشيوخ لعزل قادة الحركة الوطنية وتوفير الامن والهدوء لنظام الحماية . وفي 3 سبتمبر 1934 وقع نفي بورقيبة ورفاقه ( محمود الماطري - يوسف الرويسي - امحمد بورقيبة الى قبلي بالجنوب التونسي (منطقة تابعة للتراب العسكري ) الا ان بعد شهر أي في 3 أكتوبر وقع نقلهم الى أقصى الجنوب الى برج البوف (1) (Borj le Po euf).

وقد اجتاحت البلاد موجة من الاضطرابات تطالب باطلاق سراح المعتقلين وتعويض الاله عناصر الديوان السياسي ( الرئيس: محمد الماطري والامين العام الحبيب بورقيبة ) اللذان اعتقلا في سبتمبر 1934 تأسس ديوان سياسي جديد يتألف من الطاهر صفر ، البحري قيقة وصالح بن يوسف . وهنا يمكن ان نلاحظ ان صالح بن يوسف اصبح من اهم العناصر داخل الحزب الدستوري الجديد في سن لا تتجاوز السابعة والعشرين عاما نتيجة الفراغ الذي أحدثته الاعتقالات في صفوف قادة الحزب وها هو بن يوسف يميل الى سياسة " الهدوء " ولكن الشارع التونسي الذي انطلق منذ غرة جانفي 1935 في المظاهرات لا يهدأ ولا يستكين فكأنه يعبر عن رغبة بورقيبة في احداث الشغب حتى لا تدفن قضية " المعتقلين " في الصحراء ، وفي 12 جانفي 1935 ألحقت السلط الاستعمارية اعضاء الديوان السياسي الجديد بمن سبق من اعضاءه القدامى والتقى الجميع : دستوريون

(1) لو يوف : هو قائد عسكري فرنسي برتبة ملازم في مكتب الشؤون الاهلية بقبلي كلفته السلط الاستعمارية بمطارة فلاة ثورة الجنوب (1915) وقد ظلت طائفة الطريق بعد قصف المجاهدين نالوت يوم 15 سبتمبر 1916 ووجدت عظامه بعسنة على بعد 26 كلم من مكان حطام الطائرة قرب البرمة واطلق اسمه على برج " القصيرة " (انظر كتاب محمد المرزوقي : دماء على الحدود - ذكر سابقا) .

قدامى وجدد وشيوعيون على ارض الجنوب التونسي وكانت كل مظاهرة تضيق الجديد من المناضلين المعتقلين الى ان تحول الجنوب في ربيع سنة 1935 الى مجمع عام للنخبة السياسية التونسية (1) وكان الاحتكاك بين الدستوريين الجدد في رقعة ضيقة فظهر الاختلاف والتباين وازداد التوتر بارتفاع حرارة صيف الجنوب واصبحت <sup>الأعصاب</sup> مشدودة وتسرب النقد والانتقاد الى سياسة الحزب بل الى طرق بورقيبة التي ادت بالمناضلين الى هذا المصير الاظلم واجتمعت كلمتهم على ضرورة الخروج من هذا المأزق ولو بارسال رسالة الى السلط الاستعمارية يعلنون فيها كونهم ليسوا اعداء لفرنسا وانهم مصممون على تعديل طرق ووسائل عملهم (2) رغم ان بورقيبة لم يكن موافقا عليها ولكن تتالت فيما بعد الرسائل " المتوسلة " التي امضى عليها بورقيبة دون " اجباره " على ذلك مثل رسالة 10 جويلية 1935 وجانفي 1936 حسب شهادة من كانوا معه في المعتقل .

ومن هنا يمكننا ان نستنتج ان المرحلة الاولى من حياة بن يوسف السياسية كشفت عن شخصية " مرنة " ميالة الى الهدوء والتعقل حرصة على تجاوز بذور الخلاف والظهور بثوب الوحدة امام السلط الاستعمارية في حين تطالعتنا شخصية بورقيبة بنزعة متميزة الى التفرد والانفراد في الرأي استنادا الى القولة " خالف تعرف " وربما اراد بورقيبة من خلال مواقفه وسلوكياته اثناء اقامته في المنفى ان يبين لرفاقه من ورائهم السلط الفرنسية انه " الزعيم الأول " وأنه لا يلمن فيما يراه حقا وبالتالي فهو جدير بقيادة الحركة الوطنية مثلما هو جدير بان تفتح معه السلط الفرنسية باب الحوار طبقا لمبدئه " الاستعداد الدائم للتفاوض " في نطاق الخط " الاصلاحى " الذي يجمع بورقيبة وبن يوسف في نفس الخندق .

ويمكننا القول بان هذا الاختلاف بين الشخصين ( بن يوسف و بورقيبة ) هو الذي خلق التكامل بينهما الى حد الظهور في كونهما وجهين

1) Bessis (S) et Belhassen (S) : Bourguiba... P: 70.

2) Bourguiba (H) : Ma Vie, Mes Idées, Mon Combat... P: 139.

(1) مصدر سابق :  
(2) = =

لمعلمة واحدة فان غاب وجه حضر الاخر وان التقى الاثنان فالصدارة  
لمورقية في حين يقنع بن يوسف بالمركز الثاني وهذا ما يفسر "الانسجام"  
الظاهري بين الرجلين الى منتصف الخمسينات تلك المرحلة المصرية  
في تاريخ الحركة الوطنية ومستقبل البلاد التونسية بحيث انفجرت  
الحركة اليوسفية لتكشف عن وجه آخر من شخصية بن يوسف ووجه الناظر  
المتنرد ووجه السياسي الراديكالي الذي لا يقبل عن الاستقلال التام بديلا.  
فبماذا تفسر هذا التحول؟ فهل مل بن يوسف ان يقضي حياته  
السياسية في الظل ( ظل بورقيبة )؟ فهل ثار ضد اتفاقيات الحكم الذاتي  
وكان بالامر القريب دخل وزارة شنيق - تحت الادارة الفرنسية المباشرة -  
للتفاوض مع الحكومة الفرنسية من اجل تحقيق الحكم الذاتي "؟ هل  
تضمنت اتفاقيات جوان 1955 ما يخالف الحكم الذاتي " المنشود؟ او  
هل جعلت المرحلة التاريخية الجديدة على الصعيد العالمي والداخلي "  
الحكم الذاتي " خطوة الى الوراء؟

علنا، لو قوفنا على طبيعة هذه الحركة يمكننا ان نعثر على الاجابة  
عن بعض هذه التساؤلات .

## 24) - ما هي طبيعة الحركة اليوسفية :

لا يقل هذا السؤال صعوبة عن السؤال السابق ( وهو محاولة تحديد  
اسم للحركة اليوسفية ) فالبحث عن طبيعة هذه الحركة يستوجب الالمام  
الشامل بخفايا هذا التحول الذي هز الحزب الدستوري من الداخل وجعل  
شقا منه يخالف السياسة العامة لهذا الحزب الذي يعتبر من القوى الفاعلة  
في الحركة الوطنية في الخمسينات ومن هنا علينا ان نعرف بهذا الحزب وسياسته  
العامة لنتبين هل الحركة اليوسفية مجرد خلاف شخصي بين بورقيبة  
وبن يوسف؟ أو هي صراع على الزعامة؟ أو هي أعمق من ذلك تلمس جذور وهيكلة  
الحزب نفسه فتصبح انشاقا جديدا وهو ما لا تريد " البورقيبية " الاعتراف به

## أ- هل الحركة اليوسفية خلاف شخصي أو صراع على السلطة؟

تذهب بعض الآراء إلى أن مبعث الحركة اليوسفية هو خلاف شخصي يدور حول الزعامة والسلطة .

ويبدو أن أول مروج لهذه الفكرة بورقيبة نفسه من خلال كتابه "حياتي افكاري- كفاحي" (1) إذ جعل هجرته إلى المشرق 45 و 1949 مؤامرة من بن يوسف لا بعاده عن السياسة كما يتهمه بالتقصير في إرسال المال الكافي حين كان بالقااهرة بينما كان بن يوسف يتلاعب باموال الحزب ويغدقها على شهواته وسهراته مع الراقصة "شهرزاد" ولا يحترز بورقيبة في اتهام بن يوسف بالتواطئ مع السلط الاستعمارية في مأ ساة "الفاقة" بزمردين "في حين يعتبر محمد الصياح مؤتمردا ر سليم محاولة يوسفية لابعاد بورقيبة (2) وحتى عودة بورقيبة إلى تونس في 1949 كانت بتعلة خيانة بن يوسف والمنجي سليم للحركة الوطنية (3) وكان من المفروض اثر عودته إلى تونس في 1949 ان يصفى الحساب مع بن يوسف الا انه أجل ذلك لان الظروف لا تسمح به (4) فسبقي الحساب مؤجلا إلى ما بعد اتفاقيات الحكم الذاتي فهل هذا الظرف هو المناسب ليفتح بورقيبة "حساباته" مع بن يوسف؟ اللهم اذا اعتبر بورقيبة ان الصراع ضد نظام الحماية قد حسنته اتفاقيات جوان 1955 و حان الوقت لتصفية الزعماء" التي ستقضي حتما إلى تفوق واحد منهم ليستولي على السلطة في ظل العهد الجديد، عهد الحكم الذاتي هو ذلك ينم عن غياب

الايمان "بالتعددية وقبول الرأي المخالف" والاعتقاد في ان البشر كالقطيع

1) Bourguiba (H): Ma Vie, Mes Idées, Mon Combat (Serie de Conférences données par le Président Habib Bourguiba, devant les Etudiants de l'Institut de Presse et des Sciences de l'Information, sur l'Histoire du Mouvement National) Publication du Secrétariat d'Etat à l'Informat. (2) المغرب العربي: العدد 167 الجمعة 8 سبتمبر 89 عبد الجليل بوقرة ولطفي عيسى: بورقيبة وبن يوسف تهاوت على الحكم بالتصادم واختبارات؟ ص 21 و 25.

(3) مصدر سابق: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية: ص 83.

(4) مصدر سابق:

4) Bourguiba (H): Ma Vie .P: 252.

في حاجة الى زعامة "فحل" واحد .  
ويذهب الاستاذ رؤوف حمزة الى تأييد هذا التوجه فيجعل " الخلف  
خلفا مفتعلا الى حد ما وان اسبابه وخلفياته تكمن في عوامل  
ذاتية والصراع حول السلطة ، كذلك بعض الحزبات الراجعة الى سنوات 1948  
و 1949 التي كان فيها بورقيبة متغيبا عن تونس وقد ابدى في هذه  
الفترة شيئا من التعاطف ان لم نقل التأييد لبعض العناصر الراديكالية  
والشابة التي كانت انذاك تنتقد بن يوسف وكيفية تسييره لشؤون  
الحزب وتعارض بعض التوجهات التي كان قد رسمها للحزب الى جانب  
عوامل اخرى خارجية خاصة موقف مصر التي شجعت بن يوسف على رفض  
الاتفاقيات (1) .

والذي يمكن ان يدعم هذا الاتجاه تمسك بن يوسف بنفس الاطار السياسي  
وهو الحزب الدستوري الجديد ورفضه قرارات الرفض رغم انضمام العديد  
من التيارات الفكرية والسياسية له ، فلماذا لم ينسحب بن يوسف ليؤسس  
حزبا جديدا ؟

يعتقد الاستاذان عبد الجليل بوقرة ولطفي عيسى ان بن يوسف قد  
ادرك ان متانة وفاعلية أي طرح سياسي لا يمكن ان ينشط بمعزل او  
استقلال عن الخط الحزبي المهيمن وانتهاء صالح بن يوسف الى هضم  
هذه الحقيقة واكتناها مدلولها لم يترك امامه سوى الوصول الى مواجهة  
مفتوحة مع رئيس الحزب مع التشبث بشرعية الانتماء الى نفس الكيان وهو  
ما يثبت ان المعارضة السياسية كانت بالنسبة اليه ورقة خاسرة خارج اطار  
الحزب وان بعثه كيان سياسي جديد ومستقل عن الدستور سيضرب  
آماله في الدفاع عن الوجود وفرض اللون . (2)

ومع ذلك لا يمكن ان نحصر الخلاف بين بورقيبة وبين يوسف في

(1) المغرب العربي عدد 93 : الجمعة 25 مارس 1988 : ندوة المغرب حول 20 مارس : التدخل  
الكامل للاستاذ رؤوف حمزة : ص 51 .

(2) مصدر سابق : المغرب العربي عدد 167 / الجمعة : 8 سبتمبر 1989 .

خلاف شخصي حول الزعامة والسلطة لقد رأينا ان بن يوسف طالما اقتنع بموقع " الرجل الثاني " في الحزب وليس مثل ما يقول كوهين حضرية : " بن يوسف لم يقبل بالادوار الثانوية داخل الحزب (1) " وانما نجده كثيرا ما يستند الى " اوامر بورقيبة " في مواجهة خصومه واقناع معارضيه حتى انه في مؤتمر دار سليم الذي يعتبره بورقيبة مؤتمرا " الخيانة والغدر والنفاق " كان بن يوسف يعلل اقواله بانها " اوامر بورقيبة " الى ان صرح احد المؤتمرين " ما الذي يثبت لنا انها اوامر بورقيبة ؟ " فأجابه بن يوسف في تهكم : " في المرة القادمة سأحضر معي عدلين ليشهدا عما اقول ياسيدي " (2) .

فبن يوسف لم يشذ عن توجيهات رئيسه والذي يلعبه بزعيضا الحبيب حتى وان كانت له بعض التحفظات او المشادات فمع بعض رفاقه في الحزب مثل سليمان بن سليمان (3) او الهادي نويرة (4) ويمكن ان نفسر ذلك بنفسور بن يوسف من " العمل الثوري " واكتفاه بالعمل السياسي " للضغط على فرنسا لكن دون التفريط في مكاسب الامة " على غرار ما جاء في نص التصريح الذي ادلى به الديوان السياسي بتونس في 4 فيفري 1954 ويذكر بن يوسف في رسالة بعث بها الى الباهي الادغم من القاهرة بتاريخ 25 فيفري ان حسان بلخوجة كشف له في مكتبه خاصا ان الهادي نويرة هو الذي ارسل بنص هذا التصريح من باريس (5) وربما هذا يجعلنا نذهب الى ان وحدة الصفوف التي كان الحزب الدستوري

الجديد حريصا على ان يظهر عليها امام خصومه في الداخل وامام فرنسا والعالم الانقلو ساكسوني والدول الافريقية الاسوية في الخارج تخفى وراءها انشقاها بدأت بوادره الاولى تظهر واخر

- 1) Cohen. Hadria (Elie) : Du Protectorat Français à l'Independence Tunisienne ; Souvenirs d'un Témoin Socialiste, Nice 1976, P: 214. (1)
- 2) Bessis et Belhassen: Bourguiba. P: 122. (2)
- 3) Sliman Ben Sliman: Souvenirs Politiques. P: 264. (3) مصدر سابق :
- 4) Bahi Ladgham: Correspondance (1952-1955) : = = (4)
- 5) انظر رسالة صالح بن يوسف الى الباهي الادغم بتاريخ 20 جويلية 53 ص 37 من الكتاب (5)
- 6) نفس المصدر : ص: 42 (6)

الاربعينات واشتد عنفوانه ما بين 53 و 1954، بين من هم في الداخل من الدستوريين ومن هم في الخارج لينفجر الشقاق في صائفة 1955 بكسري " رأس الحزب " ونعني خلاف بورقيبة وبن يوسف .

فهل الحركة اليوسفية اذن انشقاق جديد في صلب الحزب ؟

ب - الحزب الدستوري الجديد يحمل بذور انشقاقه :

انسلخ الحزب الدستوري الجديد في 2 مارس 1934 عن الحزب الحر الدستوري الذي اسسه عبد العزيز الثعالبي في 1920 و هو يعيب عليه المطالبة ببعض الاصلاحات في ظل الحماية اذ جاء في خطاب الطاهر صفر في مؤتمر قصر هلال ( 2 مارس 1934 ) : " وانما هم اناس يريدون بعض الاصلاحات في دائرة قانون الادارة الضيق وانهم جعلوا لانفسهم برنامجا واحدا و سنوا طريقة واحدة لا ثانية لها في المطالبة بتلك الاصلاحات و هي طريقة المفاهيم مع الحكومة نفسها ( 1 ) و مع ذلك فقد ورث الحزب الدستوري الجديد عن الحزب " الاصلي " خطه " الاصلاحى " ونفوره من العنف الثوري " كما ورث عنه هيكله و منها الخمسون شعبة من جملة الثمانين شعبة التي كان يضمها الحزب القديم ( 2 ) و لكن اختلف عنه في الاهتمام بالشعب " باعتباره قطبا ثالثا له في الصراع مع نظام الحماية فهو عنده اداة ضغط فعالة لا جبار فرنسا على تقديم بعض الاصلاحات لفائدة البلاد التونسية .

ويتركب الحزب الدستوري الجديد حسب قانونه الداخلي من اربعة

أركان وهي ( 3 ) :

( 1 ) - الديوان السياسي ويتركب من رئيس و كاتب عام و معاون له و امين مال

( 1 ) سعيد بو بكر : مؤتمر البعث بالمؤتمر الاستعماري الحزب الحر الدستوري التونسي بقصر هلال 2 مارس 34 نشرات الحزب الاشتراكي الدستوري " شركة العمل " للنشر و الصحافة - تونس ريدون تاريخ

( 2 ) مصدر سابق : Mahjoubi(A): Les Origines du Mouvement National en Tunisie . P: 533.

( 3 ) = = : سعيد بو بكر مؤتمر البعث : ص 67 و 71

ومعاون له .

يجتمع مرة في كل اسبوع على الاقل للنظر في شؤون الحزب وحاجاته  
ويجتمع كل ما دعت الحاجة لاجتماعه .

(2) - المجلس الملي : يتركب من افراد الديوان السياسي ومن نواب عن الشعب  
الدستورية بتونس وبلدان المملكة لا يتجاوز عددهم الثلاثين نائبا يقع انتخابهم  
سنويا ويجتمع كل ثلاثة اشهر مرة ووظيفته مراقبة سير اعمال الحزب ومراقبة  
الديوان السياسي وهو الواسطة بين ذلك الديوان وبين المؤتمر ويحتسب  
الديوان السياسي لديه عن الميزانية دخلا وخرجا وعند وقوع خلاف يعرض  
على المؤتمر الاعتيادي او على المؤتمر الاستعجالي اذا وافقت على عقده الاغلبية .  
واذا رأى المجلس الملي خلافا في اعمال الديوان السياسي ورغب جميع المؤتمر  
فوق العادة فان الديوان يكون مجبورا على ذلك ولو قبل ثلاثة اشهر .

(3) - المؤتمرات السنوي : يتكون المؤتمر العام من الشعب الدستورية بالعاصمة  
وبلدان المملكة يجتمع بصورة عادية في شهر محرم من كل عام وتجتمع ايضا  
بصورة فوق العادة اجتماعات استعجالية وذلك باستدعاء من الديوان  
السياسي قبل انعقاده باربعة ايام على الاقل ووظيفته النظر في ميزانية الحزب  
دخلا وخرجا على سنة وتحديد انتخاب الديوان السياسي والمجلس الملي  
وله وحدة الحق في تعديل القانون الداخلي واذا لزم ابدال البرنامج  
السياسي فان ذلك لا يتم الا بمراقبة ثلاثة ارباع المؤتمر على الاقل الذي تكونه  
الشعب الدستورية بقدم نائبا عن كل شعبة لا يقل عدد المنخرطين فيها عن  
خمس مئتين مشتركاً .

(4) - الشعب : وهي التشكيلة الاساسية في الحزب فهي خلايا محلية تنتشر  
في كل انحاء البلاد بمثابة المراكز القاعدية وتتألف من خمسين  
منخرطا على اساس المقر . ولكل شعبة خلية او خلايا من الشبيبة الدستورية  
تابعة لها تضم شباناً تتراوح اعمارهم بين الخامسة عشر والخامسة والعشرين

ونص هذا القانون الداخلي على انه يكون دستوريا كل من التزم في صراحة تامة باحترام برنامج الحزب وانظمته والدفاع عن مصالحه المرتبطة بالقضية التونسية والقيام بجميع الواجبات التي يفرضها عليه ، واشترط القانون في الدستوري التزامه ايضا باداء قيمة الاشتراك السنوية في الحزب ولكنه نص على انه يمكن اعفاء من ذلك متى تحققت الشعبة التي يرجع اليها انه عاجز عن الاداء .

ومن خلال هذا القانون الداخلي يمكن ان نلاحظ ملاحظتين :  
- الاولى : اهمية وزن الديوان السياسي في الحزب باعتباره جهازا حساسا يباشر دورا سياسيا وماليا وقضائيا فهو الذي ينظر في شؤون الحزب وحاجياته ويتصرف في الميزانية ويأسر الشعب ويتكفل بالتحقيق في جميع التهم ، ولهذا يتم انتخابه سنويا من طرف المؤتمر العام ، ولكن ما نلاحظه هو عدم احترام هذا القانون نتيجة الظروف التاريخية التي كان يمر بها الحزب والبلاد التونسية عموما مما انجر عنه احتكار بورقوية وبن يوسف لهذا الجهاز الأول كرئيس بعد ما كان شغل خطة امين عام من 1934 الى 1938 تلك السنة التي استقال فيها محمود الماطري من رئاسة الحزب والثاني هو بن يوسف الذي اصبح امينا عاما بصفة رسمية في مؤتمر ليلية القدر ( اوت 1946 ) وتجسد هذا الاحتكار للمناصب الكبرى داخل الحزب في التصدي لاي محاولة اقتحام للديوان السياسي من طرف عناصر جديدة وشابة تطوف الى تحمل مسؤوليات كاملة في نطاق الديوان السياسي خاصة بعد ما افرغ من عناصره نتيجة الاعتقال او المنفى الاختياري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بدعوى التعريف بالقضية التونسية في الخارج .  
ويمبدوان صالح بن يوسف كان اكثر تشددا في رفض انفتاح الديوان على عناصر جديدة شابة مثلما برز ذلك في مؤتمر دار سليم ( اكتوبر 1949 )  
واثناء ازمة الحزب الداخلية ما بين ( 1953 - 1954 ) .

وربما يفسر ذلك بخوف الديوان السياسي من السقوط فيما سقطت فيه اللجنة التنفيذية<sup>4</sup> في الثلاثينات عند ما انفتحت على جماعة " العمل التونسي " من خلافات وانشقاق .

اما الملاحظة الثانية فقلة الشروط المفروضة على من يرغب في الالتحاق بالحزب الدستوري وهذا ما جعله مفتوحا لكل فئات المجتمع من القادريين على دفع قيمة الانخراط او غير القادريين وبذلك ضمن الحزب الدستوري لنفسه :

اولا : تمويلا ماليا متأتيا من الاشتراكات والتبرعات بحيث منح كل شعبة حرية التصرف في مداخيلها ونفقاتها على ان الفائض يرفع الى الديوان السياسي فمثلا من خلال كراس مَدَنِي بها المرحوم حسين عزيز (1) في أوت 1986 وهي كراس قديم متآكل لانه بقي مدة طويلة تحت الارض خوفا من ان يقع في يد السلط الاستعمارية وبتعرض الاشخاص الذين تحمل الكراس اسماؤهم الى الاذى. وتغطي هذه الكراس مداخيل ونفقات شعبة جارة من مارس 1952 الى اوت 53

وكانت على النحو التالي :

الاشهر	المداخيل	النفقات	الباقى (بالفرنك)
مارس	95.600	93.500	2.100
افريل	130.500	75.700	54.800
ماي	176.550	103.079	73.471
جوان	219.391	120.143	99.248
جويلية	180.298	140.500	39.798
اوت	216.098	135.062	31.036
سبتمبر	78.596	45.360	33.226
اكتوبر	103.409	99.695	23.714
نوفمبر	72.214	60.435	11.779
ديسمبر	65.279	42.100	23.179
<hr/>			
جانفي	66.179	41.333	24.846
فيفري	63.346	57.289	6.057
مارس	58.057	53.750	4.307
افريل	77.307	45.614	31.693

(1) حسين عزيز : من مواليد قلبس ورئيس شعبة جارة .

الاشهر	المداخيل	النفقات	الباقى
ماي	131.147	92.438	38.709
جوان	112.609	52.800	59.809
جويلية 1953	88.470	65.299	23.171
اوت	55.671	37.260	18.411

ومن خلال هذه الارقام التي كان السيد الصحفي الحضري رحمه الله حريصا على ان تكون صادقة وكان يختم الحساب في كل مرة بكلمة حسبي الله ونعمة الوكيل - كما كان يحتفظ بتفاصيل الحوالات البريدية سواء التي يرسلها الى الدستوريين أو الى الديوان السياسي - يمكننا ملاحظة تذبذب مداخيل الشعبه من شهر الى آخر فهي ترتفع نسبيا في فصلي الربيع والصيف ثم تنحدر بعد ذلك مما يكشف عن الحالة المادية للعائلات القابضة القائمة أساسا على الفلاحة ودرجة ثانية على التجارة وان كان أغلب " المتبرعين " هم من التجار والنازحين الى تونس العاصمة ( المركنتية ) ففي فصل الربيع والصيف يكثر الانتاج الفلاحي من خضر وفلال وحننة وتبع ... في حين منذ منتصف فصل الخريف وطيلة فصل الشتاء تقل المداخيل الفلاحية وتكمن التجارة وينعكس ذلك على مداخيل الشعبه .

أما النفقات ( المخرج ) فهي لا تخرج عن نسق المداخيل ( المدخول ) فتترفع احيانا وتنخفض أخرى وذلك لارتباطها بالحالة السياسية في البلاد اذ كانت نفقات تصرف لفائدة اعضاء الشعبه وكنفقات للمساجين والمعتقلين السياسيين المنتميين الى الحزب الدستوري كما تنفق كجرايات للمحاميين المكلفين بالدفاع عن هؤلاء المتهمين السياسيين وكمصاريف تنقل نحو تونس العاصمة في نطاق الاتصال باعضاء الديوان السياسي او الاتصال بالمساجين الدستوريين خاصة بالسجن المدني ومداهم ببعض الاموال والملابس او كذلك مصاريف تنقل نحو قية السجون الأخرى والمعتقلات في مختلف انحاء البلاد ( بنقردان - تبرسق ٠٠٠ ) وحتى خارج البلاد ( لمبارز بالجزائر )

( 1 ) المرحوم الصحفي الحضري كان أمين مال شعبه جارة .

كما كان يخصص جزءاً من هذه النفقات لتمويل بعض "الفلاحة" من ملابس ومأكول وتبغ وشاي وحتى في شكل اعانات لعائلاتهم التي تركوها وراءهم (1) .

فهذه النفقات ترتبط بسياسة فرنسا المتأرجحة بين التعسف والانفراج النسبي فتزداد أيام التعسف وتنخفض أيام الانفراج . أمّا الفائض ( الباقي ) فهو الفارق بين المداخيل والنفقات وهو في علاقة عكسية مع النفقات فكل ما ارتفعت هذه الأخيرة كل ما انخفضت نسبة الفائض . ومع ذلك فهو في كل الحالات ايجابي لفائدة الديوان السياسي الذي كلف بعض عناصر من الحزب لتسليم هذه الاموال مقابل وصل يحمل رقماً وتاريخاً يثبت تسلم الاموال (2) وهكذا وبفضل هذا النظام المالي اللامركزي ضمن الديوان السياسي لنفسه موارد مالية قد تقل او تكثر ولكن دون تحمل مصاريف ونفقات الشعب الدستورية ومن الملاحظ ان مداخيل ومصاريف الحزب قد ارتفعت ما بين 1952-53 نظراً للمجهود المكثف الذي قام به الحزب في تأسيس شعب جديدة وتجميع الاموال .

ثانياً : ضمن الحزب لنفسه وزناً بشرياً لاحتضانه اكثر ما يمكن من افراد المجتمع ( اغنياء - فقراء - حضر - ريفيون - رجال - نساء - شيوخ - شباب ٠٠٠ )

وبذلك كان الحزب الدستوري الجديد تنظيمياً سياسياً جمع في صفوفه كل الفئات وجميع الطبقات ويعبر بورقياً عن ذلك بوضوح "فحزبنا ليس بحزب فئة أو طبقة بل كل الفئات الاجتماعية تجد فيه غذاءً لنفسها وصدى لما تصبو اليه ٠٠٠" ورغم انه حزب جامع فهو متجه الى النضال " (3) .

فهذا الحزب اذن هو تجمع ضم عناصر اجتماعية ذات انتماءات طبقية متباينة

(1) انظر الملحق : وثيقة مدني بها السيد التهامي التركي .

(2) = = = = = الساسي لسود .

(3) خطاب الحبيب بورقيبة في افتتاح المؤتمر القومي الثامن للحزب بالمنستير من 11 الى

15 اكتوبر 1971 - مجلة "الشباب" عدد 4 : اكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1971 - السنة 15

شركة العمل للنشر والصحافة تونس

من برجوازية الى بروليتاريا من ملاكين كبار وصغار الى خماسة  
ومغارسية و "شركاوة" من مثقفين الى أميين من خريجي المعاهد  
والجامعات الفرنسية الى خريجي جامع الزيتونة ومدرسة الصادقية والمعهد  
العلوي والكتاتيب ...

لقد انصهر هؤلاء التونسيون ضمن وحدة وطنية في اطار الحزب الدستوري  
الجديد لمواجهة ضغط الاستعمار لذلك انتفى فيها الصراع الطبقي وتلاشت  
فيها التناقضات الاجتماعية وخدمت فيها الانقسامات حتى ان العمل النقابي  
في تونس انتظم على قاعدة وطنية تهدف الى تحرير البلاد من الاستعمار تحريراً  
يعتمد على الذات وأمام الخطر الخارجي (الاستعمار الفرنسي) اصبحت الاولوية  
"للسياسي" على "الثقافي" فالدفاع على الوحدة الوطنية جعل كتلة  
"الانتيليجانسيا" ترفض خلق كتلتين ذاتي ثقافتين مختلفتين في المجتمع  
كما كانت تسعى لذلك السياسة الفرنسية رغم ان في الواقع كانت النخبة  
المثقفة كتلتين ثقافيتين تستند احدهما في تفكيرها ورؤاها الى اطار  
مرجعي عربي اسلامي محظ بينما تستند الأخرى بصورة رئيسية الى اطار  
مرجعي غربي هو الحضارة الفرنسية بثقافتها ومضمونها الليبرالي .  
ويذهب السيد سكويس ريس (A. Scuyris) في مذكرته بتاريخ 30 نوفمبر 1955  
" ان الصراع مفتوح بين بورقوية و ليو سفية يمكن اعتباره من الآن رد فعل  
التقليديين والنخب القديمة ضد هذه الثورة الاجتماعية التي يشهدها المجتمع  
التونسي " (1) .

و فعلا فقد لعب الاحتلال دورا فعلا في خلق تحولات اجتماعية عميقة  
بتكسير البنى الاجتماعية والثقافية حيث ضرب الهياكل القبلية التي وقفت في البداية  
شوكة امام تحقيقه حالة من الاستقرار كما عمد الى ضرب ما كان يقوم الدين كعامل وحدوي لدى بعض  
المجتمعات المهيم عليها فظهر القيم العربية الاسلامية في صورة عادات وتقاليد بالية مضحكة والاسلام  
نفسه في صورة مجموعة من العبادات والمعتقدات اجتهد الفقهاء في استنباطها حسب اهوائهم (2) .

1) Institut d'Histoire du Mouvement National; Doc: 147cne. A. Scuyris (1)  
"Le Mouvement Fellaga Tunisien en-Expression d'une Revolution Sociale" P:  
2) Bouhdiba Abdelwahab : culture et Societé, Publication de l'Uni- (2)  
versité de Tunis, 1978, P: 257.

وذلك لاستئصال جذور هوية شعب تحتم عليه الالتحاق بالارض وبالوطن والافتخار بالانتماء الى أمة لها قيمها ومميزاتها وتحويله الى شعب منبته مغترب يزرع تحت ثقل الهزيمة ولكن كيف له أن ينسى هويته وهو يرى جامع الزيتونة و يسمع بجامع الأزهر وجامع القرويين وينحدر من عائلة تونسية لم يعمل الاستعمار على اشارة انفتاحها وتجزئتها فبقيت منغلقة على ذاتها وحصنا للذاتية العربية الاسلامية امام تأثيرات الحضارة الغربية (1) .

وهكذا نلاحظ<sup>٦</sup> الثقافة التي بدأت تتوجه في القرن التاسع عشر نحو الانفتاح والحدثة تقو قعت لمواجهة الآخر واصبحت الحدثة كأنها سير في ركاب العدو والعلاقات الثقافية تحولت الى غزو ثقافي يجب التحصن منه بالتشبهت بالهوية الثقافية حتى ان حركة التحرر الوطني أصبحت تعتبر في ذهن البعض تحقيق الهوية واسترجاعها نضالا ضد الاستلاب الاستعماري (2) واصبح نزع الاستعمار (Décolonisation) يعني جعل السلطة وطنية وليس جعلها ديمقراطية مثل ما كان ينظر لذلك مفكرو القرن التاسع عشر ومنهم ابن ابي الضياف (3) "ان جور الملوك هو أقوى الأسباب في تدمير البلدان وتخريب العمران وانقراض الدول" .

ان الانشغال بالديمقراطية وبالمؤسسات السياسية الذي طفا على نقاشات ونظريات القرن التاسع عشر بدأ يتراجع خلال القرن العشرين لان الاستعمار خلق أولويات جديدة فاصبح الحوار بين المثقفين لا يهتم بمن يختار الحاكم وكيف ؟ وانما بضرورة استبدال الحكم الاجنبي بحكم وطني بدون أي اختيار آخر فكانت المطالبة بازاحة الاستعمار اقل ما يطالب به المستعمر الذي اكتشف انسانيته وهويته وشخصيته المختلفة عن الاخر .

ولا نعتني هنا الانسجام الفكري الايدولوجي بين جميع المفكرين والسياسيين في تونس رالا انهم

(1) نفس المصدر :

(2) فتحي التريكي : ملامح التونسي مع بداية القرن القادم :

(3) Tlili(B) Etudes d'Histoire Sociale Tunisienne du XIX Siecle (3)

(4) Publication de l'Université de Tunis 1974 P.P: 53-86.

اتفقوا جميعا على مبدأين :

- المبدأ الأول : ضرورة " النضال " ضد الحضور الفرنسي " المباشر بتونس ولو لكن أي نضال ؟ أنضال سياسي يؤدّي الى اصلاحات في نطاق المصلحة المشتركة بين تونس وفرنسا أو كفاح مسلح يؤدّي الى ثورة شاملة سياسية واقتصادية وثقافية ... وبالتالي القطيعة مع المستعمر .  
- المبدأ الثاني : " وحدة الامة " ولكن أي أمة ؟ امة قطرية ؟ أمة عربية ؟ أو أمة اسلامية ؟

وهذان المبدیان يقضيان بنا الى الوقوف عند طبيعة الوعي السياسي في الحزب الدستوري الجديد وفي الحركة الوطنية التونسية عموما هل هو ووعي وطني ؟ أو ووعي قومي ؟ أو مجرد رد فعل تجاه الهيمنة الاستعمارية المباشرة ؟

لقد استقطب الحزب الدستوري الجديد " كتلة " غير متجانسة تنحدر من طبقات وأوساط اجتماعية مختلفة وتنتمي الى تيارات فكرية متباينة لا تجمع بينها سوى " القضية التونسية " ومن الطبيعي ان تكون هناك تناقضات داخل هذا التجمع " الذي ولد في 1934 وهو يحمل في طياته بذور الانشقاق فقد كان بين القادة والقاعدة تناقض صارخ فالقيادة كانت بيد " بورجوازية " أفرزها الوضع الاستعماري من مزارعين وحرثيين وموظفين ...

وقد سعت القيادة الى اقضاء القاعدة في اتخاذ القرار الذي احتكره الديوان السياسي في اطار المجلس الملي وحولت القاعدة الى اداة تنفيذ " للأوامر " مساييرة للخط الاصلاحى الذي فرضته تلك القيادة على الخط العام للحزب ككل .

ومن هنا يمكن ان نستنتج ان انفتاح الحزب على المجتمع التونسي كان بغاية احتواء أكثر ما يمكن من الافراد في المدن والارياف وبذلك يصبح الحزب " قوة ضغط " واداة مناورة .

تستخدمها القيادة لمساومة فرنسا على بعض التنازلات .  
وبفضل الحجم العددي يمكن للحزب ان يفرض على الحكومة الفرنسية ان  
يكون طرفا **مفطورا** باعتباره يمثل الشعب التونسي " او الامة التونسية"  
اما قاعدة الحزب فكانت تتسع من يوم الى آخر نتيجة الاتصال المباشر  
وسياسة " الخطب" الناجحة في مجتمع أممي . و سار الناس في ركاب الحزب  
ليسرعن و عي سياسي يطرحه السياسي و ايديو لوجيته الفكرية بقدر معارضته  
لفرنسا " المتسلطة" والتي نتج عنها تعرض قادته و زعمائه للاعتقالات  
والمحاكمة و المطاردة... و من هنا نوجب الوقوف معهم و التضامن استنادا  
الى الموروث الحضاري الراجع الى هيكله التنظيم القبلي . " انصر أخاك  
ظالما أو مظلوما" **وليس الى و عي سياسي** بالقضايا الأساسية .  
وانصهرت القاعدة مع القيادة في منظومة " وحدة وطنية" لمواجهة الخطر  
الخارجي ( السلط الاستعمارية" وفي خضم هذا الصراع مع الحماية انطمت  
الفوارق الاجتماعية و التناقضات الطبقة و التعارض الايديولوجي و الفكري  
و يمكن ان نستشهد بقول د: محمد العابد الجابري : " فكما ان النضال  
الوطني يلجم الصراع الطبقي و يكتبه فان نفس النضال الوطني قد لجم  
و كبت الاختلاف الثقافي - الفكري ، اعني التعارض بين النظم المعرفية  
الثقافية (1) .

وربما هذا ما جعل من الصعب التمييز في هذه الحقبة التاريخية بين  
السياسي و المثقف و النقابي و المناضل و المقاوم... ولكن كان كل واحد منهم  
يشعر بان عليه تحمل مسؤ و ليته التاريخية في محاربة الاستعمار الذي  
عليه بدور و تحمل مسؤ و ليته التاريخية في تحديد مصيره داخل البلدان  
1 د: محمد العابد الجابري : تطور الانتليجاتسيا المغربية - الاصاله و التحديث في المغرب  
دراسات عربية ، العددان 1 و 2 - السنة العشرون - تشرين الثاني و كانون الاول ص 3-23 .

المستعمرة فعليه ان يختبر هؤلاء المراهضين له لمعرفة من يشكل  
أكثر خطرا عليه حتى يقصيه في حين يتظاهر بالسَّماع للذين  
يسمحون له بالمزايدة على وطنهم المسلوب فيساو مهم على حقوقهم  
المشروعة ويصبح صاحب حق بعد ما كان لا حق له، ولهذا رفعت  
فرنسا في 31 جويلية 1954 شعارا " الحكم الذاتي " لتقسم ظهر المجتمع  
التونسي وتضرب " وحدته الوطنية " فالمجتمع التونسي في منتصف  
الخمسينات قد اجتمع على التحالف ضد الحضور الاجنبي واصبح يتهم  
" بالعمالة " كل من لا يساير " القوم " وبالتالي فهو محكوم عليه " بالاعدام "  
من طرف " الفلاقة " باعتباره من " الخونة " واذناب الاستعمار " واضطر  
التونسيون الى الانضمام في " وحدة قومية " اختلطت فيها المفاهيم  
بين وطنية قومية - عروبة - اسلام اشتراكية ٠٠٠ ولكنها شكلت خطرا  
حقيقيا على التواجد الاستعماري الفرنسي بتونس في فترة اشتدت فيها  
المقاومة الشعبية في اقطار المغرب العربي ( تونس، والمغرب، الاقصى )  
وكان على فرنسا ان تبحث عن مخرج لها فلوحث " بالاستقلال الداخلي "  
وهو مطلب قديم - جديد منذ " حزب الثعالبى " الى " حزب الدستور "  
ويشكل " أخف الضررين " بالنسبة لها فهو مجرد العودة الى روح معاهدة  
باردو واقرار بحقوق ثابتة لها في نطاق النظام التعاقدى " .  
وان رحبت كل القوى في الحركة الوطنية " بالاستقلال الداخلي " لكنها  
انقسمت في النظرة اليه : كخطوة نحو الاستقلال او كفاية في حد ذاته  
وانشطرت الوحدة الوطنية لتكشف عن ازمة سياسية واجتماعية تدور  
حول توزيع النفوذ السياسي والثروات الاقتصادية ( بين مختلف الطبقات  
والفئات الاجتماعية فيما بعد الاستعمار المباشر التي كونت التحالف  
ضد الحضور الاجنبي وسادت حالة تربع الكل بالكل والجميع يحصي  
اخطاء الجميع بل التوقف اكثر من اللازم أمام الخطأ وتحويله الى خطيئة .

وربما هذا يجعلنا نقول بان الحركة اليوسفية التي تخطت شخص  
بن يوسف بضمها عناصر وافكار أخرى قد شكلت منذ 1955 مظهر  
هذه الأزمة العامة ( السياسية والاجتماعية والثقافية ) التي أتت على  
النظام الاستعماري الكلاسيكي من ناحية وحرفت المجتمع التونسي نحو  
الانشقائ والانسقام من جديد فقد تجاوز الانشقاق اطار الحزب الدستوري  
ليشمل الحركة الوطنية التونسية ويجتاز حدود البلاد التونسية الى الخارج .  
ولهذا يبدو وان الخلاف بين رئيس الحزب بورقيبة والامين العام للحزب  
بن يوسف حول مسألة الاستقلال الداخلي " الذي اقترته اتفاقيات جوان 1955  
سرعان ما تجذرت بدخول عناصر راديكالية من داخل الحزب او من خارجه  
في هذا الخلاف الذي تحول الى انشقاق جوهرى حول " مستقبل تونس "  
يجبر كل الأطراف على ضبط تلك المفاهيم التي بقيت ضبابية الى الآن  
( أمة - سيادة - نظام الحكم ... )

II - هل تناقض أبعاد الحركة اليوسفية أبعاد الحزب الدستوري الجديد ؟

ما أن نخرج من مشكل حتى نسقط في مأزق آخر لا يقل عن الأول صعوبة  
وربما تعود هذه الصعوبة لغياب مرجعية ضافية حول الفكر اليوسفي  
عكسها هو الحال بالنسبة لبورقيبة كما ان الحركة اليوسفية لم تقتصر على  
صاحبها بن يوسف وحده وإنما ضمت عناصر أخرى لها آراؤها ومواقفها  
التي لا تنطبق مع افكار " زعيمها " كما يبدو لنا بن يوسف من خلال  
" مسيرته النضالية " أن له أكثر من وجه على الأقل فيما قبل 1955 وما  
بعدها ، فما هي أبعاد هذه الحركة على الصعيد الايديولوجي والسياسي  
والاقتصادي - الاجتماعي ؟

1- هل اليوسفية تيار ايديولوجي قومي ؟

سؤال تصعب الاجابة عنه بالنفي او الاجاب لاننا نخطئ اذا ننز عننا عن  
اليوسفية " النزعة القومية على الأوّل في نطاق المغرب العربي ونخطئ "

ايضا اذا صنفناها ضمن الايديولوجية القومية؟ فما هو الحل؟  
لنعد أولا الى الحزب الدستوري الجديد الذي انجب " اليوسفية"  
من صلبه لنبحث عن برنامجه وايديولوجيته طيلة الفترة من  
تأسيسه في 1934 الى 1955 سنة انشاقه فاننا " لا نجد له برنامجا  
متكاملا ولا ايديولوجية واضحة وذلك لانه ليس حزبا متجانسا  
تسيطر عليه قيادة هرمية ومركزة وانما هو تجمع غير متجانس  
يحتوي على مختلف شرائح الطبقات الوسطى التي ما انفك تنويرها  
يثير دهشة الباحثين الى جانب ما كان يضم في صفوفه من  
عمال وفئات اجتماعية أخرى (1) هذا حسب ما ذهب اليه الاستاذ  
عبد السلام بن حميدة، أما الاستاذ الشامخ فقد كتب في اطروحته " ان  
الحزب الدستوري الجديد ليس حزبا سياسيا "حركة وطنية" (2) والى  
نفس الاتجاه ذهب أحمد بن صالح في خطاب بمؤتمر الحزب الدستوري  
الجديد المنعقد في صفاقس من 15 الى 19 نوفمبر 1955 حيث تكلم عن  
حركة دستورية وليس عن حزب دستوري (3) ، وهذا التجمع لا يحمل برنامجا  
نهائيا الا في صورة ما اعتبرنا ان ميثاق 13 ماي 1933 كبرنامج للحزب  
الدستوري الجديد وينص هذا الميثاق على : يعقد برلمان تونسي منتخب بالاقتراع  
العام ، حر في تقرير جدول اعماله متمتع بالسلطة التشريعية الكاملة وتشكيل حكومة مسؤولة  
أمام البرلمان مع تفريق السلط (التشريعية والتنفيذية والعدلية) ومنع الحريات العامة لجميع  
التونسيين بدون استثناء وجعل التعليم اجباري للجميع وحماية الاقتصاد وبصفة عامة القيام  
بكل ما من شأنه ان يخلص البلاد من التدهور المادي والادبي ويؤسسها المكان الأكف بها  
في معترك الامم المتمدنة والمتحركة في مصيرها " .  
ومن الملاحظ ان هذا البرنامج قد ادخلت عليه بعض التعديلات سواء بمناسبة محادثات بورقيبة

مع حكومة الجبهة الشعبية أو بمناسبة مفاوضات 1950 و 1951، أو برنامج الحزب سنة 1937 .

(1) مصدر سابق : بن حميدة : الحركة النقابية الوطنية . ج 2 ص 44 .

(2) نفس المصدر : ص 44

(3) = = ص 44

فالحزب الدستوري الجديد لا يملك في الواقع برنامجا متكاملا ونهائيا وانما مخطط عمل مسطاطيا يتكيف والظرفية التاريخية التي تمر بها البلاد في صراعها مع فرنسا . أما الاهداف فقد حددتها لاحقا بورقيبة في خطابه في " بورصة الشغل " يوم 7 ديسمبر 1962 قائلا :

يهدف الحزب الدستوري الجديد الى تحرير البلاد من الهيمنة الاجنبية وذلك عبر اشبهات الذاتية التونسية وابرار الوطن التونسي وتأكيد السيادة التونسية باستعمال سياسة اللين التي تؤكد لفرنسا ان تحرير السيادة التونسية لا يخرج عما جاءت به معاهدة باردو ، وفي نطاق الرقي بالشعب التونسي والتسير به نحو الاستقلال لا يخرج عن مبدأ الصداقة مع فرنسا والاعتراف لها بالجميل " (1) .

فلا استقلال الذي يهدف له بورقيبة اذا سلمنا بأنه يعبر عن رأي الحزب لا يخرج عن " استقلال تقوده فرنسا وتشرف عليه بترك مجال التعاون الحر ويضمن لها مصالحها الحيوية (2) و هو شيء ممكن اذا انطلقنا من رؤية بورقيبة الى امكانية تطوير نظام الحماية في اتجاه انعتاق (Emancipation) الدولة المعهية وليس في اتجاه ادماجها (Integration) في دائرة الدولة الحامية عبر الادارة المباشرة (3) . اما فيما يتعلق بايديولوجية الحزب فلا يمكن لنا ان ننقف لها على قرارات ثابتة فهي تتلون ايضا بتلون الظرفية التاريخية فكثيرا ما يلتزم الحزب الدستوري الصمت في المواقف الحرجة نتيجة ما ينتابه في الداخل من تذبذب وتضارب آراء مثل اعلان الحرب العالمية الثانية أو اعلان الحرب الباردة ولا يخرج الحزب الدستوري الجديد من صمته الا بعد ان تبلور الأمور وتتضح الرؤية فيظهر بورقيبة ببيانات أو تصريحات تعزز موقفه أمام خصمه "فرنسا مثل الرسالة التي بعث بها الى الحبيب ثامر في 12 أوت 1942 ويطلب منه ومن

1) ذكره أنور عبد الملك : la pensée politique arabe contemporaine ; Editions du seuil, Paris 1970, 2<sup>eme</sup> edition, PP 101 - 105

(2) مصدر سابق : بن حميدة : الحركة الوطنية النقابية . ج 2 ص 45 .

(3) مصدر سابق : خطاب بورقيبة في 7 ديسمبر 1962 .

ومن رفاقه الدستوريين ان يتصلوا سرا بأنصار ديقول ولان ينضموا  
حالا الى صف الحلفاء وان يكون ذلك بدون قيد ولا شرط لان الغاية  
أن تكون تونس بعد الحرب في صف المنتصرين وبذلك يكون موقف  
الحزب أمثنا حجة (1) كما قام الحزب في مارس 1950 بإدانة " لجنة الحرية  
والسلم " ذات التوجه الشيوعي كما رقت الدكتور سليمان بن سليمان لافكاره  
المائلة الى الشيوعية وذلك في نطاق الظهور امام فرنسا والعالم  
الأفريقي ساكسوني في صف المعادين للشيوعية في فترة بدأت الحرب  
الباردة تكشف عن أهمية الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي  
الذي اسفرت عنه الحرب العالمية الثانية فالولايات المتحدة الأمريكية  
حسب خطابها الرسمي منقذة الديمقراطية من شر النازية خلال  
الحرب التي خرجت منها كدولة قوية حريصة على سلامة العالم الحر  
ودولة مسؤولة عن مصير الانسانية رغم استخدامها القنبلة الذرية  
ضد ابرياء " هيروشيما " وقد تسابقت الاحزاب السياسية في تونس لفتح  
مكاتب لها في الولايات المتحدة الأمريكية حتى يتسنى لامريكا معرفة  
الوضع في شمال افريقيا عن كثب والتدخل في الوقت المناسب لنصرة  
" الضعفاء " والمظلومين " والس جانب هذا التوجه التفت الحزب نحو  
الشرق ساعيا الى تعزيز قوميته في ارتباطات دبلوماسية بجامعة  
الدول العربية فينخرط في مؤتمر " المغرب العربي " في فيفري 1947  
المنعقد بالقاهرة كما يشارك الحزب الدستوري الجديد عن طريق  
علي بلهوان في بعث لجنة تحرير المغرب العربي في جانفي 1948 وقد  
جاء في المادة الثالثة من هذا الميثاق :غاية اللجنة العمل على نيل  
اقطار المغرب العربي الثلاثة استقلالها التام والانضمام الى جامعة الدول  
العربية مع رفض فكرة الدخول في الاتحاد الفرنسي بأي شكل من أشكاله  
(1) مصدر سابق :لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ص 33.

وفكرة السياسة المزوجة رفضا باتا .

ومع ذلك يتجاوز الحزب هذه المادة ويدخل في مفاوضات مباشرة مع فرنسا في مناسبتين : 50 - 1951 و 54 - 1955 بل يقبل بحكم ذاتي داخل البوطقة الفرنسية وهو ما عارضه صالح بن يوسف منذ صائفة 1955 ويمكن أن نفسر هذه السياسة المتصلبة والمثبذبة بعدم إيمان الحزب الدستوري الجديد بفاعلية الجماهير الشعبية لجهلها وعدم اقتناعها بالنضال " السياسي " البوليتيك " (1) وأيضا بانتفاء قاداته الى الطبقة المثقفة " المنحدرة من البرجوازية الوسطى والصغرى المتصفة بالتذبذب في تحالفاتها الاجتماعية فهي تتأرجح بين " السلطة " تارة والمجتمع الكادح تارة أخرى بالإضافة الى عدم " شجاعتها نتيجة خوفها على مصالحها وهذا ما جعلها تبحث عن ارتباطات " رسمية " على مستوى دولي . وعموما فقد طبعت هذه القيادة التوجه العام للحزب نحو برنامج اصلاحي معتدل وايدى لوجية ليبرالية معادية " كالعنف الثوري " وللشيوعية .  
- لنعد الآن الى بن يوسف نفسه " الزعيم الكبير " (2) .

ينحدر بن يوسف من عائلة " جبرية " ميسورة حرصت على ان يبلغ ابنها أعلى المراتب فلم تبخل عليه بالمال ولا بالرعاية ، فهو لاذن ينتمي الى " البرجوازية " التونسية التي استطاعت ان تتأقلم مع الاستعمار فاكشبت مصالح في ظلّه . ولكن بقيت محرومة من النفوذ السياسي رغم منحها بعض المراكز الثانوية بالادارة التونسية التي سيطر عليها المتفوقون فهو حسب تصنيف - غرامشي للمثقفين - مثقف عضوي بما انه يخدم مصلحة الطبقة الصاعدة للسلطة وبالتالي مثقف الكتلة التاريخية الجديدة ولكن هذا المثقف هو مزدوج الثقافة <sup>عليه</sup> طغت الثقافة الغربية بعد ما درس (1) كلفة كثيرا ما يستعملها بورقيبه في خطبه ليعني بها " الدبلوماسية " .  
(2) لقب أطلقه أنطون اليوسفية " عليه في مقابل " المجاهد الأكبر " اللقب الذي اطلق على بورقيبه .

الحقوق والعلوم السياسية كما اطلع على المفاهيم الأوروبية للامة والوطن والحرية وانبهر بالحضارة الغربية المناهضة بالديمقراطية وحقوق الانسان ، كما تأثر بالتصورات البورجوازية الليبرالية وحتى بالقيم اللائكية فهو يحتقر كثيرا الدين الاسلامي ويستهتر بقيمه (1) .

ومع ذلك يبقى بن يوسف ككل التونسيين متمسكا بالذاتية التونسية المهددة بخطر " ابتلاع الغرب " لها وغيورا على أمته ، ولكن ما هي الامة في التفكير اليوسفي ؟ وهل له يعد قومي ؟. ولمعرفة هذه المفاهيم الامة " القومية " في الخطاب اليوسفي لا بد من العودة الى المنطلقات الفكرية لبن يوسف .

فهذا الرجل مثل اغلبية الانتيليجانسية المغاربية مزدوج التكوين الفكري ( شرقي / غربي ) وبالتالي يعاني اشكالية الاصالة والحدثة التي خلقت أزمة مفاهيم رغم محاولة إيجاد أرضية توفيقية بين مرجعية عربية اسلامية وأخرى غربية فرنسية وانعكست هذه الازمة في الذبذبة اللغوية " لكلمة أمة " Nation أو كلمة قومية (Nationalisme) فالامة في التفكير الغربي حسب التعريف الذي صادقت عليه الاكاديمية الفرنسية في 16.94 : " هي معشر السكان الذين يشتمون الى نفس الدولة ويعيشون في نفس البلاد ويخضعون لنفس القوانين ويتكلمون نفس اللغة (2)

(1) استجواب جلولي فارس في 13 جانفي 1996 ( التقيت به بمصحة " ابو لبابة " بقابس حيث اجريت عليه عملية جراحية ) جلولي فارس من مواليد الحامة ، درس الاداب والعلوم الانسانية بفرنسا شارك في الحركة الوطنية ضمن الحزب الدستوري الجديد ، كلفه بورقيبة بدور الوساطة لحل الخلاف القائم بينه وبين بن يوسف . ترأس المجلس القومي التأسيسي سنة 1951 إلى 1959 انظر أيضا ( ما جاء في الملحق 2 بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية : 639/299 \* B

2) Encyclopaedia universalis, Vol 11; P 566.

الا ان هذا التعريف وقع تجاوزه منذ القرن التاسع عشر بان اتجه الاهتمام الى تفسير ظاهرة القومية ونشئها باعتبار ان الانسانية تنقسم الى امم وانه يتحتم على كل امة ان تؤسس دولة ذات سيادة مستقلة وان تتعهد هويتها الذاتية بالرعاية من اجل خلق قوميتها في نطاق ائتلاف سياسي (1) ومن هنا تكون معادلة الامة بالدولة الحديثة العلمانية .

اما في التفكير العربي الاسلامي فكلمة امة تعني الجماعة ، وامة الرجل قومه وقوم كل رجل شيعته وعشيرته . اما العشيرة فهي بنو الاباء الادنون ثم القبيلة ، اما الشيعة فهم اتباع الرجل وانصاره (2) . وليس للمسلم امة غير الامة الاسلامية حسب قول الله تعالى : " ان هذه امة واحدة " وانا ربكم فاعيدوني " (3) فللاسلام كقوة روحية وسياسية اثر عميق يفوق اثر القومية العلمانية (4) في عصرها ، الا ان منذ القرن التاسع عشر بدأت العدوى الغربية في ميدان القومية تتسرب الى الولايات العثمانية تسرب بضائعها المصنفة وتكنولوجياها الحديثة نتيجة عدة عوامل منها :

ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن التصدي للتسرب الاوروبي بل الدفاع عن ولاياتها التي سقطت في يد الاستعمار الاجنبي الواحدة تلو الاخرى دون ان تنجد المقاومة الشعبية التي علق آمالها على نصرة " خليفة المسلمين " ( السلطان العثماني ) لها .

- سياسة " التتريك " التي حاولت تركيا الفتاة تطبيقها في الولايات العربية منذ مطلع القرن العشرين مما أدى الى تنامي الشعور القومي عند العرب .

- تكالب الدول الاوروبية على تقاسم اشلأ " الرجل المريض " وصراعها من اجل السيطرة على منطقة البحر الأبيض المتوسط بحيث سعت المانيا الى

1) M. Rodinson : Le Marxisme et la Nation, L'Homme et la société Janvier, Février ( 1968 ) ; P 133.  
2) ابن منظور : لسان العرب ، بيروت ، المجلدات : 4 و 8 و 12  
3) سورة الانبياء آية 91  
4) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية دار الشهاب للنشر الطبعة الثانية بيروت ، لبنان 1972 ص 131

الى التحالف مع السلطة العثمانية ثم مع تركيا لا غراض خاصة سعت كل من فرنسا وبريطانيا الى اثاره الشقاق بين عرب واتراك و مساندة سياسه الجزئية (1) في منطقة الشرق الاوسط ويمكن ان نستشف ذلك من خلال مذكرة الامير فيصل الى مؤتمر الصلح بتاريخ 29 جانفي 1919 والتي يقول فيها " بصفتي ممثلا لابني الذي قاد الثورة العربية ضد الاتراك بطلب من بريطانيا وفرنسا جئت اطلب اعتبار الشعوب التي تكلم العربية من القارة الآسوية ... شعبا مستقلا معترفا به وتحت ضمانة جمعية الامم " (2) .

لقد ظهرت القومية العربية في الشرق العربي كصيغة جديدة من التكتل والوحدة لدفع الهيمنة الاجنبية في غياب السند والحماية فهي عند " القوميون " حركة تهدف الى التحرر - أي التحرر السياسي والاجتماعي حتى الديني . من التدخل الذي تمارسه دول الغرب في المنطقة (3) . ان فلهدا المصطلح الجديد الذي يسميه محمد العابد الجابري بالوعي " القومي " مضمون وحدوي ايديولوجي (4) تعزز بقيام الدولة الاسرائيلية بفلسطين في 1947 وبظهور الناصرية كتيار ايديولوجي قومي عربي ناهض الاستعمار عسكريا واقتصاديا وسياسيا ونادى بالوحدة العربية .

اما في المغرب العربي فيبدو ان هناك توجهها نحو قومية اقليمية بمعنى نزعة وطنية قطرية ( تونس - الجزائر - المغرب ) فمفهوم وطنية يحيلنا الى وطن الى أرض ويعرف لسان العرب لفظ الوطن بانه مكان مسقط الرأس وانه أرض اتخذت محلا ومسكنا للقيام فيها ، ومن خلال النصوص التونسية صنف الاستاذ توفيق البشروشي استعمال هذه الكلمة التي تدل على معان مختلفة فالوطن بمعنى المدينة بمعنى تراب القبيلة ، بمعنى تراب السيادة ، بمعنى الانتماء الجغرافي بعد الهجرة ، بمعنى

الانتساب الاداري ، وبمعنى الجهة (5) ويذهب الاستاذ البشروشي الى القول

1) Bechir Tlili: Etudes d'Histoire sociale Tunisienne du XIX siècle Publications de l'Université de Tunis, 1974, p 44

2) Miller, (D,H): MY Diary at the peace conference 1918-1919 (New York, 1924) Vol IV (2) ذكر مزين نور الدين زين في كتابه شوق القومية العربية : مصدر سابق .

3) مصدر سابق : زين نور الدين زين : ص 142

4) محمد العابد جابري : المغرب المعاصر : 75

5) توفيق البشروشي : "القومية القطرية" في تونس قبل الحماية مجلة مركز الدراسات والبحوث

بالقومية العربية التونسية والامة التونسية التي انبعثت اثر تصدع الامبراطورية العثمانية بحيث ارتخت التبعية السياسية الى ان اصبحت الايالة شبه مستقلة منذ القد السابع عشر . ونلمس هذا من خلال ما عرف به بيرم الخامس الايالة التونسية " مملكة اسلامية تابعة للدولة العثمانية مستقلة فالادارة وحكمها استبدادي محض وسكانها نحو مليون ونصف وقاعدتها مدينة تونس ويحدها شرقا وشمالا البحر الابيض وغربا الجزائر وجنوبا الصحراء الكبرى و طرابلس (1) .

ومن هنا يبدو واضحا ان المقصود بالقومية التونسية هو بالدرجة الاولى " الارض " وليس الهوية فتونس اقليم جغرافي له حدوده فهو " وحدة " جغرافية و سكانية و سياسية متميزة فالامة التونسية بالرجوع الى تونس الشهيدة للشعالي وكتاب علي بلهوان " نحن امة " لها جميع مميزات الامم ولكن ما هي الا جزء لا يتجزأ من امة المغرب العربي كما ان المغرب العربي نفسه جزء لا يتجزأ من الامة العربية الكبرى ومن الوطن العربي العظيم (2) . فالقومية هنا تمتزج بمفهوم الوطنية رغم أن شارل اندري جليان يفرق بين القومية والوطنية باعتبار ان الشعور الوطني تطفى عليه الغريزة ولان الحساسية القومية تتركز على العقل (3) ولكن فكرة القومية الفطرية كانت قصد توحيد الصفوف في مواجهة الاستعمار الفرنسي وحول المطالبة باسترجاع سيادة الدولة التونسية القائمة ضمن حدودها السابقة والتي هيمنت عليها السلط الفرنسية الاستعمارية منذ 1881 وهذا يعيدنا الى المفهوم القائل بمعادلة الامة بالدولة في التفكير الغربي والتي تأثرت به النخبة المثقفة ثقافنة

(1) محمد بيرم الخامس، صغوة الاعتبار، الجزء الاول، فصل 42، ص 66 .

(2) علي بلهوان : " نحن امة " المقدمة : ص 3 .

(3) مقدمة كتاب بنيسر سلامة : " ثورة بن غدام " شارل انري جليان .

غربية ومنها بورقيبة وبن يوسف فمن خلال رصد الكلمات التي يستعملها هذا الأخير في خطبه وتصريحاته فإنا نجد تداول كلمة " أمة " بمعناها الضيق القطري فيذكر مثلا " الأمة التونسية " ، المنظمات القومية التونسية .

فالأمة هنا بمعنى مجموعة بشرية متميزة بوحدها وإرادة تعايشها المشترك وهي تقترب من مفهوم الشعب (1) ، أما القومية فهي بمعنى X الوطنية وليس بشحنتها الأيديولوجية الواسعة وإن لاحظنا أن بن يوسف قد أعطى كلمة الأمة مضمونا أيديولوجيا وحدويا وأصبح يتكلم عن أمة عربية إسلامية خلال معركته الكلامية مع بورقيبة في خريف 1955 ولكن حتى هذه الأمة التي يتحدث عنها يبدو أنها لا تتجاوز رقعة شمال إفريقيا وإن مفهومه " للعروبة " والإسلام لا يتجاوز معنى التضامن والتعاون في نطاق وحدة وطنية " تتلشى فيها الخصوصية المحلية ( جنس - عائلة - عرش - قبيلة - طبقة ... ) أمام ما تشنه القوى الإمبريالية من حملات تجزئة ثقافية وإيديولوجية وحتى عرقية منذ الثلاثينات ( المؤتمر الإفخارستي بقرطاج 1930 حركة التجنيس . الظهير البربري 1931 ... ) وهذا ما عزز الوعي الوطني على حساب الشعور القومي الإسلامي (1) في منطقة المغرب العربي إلا أن العروبة والإسلام شكلا أعمدة الحركة الوطنية في اثبات " الهوية " في مواجهة الآخر " ويمكن أن نتأكد من ذلك من خلال المادة الأولى من الدستور التونسي (2) فهل يعني ذلك غياب الوعي القومي بتونس ك مفهوم أيديولوجي ؟ .

يبدو أن الوعي القومي بتونس وحتي في المغرب العربي عامة كان ضعيفا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية تلك الحرب التي فرضت على مجموعة من الوطنيين التونسيين الهجرة إلى خارج الوطن ومن أبرز عناصرها : الحبيب ثامر ، رشيد ادريس ، الطيب سليم ، محسن تريكي

(1) مصدر سابق : Flili (Bechir); Etudes d'Histoire sociale...Op,Cit, P 46

(2) الفصل 1: تونس دولة حرة ، مستقلة ، ذات سيادة بالإسلام دينها والعربية لغتها والجمهورية نظامها . الدستور التونسي - الرائد الرسمي المونخ في 1 جوان 1959 ص 746 .

المهادي السعيدوي ويوسف الرويسي ، وقد أسس هذا الأخير في برلين  
جريدة المغرب العربي في عام 1945 كتب في افتتاحيتها العدد الاول  
" لما كائنت البلاد العربية خاصة الجزء المغربي منها تجتاز مرحلة  
من اصعب مراحل تاريخها فقد فرض المستعمرون على هذا الجزء ان يعيش  
منعزلا عن العالم - منفصلا عن بقية أجزاء الوطن العربي (1) .  
ثم تحول " اللاجئون التونسيون " الى المشرق حيث اسس الحبيب ثامر  
ويوسف الرويسي مكتب " المغرب العربي " في دمشق سنة 1946 ثم  
انتقل الحبيب ثامر الى القاهرة بينما استقر الرويسي بسوريا وفي  
القاهرة تدعّم نشاط الوطنيين التونسيين بالتحاق عدد من قادة ومثلي  
الاحزاب الوطنية المغاربية فتأسس مكتب المغرب العربي بالقاهرة سنة 47  
كما انبثقت لجنة تحرير المغرب العربي في جانفي 1948 وقد كتب  
الحبيب ثامر كتابه " هذه تونس " والذي يقول فيه " تعدد اكثر اقطار  
المغرب استعرابا بعد هجرة بني هلال اليها في القرن الحادي عشر ،  
ولم يبق أثر للعنصر البربري الاصيلي ولا القرطاجي ولا الرومان الذين  
احتلوا البلاد قرونا متوالية قبل العرب . كما لم يبق اثار الاتراك من  
تونس وقد تغلب العنصر العربي على هذه العناصر وابتلعها " (2) .  
ولكن يبدو هذا الوعي القومي العربي الذي تفشى في صفوف الوطنيين  
التونسيين في " الخارج " لم يقتحم بعد الحركة الوطنية من الداخل ما عد ذلك  
الانتماء والشعور المتأصل في الشعب التونسي الى مطلع الخمسينات حيث بدت تظهر بوادر  
الوعي القومي بتونس نتيجة ما عرفه الشرق العربي من تحولات سياسية هامة اثر الحرب  
العالمية الثانية من انبعاث جامعة الدول العربية في 1945 ونشأة الدولة الاسرائيلية  
واعتراف تركيا بالتعليم وهزيمة " العرب " امام الكيان الصهيوني في 1948  
وانتصار ثورة يوليو في 52 وظهور التيار الناصري كتيار قومي منادٍ بالاستعمار وما بدأ بتحرير  
كل شهر من الوطن العربي " وتحول القاهرة الى عاصمة للعروبة وفتتد لحركات التحرر في  
(1) رشيد خشانة : الحركات القومية في تونس، الموقف ، العدد 56 ، السبت 8 جوان 85 ، ص 6 و 8 .  
(2) نفس المصدر : ص 7 .

المغرب العربي حيث كان الاستعمار يسعى الى ضرب الحصار واحكامه عليه في محاولة يائسة لاستئصاله من محيطه العربي الاسلامي الا ان هذه الممارسات دفعت اقطار المغرب العربي الى التمسك بمقوماتها الذاتية وتكثيف الصلات بين من هم في الداخل ومن هم في الخارج من الوطنيين فكانت المراسلات والاجتماعات واللقاءات وحضور المؤتمرات الدولية . كما انتظمت بتونس احتفالات بتأسيس الجامعة العربية وحملات تأييد وتطوع لفائدة القضية الفلسطينية وتصدي في نفس الوقت للنشاط الصهيوني (1) وتجسم البعد القومي في منظمة " صوت الطالب " الزيتوني فتصدى لها الحزب الدستوري الجديد (كما رأينا سابقا) كما تصدى لجماعة الحزب القديم التي حاولت بعد وفاة المرحوم محي الدين القليلي بعزفه في دمشق أن تجدد نشاطها بتغيير اسم الحزب من الحزب الحر الدستوري التونسي الى الحزب العربي الاسلامي (2) وهكذا نلاحظ ان الحزب الدستوري الجديد كان لا يعترف بقومية غير " القومية التونسية " بل يذهب بورقيبية في حديثه الى صحيفة " كومبا " الباريسية الى التبرؤ من جامعة الدول العربية بقوله : اني ليسر منها ولا هي مني وانني لا ابالي لا بنسبها ولا بشتمها كما يقول بانه يوجد ثضامن عربي يرتكز على ذكريات تاريخية (3) فهذا موقف رئيس الحزب فهل هو نفسه موقف الامين العام صالح بن يوسف ؟

منذ 1952 فر صالح بن يوسف وزير العدل والامين العام للحزب الجديد الى القاهرة بعد ما خرج خلصة من فرنسا حيث كان بصدد تقديم شكوى باسم الحكومة التونسية الى مجلس الامن حين بلغه خبر حملة الاعتقالات التي شنتها السلط الفرنسية في صفوف الوطنيين وشملت أعضاء حكومة شنيق التفاوضية .

واتخذ صالح بن يوسف من القاهرة مقرا له الى سبتمبر 1955 حيث عاد الى تونس تحت الحاح جلولي فارس الذي كلفه الديوان السياسي بهذه المهمة قصد حل الخلاف في تونس ولنيسر على مرأى ومسمع المجتمع الدولي (4) . بينما كان مرسى بن يوسف من هذه

(1) الطاهر شرقوش: الحركة الطلابية التونسية 45 و 156 طروحات العدد التاسع اكتوبر 85 ص 9 و 4 و 57  
(2) مصدر سابق: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية ص 134 .  
(3) الصباح 14 سبتمبر 1955  
(4) استجواب جلولي فارس بتاريخ 13 جانفي 1996 .

العودة اقناع الشعب التونسي بضرورة مواصلة الكفاح ورفض اتفاقيات الحكم الذاتي باعتبارها " خطوة الى الوراء " .

وامام تصاعد الاحداث وخطر القبض عليه تسلل بن يوسف من التراب التونسي والتحق بالقاهرة من جديد في جانفي 1956 ليواصل معارضته للتوجه البورقيبي . . . .  
فهل تكفي اقامته بمصر حتى نجعل منه قوميًا ناصريًا ؟

كلا ولذلك وجبت العودة الى محتوى الخطاب اليوسفي بالنظر والتحليل بحيث نلاحظ ان محور هذا الخطاب رفض اتفاقيات الحكم الذاتي بما انها تقر وضع البلاد التونسية والمناذاة بالاستقلال التام الذي لا يتم الا بالكفاح المسلح المشترك بين اقطار المغرب العربي فهذه الافكار تناقض التوجه العام للحزب الدستوري وتعارض حتى ما عهدناه في الفكر اليوسفي قبل 1955 . ومما يزيد في دهشنا تلك الصيغ التي وفتش بها بن يوسف في خطابه السياسي انطلاقا من عقد اول اجتماع له في جامع الزيتونة في 7 اكتوبر 1955 وصولا الى الدعوة الى العودة الى رحاب الاسلام والامة العربية (1) .

ويمكن ان نفسر ذلك بالتحويلات التي طرأت على شخصية بن يوسف نتيجة التأثيرات الخارجية التي عايشها اثر فشل تجربته التفاوضية مع فرنسا 50 و 1951 وادراكه حل القضية التونسية ليس ببيد " باريس " مثلما يعتقد بورقيبية وانما على منبر منظمة الامم

المتحدة وانه لا امكانية لأي تفاهم مع المسوءولين السياسيين الفرنسيين (2) .  
في حين يذهب الاستاذ روف حمزة الى تأثير موقف مصر على موقف بن يوسف وهي كانت فعلا قد شجعت بن يوسف على رفض الاتفاقيات وحتى في وقت ما على التنازح بالغايات الدستورية التي وافقت عليها وتبنتها (3) . أما السيد الباهي الادغم فيؤكد على أن بعد مؤتمر باندونغ تبدل خطاب بن يوسف مثلما تثبتته الرسائل التي كان يبعث بها اليه (4) في حين يقول السيد الرشيد ادريسي " صالح بن يوسف كان متأثرا بتيارين : تيار باندونغ

(1) خطاب بن يوسف بجامع الزيتونة اوردته الظاهر عبد الله : الحركة الوطنية / ص 137 .

(2) مصدر سابق : علي بن عامر : سيرة صالح بن يوسف اطروحة العدد 15 سنة 1989 ص 9 .

(3) مصدر سابق : المغرب عدد 93 / الجمعة 25 مارس 1988 ص 51 .

(4) المغرب العربي : مائدة مستديرة حول قراءة جديدة 20 مارس 1956 عدد 92 الجمعة 18 مارس 88

وبدينامكية الحركة الوطنية التي كان مشرفا عليها سواء على طريق  
الاشخاص او عن طريق المراسلات فكان حاضرا في المقاومة ولم يكن غائبا  
وهناك ارتباط مبدئي مع الجزائريين والمغاربة (1) .

فمن الواضح ان تضافر هذه العوامل قد اثر بعمق في بن يوسف وقد  
يساعدنا على تفسير مواقفه ما بين 55 و 1956 ولكن جعلنا نسقط من جديد  
في اشكالية الثابت والمتغير في هذه الشخصية التي تبدو ذات تركيبة معقدة  
يصعب فهمها بوضوح ومع ذلك فهي شخصية " السياسي " التي تتلون والمرحلة  
التاريخية الراهنة لانجاز ما تطلبه المرحلة من أجل تحقيق طموحاتها .

ولهذا كان في 1950 الحكم الذاتي مطحا تجاوزته الاحداث في منتصف الخمسينات  
حيث بات الاستقلال التام ممكنا في ظل التحولات العالمية الجديدة التي تجذرت  
منذ 1954 كما كانت الوحدة الوطنية ضرورة لاجبار الخصم على التفاوض  
من أجل الحصول على بعض الاصلاحات أصبحت وحدة الكفاح بين اقطار المغرب  
العربي بعد اندلاع المقاومة في هذه الاقطار أداة أنجع لاقتلاع الاستقلال التام .  
ولربما هذا يجعلنا نذهب الى القول بتنامي " الوعي القومي " في المغرب  
العربي " بعد اندلاع الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954 دون ان تنفي رسوخ  
" الوعي الوطني " ويمكن أن نستشف ذلك من خلال الآثار الفكرية للنخبة  
المثقفة في منتصف الخمسينات مثل كتاب " السد " لمحمود المسعدي الصادر  
في 1954 والذي يحوم حول الاصل والحدثة وكتاب " نحن أمة " لعلي بلهوان  
والصادر ايضا في 1954 والذي يقول فيه " تونس والجزائر ومراكش ثلاث أقطار  
وثلاث أمم كونتها الاجيال المتعاقبة منذ قرون وصبغتها صبغة واحدة  
هي أمة متوحدة... نراها اكتملت وعيمها القومي وتيقنت انها الجناح الايسر للامة

العربية الممتدة من خليج فارس على شواطئ البحر الهندي الى المحيط الاطلسي (2)

(1) نفس المصدر : ص 60 .

(2) مصدر سابق : علي بلهوان : " نحن أمة " .

وطبقا لهذا الوعي القومي " أصبحت الجامعة العربية باعتبارها ناحيةها الثقافية والسياسية الغاية التي يوجه كل فكري او اجتماعي في تونس الى تحقيقها (1) وربما هذا ما يفسر مراسلة بن يوسف للجامعة العربية في اكتوبر 1955 للحكم في النزاع القائم بينه وبين بورقيبة مطالبا بتكوين لجنة خاصة " لدراسة الاتفاقيات التونسية الفرنسية (2) .

فهل هذا التوجه نحو الجامعة العربية (يعكس في الحقيقة ميولا تبنى يوسف نحو القومية العربية والتيارات الاسلامية) او هو مجرد ورقة استخدمها بن يوسف في معركته السياسية مع بورقيبة وجمعت حوله " المحافظين " والبورجوازية " والجماهير الشعبية التي لم تتحرر بعد من روابطها الحضارية والثقافية وكان تصورهما لفهوم الامة والشعب والوطن تصورا مجردا .

ومن ناحية اخرى جعلت الكثيرين من رجالات السياسة والثقافة والتاريخ يصنفون اليوسفية ضمن معارضة العروبة والاسلام) للحضارة الغربية (3) فوجد رئيس الوزراء فرنسا " ادغار فو (Edgar Foure) يصرح امام البرلمان الفرنسي في 2 جويلية 1956 قائلا: " ان فرنسا أبرمت مع تونس برتوكولا تعترف فيه باستقلالها في نطاق التكافل مع فرنسا وذلك بعد سنة واحدة من توقيع اتفاقيات الحكم الذاتي التي لم يجف حبرها بعد . وقد اعطينا حكم تونس الى الحبيب بورقيبة صديق فرنسا لتعزيز جانبها امام غريمه صالح بن يوسف الذي يقود ثورة ضده و ضدنا متحالفا مع الارهابيين في الجزائر والكولونيل عبد الناصر الذي يتزعم المد القومي العربي الذي سوف يمتد الى كل الشمال الافريقي ويقضي على وجودنا فيه لذلك دعمنا صديقا بورقيبة

(1) الفاضل بن عاشور: الحركة الادبية والفكرية في تونس ما لدار التونسية للنشر النشرة 3/83 ص 222

(2) Le petit Matin 13/10/1955

(3) مصدر سابق: A. Scuyris "Le mouvement Fellaga Tunisienne P ?

ليكون السد المنيع ويقطع الطريق على كل خطر من التشرق العربي (1) ولا يمكن لنا ان ننكر استخدام بن يوسف في خطبه كلمات تعبوية كالقومية التونسية " والعروبة والاسلام ووحدة الكفاح بين اقطار المغرب العربي ... كما لا يمكن ان ننكو تقارب بن يوسف مع جمال عبد الناصر بمصر وتمسكه بجامعة الدول العربية ولجنة تحرير المغرب العربي ومنظمة الامم المتحدة وخاصة قرارات دول عدم الانحياز في بانكوك ونيويورك ولكن دون القطع مع الغرب وخاصة فرنسا .

وهذا من شأنه الايحاء بانطباع أولي لبعث قومي وجوهي مهبطع بطرح أوصولي وحتى سلفي جذرته المزايدة السياسية واحداث الصراع بين البورقيبيين واليوسفيين (2) وربما هذا الانطباع نفسه جدلاً بين التيارات السياسية والفكرية التونسية في الستينات والسبعينات وحتى فيما بعد في الحكم على هذه الحركة التي لا يمكن حصر ابعادها السياسية والايديولوجية والثقافية في شخص بن يوسف وتفكيره رغم ما طرأ عليه من تحولات عميقة الى حد الانقلاب من النقيض الى نقيضه في منتصف الخمسينات ولا يخفى علينا ان هذه الحركة استقطبت كل المتعاطشين الى الاستقلال التام بمختلف توجهاتهم الفكرية ونزعاتهم السياسية مما جعلها ائتلافاً سياسياً غير متجانس ومناوئاً للتوجه البورقيبي نحو الغرب بحيث يؤكده بورقيبة على الارتباط بالغرب وخاصة فرنسا فيقول ان " مرسلينا " اقرب لنا من بغداد او دمشق او القاهرة . وان اجتياز البحر المتوسط أيسر من اجتياز الصحراء الليبية (3)

في حين نجد صالح بن يوسف يعقد اجتماعاً في جامع الزيتونة يوم الجمعة 7 اكتوبر 1955 ليخطب في الناس قائلاً: أحبيكم من هذا المسجد الاسلامي العظيم الذي كان ولا يزال يشع منه نور الاسلام الخالد ومن هذا المحراب التاريخي

(1) ابراهيم طوبال: البديل الثوري بتونس دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان 1979 ص 325.  
(2) مصدر سابق: المغرب العربي العدد 167 الجمعة 8 سبتمبر 1989 عبد الجليل بوقرة ولطفي عيسى بورقيبة وبن يوسف ص 25.  
(3) مصدر سابق: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية، ص 155.

الذي ينطق كله مجدداً وعروبة وإسلاماً أحييكم تحية الإسلام الخالدة  
تحية أحملها لكم من أعماق قلبي قد حملني أيتها إخوانكم العرب  
والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من مصر إلى ليبيا إلى الشام  
إلى بغداد إلى أفغانستان إلى بانكوك إلى يثرب مدينة الرسول  
الاعظم عليه الصلاة والسلام (1) .

وهكذا يمكن أن نستنتج أن ما اصطفت به الحركة اليوسفية من توجه  
عربي إسلامي ليس اختياراً أيديولوجياً من جانب صالح بن يوسف بقدر  
ما هو عامل تباين مع الفريق المتلف حول بورقيبة (2) و سمة تميزه  
عن الشق المقابل وأداة تعبئة للجماهير الواسعة في الداخل واقتلاع سند  
ومرجعية دولية في الخارج بحيث " يظهر ما لا يبطن " ويخاطب الشعب بما  
لا يخاطب به السلط الاستعمارية وربما هذه الأزدواجية في الخطاب التي هي من قواعد  
التعامل في الحزب الدستوري الجديد جعلت الحركة اليوسفية تعجز عن اكتشاف الأفق  
الاجتماعي للنضال الوطني ضد الاستعمار فبسطة رؤية وطنية لانجاز الاستقلال التام  
لاقطار المغرب العربي ووقفت دون مسؤوليياتها ودون مستوى الوعي الجماهيري  
في تحقيق محتوى النضال الوطني وتصعيد إلى معنى التحرر من كل أشكال  
الهيمنة والتبعية . ولذا تبقى الحركة اليوسفية في مستوى القيادة تعبيرا عن واقع  
طبقي واقع " بورجوازية " انبها الاستعمار أو ارتبطت به فشلت في انجاز النضال الوطني  
عبر ممارسة العنف وطرح مسألة السلطة كقضية أساسية ومع يبق <sup>ذلك</sup> " النضال  
الوطني " الذي هو وليد وضعية استعمارية نضالا " قوميا " لا يمكن أن ننكر صفة  
القومية عنه سواء في نطاق النظرة القائمة على القومية للضيقة أو النظرة القائلة  
بالقومية العربية الإسلامية .

(1) نفس المصدر: ص 137 .

(2) مصدر سابق: علي بن عامر: سيرة صالح بن يوسف ، اطروحات عدد 15 - 1989 - ص 16 .

٢- فهل للحركة اليوسفية برنامج اقتصادي اجتماعي ؟

فان كان من الصعب العثور على برنامج اقتصادي اجتماعي متكامل للحزب الدستوري الجديد والذي وجد منذ الثلاثينات فهل يكون من السهل تحديد ملامح برنامج اقتصادي للحركة اليوسفية التي لا يتجاوز عمرها بضعة اشهر ؟

ولكن أليس غريبا ، غياب وجود برنامج اقتصادي اجتماعي واضح في فترة حاسمة كفترة 1955 و 1956 هيأت البلاد للانتقال من مرحلة

الاستعمار المباشر الى مرحلة جديدة ( الاستعمار الجديد ) ؟

ومع ذلك يمكن ان نفسر هذه الظاهرة بان قيادة الحزب الدستوري وقيادة الحركة اليوسفية المنشقة عنه تنتمي الى صفوف البورجوازية التونسية التي في الحقيقة هي افرزات النمط الرأسمالي الذي جلبه الاستعمار الفرنسي الى تونس ولم تنتج عن تطور ونمو البنية التحتية للمجتمع التونسي نمووا طبيعيا حتى يتبلور لديها برنامج اقتصادي اجتماعي شامل لمعالجة القضايا الاقتصادية والاجتماعية للبلاد .

ولهذا تبنت نهج الليبرالية الاقتصادية القائمة على الملكية الخاصة ونفي الصراع الطبقي في نطاق المصالحة الاجتماعية والتعاون الوطني

( وهذا يلتقي بورقيبة وبن يوسف ) كما ان هذه المبادئ لا تتعارض والموروث الحضاري للشعب التونسي العربي المسلم اذ الطبقيّة " سنّة الله في خلقه "

طبقا لما جاء في القرآن الكريم : " لقد وضعنا بعضكم فوق بعض درجات " .

كما نلاحظ ايضا أن هذه القيادة أعطت اولوية " للسياسي " عما سواه

( ثقافي ، اقتصادي ، اجتماعي ) ، وحصرت اهدافها الاستراتيجية

في " الاستقلال السياسي فرفعت الحركة اليوسفية شعار " الاستقلال التام "

كشعار وطني يمس كل التونسيين مهما كانت قناعاتهم الاقتصادية

والاجتماعية ولما تعرض بن يوسف الى الميدان الاقتصادي والمالي من خلال تحديده لشروط الاستقلال الداخلي فانه تناوله بصفة عامة كمظهر من مظاهر السيادة الداخلية اذ يقول " خامسا " الاعتراف للحكومة التونسية بأن تكون حرة في اتباع سياسة اقتصادية ونقدية وقرقية متجانسة مع نظام البلاد تتعامل بالفرنك الفرنسي بدون ان يكون ذلك التجانس وسيلة الاقرار الروابط الاقتصادية بيننا وبين فرنسا في شكلها المالي اذ هو شكل استعمار صرف (1) .

وربما غياب برنامج اقتصادي اجتماعي للحزب الدستوري الجديد عموما جعل هذا الحزب ينتهي ببرنامج الاتحاد التونسي للشغل اثناء مؤتمرات صفاقس 1955 رغم عدم اقتناع بورقيبة رئيس الحزب بهذا البرنامج ذي الصبغة الاشتراكية . ولكن الظرفية التاريخية تستوجب مغالبة الاتحاد العام التونسي للشغل ومن ورائه الطبقة الشغيلة بتونس قصد تأسيس جمعية تصدي للتيار اليوسفي الذي هو بدوره يفتقر الى برنامج اقتصادي اجتماعي واضح وربما هذا الافتقار خدم الحركة اليوسفية في الداخل وفي الخارج في كسب الانصار والمؤيدين في ظل الغموض المكتسب بها .

---

(1) الصباح 5 جانفي 1955 النص الكامل لتصريحات الاستاذ : صالح بن يوسف الامين العام

للحزب الدستوري التي سلمها للصحف عن رأيه في الاستقلال الداخلي التونسي .

(2) المجي واردة ، " جذور الحركة اليوسفية " ، المجلة التاريخية المغربية عدد 20 سنة 1993

صص 480 - 563 .

نشأتها :

لاعتبرات ايديولوجية يحلو لبعض التيارات السياسية والفكرية

البحث عن جذور نشأة الحركة اليوسفية بتقليب ماضي الحزب الدستوري الجديد لعلها تعثر على بذور هذا الانشقاق الذي انفجر فجأة بدون سابق انذار في طرف حاسم يستجوب توحيد الصفوف لاجبار فرنسا على التخلي عن مستعمراتها تونس.

ومن خلال بعض الكتابات حول الحركة الوطنية يعتبر صالح بن يوسف "انهزاميا" منذ 1935 و" خائنا ومتآمرا" منذ سنة 1945 ولا تفسر معارضته لاتفاقية الاستقلال الداخلي الا برغبته في ازالة آثار انهزاميته السالفة وكل العلاقات المشبوهة التي ضلع فيها مع السلط الاستعمارية... فالحسد كان دافعه الوحيد والسلطة كانت هدفه الأعلى (1) وما انصاره الا شذمة من "الواش" ومجموعات من المتخلفين المعارضين للعصرانية" والحضارة" (2).

وان لا ننكر ان على مستوى الاختيارات والتوجيهات والسياسية قد عرف الحزب الدستوري الجديد فقرات من التوتر والمشادات بين عناصره. ففي مؤتمرات 1 و 2 نوفمبر 1937 طرح الاستقلال بصفة واضحة وقد تبناه الشق الراديكالي للحزب رغم ان المؤتمرات تبني برنامج 1933... ولكن القضية طرحت بصفة صريحة في مؤتمري ليلة القدر في 23 أوت 1946 (3).

وفي سنوات 1947 و 1948 و 1949 يطفئ الخلاف من جديد بين قادة الحزب وفي صفوف اعضاء الديوان السياسي فيبدأ ظهور تكتلات داخل الحزب الدستوري الجديد ولكن دون جدوى.

وفي 18 جانفي 1952 انعقد المؤتمري الرابع للحزب (4) في تونس في الظروف الحرجة التي اغلقت فيها المذكرة الفرنسية المؤرخة في 15/12/51 الباب امام كل تفاهم بين تونس وفرنسا بعد ان سنت الحكومة الفرنسية حملة اعتقالات شملت عددا من القادة والمسؤولين والمناضلين وكان

1) Le Nouvel Etat aux prises avec le complot youssefiste (1956-1958) (1) Edition Dar El Amel - Tunis 1983 - tome 3 . P, 10

(2) مصدر سابق: علي بن عامر: سيرة صالح بن يوسف "اطروحات" العدد 15/1989.

(3) مصدر سابق: المغرب العربي "عدد 92 الجمعة 18 مارس 1983 (تدخل السيد علي محجوبي في المائدة المستديرة حول 20 مارس 56) ص 57.

(4) في نوفمبر 1974 نلاحظ ان الحزب الاشتراكي الدستوري يهمل عمدا ذكر مؤتمري ليلة القدر في قائمة تاريخ مؤتمرات الحزب.

انعقاد المؤتمر سرا برئاسة المرحوم الهادي شاكرو وكان المقرر له الهادي نوييرة واعلن المؤتمر في حماس واجماع قيام " الثورة المقدسة " ضد الاستعمار حتى النصر النهائي (1) ونادوا بوجوب الغاء الحماية والاعتراف باستقلالنا التام كأساس وحيد لحل المشكل التونسي (2) . ويبدو ان صالح بن يوسف متمسكا بقرارات هذا المؤتمر ويعتبره تعبيرا صادقا على رغبة الشعب التونسي الحقيقية تلك الرغبة التي اقرها حزبنا في مؤتمره المنعقد في 18/1/1952 والتي دخل الشعب من أجلها معركة ويالها من معركة فلم يضح الوطنيون ولم ينستشهدوا للمطالبة بالاستقلال الداخلي . انها مرحلة اجتزناها واجتازها الشعب (3) في حين يذهب بعض عناصر من الحزب ( محمود المسعدي والنوري البودالي والهادي نوييرة ) الى التناكر للوائح مؤتمر 18/1/1952 وعدم التقييد بهذه القرارات لان المؤتمر المشار اليه انعد في ظروف خاصة (4) . وقد شهدت العلاقات بين الهادي نوييرة وبين بن يوسف توترا الى حد مطالبة هذا الاخير باستقالة الاول من الحزب . كما اشتد الخلاف ما بين 1953 و 1954 بين من هم في الداخل من الدستوريين ومن هم في الخارج حول ثلاث نقاط لخصها الطيب سليم من خلال رسالته الى الباهي الادغم من الهند بتاريخ 12 ماي 1954 :

- 1) - ضرورة ادخال عناصر الشبيبة في الحزب واعطائهم المسؤولة الكاملة وذلك مثلا في تكبير نطاق الديوان السياسي الذي لم يبق يمثل شيئا واعفاء من تغلبت عليهم الايام من أعباء المسؤولة .
- 2) - ضرورة احكام نظامنا في الخارج وتركيز المسؤولة لتسيير الحركة من غير السكرتير العام الذي اظهر انه غير قادر على القيام بها
- 3) - ضرورة تكوين ميزانية للحركة والوقوف على الحسابات حتى يتفادى ما هو حاصل من انتقاد ان حقا او باطلا - موجه لنا ولزعماننا

(1) Perillier (Louis): La conquête de l'indépendance Tunisienne, E. Rabert

\* المشعل: لسان الشباب الاشتراكي الدستوري العدد السابع نوفمبر 74 تاريخ مؤتمر الحزب 34/74 .  
Laffont paris, 1979, p. 135, et vois aussi

(2) مصدر سابق: الباهي الادغم مراسلات . (رسالة صالح بن يوسف الى منجي سليم بتاريخ

القاهرة 14 فبراير 54) ص 8 القسم العربي .

(3) نفس المصدر: ص 11 (القسم العربي) .

(4) = = ص 8

في العبث بأموال الحركة (1) .

وهذه الرسالة تكشف عن مشاكل تفاقمت داخل الحزب وتتمثل في احتكار جهاز الديوان السياسي متى قبل مجوعة من " الشيوخ " أوصدت الباب امام عناصر جديدة شابة الى جانب سوء التصرف في اموال الحزب وعدم توافق عمل ونظام الحزب في الداخل مع عمل ونظام الحزب في الخارج . ومن خلال هذه النقاط الثلاثة نستنتج ان المتهم الأول هو صالح بن يوسف الامين العام للحزب رغم انه محجر عليه دخول البلاد . الا اننا نتمساءل لماذا هو بالذات وليس بورقيبة مثلا ؟ لعله كان طليقا في حين كان بورقيبة معتقلا في يد السلط الاستعمارية .

الا ان في رسالة اخرى بعث بها فريد السوداني الى الباهي الادغم بتاريخ 29 نوفمبر 1955 نلمس تحليلا اعمق بحيث تجعل العلة في تنظيم الحزب القائم على هيكل سلمي اساسه قمة تتنازعها الالهواء الشخصية (2) ويهيمن عليها الديوان السياسي الذي هو عنصر تشريعي وتنفيذي في الآن نفسه (3) تحتكره نخبة مثقفة (4) .

اذن شككت هذه المشاكل الداخلية تراكمات أدت الى انفجار " الرأس " أي قمة الحزب تحت ضغوطات عوامل اخرى خارجية فتصدع الحزب في 1955 وتكونت الكتل المتنافرة داخله واتخذت تقييم اتفاقيات الحكم الذاتي " كخطوة الى الامام " او كخطوة الى الوراء مقياس انتماء الى هذا الشق او ذاك فما هي هذه العوامل المباشرة التي ادت الى انشقاق الحزب ؟

لذا سنعود بالتاريخ الى سنوات ما بين 1952 و 1955 لاننا نعتقد ان جذور الحركة اليوسيفية تنبت في هذه الحركة بالذات بحيث ابعد قادة الحزب الدستوري الجديد من قبل السلط الاستعمارية فكل من بورقيبة رئيس الحزب وبن يوسف الامين العام للحزب محجر عليهم اذ خول البلاد فالاول معتقل تنقله السلط الفرنسية من سجن الى آخر فبعد طبرقة نقل الى رمادة مع بقية اعضاء وزارة شنيق في مارس 1952 ثم تم ترخيله الى جزيرة جالطة حيث قضى سنتين من جويلية 1952 الى ماي 1954 ومنها نقل الى جزيرة قروا "Groix"

- (1) نفس المصدر : ص 82 ( القسم العربي ) .  
(2) = = = ص 223 ( = = ) .  
(3) = = = ص 324 ( = = ) .  
(4) = = = ص 325 ( = = ) .

ثم قصر لا فرتي (Chateau de la Ferfe) ليعود الى تونس في غرة جوان 55. اما الثاني (بن يوسف) فهو مطار د من السلط الفرنسية ولكنه بقي طليقا يعيش خارج البلاد ينتقل من مدينة الى اخرى ومن قارة الى اخرى يعقد الاجتماعات ويحضر المؤتمرات ويدلي بالتصريح الى الصحف العالمية باعتباره الناطق الرسمي للحزب الدستوري الجديد ويجمع الانصار والمؤيدين للقضية التونسية التي رفعت الى هيئة الامم المتحدة ، ثم عاد الى تونس في 13 سبتمبر 55 التي فر منها اواخر جانفي 1956 ولن يعود منها الا رفاتا .

(I) - فشل تجربة التفاوض ورفع القضية التونسية الى هيئة الامم المتحدة :

### 1- فشل تجربة التفاوض: 1950 - 1951 :

انطلقت التجربة التفاوضية 1951/50 بين تونس وفرنسا على اساس من سوء الفهم واختلاف وجهات النظر . (1) بحيث دخل الجانب التونسي "المفاوضات من اجل تحقيق الحكم الذاتي بينما فتح الجانب الفرنسي " محادثات " حول اصلاحات من شأنها تدريب التونسيين على تسيير بلادهم استعدادا للحكم الذاتي في المستقبل في كنف الوحدة الفرنسية (2) اذن فالحكم الذاتي يعتبر بالنسبة للمفاوضين التونسيين خطوة اولى نحو الاستقلال في حين تعتبره الحكومة الفرنسية الهدف النهائي . ولهذا كانت مذكرة 31 اكتوبر 1951 تعبيرا عن وجهة النظر التونسية من مغزى المفاوضات وهي المطالبة بتركيز حكومة تونسية متجانسة وتأسيس مجلس نيابي لا يمثل الا التونسيين ، وبالتالي الاعتراف بالسيادة الداخلية لتونس واقرار نظام ملكي دستوري ديمقراطي مع استمرار الروابط القائمة بين تونس وفرنسا بينما عبرت مذكرة 15 ديسمبر 1955 عن موقف الحكومة الفرنسية النهائي والقطعي المتمسك بازدواجية السيادة ومبدأ تشريك الفرنسيين بتونس في الاشراف وتسيير المؤسسات التونسية .

ولم تكتف الحكومة الفرنسية بالقول بل مرت الى العمل فعوضت المقيم العام لوي سربيلي بمقيم عام جديد هو تكلوك (Hauteclouque) منذ اواخر ديسمبر 1951 الا ان وصوله الى تونس كان يوم 13 جانفي 1952 على ظهر

(1) عد الى العنصر المتعلق بسياسة الحوار مع فرنسا حتى 196

(2) لو مند : 3 جوان 1950 ( تصريح شومان اتوضيح ما جاء في خطابه في

تيونفيل يوم الجمعة 9 جوان 1950 بشأن مهمة المقيم العام : م . بريلي .

مدركة حربية كأنما تشير الى سياسة الحديد والذات التي سيسلكها  
في تونس المقيم الجديد والتي تذكر بما فعله الجنرال "جوان ( Juin )  
في المغرب الأقصى في 1951 .  
وارسلت السلط الفرنسية منذ 18 جانفي 52 بمزيد من المواطنين التي  
السجون وشدت الرقابة على الصحف والنشريات وحجرت عقد الاجتماعات  
ولكن الشعب التونسي الذي يئس من جدوى سياسة " اليد الممدودة اثر  
مذكرة 15 ديسمبر 1951 كان يملك " البديل " عن اسلوب التفاوض وهو  
الكفاح المسلح " رغم ان قيادة الحزب الدستوري الجديد لا يؤمن بفاعلية  
هذا الكفاح بل اضطر اليه ليسرغاية في حد ذاته وانما اذلت انظار  
الرأي العام الدولي لما يجري من اضطرابات في تونس قصد دفعه الى  
مساندة المهالة التونسية عند عرضها على هيئة الامم المتحدة فبرقيدة  
يقول في خطابه الذي القاه في قابس وبهذا تعطون الفرصة للامم  
المتحدة للتدخل مثلما هو الحال في الهند الصينية (1) فالبديل عند قيادة  
الحزب ليس الكفاح المسلح وانما عرض القضية التونسية على هيئة الامم  
المتحدة بعد ما قطعت فرنسا سياسة التفاوض معها رأسا بمذكرة  
15 ديسمبر 1951 .

فهل كان هذا التوجه ناتج عن شعور بالنقص وعدم التكافؤ في  
القوى بين فرنسا العظيمة والشعب التونسي الذي تعتبره الجامعة  
الاشتراكية " غبار افراد " (2) وهوناتج عن امل الشعوب المستعبدة  
في عدالة وانصاف هذا الجهاز الاممي في حل قضايا تحررها بعد الدور  
الذي لعبته الولايات المتحدة الامريكية في استقلال اندونيسيا وليبيا ؟

C: 14, D3, 72P ,

( 1 ) الارشيف الوطني بالوزارة الاولى .

( 2 ) الجامعة الاشتراكية : تأسست بتونس 1908 واصبحت بداية من 1911 عضوا في الفرع الفرنسي  
للأممية العالمية (S.F.I.O) ولكن بعد تكوين الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1920 انفصل  
الشيوعيون في تونس عنها . وكان جل اعضائها تقريبا من الفرنسيين واليهود التونسيين

المجنسين بالجنسية الفرنسية ولا يمثل التونسيون المسلمون داخلها الاقلية ضئيلة  
وقد ظلت هذه الجامعة تطالب الاستعمار الفرنسي بتمكين التونسيين وهي ترفض وجود كيان  
اسم الشعب التونسي اذ هي تعتبر ان السكان التونسيين لا يمثلون سوى شقات من افراد  
لذا كانت تطالب الوطنييين التونسيين بالعدول عن المطالبة بالاستقلال السياسي للبلاد

( انظر الهادي التيمومي : نقابات الاعراف : مصدر سابق : صص 60-61 .

2\_ القضية التونسية وهيئة الامم المتحدة:

٤) تدويل القضية التونسية:

ان التوجه الى تدويل المسألة التونسية لم يكن منهاجا جديدا  
يلتجئ اليه التونسيون في صراعهم مع الحماية .  
فمنذ دخول الاستعمار الى تونس في 1881 اتجهت الانظار الى تركيا  
باعتبارها مركز خلافة المسلمين وان الخليفة هو صاحب الحق الاول  
في هذه الدولة التي غزاها الاستعمار فهي تتبعه وها هو محمد  
الصادق باي لا يتردد في التأكيد على ان الايالة التونسية هي جزء  
من الامبراطورية العثمانية التي لها حقوق تاريخية بها (1) بينما تهرع  
الاف من السكان الى طرابلس في انتظار نجدة الخليفة "الذي من واجبه  
حسب اعتقادها ان يحميها وان يساعدها في طرد المستعمر" فهي في تبعية  
دينية (2) ومع مرور الزمن عاد البعض منذ 1882 وبقي البعض الآخر من  
رفض الخضوع للمستعمر الكافر "ويتغلغل الاستعمار في الداخل التحق  
العديد من التونسيين خاصة العلماء ورجال الدين بالخارج ومنهم العالم  
صالح الشريف ( مدرس بجامع الزيتونة والقاضي اسماعيل الصفائح اللذان  
غادرا البلاد في سنة 1906 (3) وازداد عدد اللاجئين التونسيين بالخارج  
بعد الضربة التي سدتها السلط الاستعمارية لحركة الشباب التونسي  
1911 و 1912 ثم التي سدتها لجامعة عموم العملة في 1924 وبعد  
الحرب العالمية الثانية وتوجه لسياسة القمع التي اعتمدها السلط الاستعمارية  
فر الكثير من التونسيين الى خارج البلاد سواء الى الشرق او الى الغرب .  
وقد حاول هؤلاء المهاجرون التعريف بالقضية التونسية كل من موقعه  
وحسب امكانيته .

- 1) مصدر سابق: (1) Mathlouthi (Salah): le pouvoir beylical face a l'occupation Francaise Reactions a l'occupation francaise de la Tunisie en 1881 PP 340-343
- (2) د. محمد احمد خلف الله: القومية العربية كما ينبغي ان نقسمها (كتاب العربي، الفكر القومي العدد الثامن، 15 يوليو 1985 ص 71-75)
- (3) مصدر سابق: Goldatein (Daniel) : Liberation ou annexion...

ومن الملاحظ ان هؤلاء الذين اجبروا بصورة او بأخرى على العيش خارج البلاد لم ينسوا " الوطن " وقضايا الوطن " بل زادت " الغربة في انما شعورهم الوطني فتحركوا في اتجاه الحكومات للفت انتباهها الى سياسة فرنسا الظالمة بالبلاد التونسية وقد وجدوا اثناء الحرب العالمية الاولى تجاوبا من تركيا و حليفتها المانيا بحيث اصبح علي باش حامي المحكوم عليه بالنفي اثر احداث " ترام واي " بتونس سنة 1912 مستشارا قانونيا لدى حكومة القسطنطينية ومنسقا بين الفرق العربية في المهجر (1) .

كما اتجه البعض الآخر من التونسيين بالخارج الى الرأي العام العالمي بكتاباتهم المناوئة للحضور الفرنسي فظهروه في ثوب المعتدي الظالم الذي سلب تونس ما كانت تتمتع به من حكم ذاتي في ظل الاتراك وهو ما عبرت عنه كتابات صالح الشريف (2) و كتابات عبد العزيز الثعالبي خاصة كتابه " تونس الشهيد " .

وبدعم من تركيا اصدر محمد باش حابة مجلة المغرب ( تونس - الجزائر المغرب و طرابلس ) في جنيف بسويسرة ( البلد المحايد ) وتواصل صدورها من ماي 1916 الى سبتمبر - ديسمبر 1918 واعتبرها صاحبها امتدادا لجريدة التونسي " التي منعت عن الصدور منذ 1912 فهذه المجلة لا تطالب بالاستقلال لاقطار المغرب العربي بل بمجرد اصلاحات في صلب نظام الاستعمار (3) اذ جاء في العدد الاول من المجلة يجب على المسلمين في شمال افريقيا المهيمن عليهم من قبل اروبا ان يهتموا بمصيرهم وعليهم ان يعملوا مستقبلهم فبامكانهم على الاقل بذل مجهود لكسب تحسينات في النظام المعروض عليهم (4) . وفي اواخر 1917 تبلورت هذه التحسينات في شكل المطالبة بدستور يضمن الحقوق والحريات العامة ويفصل بين السلط في الحكم ويمنع كل نوع من الاستثناء وعدم المساواة امام نفع القانون مع خلق مجلس تشريعي ومالي منتخب وتنظيم الجمعيات

1) Goldstein (Danjel) : Liberation... OP.Cit,P 265

1) مصدر سابق :  
2) = = 266  
3) = =  
4) = =

3) Mahjoubi (Ali) : Les Origines ... Op .Cit,P 143

4) Revue du Maghreb, N 1, 30 Mais 1916 , Notre programme P 4

واحد اشمال السربدييات منتخبة و مجالس عمالات منتخبة الا ان بعد ظهور  
ببادي" ولسون" (Welson) رئيس الولايات المتحدة الامريكية حول " حرية  
شعوب في تقرير المصير " اصحت المجلة منذ بداية 1918 تطالب بتطبيق  
هذه المبادي على شعوب شمال افريقيا التي من حقها العيش في حرية  
استقلال (2) وفي نفس الوقت الذي اصدر فيه " الشباب التونسي " هذه المجلة  
كونت اواخر 1916 لجنة تحرير تونس والجزائر في برلين من قبل صالح  
الشريف واسماعيل الصفائحى و محمد الخضر حسين و محمد مزيان التلمساني  
كان رئيسها صالح الشريف الذي طالب مساعدة المانيا لتونس والجزائر  
على اعادة استقلالها (3) و وعدت الامبراطوريات الوسطى بتأمين هذا  
استقلال في المستقبل وانبعاث جمهورية شمال افريقيا (4) .

وارتفعت النداءات تطالب باستقلال المغرب العربي في سترهم و جنيف  
لما عقد المؤتمر الاسلامي كما رفعت اللجنة الجزائرية التونسية مذكرة الى  
مؤتمر فرساي المنعقد في جانفي 1919 تطالب بالاستقلال التام لبلد واحد  
(تونس والجزائر) عاصمته تونس (5) .

وبعد هزيمة الامبراطوريات الوسطى التي كانت تراهن اللجنة على مساعدتها  
ليل الاستقلال غيرت اللجنة الجزائرية وجهتها نحو عصبة الامم لتستند  
ليها في تحقيق اهدافها .

وما يمكن ان نلاحظه ان هذا النشاط المكثف في الخارج قد تزامن بنوع من  
السر كود في الداخل نتيجة حالة الحصار المضروبة على البلاد منذ 1912  
استثناء ثورة الجنوب و ثورة 15 جانفي التي هي امتداد للاولى كما بينا  
لك سابقا . وبعد الحرب العالمية الاولى استطاعت حركة الشباب التونسي ان تنظم

1) Revue du Magreb: N°11 et 12 Novembre Decembre 1917, Les revendications du Peuple Tunisien, P: 168.  
2) Ibid. La Revue Mai-Juin 1918, Notre Independance.  
3) Goldstin (Daniel): Libération... Op, Cit P: 266.

{ نفس المصدر :  
= = =  
= = =  
= = =

سنة 1920 في حزب سياسي وهو الحزب الحر الدستوري التونسي برئاسة عبد العزيز الثعالبي (1) الذي قدم مطالبه "الاصلاحية" في اتجاه السلط الاستعمارية بتونس وفي اتجاه الحكومة الفرنسية بباريس. ولكن امام ما ادركه من مماطلة واهمال لهذه المطالب رغم اعتدالها نظرا لغياب قوة قادرة على فرضها، هاجر عبد العزيز الثعالبي في 1931 الى المشرق العربي ولم يعد منه الا في 1937 وقد عاش متقلا بين مصر وفلسطين والحجاز واليمن والعراق وايران والهند وافغانستان. يتصل بالحركات العربية الاسلامية في فترة تاريخية حرجية على العرب. "اصحاب الثورة الكبرى" الذين توضحت لهم أطماع الدول الاربوية في منطقة الشرق الاوسط، وعلى المسلمين الذين فقدوا رمز وحدتهم "الخلافة الاسلامية" بعد الغائها من قبل كمال اتاتورك وفشلت محاولاتهم في تعيين خليفة لهم من خلال مؤتمر مكة والقاهرة 1926 والقدس 1930 (2). وقد ادت هذه الاوضاع الى تبلور فكرة الوحدة العربية في المشرق العربي وليمر غريبا ان يتأثر بها الثعالبي الذي هاجر من بلاده بحثا عن الدعم لقضيتها فكان اول من نادى بتوحيد الامة العربية من المحيط الى الخليج وقد ربط حركة التحرير الوطني في اقطار المغرب العربي الاربعة (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) بحركة التحرير الوطني

(1) عبد العزيز الثعالبي ولد بتونس في 1874 في اسرة من اصل جزائري تلقى تعليمه بالجامع الاكبر (الزيتونة) - امس جريدة "سبيل الرشاد" سنة 1896 زار تركيا والعربية السعودية ومصر وعاد الى تونس في 1902 وفي 1903 وازار الجزائر والمغرب وانخرط في حركة الشباب التونسي وساهم مع علي باش حامية في اضراب طلبة الزيتونة سنة 1910. اشرف على النشرة العربية لجريدة التونسي. حكم عليه بالنفي بعد احداث الترام واي في 1912 ثم عاد في 26 أوت 1913 بعد تعليق قرار النفي. غادر تونس في 10 جويلية 1919 في اتجاه باريس حيث اصدر كتابه "تونس الشهيدة" فالقي عليه القبض واعيد الى تونس حيث ساهم في تأسيس الحزب الحر الدستوري، ثم غادر البلاد من جديد في 1923 ولم يعد الا في 1937 بحيث واصل نضاله الى تاريخ وفاته في 1944.

(2) مصدر سابق: Tlili (Béchar): Etudes Histoire... Op, Cit, P: 46.

للمشرق العربي (1) كما ربط الثعالبي صلة الصداقة مع زعماء الحركة الوطنية بمصر وسوريا والعراق وكانت له اتصالات بالحاج امين الحسيني وعز الدين القاسم السوري الذي التحق بفلسطين ليجاهد ضد الاستعمار البريطاني والاستعمار الصهيوني (2) .

فمن خلال هذه التحركات للثعالبي بالمشرق العربي من 1923 الى 1937 يمكن أن نخلص الى أن الرجل قد آمن بضرورة التصدي للهيئة الاستعمارية عبر الطرق التالية :

(1) - وحدة الاقطار العربية لمجابهة العدو المشترك وهو الاستعمار مهما كانت جنسيته ( فرنسي - بريطاني - صهيوني ) وهذا تحتمه حالة الضعف التي عليها كل قطر منفرد .

(2) - حفظ المقومات العربية الاسلامية عبر تكثيف المؤسسات التعليمية اذ دعا الى اقامة جامعة بالقدس على غرار جامع الزيتونة والازهر وجامع القرويين (3) .

(3) - التوعية بخطورة الاستعمار على الامة العربية الاسلامية عن طريق الكتابات والخطب ... اذ يقول عنه الشاعر العراقي معروف الرصافي : " ان الثعالبي هو اكبر خطيب عرفته الامة العربية " (4) فلا ينكر احد ان الثعالبي اصبح من الوجوه السياسية البارزة في حركة التحرر في البلدان العربية وربما هذا يفسر هروغ قادة الحزب الدستوري الجديد لاستقباله عند ما يقرر العودة الى تونس في 1937 بحيث ارسل صالح بن يوسف لاستقبال الشيخ العائد في مرسيليا حتى قبل وصوله الى تونس على امل ضم الرجل الى صفوف الدستوريين الجد د قصد كسب شرعية كانت تنقصهم (5) أمام القدامى . ولا تخفى علينا ايضا تلك النزعة العربية الاسلامية التي صيغت عموما .

(1) مصدر سابق : الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية ص 67 .  
(2) = = = 68 ص :  
(3) = = = 67 ص :  
(4) = = = 68 ص :  
(5) = = = 68 ص :

التونسي لسيما الزيتوني منهم . كما نلمس ايضا ذلك الشعور بالانتماء  
الجغرافي الى منطقة شمال افريقيا او بلاد المغرب مما يوصي بضرورة توحيد  
الجهود وتنسيق الاعمال لمواجهة الهيمنة الاستعمارية الى جانب ذلك  
البحث المتواصل عن الدعم والسند من قوى اخرى خارجية تكون في موقع  
قوة بالنسبة لفرنسا . فكأن هؤلاء لا يؤمنون بتاتا بإمكانياتهم ولا بقواهم  
الذاتية في مواجهة غير متكافئة بين تونس " الشعب الصغير الاعزل " وبين  
فرنسا العظيمة " والرغم من ذلك نراهم مصرين على تحقيق الاستقلال التام  
بلدهم .

فهل نمت هذه البذرة فقط في الخارج حيث عشت فكرة الاستقلال وانتشرت  
النزعة القومية بين من هم في الخارج من التونسيين والمغاربة واصبحت عدوى  
ينتقل لكل قادم جديد . بينما في الداخل تواصل التيار الاصلاحي المقرر  
بفوارت ميزان القوى لفائدة فرنسا التي عليها ان تلتزم بمواقفها الدولية  
بجاء البلاد التونسية ؟

ومن ناحية اخرى هل تفتنت فرنسا الى هذا الخطر الذي ازداد استفحالا منذ  
الثلاثينات وبالتالي حرصت على فرض الحصار على منطقة شمال افريقيا فاصبحت اكثر  
شددا في منع جوازات السفر ومراقبة الحدود و منع الاتصالات ؟  
بيبدو أن فرنسا لم تحكم الحصار على منطقة المغرب العربي بحيث تمكن بعض  
الوطنيين من الفرار خلسة الى الخارج ليمارسوا نشاطاتهم في جو من الحرية  
وفي مأمن من القمع والتعسف وقد هاجر الكثير من الوطنيين التونسيين اثر الحرب  
العالمية الثانية ، كما التحق بهم بورقبيّة في سنة 1945 . وقد تمكن هؤلاء من  
بعث مكاتب عديدة سواء باسم الحزب الدستوري الجديد أو باسم المغرب العربي  
وانتشرت المكاتب ما بين 1946 و 1954 في عديد العواصم في العالم ( دمشق - القاهرة  
نيويورك - بغداد - جاكرتا ... ) للتعريف بقضايا المغرب العربي العالمي .

ب- القضية التونسية أمام هيئة الامم المتحدة :

رفضت الحكومة التونسية ازدواجية السيادة والادارة المباشرة بينما أصرت الحكومة الفرنسية على ذلك بعد ما أغلقت ابواب الحوار بمقتضى مذكرة 15 ديسمبر 1951 وبتعيين مقيم عام متصلب كجون د هتكلوك الذي وصل الى تونس في 13 جانفي 1952 على متن مدرعة استفزازا للشعب التونسي وترهيبا له وتمت مقابلته مع الباي في برود تام بدون تبادل خطب (1) ويوم 14 جانفي 1952 طار صالح بن يوسف وزير العدل ومحمد بدره وزير الشؤون الاجتماعية الى باريس لتقديم الشكوى التونسية الى الامم المتحدة التي اجتمعت جلستها العامة في تلك السنة في قصر شايو بالعاصمة الفرنسية واتصل بن يوسف وبدره بأمين عام المنظمة ولكنهما لم يوصلا اليه فوضعوا نص الشكوى لدى الامين المساعد . كما رغب في عقد ندوة صحفية لكن لم ينحأ قاعة فكان اللقاء بالصحفيين في اروقة القصر (2) وقد عبرا عن استياء الشعب التونسي من السياسة الفرنسية وأكدوا ان فرصة التفاهم سلفا قد ضاعت بسبب التشدد الذي املته فرنسا بخصوص مصالح المعمرين الفرنسيين الضيقة ، اما الشعب التونسي فانه فقد ثقته في الدولة الحامية واصبح ينادي بالاستقلال (3) .

وبعد الاطلاع على الشكوى التونسية لاحظت الحكومة الفرنسية ان الشكوى مضاة من قبل محمد شنيق رئيس الحكومة التونسية وليس من قبل الباي الذي يبدو انه عمد الى عدم الامضاء خوفا منه على عرشه (4) او اعتمد ابنه الشاذلي عدم تقديم الورقة لوالده تحت تأثير بعض وزراء معتدلين حسب رأي الاقامة العامة (5) وعلى كل وجدت الحكومة الفرنسية مغذا للطعن في هذه الوثيقة التي تجاوز فيها محمد شنيق سلطة الباي ممثل البلاد التونسية وطالبت باستدعاء عاجل للبعوثين التونسيين من باريس كما طالبت بعزل حكومة شنيق وتتبعها .

1) Julien (Ch. A) et la Tunisie devint indépendante... Op. Cit, P: 43. { مصدر سابق  
2) نفس المصدر  
3) مصدر سابق  
4) Bessis et Belhassen: Bourguiba... Op. Cit, P: 135. { مصدر سابق  
5) Julien (Ch. A) et la Tunisie... Op. Cit, P: 46. { = = (5)

ومن ناحية اخرى عبر ممثلو الحكومة الفرنسية في اجتماعات الجلسة العامة عن عدم قانونية الشكوى التونسية معللين ذلك بان العلاقات الخارجية لتونس تقع تحت نظر السلطة الفرنسية حسب معاهدة الحماية (1) الا ان بن يوسف اصر بأن ليس هناك بند واحد في هذه المعاهدة ينص على ذلك . فلماذا رفضت الحكومة الفرنسية شكل الشكوى ولم تتعرض الى محتواها ؟ وهل دافع بن يوسف عن هذه القضية من باب دفاع محام عن دعوى كلف بها او هو دفاع مؤمن بعدالة قضية من واجب منظمة الامم المتحدة البت فيها وبالتالي القطيعة مع الروئية القائلة بان فرنسا " هي الخصم والحكم " ؟ كانت الشكوى التونسية بمثابة التقرير حول تحول معاهدة باردو الى ادارة مباشرة فقدت خلالها البلاد كل مميزات السيادة الداخلية كما فقد الباي كل سلطاته ولذلك وجب التخلي عن الادارة المباشرة والعمل على تطوير المؤسسات السياسية من اجل الحصول على الاستقلال الداخلي الا ان مذكرة 15 ديسمبر 1951 اكدت على مبدأ ازدواجية السيادة وعلى ان اتفاقية باردو التي فرضت على الباي في 12 ماي 1881 هي معاهدة ابدية لا تقبل النقض رغم ان ما جاء في بندها الثاني يثبت بانها مؤقتة .

وامام استحالة حل المسألة بين تونس وفرنسا في اطار ثنائي عبر المفاوضات فقد اصبحت من الضروري تدخل طرف ثالث بعرضها على مجلس الامن والرضا بالاحكام التي يقرها وفق الفقرة الثانية من المادة الخامسة والثلاثين من ميثاق هيئة الامم المتحدة ، كما لا يحق للحكومة الفرنسية التي امضت على ميثاق سان فرانسيسكو ان تعترض على الشكوى التونسية ، اذ ينص الميثاق على ان لكل دولة عضوا او غير عضوا في هيئة الامم المتحدة الحق في تقديم شكوى لمجلس الامن والمطالبة بالبت في خلاف مع دولة اخرى (2) وهروبا من هذا المأزق الذي وضعت فيه فرنسا التي لاتعتبرتوس

(1) مصدر سابق : المنصف السباني : صالح بن يوسف ، ص 108  
(2) مصدر سابق : محمد المختار الناصري : الحركة الوطنية التونسية بين البورقنية واليو سفية : ص 99

دولة ذات سيادة وانما هي جزء متمم لها فما كان عليها الا الطعن في شرعية الشكوى التي لا تحمل امضاء الباي بل توقيع رئيس حكومة تفاوضية بمعنى آخر ان هذه الحكومة مهمتها مقتصرة على الحوار مع فرنسا وينتهي دورها هنا فكيف تقبل الدوائر الدولية دعوى يحملها وزير لم تكلفه سلطة الاشراف بتلك المهمة؟ في الاثناء كان بن يوسف يكشف اتصالاته بسفراء الدول العربية والآسوية لمدتهم بكل المعطيات المتعلقة بالقضية التونسية لغاية اقناعهم برفع المشكل التونسي امام مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة كما كان بن يوسف يحاول الرد على حملات الصحافة الاستعمارية التي استنكرت اقدام البلاد التونسية على هذه الخطوة لأول مرة في مطلع 1952 رغم ان هيئة الامم المتحدة قد وجدت منذ 1945 وبالتالي تبدو هذه الشكوى مسا من همعة فرنسا التي شوهتها حرب الهند الصينية بالاضافة الى كونها خرقا من قبل محمد شنيق لمعاهدة باردو؟ ومن هنا أصبح كل من محمد شنيق والحزب الدستوري الجديد في محل اتهام في نظر السلط الاستعمارية بتونس ولذلك سارع المقيم العام الجديد الى " الباي " محمد الأمين لاجباره على التخلي رسميا عن الدعوى واجبار وزيره على العودة الى تونس (1) لكنه رفض ذلك .

وفي 16 جانفي الغى دي هوتكلوك مؤتمر الحزب الدستوري الجديد الذي كان مقررا ليوم 18 جانفي وفي هذا اليوم ألقى القبض على بورقيبة والمنجبي سليم ومع ذلك وقع المؤتمر سرا برئاسة الهادي شاکر وقر الغاء النظام الحالي والمعاهدات التي كانت له نقطة انطلاق وبالتالي اكد على انه لا يمكن لتونس ان تلتحق بصنف الدولة المستقلة ذات السيادة الا بالغاء معاهدة الحماية (2) واصبحت هذه القرارات الصادرة عن مؤتمر 18 جانفي 1952 مرجعية ثابتة في تفكير بن يوسف الذي اصبح يطالب بمبدأ الاستقلال التام يتحقق على يد هيئة الامم المتحدة . ولذلك جند امكانيات الحزب .

(1) مصدر سابق : ا ل منصف الشابي ، صالح بن يوسف : ص 112 .

(2) = = =

البشرية والمادية لاقتناع الرأي العام الدولي خاصة الدول الافريقية الآسوية بعدالة القضية التونسية وبضرورة تقديمها الى مجلس الامن ولتدعيم هذا الموقف كان يدعوا الى تواصل الاضطرابات بالداخل للضغط على المجتمع الدولي واجباره على الاهتمام بالمشكل التونسي في فترة استرعت فيها اهتماماته احداث الهند الصينية . اما بالنسبة للرأي العام العربي الاسلامي فكان الصراع العربي الاسرائيلي هو القضية الأم .

وفي 11 فيفري 1952 أعلن صالح بن يوسف ومحمد بدره المتواجدان في باريس عن عزمهما على التحول الى نيويورك لمتابعة القضية التونسية لدى مجلس الامن حيث ان الباكستان قد اعتزمت رفعها الى تلك الهيئة (1) لكن الولايات المتحدة الامريكية المعروفة بناهضتها للاستعمار رفضت منح التأشيرة لهما (2) مراعاة لشعور فرنسا نصيرتها في الحلف الاطلسي .

لقد اصبحت نيويورك بعد احتضائها مقر الامم المتحدة وناصرتها حركات التحرر في العالم - مركز الاموال والتحركات للشعوب المستعبدة المتطلعة للانعتاق والتحرر ، ولذلك استقطبت نيو يورك عددا هاما من عناصر الحركات الوطنية في العالم ومؤسساتها ومنظماتها و هيكلها وقد شجع ذلك الحزب الدستوري الجديد على احداث مكتب قار له في العاصمة الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية يشرف على كئيب

على تطورات المسألة التونسية ويقوم بالدعاية لها في صفوف السفراء والصحافيين لاقتناعهم بضرورة حل هذه القضية من طرف المنتظم الدولي بعد فشل سياسة الحوار المباشر واعتماد السلط الاستعمارية منطلق القوة في اتجاه " الشعب الاغزل " وفي اتجاه " الباي " الذي رفض عزل حكومة محمد شنيق وتكوين حكومة جديدة تكون اكثر استعدادا للتعامل مع سلطة الحماية فكان انقلاب 26 مارس اذ داهمت قوات

(1) اثر سياسة " النار والدم " التي سلكتها السلط الاستعمارية بتونس والتي اودت بحياة اكثر من 200 ضحية ما بين 20 جانفي و 1 فيفري (انظر كتاب اندري جوليان : تونس اصبحت مستقلة مصدر ذكر سابقا بالفرنسية : ص 50) فقررت 15 دولة افريقية آسوية بعد احداث الوطن القبلي رفع المسألة التونسية الى مجلس الامن يوم 4 فيفري 1952 .

(2) رسالة صالح بن يوسف ومحمد بدره الى روبرشو مان بتاريخ 17 مارس 52 باريس (Le Mouvement National Tunisien (de 52/56) Tome 1 . P: 380-381.

الاحتلال بيوت وزراء حكومة شنيق واقت القبض عليهم وهم السادة :  
محمد شنيق و محمود الماطري و محمد بن سالم و محمد الصالح مزالي  
ولم ينج من أعضاء هذه الحكومة الا محمد سعد الله الذي كان مريضا  
وصالح بن يوسف و محمد بديره اللذان كانا بباريس بصد متابعه  
اضرار الشكوى التونسية ولما بلغهما الخبر تسلا الى بلجيكا ومنها  
التحقا بالقاهرة في اواخر مارس 1952 .

ومن ناحية اخرى قامت السلط الاستعمارية بتونس برفي اعضاء حكومة شنيق  
والوطنيين المعتقلين الى الجنوب التونسي وفرضت على الباي تشكيل حكومة  
جديدة برئاسة صلاح الدين البكوش غصبا على الباي وعلى الشعب التونسي في  
29 مارس 1952 الا ان دي هوتوكوك المقيم العام وجد صعوبة كبيرة في  
تشكيل هذه الحكومة التي تكونت فعليا في 16 افريل 1952 باسناد مهمة  
الوزراء الى عدد من الموظفين الساميين ، امام ما وجدته البكوش من امتناع  
لشخصيات كثيرة عن المشاركة في حكومته . ارتفعت الاصوات والشعارات  
الضددة بذلك ، فهذا الباي يصحح بانه لم يعزل حكومة شنيق الذي بدوره يصح  
من ضفاء بقبلي بانه " مازال الوزير الاول الشرعي " كما اعلن الحزب الدستوري  
التونسي على لسان السيد الهادي نويرة في 30 مارس 1952 بانه لا يعترف  
بشرعية حكومة نصبتها السلطة غصبا عن ارادة الباي والامة (1) .  
وهذا الشعب ينادي بقتل البكوش " في اغنية حماسية خلدها الذاكرة الجماعية :  
يا شبيبة ما تخافوش                      اقتلوا الوزير البكوش  
راه سلاح بلا كرتوش                      لا من يحضر للدغفينة  
وفرحات قريب لينا ، قريب لينا (2)

كما ارتفعت اصوات الصبية مرددة :

رحمان يارحمان هذا عبدك                      وزارة البكوش هزها عندك (3)

اما في الخارج فقد اثار سياسة دي هوتوكوك مخاوف بعض الفرنسيين

- (1) مصدر سابق : عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ص 62
- (2) اغنية ترددتها نساء الجنوب وهن يطحن الحبوب في الرحاء .
- (3) مصدر سابق : الباهي الادغم : مراسلات ص 112 من رسالة المصمودي الى صالح بن يوسف بتاريخ 11 افريل 1952 من باريس .

وقلقهم في فترة تخضبت فيها ايمادي الفرنسيين اصحاب مبادي الثورة الفرنسية بدماء سكان الهند الصينية فكانت الدعوة الى ضرورة اقامة اصلاحات جديدة في تونس (1) على أساس مقترحات شومان . أما بن يوسف فقد صرح من القاهرة " بان فرنسا قد مزقت بعلمها هذه المعاهدة التونسية الفرنسية بتصويبها وزارة جديدة لا تحضى بثقة الباي ولا بثقة الشعب فهي اذن جزء من الوجود الفرنسي (2) وانه يتحتم على مناصري الحركة التونسية التأكيد بهذا العمل والتحرك لفائدة القضية التونسية لطرحها على هيئة الامم المتحدة خاصة وان مجموعة الدول الافريقية الآسوية قد سعت الى تقديم هذه القضية الى مجلس الامن منذ افريل 1952 والتي رفضها هذا المجلس وهذا ما يكشف ان الدعاية التونسية ما زالت غير كافية لدى كثير من الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة خاصة الامريكية والاروبية التي ما زالت تتحرج في ادانة السياسة الفرنسية .

وفي الدورة السابعة للجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة خريف 1952 تمكنت الكتلة العربية الآسوية من تبليغ الشكوى التونسية الى هذه المنظمة فمذ صائفة 1952 صدرت مذكرة حول القضية التونسية بامضاء ثلاث عشرة دولة عربية وآسوية نصف الاوضاع السياسية والامنية في البلاد وتطالب فرنسا برفع يدها عنها ومنح الشعب التونسي حق تقرير المصير (3) ووضع مطلب التسجيل في 15 اوت 1952 الا ان التسجيل يتوقف على اغلبيه الحاضرين والمصوتين أي على الاقل 31 صوتا . أما بالنسبة لتبني

جوهر القضية فيشترط تصويت الثلثين أي 41 صوتا ، لذلك بادر العراق يوم 9 اوت يطلب تسجيلي قضيتي تونس والمغرب الاقصى في جدول أعمال الجلسة العامة للأمم المتحدة وفي 8 سبتمبر 1952 تمكن الزعيم صالح بن يوسف من الحصول على موافقة الامين العام للأمم المتحدة للمشاركة في النقاش الذي تعتمزم تنظيمه وقد أدت هذه الموافقة الى ازدياد غضب فرنسا واعرابها عن عدم استعدادها لمناقشة هذه المسألة امام المنتظم الدولي باعتبارها قضية فرنسية داخلية محظية (4) وقد اكد ذلك المجلس الوزاري الفرنسي .

1) Julien (Ch. A) : et la Tunisie... Op, Cit, P: 53. مصدر سابق :  
2) = =  
3) = = :المنصف الشابي :صالح بن يوسف :ص 114 .  
4) = = :ص 115 .  
= = :ص 115 .

المنعقد في 8 اكتوبر 1952 الذي اعلن عن عدم قبول اي تدخل اجنبي في شأن قضية " لا تهتم الا فرنسا (1) وفي 14 اكتوبر عبر مندوب الامم المتحدة عن تأييده ادراج القضية التونسية في جدول اعمال الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة وفعلا انعقدت الجمعية العامة يوم 16 اكتوبر برئاسة ابريل بيرسون وادرجت القضية التونسية والمغربية رغم احتجاج فرنسا على لسان مندوبها السيد هوبنوت (Hoppenot) في تونس قامت اليد الحمراء بتفجير صيدلية كانت على ذمة يهودي بتونس العاصمة لعلها تيسم العلاقات بين اليهود والمسلمين من ناحية ولاشارة للوبي اليهودي الامريكى حتى يؤثر على سير القضية التونسية في كواليس الجمعية العامة للامم المتحدة .

وبصعود ازنهاور (EISENHOWER) في 3 نوفمبر 1952 الى رئاسة الولايات المتحدة الامريكية تفاعل التونسيون بنتائج الانتخابات الامريكية على امل دفع جديد للقضية التونسية والمغربية فلاننسى أن روزفلت (Roosevelt) قد وعد السلطان المغربي في جانفي 1943 بان مهمة منظمة الامم المتحدة التي بدأت تتأسس انذاك هي السير بالمستعمرات نحو الاستقلال في وقت وجيز (2) كما وعد وزير الخارجية الامريكى بورقيبة في سنة 1947 بمساندة القضية التونسية غد ما ترفع الى هيئة الامم المتحدة ولاول مرة طالبت الولايات المتحدة الامريكية في 7 نوفمبر 1952 بضرورة مناقشة القضية التونسية المغربية وعارضت فرنسا عرض القضية التونسية على هيئة الامم باعتبارها قضية داخلية . فهي البلد المحامي

---

1) Ben Salem (M) l'Antichambre de l'Independance 1947-1957; Cérès (1 Productions; Tunis, 1988, P: 99.  
) Bessis (Juliette): Les Etats Unis et le Protectorat Tunisien dans la 2<sup>eme</sup> Guerre Mondiale P.P: 197, 213.  
Actes du 4<sup>eme</sup> Seminaire sur l'Histoire du Mouvement National (5, 6 et 7 Juin 1987) Tunis 1989, P: 201.

وتضمن لها معاهدة الحماية التمثيل الدبلوماسي للبلدان المحمية (1) وبالتالي تفقد هذه الأخيرة الحق في ادخال طرف ثالث في القضية .  
كما عارض مندوب الفرنسي في هيئة الامم المتحدة بشدة حضور بن يوسف مداوات الجمعية العامة وطلب من رئيس الجلسة احترام النظام المعمول به داخل المنظمة فهناك اشخاص لا يحق لهم الحضور و اشار الى بن يوسف الذي كان في المكان المخصص للبعثة العراقية (2) وبفضل مساعي الدول العربية الآسوية تمكن بن يوسف بان يصبح في 3 ديسمبر 1952 مستشارا لدى البعثة العراقية وبالتالي امكن له حضور اعمال الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .  
ولم يكن موقف الاعتراض من جانب فرنسا فقط بل نجد شخصية دستورية اخرى تعارض رئاسة الوفد التونسي من قبل بن يوسف وهو " العابد بو حافة " وهو تونسي مهاجر يقيم بنويورك ومن انصار الكفاح المسلح " وقد طعن في رئاسة بن يوسف للوفد التونسي في مداوات الجلسة العامة على اساس انه من انصار المطالبة بالاستقلال الداخلي فقط وانه قد عين نفسه للرئاسة دون استشارة احد (3) وفي 13 نوفمبر 1952 صرح " العابد بو حافة " بان الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد انما يفعل كل ذلك لاغراض شخصية وندد بسلوكه الشخصي قائلا : ان ذلك يتنافى والروح الوطنية والمصلحة العليا للوطن (4) .

وجاءت تصريحات بن يوسف تفند هذه الادعاءات اذ صرح في 20 اكتوبر 1952 بنويورك

" ان الشعب التونسي يطالب في واقع الامر باستقلاله التام لانه اهل لممارسته

(1) البند السادس من معاهدة باردو : " يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الاجنبية بحماية رعايا بالمملكة التونسية ومصالحها وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بان لا يعقداي عقد ذي صبغة دولية من دون اعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدما "

(2) مصدر سابق : P. 104. l'Antichambre de l'Independence (M) Ben Salem 2)  
(3) = النصف الشابي : ص 116 .  
(4) نفس المصدر : ص 117 .

السيادة... اما الاستقلال الداخلي فهو مطلب ظرفي ربما تجاوزه الاحداث بسرعة ولكن هذا الشعار ضروري لانه يوسع في عدد الدول التي تبدي استعدادها للتضامن مع تونس (1).

ويؤلف بوقريعة بن يوسف في نظراته التفاؤلية للمستقبل فيعتبر في منفاه بجالطة في اكتوبر 1952 ان الوقت يعمل لصالح التونسيين ففي 1953 سيكون للقضية التونسية دعم اكثر مما هو في سنة 1952 وفي نوفمبر وديسمبر القادمين سيكون لنا اصدقاء اكثر مما لدينا في افريل الفارط (2).

وفي تونس تشتد حالة التوتر والاضطرابات وامتصاعد نشاط المقاومة وتنوع أعمال التخريب من قطع خطوط السكك الحديدية بتفجير القناطر التي يمر عليها القطار بالاضافة الى قطع خيوط الهاتف وتدمير الاعمدة والمراكز الهاتفية .

وفي الليلة الفاصلة بين يوم السبت والاحد 15 نوفمبر 1952 تمكنت مجموعة من المقاومين بقابس من تنفيذ عملية ضد الجيش الفرنسي تعرف بحادثة " عين سلام " أو واقعة المدينة (3) اسفرت عن مقتل 4 ضباط وجرح سبعة آخرين وكرد فعل قامت السلطة الفرنسية بتمشيط المدينة والواحة وفبرض حالة الطواريء يوم 16 نوفمبر على قابس .

(1) نفس المصدر: ص 116 - 117 .

(2) مصدر سابق: ( ) Bourguiba(H): La Tunisie et la France, P: 329.

(3) لقد روي هذه الحادثة ككل من :  
- الشيخ التومي بن احمد مولود بشنفي قابس 1913 يعمل بالجيش افرنسي ترا س راول شعبة دستورية بقابس 1936 عينه بوقريعة ضمن مجموعة " السود الاحدى عشر " المحدثه في 1950 للاشراف على عمليات التخريب وهو الرأس المدبر لحادثة 15 نوفمبر 1952 .  
- الظاهر بن علي مولود باقابي 1926 مناضل دستوري يعمل تاجر .  
- عمر الظاهر والمكنى بالمجاهد وهو احد عناصر الفلاحة بالظواهرية .  
- بو بكر الطيف عزيز من خلال كتب ادبي اصدرفني جوان 1985 و عنوانه " ابني " ( Monfils )

واجمع الرواة على ان السادة : الطاهر بن علي والشيخ التومي بن احمد وعقل عقل قد نسقوا العمل مع مجموعة فلاقة الظواهرية " وهم القاوي بن محمد بن ناجح ومهذب بن احمد ناجح والساسي بن علي بن احمد ومحمد بن محمود ووضعوا كميناً على مستوى طريق مطاطة المؤدي الى ثكنة سيدي بولبابة في مكان يعرف بسيدي مهدي " بالمدينة " وهو حي سكني بمنزل قابسر على بضع امتار من " عين سلام " حيث تم نصب الكمين لمجموعة من الضباط الفرنسيين اعتادوا السهر كل ليلة احد بسينما " الجوهرة " ثم العودة الى ثكنة سيدي بولبابة على الساعة الحادية عشر ليلاً . ولم يكن الضباط يتوقعون ما سيحدث بعد دقائق من امتطائهم شاحنة (ج . م . س) العسكرية وما كادوا يصلون الى مكمن الثوار الذين ينتظرونهم حتى انهال عليهم وابل من الرصاص من اليمين والشمال وبسرعة فائقة واصلت الشاحنة طريقها الى الثكنة . وفي قصة وقع حادث مماثل يوم 4 ديسمبر 1952 اسفر عن مقتل ثلاثة من قوات الامن (1) .

وكان الغرض من وراء هذه الاحداث الوقوف عند رغبة القادة السياسيين التونسيين والتوجه السياسي العام نحو اثاره حالة من التوتر والاضطرابات للضغط على الرأي العام الدولي وجلب انتباهه الى القضية التونسية التي أدرجتها الجمعية العامة في جدول اعمال اللجنة السياسية وذلك بفضل مجهودات التونسيين في الداخل والخارج وبفضل ضغط الكتلة الافريقية الآسوية المناهضة للاستعمار الى جانب مساندة الوفد الامريكاني ووفود البلدان الاشتراكية (2) وفي 4 ديسمبر 1952 بدأت مناقشة القضية التونسية بغياب فرنسا ولكن في اليوم الموالي 5 ديسمبر أفتيل فرحات حشاد زعيم الحركتين .

1) مصدر سابق : (1) Ben Salem(M): L'Antichambre... Op, Cit, P: 109.

2) El-Machat (S): La Ligue des etats Arabes et la Question Tunisienne, These pour Doctorat, Université de Nice, Mais 1990.

النقابية والوطنية بعد ان ابعدت السلط الاستعمارية زعمائها واصبح  
المسؤول عن حالة التوتر السائدة في البلاد ~~حسب بعض~~  
المسؤولين الفرنسيين (1) وهز خبر اغتياله التونسيين من الاعماق  
وجاءت التصريحات من كافة انحاء العالم مستنكرة ومنندة بهذا العمل  
الشنيع خاصة وان التحقيق الرسمي يدعي بانه لم يصل الى الجناة رغم  
انهم حسب فانسان أوريول (ORIOLE) معروفون لدى البوليس (2).

وفي 17 ديسمبر صادقت الامم المتحدة باربعة واربعين صوتا مقابل  
سكوت ثمانية ومعارضة ثلاثة اصوات (3) على قرار جاء فيه:  
" مساعدة التطور الحقيقي للمؤسسات الحرة للشعب التونسي وفق  
هدف ومبادئ الميثاق " .

وأمل الجمعية العامة في مواصلة الاطراف وبدون تأخير المفاوضات ،  
يهدف بلوغ التونسيين القدرة على ادارة انفسهم بانفسهم مع دعوة الاطراف  
المعنية بالاخذ بعين الاعتبار في حل الخلاف ، روح الميثاق عن اي عمل  
من شأنه استفحال التوتر الحالي (4) .

وهكذا نلاحظ ان القضية التونسية لم تفرز بالنظر من قبل مجلس الامن  
وانما تحولت الى اهتمامات اللجنة السياسية بالجمعية العامة التي تبنت  
المشروع المعتدل الذي تقدمت به دول امريكا اللاتينية عوضا عن مشروع  
الكتلة الافريقية الآسوية الذي قدمته الباكستان باسمها (5) .

كما نلاحظ أيضا ان قرارات الجمعية العامة المصادق عليها يوم 17 ديسمبر  
1952 جاءت محتشمة تخشى اثاره فرنسا العضو القارفي مجلس الامن  
المتشعب بحق الرفض فكانت بمثابة العودة بالقضية التونسية الى ما قبل

(1) حسب ما تذكره (لبنى ماتان) :

(2) نفس المصدر : Perrillier (Louis) : La Conquête de l'Indépendance Tunisienne P.P: 171-172.

(3) = = = : ص 175 ثم مصدر سابق : Rous (Yean) : Bourguiba : ... Op, Cit, P: 140

(4) وهو مشروع بلدان امريكا اللاتينية .

(5) El Machat (S) : La ligue ... Op, Cit, P: 361.

مذكرة 15 ديسمبر 1951 دون ان تتعرض الى المعاهدات التي تربط تونس بفرنسا من قريب او بعيد . ومن ناحية اخرى نلاحظ ان تصريحات بن يوسف رئيس الوفد التونسي في مداوات الجمعية العامة لا تنفي مبدأ الاستقلال الداخلي كما ان بورقيبة في رسالة بعثت بها الى نائب الباكستان في الجلسة العامة للأمم المتحدة يقبل بفكرة قيام " حلف فرنسي- تونسي " ( 1 )

فبدأ الاستقلال الداخلي يبقى اداة تعبئة لكسب اصوات دول بقيت مترددة في مساندة القضية التونسية حتى لا تحرج فرنسا ومع ذلك فان عرض القضية التونسية في الدورة السابعة لمنظمة الامم المتحدة ( سبتمبر - ديسمبر 1952 ) يعتبر انتصارا للدبلوماسية السياسية التونسية " الفتية " في اسماع صوت الحركة الوطنية التونسية الى كافة انحاء العالم وكسر الحصار الاعلامي المفروض على البلاد التي تعيش منذ جانفي 1952 حالة الظلم والتعسف مما أدى الى حالة من التوتر والغليان .

فهل اخرجت هذه القرارات القضية التونسية من المأزق بحيث منحت فرنسا فرصة مواصلة نظام الحماية كما منحت المعتدلين في تونس وفرنسا امكانية لاستئناف خطهم الاصلاحى في اتجاه تطوير العلاقات بين تونس وفرنسا ؟ وهل ستوقف هذه القرارات الشعب التونسي الذي انطلق في ثورة عامة منذ الاعلان عن مذكرة 15 ديسمبر 1951 فكانت الاضرابات واللاجوء الى الكفاح " المسلح " وعمليات التخريب في المدن والاريف ؟

وهل ستحاسب الامم المتحدة (O.N.U) فرنسا ان لم تحترم ميثاقها وما جاء في ميثاق سان فرانسسكو في معالجة القضية التونسية ؟ يبدو ان فرنسا قد ارتاحت نسبيا لقرارات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة فمنحت لنفسها حق فرض اصلاحات جديدة على الباى طبقا

( 1 ) لومند : 28 اكتوبر 1952 ( ذكرها النصف الشايبى في المصدر المذكور سابقا .

للبنء الاول من اتفاقية المرسي (1) وكانها تريد ان توضع للتونسيين وللرأي العام الدولي بأن فرنسا متمسكة بتطبيق جميع الاتفاقيات الرابطة بينها وبين تونس وانها متشبثة بالاتفاقيات المكلمة لمعاهدة باردو بقدر تمسكها بهذه الاخيرة وفي 20 ديسمبر 1952 اي بعد نصف شهر من اغتيال فرحات حشاد وبعد ثلاثة ايام من صدور قرارات الجمعية العامة يفرض المقيم العام دي هوتوكوك على الباي محمد الامين الامرين المتعلقين بالاصلاحيات البلدية والقيادات اللذين امضى عليهما الباي خوفا من تكرار احداث الدار البيضاء ومن غضب فرنسا وسما عنها لكل معارضة وطنية وشيوعية (2) الا ان الشعب قاطع الانتخابات ولم يستطع هوتوكوك اجباره على المشاركة بل اصبح كل مترشح من التونسيين هدفا للعمليات الارهابية ولقد اتخذ قرار المقاطعة في اجتماع عام ضم كل المنظمات السياسية والاقتصادية والثقافية ، كما وصلت رسالة من بورقيبة تقرر المقاطعة في حين كاتب بن يوسف التونسيين مؤكدا تعاطف الجنرال ازنهاور وامريكا مع القضية التونسية قصد مواصلة الاضطرابات وتجديد حماس الفلقة (3) ومن ناحية قام الباهي الانغم في نيويورك باحباط الدعاية الفرنسية التي ترمي الى اشاعة استئناف المفاوضات بين فرنسا وتونس حتى تحول دون ادراج القضية التونسية في جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في دورة 1953 كما احتج على شدة الاجراءات والاضطهاد في الايالة (4)

(1) خاف في هذا البنء : لما كان غرض سمو الباي ان يسهل للحكومة الفرنسية اتمام حمايتها تكفل بادخال الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار اليها فائدة في ادخالها .

(2) مصدر سابق : Charles - André Julien: Et la Tunisie devint independante... Op. Cit. p. 91

(3) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( N° de Bobine : 632/ 299/ Néo-Destour )

(4) نفس المصدر السابق .

فمنذ اغتيال فرحات حشاد فرضت حالة الطوارئ على البلاد، وتم اغتيال عدد من التونسيين سواء كانوا نقابيين او دستوريين او شيوعيين في عمليات قتل، الى جانب تصاعد اعمال " اليد الحمراء " التي طالت في 13 سبتمبر 1953 الزعيم الهادي شاکر الذي اخرج من بيته واغتيل وطرحت جثته في الطريق بين نابل وقرنباية رغم انه كان تحت الاقامة الجبرية وفي الاثناء تكثف نشاط الفلاقة وعصابات الارهاب ضد الجيوش الفرنسية وقوات الامن واذناب الاستعمار من التونسيين فقتل الطيب غاشم والشاذلي القسطللي وولي العهد عز الدين باي الذي اظهر استعداد التولي العرش إذا أقصي الباي محمد الامين (4) وفي المغرب الاقصى عملت السلط الاستعمارية على عزل السلطان محمد بن يوسف عن عرشه بالقوة يوم 20 اوت 1953 وترحيله الى جزيرة كورسيكا ونصبت مكانه رجلا من الاسرة الملكية يدعى " بن عرفه " اليسرفي هذا خرقا لمعاهدة 1912 الذي تعهد فيها فرنسا بالحماية المستمرة للملك من اي خطر قد يهدد شخصه او عرشه او امن بلاده؟ وهل تدفع هذه الممارسات التعسفية المنتظم الدولي الى مناقشة ملف القضية التونسية المغربية من جديد؟

من المفروض انه ان العامل الداخلي ليس المحدد الوحيد لجعل القضية التونسية المغربية تستقطب الرأي العام الدولي فالى جانب العامل الداخلي تتدخل التغيرات العالمية لتؤثر في وضع القضية في صدارة الاحداث او في درجة شانوية .

لقد كانت سنة 1953 سنة حاسمة في العلاقات الدولية :

---

(4) مصدر سابق: لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري : ص 65 .

ففي 5 مارس 1953 توفي " ستالين " (1) وبدات العلاقات بين الشرق  
والغرب تشهد مناخا من الانفراج (2) انعكس على ايقاف الحرب في  
كورية يوم 27 جويلية 1953 .

بينما كانت الدول الأوروبية تبحث عن صيغ جديدة للوحدة الأوروبية  
فبعد التوقيع على معاهدة اقتصادية لاستقلال الفحم الحجري الصلب  
في 18 افريل 1951 اصبحت تسعى لوضع معاهدة للدفاع المشترك  
تحت اشراف وزارة أروبية للدفاع الا ان انقلترا كانت ترفض ان تضع  
قواتها العسكرية تحت تصرف سلطة غير سلطتها (3) فكان على انقلترا  
والولايات المتحدة مفازلة فرنسا حتى تقبل هذا الوضع وهذا  
سينعكس على سير القضية التونسية المغربية ففي 25 اوت 1953 صرح

كل من مندوب امريكا وانقلترا لدى الامم المتحدة بانهما سيعارضان  
غدا تسجيل القضية التونسية والمغربية في جدول اعمال مجلس الامن (4)  
ويوم 26 اوت اجتمع مجلس الامن ، وبين المندوب الفرنسي خلال الاجتماع  
بان بلاده اضطرت لسجن السلطان لتلافي الحرب الاهلية ومن ناحية  
لحمايته من شعبة وقبل انعقاد الجمعية العامة لهيئة الامم

المتحدة عمدت الحكومة الفرنسية الى تعيين مقيم عام جديد يوم 4 سبتمبر 53

تصد تهديئة الاوضاع بتونس وفي 18 سبتمبر وصل بيار فوازر (Pierre Voisar)

الذي عوض دي هوتكلوك الى تونس وهو اليوم الذي أدرجت فيه القضية

التونسية من جديد في جدول أعمال الجمعية العامة .

(1) جوزيف ستالين من مواليد 1879 في بلاد الكرج وتوفي في موسكو 1953 من كبار رجال الدولة  
الروس مارشال السوفيات والسكرتير الاول للحزب الشيوعي ، اعد الدستور و اصبغ في 1941 مفوض

الدفاع الوطني ورئيس مفوض الشعب ثم قائدا عاما للجيش والسفيات .

(2) مصدر سابق : Guy de Carmoy: Les Politiques... Op, Cit. P. P: 111-112.

(3) = =

(4) Ben Salem (M): l'Antichambre... Op, Cit, P: 132.

(4) = =

وفي اكتوبر بدأت مناقشة القضية التونسية وطالبت مجموعة الدول العربية الآسوية باستقلال تونس على مراحل ليتم بعد ثلاث سنوات الا ان هذا الطلب لم يتحصل على نسبة 2/3 الاصوات بينما صادقت الجمعية على لائحة تطالب بتعيين حكومة تونسية مسؤولة عن طريق برلمان منتخب انتخابا حرا وتتولى هذه الحكومة التفاوض مع فرنسا (1).

فلماذا وقفت الولايات المتحدة الامريكية ضد تسجيل القضية التونسية في جدول اعمال مجلس الامن وضد المقترح الاول للدول الافريقية الآسوية؟ وماختصار لماذا لم تقف الولايات المتحدة ضد فرنسا مثلما وقفت ضد هولندا في اندنوسيا سنة 1948 وهل هذا الموقف يعود الى سياسة "مسك العصا من الوسط" حتى تتجنب القاء باريس المسؤولة عليها؟

#### المفاوضات : 1954 - 1955

لقد اعادت قرارات الجمعية العامة لهيئة الامم القضية التونسية الى حلبة التفاوض المباشر بين فرنسا وتونس وانطفاً. أمل المحبذين للحل الدولي لهذه القضية بولعل هيئة الامم قد استندت الى الجانب القانوني ، فتونس محمية وليست مستعمرة فلا يمكن سحب بند حق الشعوب في تقرير مصيرها عليها ولا يمكن للجمعية العامة ان تاخذ قرارا بشأن انتهاء الحماية طالما لم يطعن احد الطرفين في معاهدة الحماية ، فنظام الحماية يلغي سيادة الدولة غير الاروبية على ارضها ولا احد يقرفي 1953 بأن تونس والمغرب هما دولتان ذات سيادة (1) فهل تنفذ فرنسا القرارات الاخيرة للجمعية

(1) مصدر سابق : لمحة من تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ص 65

(2) = = : 725-727. Op, Cit. P P 725-727. Aron: Paix et Geurre. (2)

العامّة مباشرة؟ أو أنها ستجبر على ذلك؟ وما هي الضمانات التي ستقدمها للتونسيين .

### 1- سياسة المراوغة من خلال اصلاحات فوازار: ( Voisar )

لامتصاص الغضب العام وتهدئة الوضع المتوتر في تونس منذ ديسمبر 1951 عمدت الحكومة الفرنسية الى تعريض المقيم العام دي هو تكلوك ببيار فوازار (1) في سبتمبر 1953 والقائم العام للقوات العسكرية الجنرال قاريسي (

بالجنرال بوايي دي لاتور) في فيفي 1954 كما تشكلت وزارة تونسية جديدة برئاسة محمد صالح مزالي عوضت في 2 مارس 1954 وزارة البكوش وتركب هذه الوزارة من 4 مدبرين فرنسيين و 8 وزراء تونسيين وهم :

- محمد صالح مزالي وزير اول (2).
- محمد بن سالم وزير الصحة (2).
- محمد سعد الله وزير الاوقاف والمؤسسات الاسلامية وهي وزارة محدثة (3).
- يونس جحوش وزير التجارة .
- عبد القادر بلخوجة وزير الفلاحة (4).
- الشاذلي بن رمضان وزير الشغل .
- نور الدين الزاوش وزير التعمير والاسكان .
- الطاهر لخضر وزير العدل .

ومن الملاحظ عدد التونسيين قد ارتفع في الحكومة بحيث أصبحوا يمثلون 3 / 4

من العدد الجملي في الإدارة بينما كانوا لا يمثلون سوى 1/4 في بداية الحماية

- (1) فوازار من مواليد 1896 متحصل على الاستاذية في الحقوق تقلب في عددة مناصب ادارية
- (2) محمد مزالي من مواليد 1896 متحصل على الدكتوراه في الحقوق شغل خطة قائد بنزرت وزير التجارة في حكومة شنيق في 26 مارس 52 الى الجنب بابعاده مع محمد شنيق الا ان ما يولاخذ عنه فهو قبوله تشكيل حكومة ليس من ضمنها عناصر دستورية الى جانب دخوله في الحكومة دون ان يشترط على السلط الاستعمارية اطلاق سراح بورقيبة وبقية المعتقلين الذي دعا اليه بن يوسف من القاهر اعضاء حكومة شنيق .
- (3) مصدر سابق :

(3) J.A, Julien: et la Tunisie... Op, Cit. P: 130.

(4) كان محمد بن سالم ومحمد سعد الله من ضمن اعضاء حكومة شنيق كان يشغل نفس الخطة في حكومة الكهان .

(5) M.S.Mzali: Profil de ma vie, Souvenir d'un Tunisien, Collection (5) Leon l'Africain, Editions H.Mzali, Tunis 1972, P: 284.

فانقلبت الصورة لتصبح ثمانية تونسيين مقابل 4 فرنسيين (8/12) وهي خطوة في اطار تونسنة الحكومة مع تعزيز نفوذ الوزير الاول . فما هي مهمة هذه الحكومة ؟ هل التفاوض مع فرنسا مثلما جاء في قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ؟ او تطبيق اصلاحات طبقت في فرنسا وكلف المقيم العام بتنفيذها ؟

لقد حدد محمد صالح مزالي اهداف حكومته بأن " دور رجال حكومته ليس اداريا فقط وانما واحد هم الانكباب بكل غناية على المشاكل ذات البعد العام (1) " . وفي 4 مارس 1954 امضى الباي على اصلاحات مزالي - فوزار فما هي هذه الاصلاحات التي جاء بها فوزار من باريس وناقشه فيها مزالي طويلا ولكن بقيت تفاصيلها غامضة بالنسبة للرأي العام التونسي ؟

\* - على مستوى السلطة التنفيذية : نلاحظ غياب " التناصف " في الحكومة بتعيين 8 وزراء تونسيين من ضمنهم الوزير الاول الذي اصبح رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحكومة ورئيس الادارة وولي المجموعات المحلية (2) كما اصبح الكاتب العام للحكومة تحت نفوذ الوزير الاول ومتعاوننا معه ولكن في الان نفسه يشغل خطة نائب الوزير الاول ، كما ان المديرين الفرنسيين والذين اصبح عددهم اربعة فهم يسيطرون على الوظائف الهامة في الدولة " المالية - الاشغال العامة - التربية - النقل والمواصلات (3) .

كما اشارت اصلاحات مارس 1954 الى حذف تأشيرة المقيم العام على قرارات الحكومة الا ان هذا الاخير قد حافظ على مراقبة الادارة التونسية عبر ما يسمى بالوامر الخاصة " (4)

على مستوى السلطة التشريعية : وقع بعث مجلس تشريعي تونسي يكون استشاريا

1) نفس المصدر : خطاب محمد صالح مزالي اثناء تقديم اعضاء حكومته للباي يوم 2 مارس 54 وذكره : ص 192 .

2) مصدر سابق : Mzali (M.S.) Au Profil, Op, Cit, P: 285.

3) مصدر سابق : Julien (Ch.A.) : et la Tunisie... Op, Cit, P: 130.

4) نفس المصدر : ص 131 .

في البداية ثم يتحول تدريجياً الى درجة القرار ويتركب من 45 عضواً منتخبين بصفة غير مباشرة وبالمقابل بقيت لجنة ممثلة للفرنسيين بتونس وتعد 42 عضواً ومنتخبة انتخاباً عاماً لمدة تسع سنوات .

كما بعث مجلس اقتصادي يضم 11 فرنسياً و 8 تونسيين (1) أما بالنسبة للميزانية فان القرار يتخذ في اطار " مجلس مالي " يجمع كل هذه الهياكل المجلس التشريعي - اللجنة الفرنسية والمجلس الاقتصادي مما يجعل اعضاء المجلس المالي متناصفين 53/53 وهكذا تظاھر لنا هذه الاصلاحات في ثوب يوهم في الوهلة الاولى بالتوجه نحو تونس ادارة التونسية في نطاق السير بالبلاز التونسية التدريجي بل البطيء نحو تحقيق الحكم الذاتي ولكن في الحقيقة ان هذه الاصلاحات لم تغير في شيء من جوهر السياسة الفرنسية التي بقيت مصرّة على ازدواج السيادة الذي نصت عليه مذكرة 15 ديسمبر 1951 وهذا عامل أساسي لفشل الاصلاحات .

الا ان هذه الاصلاحات كانت مثل انتخابات 1953 مهوراً لخلق الانقسامات في صفوف الوطنيين واصبح الباي الموقع على هذه الاصلاحات محل اتهام بالخضوع لارادة الاقامة العامة كما اصحت وزارة مزالي منبوذة ومحل شك بالتواطئ مع فرنسا وقد صرح صالح بن يوسف عبر الاذاعة المصرية بان وزارة مزالي موالية لفرنسا وان تشكيلها يدل على نجاح الامبريالية الفرنسية وان الاصلاحات لا تهدف الا لتعزيز الهيكل الاستعماري المعروف من قبل فرنسا على تونس ولا تأتي بحلول للنزاع القائم بين تونس وفرنسا (2) واقرب رقيقة ذلك بانه لا يمكن اعتبار مزالي وطنياً ولا رئيساً وانما هو موظف فرنسي (3) بل يتهمه بانه قد قام بالخيانة الحقيقية وصرح بذلك لابن مزالي رشيد مزالي عند ما زاره في

منفاه يوم 28 مارس 1954 (4) .

(1) مصدر سابق :  
(2) المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 639/291 : La Conquête , Op.Cit.P: 194.  
(3) نفس المرجع السابق .

وتعبيراً منه عن قطع العلاقة لحزب الدستور والقصر أمر باعادة  
" نشان الافتخار الى الباي (1) .

وامام تصاعد نشاط الفلاقة وتفاقم مشاعر الكراهية تجاه وزارة مزالي  
قدم كل من سعد الله و محمد بن سالم والخضر والنزاش واخيرا مزالي  
استقالتهم . الا ان هذا الاخير قد استمر ظاهرياً في خطته بصفة مؤقتة (2)  
بطلب من الباي والمقيم العام فوازار الذي عوض بدوره في جويلية 1954  
بالجنرال بوايي دي لا تور ( Boyer de la Tour ) .

2) - مانداس فرانس والقضية التونسية:

بفضل احرازه على اغلبيية الاصوات (419 مقابل 47) في الجمعية الوطنية  
الفرنسية اصبح بيار منداس فرانس (3) رئيس المجلس يوم 18 جوان 54  
وحددت مهمته الاساسية في إقامة السلم بالهند الصينية اعتقاداً بان ذلك  
سيحل بقية المشاكل الاخرى في بقية المستعمرات .  
ومنداس فرانس معروف بدعوته للتفاوض بدل الحرب وقد تولّى رئاسة  
الحكومة الفرنسية بعد هزيمة الجيوش الفرنسية في ديان بيان فو  
وفي 7 جويلية 1954 ضرب منداس فرانس للمجلس الوطني الفرنسي اجلاً  
لا يتجاوز 20 جويلية لحل مشكلة الهند الصينية والافانه سيقدم استقالته  
من الحكومة مع اعداد العدة لمواجهة القتال بقوات جديدة (4) .  
ولكن ليس ملف قضية الهند الصينية هو الوحيد المفتوح على مكتب منداس  
فرانس فملف القضية التونسية ينتظر منذ عدة اشهر وهو لا يقل خطورة بعد  
ما دخلت الحالة بتونس في طريق مسدود فتأزم الوضع السياسي والاقتصادي  
وتفاقم نشاط الفلاقة التي توزعت على كامل انحاء البلاد في شكل عصبات تشن

عمليات تخريب و قتل في صفوف الجيش الفرنسي والمعمرين والموالين لفرنسا

1) مصدر سابق :  
2) لان، بهذه الاستقالة مع انعدام وجود من يعوضه تصبح مهامه من مشمولات الكاتب العام  
3) منداس فرانس: محامي ورجل سياسة فرنسي نائب راديكالي رئيس مجلس جوان 54 الى 55  
4) الصباح : جويلية 54  
5) قالها الطاهر لسود أثناء زيارتنا له في الروحية صائفة 1985 .

من التونسيين تحت مقولة " ان علينا قبل تصفية الاستعمار ان نحرمه من عيوننه واذانه، كما لا ننسى ان الشكوى التونسية لم تسحب بعد و هي مازالت مطروحة على هيئة الامم المتحدة وعلى الجمعية العامة ان تنظر فيها خلال دورتها المقبلة في الخريف . وها هو صالح بن يوسف يستغل تصريحات الجنرال بوايي دي لا تور حول الوضع العسكري في تونس ليطالب في جويلية بالاستقلال التام لتونس .

فكيف سيتصرف منداسفرانس مع ملف القضية التونسية ؟

لقد استبشر التونسيون بوصول مانداسفرانس الى السلطة في فرنسا خاصة وانه قد زار تونس من قبل، و آخر زيارة له كانت في أفريل 1954 حيث تقابل مع عدة شخصيات تونسية ومن بينها الوزير الاول محمد صالح مزالي (1) كما كان محاميا لكثير من عناصر الحزب الدستوري الجديد . وللامام اكثر بالمشكل التونسي كلف فريقا بزعماء آلان سفاري (Alain Savary) لمدته بتقرير عن الوضع بتونس وفعلا منذ 4 جويلية بدأ هذا الفريق اتصالاته بهروقيبة الذي نقل من جزيرة جالطة الى قروا (Groix) منذ ماي 1954 وفي 17 جويلية نقل بورقيبة الى قصر لافرتي (Ferte) أملي (Amilly) وجاء تقرير سافري عكس وجهة نظر بورقيبة وتصوره لجبل المشكل التونسي وذلك بتمكين تونس من الحكم الذاتي وعلينا مراعاة مصالح مختلف الاجناس داخل الايالة مع تفويض العناية والاهتمام بالدفاع والدبلوماسية الى فرنسا (2) وفي جنيف (Geneve) واثناء المفاوضات الصعبة مع الفتنامين اجري منداسفرانس عدة اتصالات مع الجنرال بوايي دي لا تور الذي كان ينوي ان يعرض به "فوازار" الذي عرف بعقليته الاستعمارية المتحجرة وهم محمد المصمودي الذي كان واسطة بينه وبين بورقيبة وكان موضوع اتصالاته يدور حول فتح التفاوض مع حكومة تونسية

1) Mzali (M.S): Au fil de ma vie... Op, Cit, P: 297. مصدر سابق :  
2) Bessis et Belhassen: Bourguiba... Op, Cit, P: 144. =

بحتة تضم عناصر من الحزب الدستوري الجديد وتشكل اتحادا وطنيا حول الباي (1) كما فاتح مندا سرفرانس زائريه بعزمه السفر الى تونس بنفسه وانه سيعلم الباي بان فرنسا تعترف بالحكم الذاتي لتونس وان المحادثات التونسية الفرنسية ستقف على الاشكال وبالتحديد ضمان حقوق الفرنسيين (2) .

وهكذا نلاحظ ان مندا سرفرانس قد اهتم بالقضية التونسية وقضية الهند

الصينية في الوقت نفسه . فهل يعني ذلك انه سيتخذ نفس القرارات ؟

يقول محمد صالح مزالي : كان مندا سرفرانس لا ينظر بنفس العين الى قضية الهند الصينية وقضية شمال افريقيا . فمن ناحية كان يريد و كانه يلتمس لفرنسا الشكل الامثل لتخرج من لعبة الهند الصينية دون ان تفقد " ماء الوجه " في حين كان يرمي الى خلق روابط دائمة ومتينة تشد فرنسا الى تونس (3) ولعل مندا سرفرانس قد استند في رؤيته تلك الى قراءة السواقع العسكري في المنطقتين بالاضافة الى اطلاعه على تقرير ( Savary ) المستمد من الرواية البورقيبية المعتدلة . وفي 21 جويلية 1954 تم اتفاق على وقف القتال في الهند الصينية وتم التقسيم على مستوى خط الطول 17<sup>0</sup> وتم منح الاستقلال الى كمبوديا ولاوس و فيتنام الجنوبية كما منح الجيش الفرنسي والجيش الفيتنامي مهلة بثلاث مائة يوم للانسحاب من الفيتنام الشمالية . وفي 23 جويلية صادقت الجمعية الوطنية بباريس على هذه الاتفاقيات (4) .

وفي الاثناء ولدفع القضية التونسية الى صدارة اهتمام الرأي العام الفرنسي وخاصة رئيس الحكومة الفرنسية بعد ما اخذت القضية الهندية الصينية طريقها الى الحل ، نشرت الصحافة التونسية حصيلة اربعة اشهر من العنف والعنف المضاد فكانت الحصيلة من 19 مارس الى 23 جويلية 1954 : 95 شخصا في صفوف

- (1) مصدر سابق :  
(2) نفس المصدر :  
(3) مصدر سابق :  
(4) مصدر سابق :
- 1) Périllier (Louis) : à la Conquête... Op, Cit, P: 209.  
3) Mzali (M.S) : Au fil de ma vie... Op, Cit, P: 298.  
4) Guy de Carmoy : les Politiques... Op, Cit, P: 178.

المدنيين الفرنسيين والتونسيين ورجال الامن الى جانب 139 من الجرحى اما في صفوف الفلقة فكانت الحصيلة 53 قتيلًا ومثلها من الجرحى مع وقوع 29 رجلا في يد السلط الاستعمارية (1).

وساهمت هذه الاحداث في اشارة ضغوطات نفسية لدى السلط الفرنسية بتونس وكذلك بفرنسا وجعلت منداسرفرانس يعلن عن زيارته الى تونس يوم 31 جويلية 1954 وفي نطاق الاستعداد لهذه الزيارة وقع التخفيف من اجراءات المراقبة المفروضة على بورقيبة بحيث اصبح بإمكانه التنقل باكثر حرية واستقبال زائريه والادلاء بتصاريح الى الصحافة وكانت هذه التصاريح مؤيدة لفكرة الاتحاد مع فرنسا كما اوصى بورقيبة الدستوريين بقبول مقترحات منداسرفرانس لفضل القضية التونسية (2) ولعل هذا الاخير قد استعمل بورقيبة لاقتناع معارضيه في الجمعية الوطنية او خارجها فكان بورقيبة بمثابة الناطق باسم كل الاحزاب والمنظمات التونسية والممثل لجميع التيارات الفكرية والسياسية بها ومن هنا يمكن ان نستنتج ان مشروع منداسرفرانس كان مشووعا " اعور" لا يرى الا بعين واحدة وغير ملم بحيثيات الواقع السياسي الجديد الذي افرزته ازمة النظام الاستعماري الكلاسيكي في المستعمرات وخاصة في شمال افريقيا التي وجدت في الشرق ما لم تجده في الحركات العمالية الفرنسية من سند ودعم وفرتها لها مصر: جمال عبد الناصر التي بدورها كانت تحت ضغوطات اقتصادية وسياسية مجبورة على توحيد الدول العربية حولها (3) وفي 29 جويلية 54 تم تكليف الجنرال بواي دي لاتور (4) القائد العام للقوات الفرنسية بتونس منذ فيفري 54<sup>49</sup> بوظيفة القيم العام لفرنسا بتونس مع بقاءه على رأس قيادة الجيوش

(1) مصدر سابق: عروسية تركي المقاومة المسلحة في حمة الاعراض.  
(2) Périllier (C): La Conquête... Op, Cit, P; 212.  
(3) Mohammed Harbi: Aux Origines du F.L.N. P: 167.  
(4)

من مواليد جوان 1896 قرب باريس دخل الحربية في 1914 وشارك في اخمد حرب الريف بالمغرب وفي 1949 اصبح قائدا عاما للقوات الفرنسية بالهند الصينية ومن 50-51 شغل خطة كاتب عام للشؤون السياسية والعسكرية بالمغرب وفي فيفري 54 عين قائدا للقوات الفرنسية بتونس حتى جويلية (م.ت.خ. و)

بها وفي نفس اليوم اجتمع مجلس الوزراء الفرنسي واعرب عن موافقة  
لنخ تونس الاستقلال الداخلي مع ضمان المصالح الفرنسية (1) .  
وفي 30 جويلية صرح صالح بن يوسف في القاهرة بانه لا يقبل أي تنازل  
عن الاستقلال التام وانه لن يعود الى تونس الا بعد ذلك (2) وبصورة  
فلجأت من في الداخل ومن في الخارج ، قام مندا سرفرانس بزيارة الى تونس  
يوم 31 جويلية 1954 وكان مصحوبا بالمارشال جوان (Juin) ووزير الشؤون  
التونسية والمغربية كريستيان (Fouche) بالاضافة الى 12 شخصية فرنسية .  
والقى مندا سرفرانس خطابا امام الباي محمد الامين الذي لم يخف حفاوته  
بالضيف الذي يعلق عليه تمالا كبيرة لاجراخ تونس من الوضع المتردي واستمع  
الحاضرون بلهفة الى خطاب مندا سرفرانس والذي جاء فيه (3) .  
" ان الحكومة الفرنسية تعترف للدولة التونسية بالحكم الذاتي في غير مآرسة  
ولا التواء و سوءنية وهي التي تؤيده في مبدئه وتريد ان يكمل بالنجاح في  
ميدان التطبيق " .

ويمكن ان تتألف وزارة تونسية جديدة يعهد لها علاوة على ادارة شؤون  
الايبالة بمهمة التفاوض باسم سموكم مع الحكومة الفرنسية في شأن الاتفاقيات  
التي تضبط بوضوح الالتزامات المتبادلة للبلدين والضمانات المعترف بها لفرنسا  
والفرنسيين المستقرين بالبلاد التونسية " ان المصلحة المشتركة تستدعي بقاء  
فرنسا حاضرة بتونس وان الخدمات التي تقدمها الى بلادكم في الميادين  
الثقافية والاقتصادية والفنية والمالية والمقام الذي يحتله فيها عدد من  
الفرنسيين والعمل الذي انجزوه في هذه البلاد ان جميع ذلك من الحقائق  
الذي لا يمكن لوطني تونسي ان يجحدها .  
" ثم ان حماية السلم في هذه الناحية من الكرة الارضية التي هي ناحيتنا

(1) نفس المصدر :

(2) م . ات - ح - و :

(3) الصباح : 1 اوت 54 ص 1 و 4  
Bobine 639/299 (Anexe N°VI)  
Histoire du Mou-  
vement National Tunisie: D14, T2. P.P: 325-331.

تتطلب وحدة الدفاع ومن هنا يترتب قيام سياسة خارجية مشتركة .  
وحتى تساهم فرنسا في مساعدة البلاد اقتصاديا قصد تحقيق العدالة  
والتقدم ... على انه لا بد ان يعود الامن الى نصابه لكي يتمكن من  
الانكباب التام على هذا العمل " .

ويجوز ان أمل في ان تنتهي الآن اعمال العنف ولو تحتم ان نزيد  
في تنمية الوسائل التي من شأنها للقضاء على اعمال العنف فسوف  
لن تتردد الحكومة الفرنسية في ارسال النجدة العسكرية اللازمة  
ولو وجب الامر اللجوء الى الوسائل الاستثنائية لحفظ الامن العام .  
واذا وقعت بعد الآن اعتداءات من شأنها ان تدخل الاضطرابات في  
البلاد فاني اقول بكل اخلاص ان العقاب سيكون بمثابة من القساوة لا تشوبها  
أي رحمة .

وبعد سويغات من القاء هذا الخطاب المتهجي في السياسة الفرنسية تجاه  
قضية شمال افريقيا غادر مندارس فرانسوا تونرس ملتحقا بباريس في حين  
بقي صحبه لبعض الايام في تونس .  
لنعد الى هذا الخطاب بالتحليل باعتباره يرسم ملامح تونس في المستقبل  
وعلاقتها بفرنسا وبالتالي فهو مرجع المفاوضات التي ستدور  
بين البلدين .

فمن الملاحظ ان هذه الزيارة الخاطفة الى تونس التي لم تدم  
الا بعض السويغات والتي فاجأت الاوساط الاستعمارية والرأي العام  
التونسي كانت بهدف واحد هو القاء مندارس فرانسوا خطابا بين  
الباي فبدأ لها هذا الخطاب بمثابة الحمل الثقيل الذي لا يثق صاحبه  
في احد ليحمه عنه فأسرع بالقائه على الساحة السياسية بتونس التي  
كانت تعاني التشتت فكثير من الوطنيين هم رهن الاعتقال والمنفى مما ساهم في

غياب الموقف الموحد بين من هم في الداخل ومن هم في الخارج والذين بدورهم كانت تشقهم الخلافات. بالإضافة الى غياب استراتيجية واضحة من وراء ممارسة الكفاح المسلح، اذ بدأت المقاومة المسلحة تفلت من دائرة مراقبة الحزب الدستوري الجديد وتحت لنفسها كيانا مستقلا حتى ان الساسي لسود (1) بعث في 14 اكتوبر 1954 برسالة الى كل من الباي والمقيم العام ومنداسرفرانسريقول فيها "بألا تفاهم الأمع" (2) وأمام حالة التشرم هذه التي تزامنت مع وضع عام متأزم جاء خطاب منداسرفرنسريلعترف لتونس برحكم ذاتي مشروط بانتهاء الكفاح المسلح وهذه النقطة الاخيرة تبدولي في هذه الغاية الاساسية من وراء الزيارة لذلك احتفظ بها منداسرفرانسري الى آخر فقرة في خطابه حتى تعلق في اذهان سامعيه دون ان يخفى لهجة التهديد لعله يعيد الى فرنسا هيبتها المهزوزة نتيجة هزيمتها في الهند الصينية ويشير الى ان فرنسا التي فقدت مستعمراتها شرق آسيا غير مستعدة للتفريط في آخر جنوب المتوسط بناتنا.

لهذا يجب القضاء على المقاومة المسلحة واجهاض الثورة الشعبية التي اشعل الحزب الدستوري فتيلتها دون ان يدرك انها ستتجاوز المطلوب منها (مجرد احداث شغب للضغط على فرنسا) ، مقابل بعض التنازلات من قبل فرنسا لا تخرج عن معاهدة باردوم مع اقرار حقوق لها وللفرنسيين المقيمين بتونس لم تكن واردا ضمن هذه المعاهدة. وهذا ما يفسر نقطتين :

- اولا : اصرار حكومة باريس على تشكيل حكومة تونسية تضم عناصر دستورية تقوم بمهمة التفاوض مع فرنسا .

- ثانيا : جمع المقيم العام بين خطته الادارية المدنية وقيادة الجيوش الفرنسية بتونس

(1) الساسي لسود من مواليد الحامة والتحق بالمقاومة المسلحة في 52 وكان من الاوائل الذين

سلموا سلاحهم في 1954 .

(2) مصدر سابق :

فما هي ردود الفعل تجاه هذا الخطاب ؟

لقد قوبل خطاب منداس فرانس بترحاب من قبل الرأي العام واجمعت الاحزاب والمنظمات التونسية على ان ما جاء في هذا الخطاب من اعتراف بالحكم الذاتي هو بمثابة خطوة في سبيل تحقيق الاستقلال "امل القومي" (1) والغاية الكبرى (2) "

وباريس صرح بورقيبة للصحافة بأن "هذه المقترحات تعتبر مرحلة حاسمة في السبيل الموصل الى ارجاع السيادة التونسية كاملة غير منقوصة وبقي الاستقلال المثل الاعلى للشعب التونسي الا ان السير نحو هذا الاستقلال لن يتخذ في المستقبل قالب كفاح بين الشعب التونسي وفرنسا بل انه سيتم بواسطة اتفاقيات وتعديلات بين الحكومة التونسية والحكومة الفرنسية تنجز في جو الثقة المتبادلة والصدقة و سيجلى هذا السير في تعاضد متين بين الشعبين الشاعرين باتحاهما تعاضدا بريئا من كل الاستحواذ والسيطرة (3) . وفي 3 اوت اجتمع بجذيف الامين العام للحزب صالح بن يوسف بمجموعة من الدستوريين منهم علي بلهوان والنجفي سليم (مدير الحزب) محمد بدره والباهي الادغم وقد صرح اثر الاجتماع : " ان الاتفاق الذي حصل في هذا الاجتماع يتماشى مع توجيهات المجاهد الاكبر... وان نسبة مشاركة الحزب الدستوري الجديد في الوزارة المقبلة ستكون نسبة هامة... ويجب ان تنتهي المفاوضات الى نتيجة في اسرع الاجال وان الاستقلال الداخلي سيكون الخطوة الحاسمة نحو استقلال تونس التام (4) . ومقارنة بين التصريحين نلاحظ توافق موقف الرجلين من الاستقلال الداخلي . وربما هذا الاتفاق كان حول اللفظة اكثر من معناها . كما تبدولنا لهجة كل واحد منهما مختلفة عن الآخر ، فلهجة بورقيبة تبدو

(1) عبارة وردت في تصريح صالح قنرحات (الصباح 4 اوت 1954).  
(2) عبارة وردت باللائحة السياسية الصادرة عن المؤتمر الاستثنائي للجنة صوت الطالب الزيتوني 54/9 و 54/4.  
(3) الصباح : 1 اوت 54.  
(4) = = 4 : =

مرنة ولينة في تناوله مستقبل العلاقات الفرنسية التونسية.  
فهمل تناسي السياسيون التونسيون وغفلوا عن " بيت القصيد من خطاب  
منداسرفرنسرو هو القضاء على اعمال العنف ؟

لقد بادر الباي بالدعوة الى الهدوء قائلا: " ان المجهود البناء الكبير الذي  
ندعو اليه لا يكون مثمرا الا في اطار الانظام والسلام والامن لجميع سكان  
البلاد (1) كما ان تقليده منداسرفرانسرو سام " عهد الامان " به كثير  
من المعاني والرموز ، اما الحبيب بورقيبة الذي انكر في 25 جويلية ان تكون  
لمضلات " بالفلاحة " او ان يكونوا خاضعين لاوامر حزبه فكان يعتقد  
بانهم وطنيين دفعهم الباي الى الكفاح المسلح ولكن بمجرد ان تمسك  
حكومة تونسية بالسلطة فان اعمال العنف ستنتهي (2) .

الا ان التقارير العسكرية بالجنوب تبين ان حركة المقاومة قد اخترقت الحدود  
وارتبطت بالشرق خاصة بلجنة تحرير المغرب العربي المنبثقة يوم 5 افريل 54  
من " اجل الكفاح لاستقلال الجزائر والمغرب وتونس والاتحاد مع الجامعة العربية  
مع رفض كل لاتحاد مع فرنسا او تفاقم السيادة " (3) .

وقد انبعثت هذه اللجنة الجديدة ذات الاغلبية الى جانب اللجنة القديمة  
التي يترأسها عبد الكريم الخطابي والتي انسلخ عنها عناصر الحزب الدستوري  
الجديد و ساهموا في تكوين اللجنة الثانية نزولا تحت رغبة جامعة الدول  
العربية وهي التي اقترحت توحيد احزاب " المغاربة " في لجنة واحدة ليسهل  
التعامل معها خاصة فيما يتعلق بالمساعدات المالية ، وعمل صالح بن يوسف  
على وضع صيغة (تعطي لكل قطر حريته التامة في التصرف في شؤونه المالية  
وفي النشر والاتصال في جميع اعماله (4) .

1) Le Petit Matin: 3 Aout 1954: Appel au Calme. (1)

2) Julien (Ch. A.): et la Tunisie. P: 153. (2)

3) Mohamed Harbi: Aux Origines du Front (مراسلات الباهي الا دعم القسم العربي (3)

4) من رسالة علي بلهوان الى الباهي الا دعم بتاريخ 54/4/20 (مراسلات الباهي الا دعم القسم العربي (4)

ص 69) وكانت هذه الرسالة قد اذعن تخوفات الدستوريين من فكرة " الوحدة " بين احزاب شمال افريقيا  
في القاهرة

في القاهرة

وفي ماي 1954 وقعت اللجنة الجديدة على ميثاق يتصلق بتوحيد الكومندوس " في شمال افريقيا (1) وانبعث في طرابلس مراكز لتدريب " الفلاقة " الذين يتحولون بعد ذلك الى شمال افريقيا لتنفيذ عمليات عسكرية ضد الجيش الفرنسي وكنان علي زلطني و مراد بوخريص يلعبان دورا هاما في ذلك انطلاقا من مكتب الحزب الدستوري بليبيا .  
وفي 25 ديسمبر اعتبر بن يوسف " شوشان " ممثلا وحيدا للحزب في ليبيا في حين اعتبر كلا من ابراهيم طوبال وحسين تريكي مخطئين في مساندتهما الكفاح المسلح " والعمل الثوري " فالمخرج الوحيد هو المفاوضات (2) وهكذا نستنتج ان حركة الفلاقة " المؤمضة بالكفاح المسلح قد خرجت عن مراقبة الحزب الدستوري الجديد ، كما انها لم تلتزم بدعوة الباي الى الهدوء ، بل كثفت عملياتها وتفطنت في اسلوب حرب العصابات مما جعل المقيم بواي دي لا تور يطالب فرنسا بمزيد من القوى العسكرية لتعزيز 15000 رجلا الذين كانوا بالتراب التونسي (3) .

ولكن على السلط الفرنسية ان تحل مشكل انتقاء اعضاء الحكومة الجديدة ورئيسها فمندا سرفرانس يقترح حكومة ائتلافية تضم جميع التيارات ونسبة قليلة من الدستوريين تلتف حول الباي الا ان ما نلاحظه في تصريح بن يوسف في جنيف يوم 3 اوت ان الدستوريين يرغبون في مشاركة مكثفة في هذه الحكومة اما الظاهر بن عمار الذي حصل اخيرا على اتفاق الباي والسلط الفرنسية على تعيينه وزيرا (4) فقد اشترط ان تكون حكومته دستورية بحتة في حين حددت السلط الفرنسية عدد الدستوريين بأربعة . . .

(1) مصدر سابق : Mohammed Harbi: Aux Origine du F.L.N... Op, Cit, P 55.  
(2) I.S.M.M.N: Bobine P:639-299/Neo Destour 1955.  
(3) Boyer de la Tour; Verités sur l'Afrique du Nord, Plon 1956. P:50.  
(4) لقد اقترحت السلط الفرنسية محمد العزيز الجلولي لمنصف الوزير الا ول نظرالتمتع بثقافة فرنسية وما تميز به من اعتدال يطمئن المتردين الفرنسيين اما استقالته من سلك القيادة في 1940 وموالاته للمنصف باي ومشاركته في حكومة شنين ورفضه بعد ذلك القيام بانه مهمة رسمية جعله محل تقدير التونسيين (مصدر سابق: كوهين حصونة . . . ص 270 .)

وبعد عملية "الفرز" وفقت الحكومة الفرنسية على تشكيل "وزارة تونسية" ضمت عشر تونسيين وهم :

- الطاهر بن عمار: رئيس الحكومة (مستقل)
- المنجي سليم : وزير الدولة (من زعماء الحزب الدستوري الجديد)
- محمد العزيز الجلولي : وزير دولة (مستقل)
- محمد المصمودي : وزير دولة (دستوري و صديق بورقيبة) .
- نصر بن سعيد : وزير التعمير والاسكان (مستقل) .
- علي بالحاج : وزير الفلاحة (مستقل ، وقد توفي في سبتمبر 1954) .
- الشاذلي رحيم : وزير الشغل (اشتراكي) .
- الصادق المقدم : وزير العدل (دستوري) .
- الطاهر الزاوش : وزير الصحة (مستقل) . (1)

اما بقية المناصب الوزارية فهي بيد الفرنسيين مثل الامن والدفاع والمالية والخارجية ... ومن هنا نلاحظ وان ضمت التشكيلة الوزارية عدة تيارات فكرية وسياسية فان نسبة الدستوريين كانت هامة مع اقضاء كل من له صلة بالقاهرة وشارك في رفع الشكوى التونسية الى هيئة الامم المتحدة طبقا لوصية منداس فرانس للباي يوم 2 اوت 1954 (2) .

ومن ناحية اخرى نلاحظ قبول الدستوريين الدخول في حكومة ما زالت تضم عناصر فرنسية في المناصب الحساسة في الدولة وهو ما كانوا يرفضونه في اصلاحات فوازرا التي طالبوا بمقاطعتها ، كما لاحظت الهيئة الادارية للاتحاد العام التونسي للشغل في اجتماعها المنعقد في 1 اوت 1954 عدم اتخاذ اجراءات عاجلة لتهدئة الوضع وهي : "رفع حالة الحصار والافراج عن المبعدين والمسجونين لاسباب سياسية وايقاف قتلة فرحات حشاد و عقابهم ورفع العقوبات المسلطة

(1) الصباح : 8 اوت 1954 .

(2) مصدر سابق :

على الشغاليين والموظفين من اجل الاضراب (1) ولم يطالب الدستوريون حتى بالاعتراف بحزبهم علنا .

كما نلاحظ ايضا تعيين ثلاثة وزراء " دولة " لم يقع تكليفهم بمهام ادارية لان مهمتهم " التفاوض وهؤلاء هم المنجي سليم (2) وهو رئيس الوفد التونسي في المفاوضات ومحمد العزيز الجلولي مرشح السلط الفرنسية الى منصب الوزير الاول الا انه رفض ذلك وقبل الوزارة الا بعد الحاح من

الحبيب بورقيبة المقيم بأميلي (3) واخيرا محمد المصودي (4) .  
وبالنظر الى توجهات هؤلاء " المفاوضين " نلاحظ انهم جميعا من انصار النظام الجمهوري وصف الملكية الدستورية وهذا ما سينعكس على اختيارات طبيعة النظام السياسي بتونس في المستقبل وعلاقة الحكومة الجديدة بالباي .  
ومن ناحية اخرى ونظرا لثقافتهم الغربية فان معاضة هؤلاء الوزراء لم تمس بجذور الاستعمار الفرنسي ولا بمصالحه الحيوية باعتبارها حقوق مكتسبة للفرنسيين وان ما يرفضونه هو الادارة الفرنسية المباشرة ومن هنا تكون معاهدة باردو والقاعدة الاساسية لضبط العلاقات التونسية الفرنسية والتي لم يقع احترامها من قبل الفرنسيين ولعل هذه النقطة هي محورية في اهتمامات المفاوضين التونسيين اما الفرنسيون فيرون من وراء

الاتفاقيات التي بقاء فرنسا بتونس بحكم الحقوق المكتسبة " وان الاتفاقيات لا تعني ولن تعني الاستقلال ولكن تعني شكلا من الاشكال الحكم الذاتي بما انها تضبط نهائيا لفرنسا جوانب عسكرية واستراتيجية وحربية واقتصادية وثقافية وهذا ما صرح به كريستيان فوشي (Fauché) وزير الشؤون التونسية المغربية في حكومة

- (1) الصباح : 4 لاوت 1954 .
- (2) المنجي سليم من مواليد 1908 بتونس العاصمة ينحدر من البرجوازية التونسية (قريب الجيب ثامر) له ثقافة فرنسية سهر على تنظيم الدستور من 1947 الى 1951 .
- (3) مصدر سابق : كوهين حضرة : من الحماية الفرنسية الى الاستقلال : ص 271 .
- (4) محمد المصودي من مواليد 1925 بالمهدية درس الحقوق بفرنسا من المؤيدين للفكر البورقبي .

منداسرفرانسريوم 26 اوت 1954 (1) قبيل انطلاق المفاوضات  
وللمرة الثانية تنطلق المفاوضات في مناخ من اللبس وتقاطع الاهداف  
فالتونسيون ينظرون الى المفاوضات على انها ستحقق لهم الحكم الذاتي  
هو خطوة نحو الاستقلال التام بينما ينظر الفرنسيون الى المفاوضات  
على انها ستعزز اتفاقيات تدعم الحضور الفرنسي و ضمانات لفائدة فرنسا  
والفرنسيين \*

### 3) المفاوضات :

في 18 اوت 1954 انعقد في باريس لقاء تمهيدي (1) صدر عنه بلاغ  
يوكد اتفاق الجانبين ( الفرنسي والتونسي ) حول مبدأ المفاوضات وضبط  
افتتاحها في الايام الاولى من سبتمبر في تونس على ان تستأنف في  
القريب العاجل في باريس . وفعلا افتتحت المفاوضات التونسية الفرنسية  
بصفة رسمية يوم 4 سبتمبر 1954 وقد ضم الوفد التونسي المنجي سليم  
والعزيز الجلولي ومحمد المصودي ومجموعة من الخبراء (3) برئاسة  
الطاهر بن عمار رئيس الحكومة التونسية . اما الوفد الفرنسي فيتكون  
من المدير العام للشؤون السياسية والاقتصادية بوزارة الشؤون التونسية  
المغربية ومدير الشؤون السياسية والاقتصادية بالنيابة والمتفقد العام  
للمالية والمدير العام لصندوق مراكز النيابة ومدير الوظيفة العمومية  
والكاتب العام القار للدفاع الوطني (4) تحت رئاسة كريستان فوشي  
وزير الشؤون التونسية والمغربية \*

ومن خلال تشكيلة الوفد الفرنسي نلاحظ شمولية الميادين التي تنوي  
فرنسا الخوض فيها مع التركيز على الجانب الاقتصادي والمالي ولكن

(1) مصدر سابق : Ben Salem (M) : L'Antichambre...Op,Cit.P: 166.

(2) جمع لقاء 18 اوت 54 بين منداسرفرانس و كريستان فوشي والطاهر بن عمار ومحمد المصودي \*

(3) نذكر منهم عبدالله فرحات ، الفرجاني بالحاج عمار ، علي الزواوي ومحمود الخياري \*

(4) الصباح : 14 سبتمبر 1954 \*

يهدوان المفاوضات قد انطلقت ولم تكن ملفاتها مرسومة ولا مدروسة بدقّة من قبل الفرنسيين وهذا ما اعاق سيرها وجعلها تتعثر لفترات طويلة مما أدّى الى استغراقها مدة تسعة أشهر (1) رغم اتّفاقي الطرفين على تأجيل التفاوض في النقاط الصحية التي تختلف حولها وجهات النظر الى آخر المفاوضات . وهذا يؤكّد صعوبة المفاوضات وتباين اهدافها بالنسبة للفرنسيين وبالنسبة للتونسيين وكذلك عدم الاتّفاق داخل كل طرف حول الغاية منها ففرنسا بادرت الى فتح باب الحوار حتى لا تخسر منطقة شمال افريقيا مثل ما خسرت الهند الصينية ، وباختصار عبر بوايي دي لا تور المقيم العام عن " ان غايتنا يجب ان ترمي في النهاية الى المحافظة ليس فقط على مجموعة من المصالح وانما على شعور عميق يجعل فرنسا دائما الوطن الأم ، والتونسيين أبناءها ... ولهذا علينا تجنب القطيعة بين الفرنسيين والتونسيين (2) . ومن هنا يمكن ان نستنتج ان لفرنسا الى جانب هذه الاهداف الآجلة ، اهدافا عاجلة من وراء فتح المفاوضات وهي :

- اعادة الهيمنة لفرنسا :

بعد هزيمة الهند الصينية ارادت فرنسا ان تسترجع هيبتها الدولية على حساب منطقة شمال افريقيا فظهرت من خلال زيارة منداس فرانس الخاطفة الى تونس وما تضمنه خطابه في مظهر " سيدة الموقف " . - احباط عرض القضية التونسية على هيئة الامم ، لقد زامن خطاب منداس فرانس مع تعيين مقيم عام جديد كتعبير عن بداية مرحلة جديدة في العلاقات التونسية الفرنسية التي دخلت في اهتمامات الرأي العام الدولي بعد عرضها على هيئة الامم التي ستعد دورتها في الخريف للنظر من جديد في هذه القضية طالما لم تسحب ، ولهذا لم تجد القضية التونسية " نفس الحماس السابق من قبل المنتظم الدولي خاصة وان فرنسا قد قبلت الدخول في " المجموعة الاروبية للدفاع " . ( C . D . E . )

1) Boyer de la Tour: Verités. P: 74.  
2) Boyer de la Tour: Verités... Op, Cit, P: 78.

{ مصدر سابق :

2) تفتش المصنّف

## المقاومة على المفاوضات المسلحة :

سأن انطلقت المفاوضات في سبتمبر حتى توقفت ٠٠٠:١  
واشترطت فرنسا لمواصلة التفاوض (1) تحقيق الهدوء الكامل والمطلق  
في البلاد فما يعني المفاوضات والارهاب متواصل والسلاح ما زال في يد الفلقة"  
لقد عمل بوياي دي لا تور منذ تعيينه مقيما عاما بتونس في 31  
جويلية 1954 الى جانب قيادته العامة للقوات العسكرية على القضاء  
على حركة المقاومة المسلحة " الفلقة" التي اصبحت يخشى ان تتحول  
الى " جيش تحرير" فلم تعد تقبل بالحكم الذاتي بل تطمح الى  
الاستقلال التام (2) وامتعانة بالقوات الجديدة الاضافية (3) شن بوياي  
دي لا تور حملاته العسكرية الشرسة وعمليات التمشيط الواسعة التي  
استهدفت السكان المدنيين بالقتل والتفتيش وترويع الأطفال والنساء  
واتلاف المومن ٠٠٠ (4)

وقد أدت هذه الحملات العسكرية على المواقع الاستراتيجية للمقاومة  
المسلحة الى استشهاد الكثير من الفلقة واعتقال البعض منهم (5).  
مما ادى الى تضاعف نشاطهم والتحام السكان الريفيين معهم  
فازداد الوضع تآزما والأمن تدهورا .

ويذهب السيد المقيم العام الى اللقاء المسوء واية في ذلك على  
العناصر المتطرفة في الحزب الدستوري الجديد وتعاونها مع

- (1) مصدر سابق : 83 P: Cit. OP: Verité Bo yer de la Tour 1)
- (2) نفس المصدر : ص 90 .
- (3) مصدر سابق : على بن عامر : سيرة صالح بن يوسف اطروحات 1989 يقول ان عددها 95  
أو 40 الف جندي .
- (4) رسالة البشير رزق العيون : الى محمد المصمودي ، السجن العسكري بتونس بتاريخ 23 اكتوبر 54 ووردت  
بكتاب تاريخ الحركة الوطنية التونسية الوثائق 14 ج 2 : الانتصار . ص 404/409 .
- (5) جاء في تقرير عرضه السيد فوشي على لجنة الشؤون الخارجية يوم 23 نوفمبر 54 ان 250 فلقة وقعت ازاحتهم  
(القتل مع الاسر) ( نفس المصدر ) ص 402 . بينما من خلال جرد سريع لصحيفة لبتني متان ( etit-Matin  
ما بين 26/9/54 - 24 نوفمبر 54 تبين لنا ان الحملات العسكرية اتت على ما يزيد 155 قتيلا في صفوف الفلقة .

بن يوسف وجمع المهاجرين في الخارج (1) ولذلك استدعى عناصر الوفد المفاوض ( المنجي سليم ومحمد المصمودي ) ليضغط عليها حتى تندد بالفلاحة وتدين نشاطهم وهذا ما يفسر تصريحات محمد المصمودي والمنجي سليم المناهضة للارهاب ففي 5 أكتوبر 54 صرح المنجي سليم للصحافة: " اننا ضد الارهاب ونرغب بصدق في التعايش مع الفرنسيين (2) .

ولكن مثل هذه التصريحات لا ترضي عدة اطراف في الحركة الوطنية وحتى بعض العناصر في الحزب الدستوري الجديد الذي رأى في حركة " الفلاحة " تعزيز موقف المفاوضين التونسيين واداة ضغط على سير المفاوضات وهو ما يمكن ان نستنتجه من خلال اللائحة السياسية العامة الصادرة عن اجتماع المجلس الملي الموسع المنعقد في 14 نوفمبر 1945 والتي جاء بها ما يلي :

إن هـشكـل الفـلاحة يـنبغي الـا يـفـصـل عـنّ المـيدان الـسياسي والـا تعـزل عـن سـاير مـظاهر الكـفاح القـومي (3) .  
لكن ما جاء في آخر اللائحة من توصيات تجعل الحكومة التونسية ولا سيما الوزراء الدستوريين مسؤولاً عن ايجاد حل للأمن المنشود بالاسراع في المفاوضات (4) .

وهنا تتبين اختلاف الرؤى لسيير المفاوضات بين التونسيين والفرنسيين ، فالفرنسيون يرون أن حل مشكل الفلاحة لا يكون بمعزل عن حل القضية التونسية ككل بينما يرى الفرنسيون أن حركة الفلاحة

هي المعرقل لمواصلة المفاوضات لذلك وجب تجريد المقاميين من سلاحهم .

1) Boyer de la Tour: Verités...OP, Cit, P: 80

2) Ben Salem (M): l'Antichambre. P: 167.

3) الاخبار: 16 نوفمبر 54 وبها النص الكامل لللائحة السياسية العامة .

4) Histoire du Mouvement National Tunisien D 14, T2 : مصدر يابـق : (Victoire) P: 420.

وبما ان حكومة بن عمار كانت متلهفة على مواصلة " المفاوضات " بينما كانت حكومة مندار فرنس متلهفة على انهاء التوتر والاضطرابات بتقونسرو التي كانت وراء موجة احتجاج المعارضة التقت رغبة الطرفين في ازالة هذا العائق " الفلاقة " .

ولكن كيف الوصول الى هذا الهدف وقد خابت الحملات العسكرية ورفض الفلاقة " الاستجابة الى نداء الباي للهدوء كما لم يستمعوا لنداء " الامان " الذي لوح به بوايي دي لا تور منذ 12 سبتمبر 1954 .

وفي 1 نوفمبر 1954 اندلعت الثورة الجزائرية واصبح خطر " توحيد الكفاح المسلح " بين البلديين يقلق السلط الفرنسية ويحثها على الاسراع في ايجاد صيغة ملائمة لتجريد الثوار التونسيين من اسلحتهم وهذا ما جعل مندار فرنانس يقبل اقتراح بوقية اثناء مقابلة سرية بينهما في " ان يعده بكف الجنود الفرنسيين عن ملاحقة الفلاقة مقابل ان يصدر الاذن لهم بتسليم اسلحتهم لا للسلط الفرنسية وإنما للجان حزبية تتولى بدورها تسليمها لهذه السلط " .

وفي 20 نوفمبر 1954 تم الاتفاق النهائي على حل مشكلة الثوار فصدر تصريح مشترك بين المقيم العام ورئيس الحكومة التونسية بهاريس رينص على ما يلي :

تدعو الحكومة التونسية الفلاقة على رؤوس الملائمات ليسلموا اسلحتهم للسلط الفرنسية او التونسية ويضمن المقيم العام والحكومة التونسية بمقتضى الاتفاق المبرم بينهما انه لن يقع بعد ذلك ازعاج الفلاقة او تتبعهم وستسلم لكل واحد شهادة بذلك صادرة عن المقيم العام (2) .

1) Bourguiba: Ma Vie... Op, Cit, P: 304.

(1) مصدر سابق :

(2) الصباح : 26 نوفمبر 1954 .

ورغم استجابة اغلبية المقاومين لهذا النداء (1) " فان المفاوضات"  
التونسية الفرنسية ما ان استئنفت لبعض الايام من شهر ديسمبر  
حتى توقفت من جديد بتعلة احتفالات اخر السنة الميلادية .  
فما هو موقف الحزب الدستوري الجديد من هذا التواطىء ؟  
(٤) - موقف صالح بن يوسف :

يهدوان صالح بن يوسف قد لزم الصمت الى حد الآن فلم يظهر  
له موقف خاص لا من الحملات القمعية التي تعرض لها " الفلاقة" ولا من  
عملية تجريدهم من السلاح دون ادنى ضمانات ما عدا ثقة بورقيبة  
في شخص مننداس فرانسو وحكومته بل لمهددة بالسقوط لولم يستتب  
الامن في منطقة شمال افريقيا . فكان عدم اشارة " القضية التونسية "  
في هيئة الامم وتظافر جهود الدستوريين لتجريد المقاومة المسلحة  
من آلتها الفاعلية ، كل هذا خدمة لمننداس فرانسو حتى يتعزز موقفه  
امام معارضييه .

ولكن تعثر المفاوضات وتباطؤها من حين لآخر اجل جعل صالح بن يوسف  
يصرح في القاهرة في 21 ديسمبر 1954 بعد لقاء مع الرائد صالح سالم  
وزير التوجيه الوطني المصري : " ان المفاوضات الفرنسية التونسية  
لا تستجيب لاماننا ما دامت فرنسا تريد الانفراد يتحمل اعباء مسائل  
الامن والعدالة في تونس" (2) .

وفي جنيف كان تصريح صالح بن يوسف يوم 31 ديسمبر 1954 الذي تناقلته  
الصحافة الفرنسية والصحافة التونسية بمثابة ومضة البرق المعلنة عن قدوم  
العاصمة في وقت لا أحد يتوقعها خاصة بالنسبة لبورقيبة والسوفد المفاوضات  
نقد جاء في هذا التصريح ما يلي :

" ان المفاوضات الجارية بين تونس وفرنسا منذ خمسة أشهر

(1) مصدر سابق : عروسة تركي : المقاومة المسلحة 000 ص 72 .

(2) مصدر سابق : علي بن عامر : سيرة صالح بن يوسف . اطروحات 1989 ص 10 انظرا ايضا كتاب منصف  
الشابي : صالح بن يوسف 000 ص 139 .

لتدلل على ان حكومة فرنسا لا تنوي البربوعو دها بل تحاول بجميع  
انواع الضغط وحتى التهديد بقطع المفاوضات ان تقتصر على منح تونس حكما  
ذاتيا سوريا يقر الوضع الحالي ويجعل من التونسيين وكلا ، يحافظون على  
دوام النظام الاستعماري بتونس” .

” ان الشعب التونسي لن يرضى ابدا بحكم ذاتي صوري يحول دون تحقيق  
الاستقلال التام للوطن التونسي” .  
” ان معضلة سزمات الحكم الذاتي تفرض :

(1) - توقيت كل الاتفاقيات التي تحد من سيادتنا .

(2) - تونس الحكومة التونسية مع نقل كل سلطات الأمن اليها دون قيد ولا شرط .

(3) - ارجاع كل الصلاحيات التي هي بأيدي القضاء الفرنسي اليوم الى القضاء

التونسي بعد أجل معقول .

(4) - تصرف الحكومة التونسية في شؤون التعليم والثقافة تصرفا مطلقا ... ولا يكون

للفرنسيين الا ارسالية ثقافية تتسامح في وجودها الحكومة التونسية كما تتسامح

لغيرها من الارساليات الاجنبية .

(5) - الاعتراف للحكومة التونسية بان تكون حرة في اتباع سياسة اقتصادية

ونقدية وقمرقية متجانسة مع نظام البلاد التي تتعامل بالفرنك

الفرنسي بدون أن يكون ذلك التجانس وسيلة لاقرار الروابط الاقتصادية

بيننا وبين فرنسا في شكلها الحالي انه هو شكل استعماري صرف” .

” فليشهد العالم أن فرنسا هي المسؤولة وحدها على العواقب

الخطيرة التي سوف تنجم حتما عن تنكركم عنها للعهد والمواثيق” (1) .

لقد اوردنا مقتطفات مطولة من هذا التصريح لنقف على

(1) الصباح : جانفي 1955 ( النص الكامل لتصريحات الاستاذ صالح بن يوسف

عن رأيه في الاستقلال الداخلي التونسي ، ص 1 و ص 4 .

على مفهوم الحكم " الذاتي " في نهار بن يوسف والذي قد يساعدنا على فهم موقف الرفض لاتفاق 21 أبريل 1955 ثم رفضه لكل الاتفاقيات فيما بعد .

فلنعد الى هذا التصريح بالتحليل :

يمثل هذا التصريح - حسب شارل انهري جولياك - برنامجا يختلج في داخل كل تونسي وطني (1) ويؤيده المنصف الشابي في ذلك معتبرا هذا التصريح بمثابة الاصداع بالمطالب الكاملة لتونس (2) في فترة تميزت بميل الطرف الفرنسي الى المطالبة والتسوية (3) بينها كان بن يوسف حريصا منذ انطلاقة المفاوضات " على الاسراع في البت النهائي في ملفاتها المطروحة والمتعلقة أساسا بالحكم الذاتي ولهذا نجده في 18 ديسمبر 1954 يضع مذكرة لدى جامعة الدول الفرنسية (4) وهذه كانت نقطة خلاف بينه وبين بورقيبة .

كما يبعث في فيفري 1955 بخطاب شديد اللهجة الى كل من بورقيبة والمفاوضين التونسيين ودعاهم الى التشدد في مواجهة فرنسا (5) ومن هنا يمكن ان نستنتج ان بن يوسف كان متلهفا على انتهاء المفاوضات خلال زمن قصير حتى تمر البلاد الى مرحلة جديدة في علاقتها مع فرنسا فما هو تصور بن يوسف لهذه العلاقات التي ستربط فرنسا بتونس في المستقبل وما هو تحديده للحكم الذاتي الذي قبل التفاوض من أجله بعد ما كان

(1) مصدر سابق : Julien (Ch.A) et la Tunisie... Op, Cit, P:174.

(2) مصدر سابق : المنصف الشابي : صالح بن يوسف / ص 147 .

(3) بتعلة الارهاق الذي عليه الوزراء والخبراء الفرنسيين المفاوضين اذ يقضون يومهم في العمل ثم يستأنفون " التفاوض " بالليل حتى الساعة الرابعة او الخامسة صباحا (مصدر سابق : بواي دي لاتور : حقائق ص 95) في حين يرجع منداس فرانسر عشر المفاوضات الى صعوبة البت النهائي في الملفات المطروحة على طاولة التفاوض (الصباح 30 جانفي 1955) .

(4) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : 639/299

(5) نفس المصدر : 639/299.

قد صرح في ندوة صحفية عقدت بمقر الامم المتحدة في 0/10/1952 بان لا تفاوض مع فرنسا الا تحت غطاء الامم المتحدة وعلى أساس الاعتراف بالاستقلال والسيادة التونسية (1) ؟

ومن خلال هذا التصريح الذي ادلى به صالح بن يوسف ليلة احشغال العالم العربي بالسنة الميلادية الجديدة 1955 نلاحظ ان بن يوسف قد اكد على مظاهر السيادة الداخلية لتونس على ارضها مع ابقائها في دائرة الفرنك التونسي ومقارنة بين ما جاء في مذكرة الباي في 31 اكتوبر 1931 الى الحكومة الفرنسية وبين ما ورد في هذا التصريح ، نلاحظ ان بن يوسف ما زال متمسكا بهذه المذكرة التي حددت مفهوم " الحكم الذاتي " وفي نطاق الصداقة الفرنسية التونسية . وهو ايضا لم يتعد كثيرا عما ضبطه في ندوته الصحفية بتاريخ 1952/10/30 والتي جاء فيها " فلو كانت هناك مفاوضات بين تونس وفرنسا فستكون حول :

(1) - نقل السلطات الى التونسيين .

(2) - منح ضمانات لفرنسي تونس .

(3) التباحث حول معاهدة تحالف فرنسي تونسي تكون في اطار الامم

المتحدة وبمقتضاها ترتبط تونس الحرة المستقلة مع فرنسا بروابط أخرى دائمة غير الروابط الحالية " (2) . ومن هنا نستنتج ان بن يوسف الذي عايش مباشرة تجربة الحوار مع فرنسا 50 و 1951 الفاشلة كان يهدف الى الغاء اتفاقية المرسى التي تخول لفرنسا الادارة المباشرة للبلاد التونسية ومن ناحية اخرى كان يسعى الى تطوير معاهدة باردو وبذلك لا يخرج عن الخط العام للحزب الدستوري الجديد ولكن يمدد وانه قد تسرع في

(1) الارشيف الوطني بالوزارة الاولى : 1) Carton 56.D1. 175 P.

(2) نفس المصدر :

كشفت النوايا الحقيقية للتونسيين من وراء هذه المفاوضات مما اظهره في موقع "التصلب" خاصة فيما يتعلق بالأمن والتربية والقضاء والاقتصاد والمالية ٠٠٠ في حين كانت فرنسا مصرة على عدم التفريط في هذه الميادين الحساسة في الدولة كما كانت تخشى تأسيس "برلمان تونسي" قد يطعن في الاتفاقيات التاريخية الرابطة بين تونس وفرنسا ويعلن عن استقلال تونس (1) ولهذا كان المقيم العام بويبي دي لا توريري وجوب الحد "من صلوحيات" المجلس التونسي "بحيث لا يستطيع في أي حالة من احوال النظر لا في الاتفاقيات ولا في الشكل التأسيسي للدولة (2) مع وجوب المحافظة بتونس على نظام ملكي مطلق (3) اما فيما يخص الدبلوماسية والدفاع فان كريستيان فوشي (Fouchat) وزير الشؤون المغربية والتونسية قد وضع للجنة الشؤون الخارجية بان الاتفاقيات ستعزز مهمة فرنسا وستقر الوضع السائد والموجود في 31 جويلية 1954 - (4) وهكذا نتبين ان تصريح بن يوسف وضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بالمطالب التونسية في السيادة الداخلية الكاملة والتي من اجلها دخلت تونس المفاوضات "فالحكم الذاتي" خطوة حتمية نحو الاستقلال التام (5) ورغم ان السياسيين والصحافة التونسية لم يعقبوا عن هذا التصريح مما يدل على عدم تضارب مضمونة مع التوجيهات السياسية التونسية فحتى بورقيبة لم يرد مباشرة على هذا التصريح وما جاء في حديثه مع روجي ستيفان (Roger Stiphane) الصحفي في 5 جانفي 1955 فانه يكاد يكون

- تأييدا ضميا لابن يوسف ولكن في صيغة معتدلة اذ قال "فعلا وان المفاوضات
- 1) مصدر سابق: الارشيف الوطني بالوزارة الاولى : A.N.T.C.54.D.3,72.P
  - 2) (عن تقرير ايقسبروسال Ferrussel بتاريخ 16/12/1952 ص 28) انظرا ايضا جريدة ليليفارو بتاريخ 5 جانفي 1955 .
  - 3) مصدر سابق :
  - 4) ص 79
  - 5) لوبييتي متان (Le Petit Matin) 1954, 11-24 :

لا تتقدم بسرعة وذلك لرغبة الطرفين في عدم ترك أي مصدر لسوء التفاهم في الظل " ففرنسا ترفض التخلي لفائدة التونسيين عن أية نقطة تراها استراتيجية في الشرطة والقضاء ومع ذلك سوف تفرض استراتيجية الحلول الوسطى نفسها في نهاية المطاف عاجلا أو آجلا على المشبهين بالنزعة الوطنية المغالية وكذلك على غلاة الاستعمار (1) بورقيبة لم يخف عن صديقه جان رو (Jane-Rove) أملة في تحقيق الاستقلال التام لتونس ولكنه يؤجل ذلك الى وقت آخر (2) طبقا لسياسة المراحل ،ومن هنا يمكن ان نستبعد الفكرة القائلة بأن بن يوسف اراد من وراء هذا التصريح ان يلفت الانظار اليه لعله يلعب دورا اساسيا مثل بورقيبة في المفاوضات التي اقص عنها . ولكن في الواقع كان بن يوسف مطلقا عن كئيب على سير المفاوضات (3) اذ كان المنجي سليم كثيرا ما يتحول بين جنيف حيث يقيم صالح بن يوسف وسانتلي حيث يقيم الحبيب بورقيبة لاطلاع قيادة الحزب الدستوري الجديد على مجرى المفاوضات (4) ولكن يبدو ان بن يوسف اراد من وراء هذا التصريح الذي لم يات بجديد - اشارة تقاطع اهداف الطرف التونسي مع الطرف الفرنسي حول غاية المفاوضات الجارية والمتعثرة من حين الى آخر قصد خلق مناخ ضغط على المفاوضات من خلال الندوات الصحفية (5) بعد ما فقد الطرف التونسي المفاوضات اداة ضغط فاعلة " الفلاحة " بتجريدهم من السلاح وبعد ما أصبح العالم ينظر الى القضية التونسية قد سويت من قبل منداس فرانس فكان تصريح بن يوسف بمثابة

1) Bahi Ladhgam: Correspondance. P: 270. (1)

Julien (Ch. A): et la Tunisie... Op, Cit, P: 176. (2)

2) Boyer de la Tour: Verités... Op, Cit, P: 99. (3)

صدر سابق: (4)

استجواب جلولي فارسي بتاريخ 03 جانفي 1996. (5)

رسالة صالح بن يوسف الى الباهي الادغم من جنيف بتاريخ 24/11/1954

المصدر: مراسلات الباهي الادغم ص 272 ( القسم الفرنسي )

الدفاع على العودة الى طاولة التفاوض من جديد يوم 5 جانفي 1955 وكان حضور منداس فرانسر الجلسة الاولى لهذه المفاوضات اذانا باستئنافها وتأكيدا على جدية الموقف الفرنسي وتجدر الاشارة الى ان الى حد هذا التاريخ ليس هناك ما يؤكد ان بن يوسف يعتبر بوريقية العدو رقم واحد الذي يجب محاربته (1) كما ان الرجلين لا يختلفان حول الهدف النهائي وهو الاستقلال التام (2) وانما تبدلنا لهجة بن يوسف اكثر شدة في مطالبة فرنسا بالاسراع في انجاز الحكم الذاتي على اسس متينة تسمح بتحقيق الاستقلال التام بينما كان بوريقية يرحب بكل مبادرة تتخذها الحكومة الفرنسية مهما كانت صبغتها تحت شعار "خذ وطالب" كما نلاحظ ايضا ان هذا التصريح جاء في وقت كانت فيه حكومة منداس فرانسر تواجه صعوبات كبيرة نتيجة اندلاع الثورة بالجزائر وتفجر الوضع بالمغرب وتفاقم الازمة الاقتصادية والاجتماعية بتونس و اصبح المعمرون والمتفوقون يخشون نهاية الحضور الفرنسي بمنطقة شمال افريقيا لذلك اصبحوا اكثر تشددا ورفضوا لكل شكل من اشكال "التنازل" . واستغللت المعارضة الفرنسية هذا التصريح لابن يوسف وتناولته الصحف بالتحليل (3) مما كشف عن فشل سياسة حكومة منداس فرانسر المتبعة لحل "القضية التونسية" فكان سقوط هذه الحكومة في 5 فيفري 1955 باغلبية 319 صوتا مقابل 273 وكان ذلك يوم نصر بالنسبة للمحافظين وغلاة الاستعمار.

أما في تونس فقد ساد جو من الحيرة والانتظار: فالحيرة كانت حول مصير

- (1) مصدر سابق: *Le Petit Matin: 6 Janvier 1955.*
- (2) مصدر سابق: *Périer (L): la Conquête... Op, Cit P: 242.*
- (3) جاء في مقال "لجان واري قراند (Garrand) في جريدة لفيقارو (Le Figaro) بتاريخ 5 جانفي 1955 ما يلي: يظل الخطر قائما لاجل قصير نرى فيه ألا استقلال الداخلي المنزوح للأية التونسية يتحول غدا الى استقلال تام مثلما يرجوه صالح بن يوسف. فماذا يحصل للاتفاقيات المبرمة في باريس لو ان جمعية تأسيسية تونسية تجتمع وترفضها؟

الاتفاقيات التي أبرمت بين تونس وفرنسا ، أما الانتظار فكان لمن سيخلف  
منداس فرانس ؟

وانقطعت المفاوضات " من جديد وكعاد الوفد المفاوض الى تونس  
ليعقد اجتماعات ويقيم نتائج المفاوضات ، وبدأت تظهر وجهات نظر  
متباينة داخل الحزب البعثي الجديد الذي شرع في تجديد مكاتب  
الجامعات الدستورية في انحاء البلاد ...

وفي 23 فيفري 1955 وصل ادقار فور " (Edgar Fau) الى منصب رئاسة

الحكومة الفرنسية خلفا لمنداس فرانس كما اصبحت انطوال بيناي (Piney A)  
وزير الشؤون الخارجية في حين اصبحت بيبير جولي (July P) وزير  
الشؤون المغربية والتونسية .

فكيف ستعالج هذه الحكومة الجديدة المشكل التونسي والذي كان  
احد العوامل في سقوط حكومة منداس فرانس ؟ فهل ستتألف  
المفاوضات ؟ وما هي نتائجها ؟

الحكومة ادقار فور والمفاوضات التونسية العارضة :

عاد التفاوض الى بعض الاوساط السياسية التونسية (1) عند ما اعلن ادقار فور  
عن تمسك حكومته بمواصلة المفاوضات ، بينما انزعج "غلاة الاستعمار" على  
مصالحهم من اتساع نفوذ التونسيين فبلغوا موقفهم الى الحكومة الفرنسية  
عن طريق انطوان كلونا (Cahlonna) ، مؤكداين رفضهم اعتبار الفرنسيين اجانب  
في البلاد التونسية (2) ، واستؤنف المفاوضات يوم 15 مارس 1955 في "كاي دورساي"  
بباريس وبنفس الممثلين عن الجانب التونسي : الطاهر بن عمار و محمد المصمودي  
والنجي سليم وعزيز الجلولي ، اما بالنسبة للطرف الفرنسي فقد تغير الوزراء المفاوضون

بآخرين وهم السادة لوسيو س "Lacius" جيوروي (Geoffroy) وروجي سايدو (Seydoux)  
وكان العزم على انتهاء المفاوضات في ظرف اسبوعين وقد صرح الطاهر بن عمار

(1) لقد تشاءم بورقيبة كثيرا من سقوط حكومة منداس فرانس وترأى له امكانية تراجع الحكومة الجديدة  
ولو جزئيا عما مضته الحكومة السابقة للتونسيين واصبح يخشى فشل المفاوضات الذي قد يودي الى اندلاع  
الحرب في تونس من جديد وما يصحبها من قمع وتعسف في صفوف المواطنين (مصدر سابق : بورقيبة : حياتي  
ص 314/3)

في 11 افريل 1955 قبيل التحاقه بباريس لمواصلة المفاوضات بانه متفائل وانه سيصل الى نتيجة قبل رمضاء (1) غير ان صالح بن يوسف يقول في احدى رسائله الى الباهي الادغم :

" ان اصدقائنا لم يعينوا تاريخا تنتهي فيه المفاوضات فها هم يقولون على قطع المفاوضات من قبل الفرنسيين وتحميلها مسوؤلية ذلك قصد تعزيز موقف تونس على الصعيد الدولي الذي يتهيا للمؤتمر باندونج" (2) .

وفي 12 افريل انطلقت المفاوضات من جديد برئاسة ادقار فور والطاهر بن عمار ولكنها اصطدمت من جديد بخلاف الوفدين التونسي والفرنسي حول النقاط التالية :

(1) - ادارة المناطق الترابية في الجنوب : فقد تمسكت فرنسا بادارة هذه المنطقة بتعلة أن هذه المنطقة لم تكن تحت نفوذ البايات قبل الاحتلال الفرنسي وان للفضل في اعادة السلم بها يعود الى الحضور الفرنسي ولذلك لا بد من ابقائها تحت مراقبة الجيش والبوليس الفرنسي (3) ولا تخفى علينا اهمية هذه المنطقة الاستراتيجية بعد تفجر النفط في الصحراء وانلاع الثورة الجزائرية .

وكان الوفد التونسي يرفض التواجد الفرنسي بهذه المنطقة على الاقل بالنسبة لجزئها الشمالي الاهل بالسكان .

(2) - تمثيل الفرنسيين في بعض البلديات : لقد اقترح الوفد الفرنسي التعادل في عدد المستشارين البلديين الفرنسيين والتونسيين في المدن ذات اهمية من السكان الفرنسيين كبلديات فوشفيل (بن عروس) سانتجرمان (الزهراء) مقربين - طبرقة في هذا عودة الى اصلاحات مزالي وفوازار " التي رفضها الوطنيون في مارس 1954 .

- 1) Ben Salem (H) L'antichambre... Op, Cit, P 177  
2) Bahi Ladgham: carrespondance... (lettre de Salah Ben Youssef a E, Ladgham, Malte, le 2, Avril 1955, PP 282- 2 8  
3) Boyer de la tour, verites... Op , Cit, P 113
- { 1 مصدر سابق :  
2 = =  
3 = =

(3) - بعث مجلس اقتصادي مختلط ( فرنسي - تونسي ) اتفق الطرفان على احداثه واختلفا حول دوره في النظر وترتيب الميزانية التونسية اذ اسند له الطرف الفرنسي هذه المهمة في حين كان الوفد التونسي يرفض ذلك .

(4) - اللغة الفرنسية: كانت فرنسا مصرة على ان تكون لغتها اللغة الرسمية للبلاد التونسية لاكتفي بالاعتراف بها كلغة متميزة عن بقية اللغات الاجنبية " (1) باعتبار اللغة عامل وحدة مع فرنسا .  
وان امضى المنجي سليم على اتفاقية المباديء العامة رغم وصاية بن يوسف بعدم الامضاء (2) فانه تردد كثيرا امام هذه النقاط الاربعة يقول كوهين حضرية " لقد حدد ادقار فور بسرعة المسائل التي لزالمت معلقة ، فقد كان بورقيبة يريد التعجيل بالامضاء ، اما بن يوسف فكان يجذب الى الوراء بينما كان موقف المتفاوضين يتسم بالتردد وخاصة منهم المنجي سليم الذي كان اكثر تشددا من بورقيبة (3) .  
يسدل لنا ان الحكومة الفرنسية الجديدة قد ادركت الانشقاق الذي بدأ يظهر في صفوف الحزب الدستوري الجديد الذي تعتبره " القوة المنظمة الوحيدة الفاعلة في تونس " فعملت على تعمق هذا الانشقاق وحالت دون جميع الدستوريين حول موقف موحد فحزمت بورقيبة وبن يوسف من العودة الى تونس ، رغم رغبة القائدين الشديدة في ذلك ولا سيما الحبيب بورقيبة الذي كان اكثر لهفة على العودة الى تونس حيث انه يخشى من ان تشوّهه مواقف بن يوسف " المتطرفة " في عيون المواطنين التونسيين خاصة وان انتخابات اعضاء المكتب الفدرالي

1) مصدر سابق : 106 P , Cit , Boyer de la tour ; Verites... O p ,

2) رسالة صالح بن يوسف الى الباهي الادغم بتاريخ 2 افريل 1955 ( ذكرت سابقا ) .

3) مصدر سابق : كوهين حضرية : من الحماية الفرنسية ... ص 275 .

للحزب الدستوري الجديد التي جرت اواخر جانفي 1955 بتونس العاصمة واحوازها قد افرزت فوز 14 منتخبا ينتمي للشق اليساري مقابل 6 فقط ينتمون للشق البورقيبي (1) .  
ولتطويق الخلاف والظهور بمظهر الانسجام امام السلط الفرنسية وأمام التيارات السياسية التونسية الاخرى ارتفعت اصوات الدستوريين منادية بعودة الزعيمين وعقد " مجلس وطني في القريب العاجل " (2)  
كما طرح الوفد التونسي المفاوض بباريس يوم 25 مارس 1955 هذا الموضوع على الحكومة الفرنسية (3) وحتى الباي كان مهتما كثيرا بهذا الموضوع .

وقابلت السلط الفرنسية هذه النداءات بالمماطلة بل عمدت الى خلق نوع من " الحزازات " بين الرجلين فقربت بورقيبة من " المفاوضات " فنقلته من سجنه بلاقروا الى لفيبرتي / فشانغلي / وأخيرا منحته حرية التنقل في كامل انحاء فرنسا في حين اقصت صالح بن يوسف عن متابعة المفاوضات من قرب بحيث اشترط مننداس فرانس على الباي في 2 أوت 1952 الا تضم الوزارة الجديدة " وطنيين لهم علاقة (4) باذاعة القاهرة ولا وزيراً شارك في رفع الشكوى التونسية الى هيئة الامم المتحدة " ورسم المقصود هنا " بن يوسف " اكثر من غيره اذا طبقنا عليه هذه " المواصفات " كما نلاحظ ايضا ان الحكومة الفرنسية منعتة من العودة الى تونس ومن دخول فرنسا في حين سمحت له بالمشاركة في مؤتمر باندنغ (5) الذي سينعقد في الوقت الذي حددته للجلسة الختامية للمفاوضات وهو

21 أفريل 1955 .

- 1) BoBine 639/299/ Neo, Destoure en 1955 للمعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية
- 2) استجواب جلولي فارس في 13 جانفي 1996 .
- 3) مصدر سابق : المنصف الشابي : صالح بن يوسف . ص 15 .
- 4) مصدر سابق : Julien (Ch , A) : Et la Tunisie ... O P Cit , pl62
- 5) رسالة الى الباهي الادغم 1955/4/2 P 286

وهكذا نتبين ان السلط الفرنسية بقدر ما عملت على ابعادها  
بن يوسف عن مجرى المفاوضات بقدر ما عملت على " تشريك " بورقيبة  
فيها سواء عن الكواليس في عهد منداس فرانس او علنا في عهد إقرار فور  
وهذا ما جعل بورقيبة يسعى لانهاؤها بسرعة خوفا من فشلها في وقت  
بدأ فيه المناخ السياسي العام بتونس يشكك في جدوى " التفاوض "  
ف فشل المفاوضات بالنسبة لبورقيبة يعني فشله " كقائد " وفشل طرحه  
السياسي ككل فهو يوء من بأن حل القضية التونسية هو بيد فرنسا  
وحدها ولا يتم الا بطريقة سلمية عبر الحوار والتفاهم من اجل تطوير  
نظام الحماية والوصول الى تركيز " تعاون حر " بين الشعب الفرنسي  
والشعب التونسي في نطاق معاهدات صداقة وتحالف تحفظ الحقوق  
الشرعية لفرنسا بتونس (1) .

وان لم يختلف عنه بن يوسف كثيرا في هذا الطرح لا من حيث التكتيك  
ولا من حيث الاستراتيجية فهو لا يرفض " الحوار " ولا ابرام معاهدات  
صداقة وتحالف مع فرنسا من قبل دولة تونسية حرة مستقلة (2) .  
بيد انه لا يقبل بأي تنازلات " تهمر السيادة الداخلية للبلاد التونسية  
Statu-Quo " ويرفض كل مظهر من مظاهر ازدواج السيادة ذلك المبدأ  
الذي نصت عليه مذكرة 15 ديسمبر 1951 والذي حاولت السلط الفرنسية  
تمريره بتونس عبر مشاريع الاصلاحات سواء مع دي هوتكلوك او مع فوازار .  
كما بقي " غلاة الاستعمار " متشبهين به ومضطون على حكومات باريس لاحترامه .  
فتحول مبدأ ادواج السيادة مع منداس فرانس الى " حقوق مكتسبة (3) "  
وعند بورقيبة الى حقوق شرعية (4) .

كما لا يرى صالح بن يوسف حلا للقضية التونسية خارج اطار الامم المتحدة

(1) مصدر سابق :  
(2) ارشيف الوزارة الاولى : الذروة الصحفية لابن يوسف بتاريخ 1952/10/30، DL، Carton: 56، P: 175.  
(3) خطاب منداس فرانس في قرطاج بتاريخ 31 جويلية 1954 .  
(4) مصدر سابق :

تحت بند " حق الشعوب في تقرير المصير " لذلك كان يعول كثيرا على  
الرأي العام الدولي لتحقيق هذا الهدف مثلما هو الشأن لعدد الدول  
التي احرزت على استقلالها بفضل منظمة الامم المتحدة كاندونيسيا وليبيا  
والسودان .

ويحاول بن يوسف الضغط على فرنسا بواسطة هياكل ومنظمات دولية  
لا سيما جامعة الدول العربية والكتلة الافريقية الآسيوية داخل المنتظم  
الاممي . وسلاحه في ذلك لفت انظار العالم الى القضية التونسية  
عن طريق عقد الاجتماعات والندوات الصحفية وحضور المؤتمرات في  
الخارج وفي الآن نفسه خلق جو مضطرب ومتوتر في الداخل (بتونس) .  
وهذا ما يفسر :

اولا : دعوته يوم 15 مارس 1955 ( يوم انطلاق المفاوضات التونسية الفرنسية  
من جديد ) الى استئناف الكفاح المسلح " بتونس ومطالبة الدول العربية  
ومصر للتدخل ومساندة هذا الكفاح (1) وذلك قصد ايجاد اداة ضغط  
فاعلة لتوجيه المفاوضات الجارية بين تونس وفرنسا نحو تركيز  
" حكم ذاتي " يكون خطوة اساسية في طريق الاستقلال التام وبالتالي  
الحيلولة دون تمرير " استقلال داخلي صوري " يعرقل تحقيق هذا الهدف .  
ثانيا : موقفه " الجاذب الى الورا " (2) : فمن خلال رسالته الى الباهي  
الادغم بتاريخ 2 أبريل 1955 نتبين اتفاق بن يوسف مع اغلب اعضاء  
الوفد التونسي للمفاوض " الطاهر بن عمار - المنجي سليم - عزيز الجلولي  
اشناء لقائه بهم في جنيف خلال شهر مارس ان يعملوا على عرقلة سير  
المفاوضات الى حد تعليقها او قطعها ثم القاء المسوءولية في ذلك على فرنسا .

(1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية 1955 en : Destour en : 639/299/N.Boline (1)  
1955 .

(2) حسب تعبير كوهين حضرية :

(3)

فما هي الغاية من وراء ذلك؟ وما هو السبب في هذا التحول  
فبعد ما كان بن يوسف يحرض على الاسراع في انهاء المفاوضات في  
خريف 1954 ها هو اليوم يعمل على ابطاء سيرها؟  
لعل الاجابة تكمن في مشاركة صالح بن يوسف في مؤتمر باندونغ  
بصفة ملاحظ اذ كان بين يوسف ينوي اطلاع الرأي العام الدولي على عدم  
جدية فرنسا في العمل على حل القضية التونسية وعدم تقيدها  
بالمواثيق الدولية وبعدم الامتثال لقرارات الجمعية العامة لهيئة الامم  
المتحدة الصادرة في 1952 - 1953 - 1954 وبذلك يعيد القضية التونسية  
الى مركز الصدارة في الاهتمامات الدولية وفعلا اصبح الوفد التونسي  
المفاوض اكثر ترددا في ابداء موافقته على الحلول المقترحة بتعلة  
صعوبة التفاوض في شهر " رمضان " في حين كان الطرف الفرنسي يريد  
ان يصل الى اتفاق اخير ونهائي قبل ان ينهي المؤتمر في باندونغ  
اشغالهم .

وأمام رفض الوفد المفاوضات اقرار ما جاء في المقترح الفرنسي حول  
تنظيم البلديات في تونس وكيفية تمثيل الفرنسيين بها باعتبار ذلك  
مسا في السيادة الداخلية . وتمسك المنجي سليم بمعارضة ما يعرف  
بالفصل السادس وكادت المفاوضات تنقطع حسب الخطة المرسومة بين  
المنجي سليم وصالح بن يوسف لولا تدخل بورقيبة السريع لانقاذ  
الموقف بعد مكالمة هاتفية من شارل سومانيمو (Soumagne) (2)  
لفرنسا كانت تخشى " القطيعة لأن في ذلك " السير بها نحو طريق  
البحر " (3) ليس من تونس فحسب بل من كامل منطقة شمال افريقيا ،

(1) مصدر سابق: Ladgham(B):Correspondance...Op,Cit,P: 283.

(2) صومانيو: صحافي فرنسي استطاع ان يخلق علاقات متينة مع كل التيارات السياسية التونسية  
لعب دورا هاما في تقييد وجهات النظر بين الاطراف المفاوضة .

(3) عبارة استعملها الدقار فور لي عبر بها عن مصير الفرنسيين في مستعمرتهم " شمال افريقيا " وردت في كتاب  
بوابي دي لا تور: حقائق... ص 113 .

لانها كانت تنظر الى ما يجري في القضية التونسية بمثابة الانموذج لبقية  
اقطار شمال افريقيا وهذا ما يفسر مواقفها "المتشددة" في هذه القضية.  
اما بورقيبة فبدوره كان يخشى "القطيعة" التي تعني له "الحرب" كما تعني له انتصار "الشق  
المتصلب في الحزب: صالح بن يوسف والمنجي سليم. وهذا ما يفسر تدخله في آخر لحظة لدفع  
المفاوضات من جديد هباشرة بينه وبين ادقار فور رولو ليس له صفة رسمية في التفاوض.  
لقد كان بورقيبة قد التقى يوم 18 افريل بـ ادقار فور رئيس الحكومة الفرنسية  
في سال سانت -كلود (Celle Saint-Cloud) بحضور المقيم العام بواي دي لا تور لتدليل  
نقاط الخلاف بين الطرفين المتفاوضين وكان بواي دي لا تور متمسكا بعدم قبول اعتبار  
الفرنسيين اجانب بتونس في حين وعده بورقيبة على "الشرف" بأن يكرنوا متميزين  
الا ان بواي دي لا تور ابدى رفضه متعللا بحساسية موقفه امام معارضي صالح بن يوسف (1)  
وفي 21 افريل التقى بورقيبة للمرة الثانية علنا مع ادقار فور بنزل ماتيون (-Matig non) على انفراد  
لمدة ساعة ونصف وكان البشير زرق العيون في صحبة بورقيبة لحراسته (2).  
ولفض الخلاف اقترح ادقار فور على بورقيبة "قسمة" على نصفين "ويعني بذلك تنازل  
كل طرف على نقطتين من نقاط الخلاف الاربعة. وصعب الامر على بورقيبة الذي  
كان يدرك جيدا ان اقرار فور وحكومته سيكونان اول الخاسرين في حالة فشل هذا  
اللقاء لذلك حاول البحث عن صفة تنقذ الجميع من المأزق وكان شارل صومان قد  
اجتهد معه ليلة موعده لقاؤه بـ ادقار فور في ايجاد هذه الصفة التي  
جاءت لتعدل من الفصل السادس للاتفاقيات "تتعترف كل من فرنسا وتونس  
للتونسيين في فرنسا وللفرنسيين في تونس بحقوق خاصة ومتميزة عن  
الحقوق المعترف بها لبقية الاجانب" (3).

وهكذا تم الاتفاق بين الطرفين على ان ممثلي الحكومة الفرنسية  
ومثلي الباي اتفقا على تحديد كيفية الاستقلال الداخلي الذي سيحظى

(1) نفس المصدر: حقائق: ص 114. • Bourguiba(H): MA Vie...Op,Cit, P: 316.  
(2) Bessis(S) et Belhassen(S): Bourguiba...Op,Cit,P:152.

لتونسر بدون تضييق ولا تحديد الا ما نتج عن الاتفاقيات  
والبرتكولات الاضافية " (1) كما ضبط يوم 30 ماي للتوقيع على  
هذا الاتفاق .

وبقي السؤال مطروحا : هل كان بورقيبة على علم بمخطط بن يوسف  
والمنجي سليم لافشال المفاوضات ، فعمل على احباطه ليظهر من وراء  
ذلك امام فرنسا " كصاحب فضل عليها " ومن ناحية اخرى ليعزز في  
صورة الزعيم الوحيد للحركة الوطنية والمتحكم في مصير البلاد  
التونسية وفي ذلك ضرب لمنافسه بن يوسف وتجاوز اللباي وشرعيته ؟  
ومن ناحية اخرى يمكن ان نتساءل ايضا هل نجحت فرنسا  
في تحويل الصراع بينها وبين الوطنيين التونسيين الى صراع  
داخل هذه الحكومة نفسها ؟

---

(1) الصباح : 22 أفريل 1955 .

## الباب الثالث : مراحل الحركة اليوسفية :

يعتبر صالح بن يوسف المؤسس الأول للحركة اليوسفية التي سرعان ما تجاوزت شخصه لتشمل نسبة هامة من المجتمع التونسي من مختلف الأعمار والفئات والتيارات الفكرية والسياسية ...  
ولذا يمكن ان نتبين ثلاث مراحل لهذه الحركة التي ظهرت كحركة معارضة لاتفاق 21 أبريل 1955 وكلمما تولد عنه من اتفاقيات تعرف باتفاقيات 3 جوان 1955 .  
فالمرحلة الأولى كما يبدو لنا تمتد من ربيع الى صيف 1955 وهي مرحلة ظهور الخلاف ومحاولة تطويقه .  
أما المرحلة الثانية فيمكن اعتبار خطاب جامع الزيتونة في 7 أكتوبر 1955 بداية لها لتقف عند مؤتمر صفاقس 17 نوفمبر 1955 وهي مرحلة الصراع المعلن وتكوين الصفوف : الصف البورقيبي والصف اليوسفي .  
وأخيرا يمكن اعتبار المرحلة الثالثة بداية من مؤتمر صفاقس الى الاعلان عن برتكول الاستقلال في 20 مارس 1956 وهي مرحلة تداخلت فيها الحرب الأهلية مع " حرب التحرير " .  
أ) - المرحلة الأولى من ربيع الى صائفة 1955 :

من الصعب ان نثبت اندلاع الخلاف بين بن يوسف وبورقيبة فيما قبل اتفاق 21 أبريل 1955 رغم ان بورقيبة كثيرا ما يلمح الى وجود هذا الخلاف منذ سنوات عديدة (1) الا اننا لا نجد ما يشير الى هذا الخلاف الشخصي من خلال تصريحات بن يوسف في ندواته الصحفية ولا من خلال مراسلاته .  
فيبقى القول بان هذا الخلاف كان في وجهات النظر الناتجة عن قراءة كل واحد منهما الواقع التاريخي الذي هو فيه ان ينطلق بن يوسف من (1) من الملاحظ ان هذه التصريحات جاءت بعد نهاية الحركة اليوسفية .

مذكرة 31 أكتوبر 1951 المتشبهة بالسيادة الداخلية التامة " ومن قرارات مؤتمر الحزب في 18 جانفي 1952 المطالبة بالاستقلال التام ، ولذلك ناشد بن يوسف الباي والحكومة التونسية بعدم التوقيع على اتفاق 21 أفريل لأنه لا يلبي مطالب الشعب التونسي ، كما طالب هذا الشعب بأن يرفض الاتفاقيات النهائية الموقعة بين تونس وفرنسا في 3 جوان 1955 وأن لا يقبل استقلالا داخليا " في ظرف أقدان فيه العالم الاستعمار (1) بينما ينطلق بورقيبة من برنامج المعتدل ذي سبعة نقاط الذي عرضه على حكومة باريس في أفريل 1950 وقد جاء في النقطة السادسة منه : احداث بلديات منتخبة بها ممثلون عن المصالح الفرنسية وذلك في جميع الجهات التي توجد بها اقلية فرنسية (2) ولذلك كان بورقيبة يتهم بن يوسف " بالتطرف " وأنه قفز على الواقع واصبح يسبح في الخيال وهو يريد حرق المراحل للضغط على فرنسا (3) .

فهل هناك قفز على الواقع أو احتساب لمعطيات جديدة لم يأخذها بورقيبة بعين الاعتبار ؟

1- ما هي المعطيات الجديدة التي ظهرت في منتصف الخمسينات ؟:

أ- على الصعيد العالمي :

\* اندلاع الثورة الجزائرية في 1 نوفمبر 1954 .

منذ 1830 احتلت فرنسا الجزائر واعتبرتها جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي غير ان معاملتها للسكان غير معاملة الفرنسيين فالجزائريون هم رعايا مسلمين مستعمرين وهذا ما نسمى الشعور الوطني لديهم فتكونت

(1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Service historique de l'armée de terre) Série 2 H, Dossier 151, Dates : 1955/05 - 1955/05 - 1955/12

(2) برنامج بورقيبة ذو الاسبع نقاط (ذكر سابقا) .

(3) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية 1955 : (Bohine 639/299/N. Destour en 1955)

الاحزاب والمنظمات بالداخل والخارج خاصة في الثلاثينات واثار الحرب العالمية الثانية ( مثل نجم شمال افريقيا بجمعية علماء المسلمين - حزب الشعب الجزائري - جمعية انتصار البيان والحرية - حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية . . . ) ومنذ 1953 ظهر الشقاق داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية ( V.L.D ) التي اسسها مصالي الحاج ( 1 ) في 1946 وقد انجر عن هذا الانشقاق ميلاد جمعية التحرير الوطني ( F.L.N. ) ( 2 ) وفي مارس 1954 تكونت " اللجنة الثورية للوحدة والعمل " التي ستشرف على تنظيم المقاومة المسلحة بالداخل والخارج لمدة سبع سنوات .

يوم 1 نوفمبر 1954 اندلع " الكفاح المسلح " بالجزائر في وقت كان

( 1 ) مصالي الحاج : مضال جزائري ولد بتلمسان في 16 ماي 1898 من عائلة فقيرة عمل بالخدمة العسكرية بفرنسا وعاد الى الجزائر في 1921 ثم هاجر الى فرنسا في 1923 اشتغل في عدة مهين متواضعة وانخرط في جمعية " نجم شمال افريقيا " كما انخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي الذي انسلك عنه في 1926 حوكم في 1934 وفي 1935 بالنفي الى سويسرى وبعدها عاد الى الجزائر حيث اسس حزب الشعب الجزائري في 1937 القى عليه القبض وحوكم لمدة سنتين سجنا ثم اطلق سراحه ليعود الى السجن من جديد في 1939 ، ثم حوكم في 1941 بستة عشر عاما اشغال شاقرة قضى بعضها في جنوب الجزائر وبعضها منها في برازافيل ثم اطلق سراحه في 1946 فعاد الى الجزائر حيث اسس حركة انتصار الحريات الديمقراطية ثم وقع طرده من بلاده في 1954 ليعيش في فرنسا دون ان يفصل عن قضية الجزائر الى تاريخ وفاته .

سنة 1974 . ( المصدر ) Harbi ( M ) : aux origines du F. L. N. op. cit pp 312 - 314

( 2 ) نفس المصدر : ص 60 .

يهدو الوضع فيه هادئا (1) وكانت فيه الانشقاقات تعصف بالتيارات السياسية متباينة التوجهات الايديولوجية ، فأدهش العالم لا سيما وان المقاومة المسلحة انفجرت في عدة مواقع متباعدة بالتراب الجزائري وفي نفس الساعة (2) مصحوبة بنداء للشعب الجزائري يوضح الاهداف ووسائل العمل لتحقيق الاستقلال الوطني في اطار الشمال الافريقي " وذلك باقامة " الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات سيادة ضمن مبادئ اسلامية " (3) .

وانطلق الكفاح المسلح " بالداخل في الاوراس ، قسنطينة ، القبائل تلمسان ... حين كان العمل السياسي بالخارج بحثا عن تحالفات في العالم الاسلامي والافريقي فجاء الدعم للقضية الجزائرية من خلال توصيات مؤتمر بانكوك ونيويورك في افريل 1955 وكانت المساندة الدولية لها عبر تسجيلها في جدول اعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ 1955/9/30 وكانت فرنسا تعتقد في البداية ان هذه الثورة " ما هي الا مجرد " عمل عصيات من الفلاحة " تسربت من التراب التونسي لاحداث " الشعب " في الجزائر (4) . ولكن يتصاعد نشاط المجاهدين الجزائريين في ربيع 55 خاصة بالمواقع الحدودية التونسية ، ادركت فرنسا ان الثورة الجزائرية

---

(1) حسب شهادة المسؤولين الفرنسيين في اكتوبر 1954 (انظر كتاب بوايي دي لا تور حقائق ... ص 89)

(2) Rey - Goldzeiguer (A) : "Reflexions sur le déclenchement de la lutte armée en Algérie, le 1er nove. 1954 : Continuité ou rupture", Les cahiers de Tunisie. Tome XXIX, n° 117 - 118

3e et 4e trimestre, Tunis 1981, pp 367 - 383 (3) مصدر سابق :

(3) Guy de Carmoy : Les politiques, opcit p. 201

(4) Ageron (Ch. R) : "l'insurrection du 20 aout 1955 en Algérie, de la résistance armée à la guerre du peuple ; Actes du VII<sup>e</sup> colloque international sur la résistance armée en Tunisie aux XIX<sup>e</sup> et XX<sup>e</sup> S." (18, 19 et 20 nov. 1993) Publication de la I. S. H. M. N. ; Tunis 1995 pp 205 - 223.

هي " حرب تحرير " تزواج فيها العمل السياسي بالعمل العسكري ( FLN / ALN ) ( 1 ) وخشيت فرنسا على وجودها بمنطقة شمال افريقيا ككل في صورة وحدة الكفاح المسلح بين اقطارها الثلاثة ( تونس والمغرب والجزائر ) فعملت على عزل الجناحين عن القلب " حسب عبارة الطاهر الاسود بمعنى انها حاولت اتخاذ سياسة مرنة مع تونس والمغرب بتقديم بعض التنازلات فيما يتعلق بالادارة المباشرة للمستعمرتين وذلك من خلال اتفاقيات 3 جوان 1955 بالنسبة لتونس ومفاوضات ايكس ليبان في نوفمبر 1955 بالنسبة للمغرب في حين سعت الى عزل الجزائر عن بقية اقطار المغرب العربي فهي لا تشوي التنازل عنها " فهي جزء من فرنسا " كما صرح بذلك سوستال " الحاكم العام الجديد للجزائر سنة 1955 : " ان فرنسا لن تغادر الجزائر ابدا كما انها لن تغادر البروفانسي او بريطانيا ( الفرنسية ) " ( 2 ) ولذلك حاولت حصر جهودها العسكرية في الجزائر لقمع الثورة واستئصال الكفاح المسلح فأعلنت حالة الحصار في افريل 1955 كما الحققت الجنود الفرنسية الذين كانوا بالمانيا والهند الصينية بالقوات العسكرية الفرنسية المتواجدة في الجزائر فارتفع عدد الجنود من 50 الف جندي الى 120 الف ( 3 )

تسبيل احداث 20 و 21 اوت 1955 .

فهل ادرك بن يوسف اهمية الثورة الجزائرية في تحويل ميزان

القوى في منطقة شمال افريقيا فراهن عليها ؟

ليس من المستبعد ان تكون لابن يوسف المقيم بمصر علاقات مع بعض عناصر

( 1 ) ( F.L.N. ) جبهة التحرير الوطني ( A.L.N. ) جيش التحرير الوطني .

( 2 ) مصدر سابق : Guy de Carmoy : Les politiques... op, cit, p. 202 ( 2 )

( 3 ) نفس المصدر : ص 203 .

من جهة التحرير المتواجدة بالشرق خاصة احمد بن بلة (1) ولوعن طريق جمال عبد الناصر<sup>(2)</sup> الذي كان يدعم حركات التحرير بشمال افريقيا ويدعو الى وحدتها . كما لانسي ان بن يوسف قد ترأس وفد للمغرب العربي الى مؤتمر بانكوك والذي يضم عناصر جزائرية ( حسين آيت ، احمد و محمد اليزيد ) فهو اذن على دراية باهداف الثورة الجزائرية ، ومن هنا يمكن ان نستنتج الهمية التي يعطيها بن يوسف للثورة الجزائرية وهذا ما نلمسه من خلال خطابه بجامع الزيتونة في 10/7/1955 والذي دعا فيه الى وحدة الكفاح في المغرب العربي لتحقيق الاستقلال التام .

\* - مصر وقضية شمال افريقيا :

لقد اصبحت مصر قبلة زعماء الحركات الوطنية المغربية منذ تأسيس جامعة الدول العربية في 1945 واتخاذ القاهرة مقرا لها واثرت ثورة يوليو 1952 وانتصار الضباط الاحرار ، وتدعم تواجد اللاجئين والمهاجرين المغاربة بمصر ولم تبخل الحكومة المصرية على الوافدين بالدعم المادي والمعنوي والذي تضاعف بعد ما اصبحت جمال عبد الناصر (2)

1) احمد بن بلة من مواليد 1918 بمارنية ( وهران ) ينتمي الى عائلة ريفية عمل بالجيش الفرنسي انخرط في حزب الشعب الجزائري ، اصبحت مستشارا بلديا في مارنية 1947 كما اصبحت احد عناصر المنظمة الخاصة المنبثقة عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية . القي عليه القبض في 1950 وحوكم بالاشغال الشاقة وفر من السجن 1952 والتحق بالقاهرة حيث اصبحت المسئول عن تمويل الثورة الجزائرية بالسلاح بعد اندلاعها في نوفمبر 1954 واعتقل في 1956 ثم اطلق سراحه بعد اتفاق ايفيان ( Evian ) ثم اصبحت اول رئيس للجمهورية الجزائرية في 62 واطيح به في 1965 ثم انقلاب عسكري في جوان 1965 .

2) جمال عبد الناصر من مواليد 1918 بالاسكندرية ( مصر ) من عائلة متواضعة درس الحقوق ثم انقطع ليلتحق بالاكاديمية العسكرية ، لبع في حرب فلسطين 1948 ، اصبحت المنظمة السرية " الضباط الاحرار " التي تمكنت من الاطاحة بالملوكية في 23 يوليو 1952 . رئيس مجلس الثورة في 52 ، رئيس الجمهورية المصرية في 1956 ثم رئيس الجمهورية العربية المتحدة في 58 من ابرز مؤلفات فلسفة الثورة ، ثورةنا الاجتماعية " ميثاق العمل الوطني " ، التحول العظيم " ، الاشتراكية " .

رئيس مجلس الوزراء سنة 1954 . لقد آمنت مصر عبد الناصر

بالقومية العربية باعتبارها " قوة سياسية اجتماعية اقتصادية تجمع

اجزاء الوطن العربي الكبير الواحد في ظل كيان سياسي عام

مشترك تتحقق في ظله العدالة الاجتماعية لافراد الامة جمعاء" (2)

ومن هنا كانت تعمل على مقاومة الاستعمار ( الامبريالية والصهيونية )

في جميع أنحاء الوطن العربي سواء في المغرب او في المشرق كما

ابتدت تأييدا واسعا لقادة الحركات الوطنية المغربية فمكنتهم من

تبليغ ارائهم من خلال اذاعة صوت العرب و ساندت " قضايا شمال افريقيا

في المحافل الدولية ( منظمة الامم المتحدة و مؤتمر بانكوك ونغ ...

كما عملت على تمويل المقاومة المسلحة بالمغرب العربي بالمال والسلاح .

وهكذا اصبحت مصر متهمه في نظر الغرب وخاصة فرنسا باثارة

الاضطرابات والتوتر في منطقة شمال افريقيا وكانت مصر تهدف من وراء

ذلك الى ان يكون لها دور سياسي على الصعيد العالمي والاقليمي خاصة

في حل القضية الفلسطينية فبتأييدها لقضايا المغرب العربي تضغط

مصر على فرنسا و حصلت على تغيير سياستها المعتمدة في الشرق

الاورس ولا سيما موقفها في القضية الفلسطينية ونستنتج ذلك من خلال

مفكرات فتحي الديب الذي يقول فيها : " فالمقصود هو الوصول الى

تفاهم مصري فرنسي يخدم سياسة مصر التحررية وذلك حسب النقاط التالية :

- الحد من امداد فرنسا اسرائيل بالسلاح وعدم السماح لاسرائيل بتجنيد

وتدريب بعض يهود فرنسا .

- عدم السماح بهجرة الجالية اليهودية في شمال افريقيا الى اسرائيل

---

(1) عبدالرحمان البزاز : دفاع عن العروبة " كتاب العربي " اراء و دراسات في الفكر القومي

العدد الثامن 15 يوليو 1985 ص ص 79 - 85 .

- استمرار فرنسا في سياسة معارضة حلف بغداد . وعدم اتخاذ  
سياسة في الشرق الاوسط تتعارض مع سياسة مصر التحريرية .  
- المساعدة في حل قضية فلسطين بما يتماشى وأمني الشعب العربي  
الفلسطيني .

- العمل على تحسين الميزان التجاري بين مصر وفرنسا مع ايقاف  
الحملة الصحافية والاذاعية الفرنسية ضد مصر " (1) .  
ومن ناحية اخرى كان جمال عبد الناصر يبحث من وراء مواقفه " المتميزة "  
ان يصبح الوجه البارز في مصر وفي الوطن العربي (2) باقامة  
مخالفات جديدة في داخل البلدان العربية وخارجها وقد تجسد هذا  
التوجه بخلق علاقات مباشرة مع قادة الحركات الوطنية العربية او  
الافريقية بانجاز مؤتمر بانكدونج .  
\* مؤتمر بانكدونج ومناهضة الاستعمار :

انعقد مؤتمر بانكدونج " بانكدونوسيا في افريل 1955 واشترك في اعماله  
بندوبون عن 29 دولة اسيوية وافريقية " يبلغ عدد سكانها نصف  
سكان الكورة الارضية ) معظمها كانت قبل 10 سنوات مستعمرة او شبه  
مستعمرة من قبل الدول الاروبية ، ولم توجه دعوة حضور المؤتمر  
لاي دولة " بيضاء " (3) واقتصر الحضور على دول آسيوية وافريقية من بينها  
اندونيسيا الصين - الهند - الباكستان ومصر وقد حضر هذا المؤتمر  
بصفة ملاحظ وفد عن شمال افريقيا يتركب من صالح بن يوسف - طيب سليم  
الظاهر عميرة عن تونس وشهاب غلال الفاسي وعبد المجيد بن جلون من  
المغرب ومحمد اليزيد وحسين آيت احمد عن الجزائر (4) وكانت فرصة لناضلي

(1) فتحي الديب " مفكرات فتحي الديب : تطوير عمليات تهريب السلاح محلة مصر (دون تاريخ) ص 8 .

(2) مصدر سابق :

(2) Anouar AbdelMalek : la pensée politique arabe

op, cit p. 115

(3) = = موريس كروزبي : تاريخ الحضارات العام ص 768 .

(4) الصباح : 11 ماي 1955 .

المغرب العربي لطرح قضايا تحرره من الاستعمار الفرنسي امام  
لجنة حقوق الانسان التابعة للمؤتمر (1) وقد صرح سوكارنو (رئيس  
جمهورية اندونيسيا) : " كيف لنا ان ندعي ان الاستعمار لفظ  
الفاسه طالما ان اقطارا واسعة في آسيا وافريقيا لم يتم تحريرها بعد  
ولم تنل استقلالها ؟ " وعندها راح نهرو ( رئيس وزراء الهند ) يؤكد  
: " ان آسيا تؤكد رغبتها بمد يد المساعدة لافريقيا " (2) و صدر  
عن الوفد التونسي اثناء اقامته بجندونج بيان يطالب المؤتمرين  
بوضع سياسة عملية للقضاء على مواقع الاستعمار الفرنسي بشمال  
افريقيا . و يطالب البيان ايضا بضرورة شن حملة افريقية آسيوية من  
اجل ان لا يبقى حق الشعوب في تقرير مصيرها شعارا خاليا من أي  
محتوى و يقتح ان تكون منظمة الامم المتحدة مسرحا لهذه الحملة (3)  
وقد نجح صالح بن يوسف في كسب تعاطف المؤتمرين في باندونج  
عند ما ابدى علنا عدم موافقته على اتفاق 21 افريل الذي تم بين بورقيبة  
و ادقار فور و طالب بعدم التوقيع عليه (4) .  
وهكذا نظرت الجلسة العامة للمؤتمر في لائحة مصرية تطالب  
بالبحث بسرعة عن حل عادل و سلمي لقضايا شعوب المغرب و الجزائر  
و تونس في نطاق حقوقهم في تقرير مصيرهم . . . .  
و تمت المصادقة عليها بالاجماع (5) و قد اعتبرت فرنسا ذلك تدخلا في  
شؤونها الداخلية .

وكما لم يرحب الغرب بنتائج المؤتمر ولا بفكرة باندونج لافي الميدان  
السياسي ( الحياد و مناهضة الاستعمار و رفض الهيمنة السياسية "

- (1) مصدر سابق : المنصف الشابي : صالح بن يوسف / ص 156 .
- (2) = = : موريس كورزيبي : تاريخ الخضارات : ص 768 .
- (3) = = : المنصف الشابي / صالح بن يوسف . ص 156 .
- (4) le petit matin : 26 avril 1955
- (5) مصدر سابق : المنصف الشابي / صالح بن يوسف . ص 158 .

ولا في الميدان الاقتصادي ( الاستقلالية في المجال الاقتصادي ودعم التعاون بين الدول والشعوب الافريقية والاسياوية ) وربما هذا ما يفهمه العدوان الثلاثي ( فرنسا وبريطانيا واسرائيل ) على مصر في اكتوبر 1956 . وعمل الغرب على تغذية الكراهية ضد ناصر سوكارنو - كيتا ونكروما (1) وهكذا نلاحظ ان في منتصف الخمسينات تكونت مجموعة دول عدم الانحياز كقوة عالمية جديدة مناهضة للاستعمار حاولت تهني " حركات التحرر " في العالم لا سيما في افريقيا وآسيا ولا يمكن لنا ان ننكر ايمان بن يوسف بثقل هذا القطب العالمي الثالث في تحديد السياسة العالمية وتعديل ميزان القوى بين الشرق والغرب وهذا ما جعله يراهن عليه في الدعم المادي ( المال والسلاح ) والمساندة السياسية ( في المطالبة بالاستقلال التام . فهل يتمكن بن يوسف من الحصول على هذا الدعم عند دخوله في صراع مفتوح مع بورقيبة ؟

ب- على الصعيد الداخلي :

لقد تغيرت ملامح البلاد التونسية في منتصف الخمسينات عما كانت عليه في السابق .

١- تفقم الازمة الاقتصادية والاجتماعية ( 1954-1955 ) .

لا اريد ان اعود الى ما ذكرت سابقا ولكن تجدر الاشارة الى ان الاقتصاد التونسي لم يعد قادرا على تحمل :

١- اولاً : انعكاسات ازمة النظام الرأسمالي " الكلاسيكي " التي كانت تعيشها فرنسا والتي تزامنت مع التزامات هذه الاخيرة بتوفير تمويلات مالية اضافية لفائدة الحلف " الاطلسي " من ناحية ولتعزيز جهودها العسكرية

( ١ ) سمير امين " في الذكرى الثلاثين لمؤتمر باندونغ " اطروحات العدد : 9 اكتوبر 1985 ص 7 و 12

قصد المحافظة على ما تبقى من " امبراطوريتها الاستعمارية

بعد ما استقلت الهند الصينية ...

ثانيا : مواجهة ازمة النظام " التقليدي " الناتجة عن التفلغل

الاستعماري وتتالي سنوات الجفاف في 1954 و 1955 بحيث كان الجفاف

اشد وطأة على سكان الوسط والجنوب التونسي .

وقد ادت الظروف الاقتصادية الصعبة الى ارتفاع عدد العاطلين الى

اكثر من 267 الفارب عائلة هوفي حالة بطالة " حسب تصريحات

وزير الشغل السيد الشاذلي رحيم في 5 ماي 1955 (1) الى جانب

انتشار المجاعة بصفة مهولة جعلت المنظمات السياسية والمهنية

التونسية تسعى الى بعث " جمعية التضامن القومي لمقاومة البؤس

والمجاعة " برئاسة محمد شنيق وقد عملت على جمع التبرعات لفائدة

المتضررين من البطالة والجفاف (2) .

كما بادرت فرنسا بتقديم مساعدات عينية من القمح والشعير قام الوزير

الاول الطاهر بن عمار بتوزيعها على سكان الجنوب مذكرا بفضل فرنسا

على تونس لتجاوز ازمته الاقتصادية قائلا : " يجب على التونسيين

الدفاع على مصالح فرنسا اكثر من دفاعهم عن مصالح التونسيين "

فلتحيا تونس ولتحيا فرنسا (3) .

ولكن التونسيين وخاصة سكان الجنوب والوسط " الجياع " لا يشاطرون

الطاهر بن عمار ولا اعضاء حكومته (4) الرأي " في فضل فرنسا

عليهم " فكيف يؤيدونهم ؟ وهم يرون اخصب اراضيهم وقد تحولت

الى ايدي المعمرين في حين وضعت امامهم " الحواجز القانونية "

التي تحد من تحركاتهم ومجال تنقلهم وراء اغنامهم ( الانتجاع )

(1) الصباح : 19 ماي 1955 .

(2) : 22 فيفري 1955 .

(3) مصدر سابق : l'antichambre... op, cit, p 1276 (3) Ben Salem (M) :

(4) صرح النجى سليم اثناء زيارته لقرية ارضة بصحبة المشير بن محمد والمستين الى مدنين وتطاوين 2 مارس 1955  
لولا فرنسا ما كانت لكم حكومة مستقلة وما كان لكم استقرار هنا نفس المصدر / ص 176 .

ففرنسا حرمتهم من تلك الحرية التي كانوا يتمتعون بها في ظل نظامهم القبلي الذي عملت على تفتيته بكسر شوكتهم واجبارهم على " الاستقرار " فهم يرفضون الحضور الاجنبي وكل ما يرمز اليه من جنود ومعمرين وبوليسر والمتذيلين للاستعمار من التونسيين .

وقد عبرت حركة " الفلاحة " عن هذا الرفض وعن استحالة التعايش السلمي بتونس بين الفرنسيين الذين يتمتعون بالقوة الاقتصادية والنفوذ العسكري والسياسي وحماية القانون وبين الاهالي الذين اصبح معظمهم ليسرله ما يخشى عليه نتيجة الفقر والبطالة .

فمنذ مطلع 1952 اصبح التونسيون عرضة لعمليات القمع والحملات العسكرية وما يصحبها من ترويع لأطفالهم ونساءهم واهدار مؤنهم والعبث بشرفهم والحط من كرامتهم . كما اصبحت قاداتهم في الحركة الوطنية اما عرضة للاعتقال والنزج بهم في السجون والمنافي والمحتشدات او هدفا لنشاط " اليد الحمراء " التي قامت بالتصفية الجسدية للعديد من الوطنيين كفرحات حشاد والهادي شاكرو والاخوين اولاد حفوز . .

وبقي القائمون بهذه الجرائم بدون عقاب ، فانتشر الشعور بالظلم في صفوف الاهالي نتيجة غياب القانون الذي ظهر لهم وكأنه لا يطبق الا عليهم . كما اختل الامن نتيجة تصاعد موجة الكره التي تجسدت في الارهاب والارهاب المضاد .

فليس من السهل ان تقنع هؤلاء بضرورة استمرار " نظام الحماية " مهما كانت التعديلات التي ادخلت عليه لتطويره .

\* تجذر الحركة الوطنية التونسية في منتصف الخمسينات :

لقد عملت الاحزاب والمنظمات التونسية طيلة نصف قرن على توعية الشعب التونسي وتحسيسه بما يدور حوله عن طريق وسائل الاعلام والتثقيف من صحف واتصال مباشر واذاعة . . .

الا ان مشاركته التلقائية في " حركة الفلاحة " ساهمت في اخراجه من موقف الا مبالاة وحالة التهميش وجعلته يشعر باهميته في الحياة السياسية التي لم تعد حكرا على " النخبة المثقفة " واصبح الشعب التونسي يهتم كثيرا بالعمل السياسي فانخرط في الاحزاب والمنظمات الاجتماعية وتبرع بما يقدر عليه لفائدة للحركة الوطنية وحاول الحزب الدستوري ان يستفيد من هذا الوعي الوطني ليظهر امام الرأي العام الفرنسي والدولي كقوة سياسية ممثلة الشعب التونسي " فسارع ببعث الشعب والجامعات الدستورية في انحاء البلاد فمثلا لوعدنا الى تاريخ تأسيس الشعب الدستورية بالجنوب التونسي لوجدنا معظمها يعود الى ما بين 1950 و 1955 وقد منحت رئاسة عدد منها الى قادة الفلاحة (القدامى (1)).

وفي 15 مارس 1955 اصبح الحزب يضم 28 جامعة دستورية (بالاضافة الى جامعة باريس) تجمع حوالي 566 شعبة يبلغ عدد منخرطيها قرابة 207.800 منخرط منهم 22.850 لهم نشاطات سياسية (مناضلون) (2). اما في الجنوب التونسي فقد ركز الحزب الدستوري الجديد جامعات (1) جامعة الاعراض : وتضم 14 شعبة وهي شعبة جارة - المنزل - النحال بوشمة - تبلبو - شنفي - عين زريق - مطرش - الزركين - كتانة - المطوية وذرغ - مارت - السدرية - وتضم الجامعة 8.000 منخرط ، يترأسها عبدالله جراد وكان السادة علي بن الصادق بوشريكة كاهية ، وعمر الغنوشي امين مال عام وصالح بن احمد الشين امين مال و محمد الطرابلسي امين مال مساعد .

(1) استجواب عبدالله الغنوشي : من مواليد قابس مناضل دستوري تقلد عددا مسوء وليات في شعبة جارة

(2) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : 1955 - NiDestaw / 639 / 299 B :

(2) جامعة الحامة : وتضم 10 شعب ( الدبدابة - القصر - اولاد عمر -

الزوي - الخرجة - مطط - فطناسة - اولاد خليفة - الشيباب - الشعل  
والبقلة ) وكانت تجمع 40000 منخرط ، يرأسها محمد لعطر .

(3) جامعة جربة : وتضم 11 شعبة ( حومة السوق - ميدون - محبوبين -

قلالة - الجيم - بني <sup>ال</sup>دريس - مقلية - المايكة - سدويكشر - الحسان -  
والولاق ) تجمع 20000 منخرط .

(4) جامعة الجريد : وتضم 5 شعب ( توزر - نفطة - دقاش - كريس -

رماغزة ) يرأسها موسى الرويسي تم تأسيسها في 26 جانفي 1955  
من طرف عهد العزيز الرباعي (1) .

أما بقية المناطق فهي تراب عسكري تحت مراقبة الجنرال ( "Guillebon"

وعموما تبقى نسبة تواجد الحزب الدستوري الجديد ضعيفة بالجنوب

التونسي رغم انه اكثر انتشارا من الاحزاب الاخرى كالحزب الدستوري القديم

او الحزب الشيوعي التونسي وقد كان اغلب سكان الجنوب مع الكفاح

المسلح وخاصة ان المفاوضات كشفت عن تمسك فرنسا بالجنوب كمنطقة

عسكرية .

لقد اعتمد الحزب الدستوري الجديد على الدعاية الى طرحه السياسي

" المعتدل " القائم على الحوار وسياسة " خذ وطالب " الى جانب الترغيب

والتهريب " ولكن هذا الطرح اصبحت محل نقاش حتى من الدستوريين انفسهم

بعد تجربة الكفاح المسلح " 1952-1954 وقد جاء في تقرير لصالح

بن يوسف بتاريخ 14/2/1954 ما يلي : " فلم يضحى الوطنيون ولم

يستشهدوا للمطالبة بالاستقلال الداخلي ، انها مرحلة اجتازها واجتازها

الشعب فأصبحنا مركزين حركتنا بالخارج على مبدأ استقلالنا صرف

والشعوب التي تؤيدنا لا تفعل ذلك الا لاننا نطالب باستقلالنا  
كسائر الشعوب المكافحة ولن يفهم شعب أو أمة اننا بعد الكفاح  
الطويل والتضحيات الجسيمة التي وجهه الحزب الامة اليها نتراجع ونصح  
نطالب بالاستقلال الداخلي والسيادة الداخلية ، فكيف بنا بعد ان بعثنا  
بأخواننا الى الموت من اجل الاستقلال نصبح نكيل لفرنسا المرابين  
على اعتدالنا وتراجعنا دون أي مبرر . " (1) .

ويطابق هذا التوجه ميولات الشعب التونسي نحو تحقيق الاستقلال  
التام ، ربما ارتيحه لخطاب من داس فرانس وتلبيته لنداء تسليم السلاح  
الا املا في تحقيق ذلك ، كما ادى تعثر المفاوضات من حين الى آخر الى  
التشكيك في جدوى التفاوض فرفض الحزب الدستوري القديم اثناء مؤتمره  
المنعقد في 16 و 17 افريل 1955 " كل اتفاقية تمخض عن المفاوضات  
الجارمة من شأنها ان تمس من السيادة التونسية سواء الداخلية أو  
الخارجية أو أن تفرط في حقوق التونسيين في الميادين الاقتصادية  
والمالية والثقافية " (2) كما نادى المؤتمرون القدامى بوحدة التراب  
التونسي و سيادة اللغة العربية ورفض الروابط الاستعمارية معلنين  
رفضهم " الاستقلال الداخلي " و تسميهم بقرارات مؤتمر ليلة القدر 1946  
المطالبة بالاستقلال ولذلك دعوا الشعب التونسي الى اليقظة والعمل  
على احباط المناورة الاستعمارية (3) .

ومن ناحية اخرى نلمس موقفا مشابها جاء في بيان الجامعة  
الدستورية بباريس اثر اجتماعها يوم 9 افريل 1955 والذي عبرت  
فيه عن رفضها تقسيم التراب التونسي الى منطقة عسكرية وأخرى

(1) مصدر سابق :  
(2) = = :  
(3) Le petit Matin : 28 avril 1955

(1) Bahi Ladgham : Correspondances... op, cit p. 11  
(la partie arabe)  
(2) JULIEN (ch. A) : Et la Tunisie... OP, CIT P. 187  
(3) Le petit Matin : 28 avril 1955

مدنية ونددت بالمساعي الرامية الى خلق روابط اقتصادية دائمة بين تونس وفرنسا اذ يعتبر ذلك استمرارا للحماية (1) .  
اما البيان الصادر عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي في افريل 1955 فقد اشار الى نواقص و سلبيات اتفاق 21 افريل واعتبره " ترميما لنظام الحماية " ودعا الى استقلال المدن الفاصلة عن امضاء الاتفاقيات لتحسيس الرأي العام بمجابهتها وتطويرها وطالب باطلاق سراح المساجين وعودة المنفيين ورفع حالة الحصار (2) .  
وهكذا نستنتج ان تونس في 1955 ليست هي تونس في 1950 فقد نما الوعي الوطني وتجذر بفضل تجربة " الكفاح المسلح " التي عمقت العقوة بنين المستعمر المتفوق والمستعمر المحروم الى جانب ما جد في العالم من متغيرات .

وقد ادى الى كل هذا الى " تصليب مواقف الحركة الوطنية التونسية وهي تقطع مسافة الامتار الاخيرة من صراعها ضد " الحماية " ومن هنا كان على فرنسا ان تعمل على تحويل هذا الصراع الموجه لها والمهدد لحضورها في منطقة شمال افريقيا الى نزاع داخلي ينخر الجهود السياسية المتظاهرة للميربها نحو البحر " فأقحمت بوقية مباشرة في المفاوضات للخروج بها من الملازق الذي تردت فيه ومن هنا جعلته المسؤول عما سيترتب من نتائج لهذه المقاصات فما هي هذه النتائج التي كانت محل خلاف بين بوقية وابن يوسف ؟ وهل يبعدو بين يوسف في موقفه الرافض لها " عرفنا منفردا " لا صدق له في الداخل ولا في الخارج ؟

(1) مصدر سابق : المنصف الشابي : صالح بن يوسف 000 ص 153 .

(2) Le Petit Matin : 28 avril 1955

(2) - اتفاقيات جوان 1955: خطوة الى الامام، "خطوة الى الوراء":

بعد تذليل المصاعب الاخيرة التي كانت تعرقل سير المفاوضات الفرنسية التونسية اثر مقابلة ادقار فور رئيس الحكومة الفرنسية الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري الجديد، انعقدت الجلسة الختامية في ساعة متأخرة من يوم 21 افريل 1955 بحيث تم الاتفاق الاولي بين الطرفين المتفاوضين على ان يتم التوقيع على بروتوكول الاتفاقيات في اجل اقصاه يوم 30 ماي .

وفي 16 ماي استؤنفت المفاوضات من جديد برئاسة ادقار فور عن الوفد الفرنسي والطاهر بن عمار عن الوفد التونسي مع الاستعانة ببورقيبة من حين لآخر كلما استعصت المسائل لصياغة اتفاقيات "الاستقلال الداخلي" .

وكانت البلاد التونسية تعيش منذ اواخر افريل توترا عاما بحيث ارتفعت الاصوات الرافضة لنتائج المفاوضات الى جانب تصريح الامين العام للحزب صالح بن يوسف سواء في بوندونغ اوفي القاهرة مطالبا بعدم الامضاء على هذه الاتفاقيات وحاشا الشعب التونسي على رفضها (1) ومن ناحية اخرى اشترك الفرنسيون بتونس في اشارة الاضطراب بالبلاد عبر التظاهرات والمظاهرات احتجاجا على "تخلي فرنسا عن ابنائها" (2) وضغطا على المقيم العام بتونس والبرلمانيين الفرنسيين بالمجلس الوطني الفرنسي، قصد الحيلولة دون امضاء الاتفاقيات التي تم التوقيع عليها يوم 20 ماي، وفي 3 جوان 1955 وقعتها بصفة رسمية كل من ادقار فور جولي والطاهر بن عمار والمنجي سليم رغم تحذيرين يوسف سقاقد ينجر عن ذلك .

(1) الزهرة : 17 ماي 1955 .

(2) مصدر سابق، P55، Vidéire، T2، D، 14، Histoire du Mouvement National Tunisien، 2

أ- ما هو محتوى الاتفاقيات ؟

تحتوي "الاتفاقيات التونسية الفرنسية" على اتفاقية عامة وسلسلة

من الاتفاقيات "الملحقة" والخصوصية (1) .

الاتفاقية العامة : نصت هذه الاتفاقية في بندها الرابع على : "ان فرنسا

تتعترف وتعلن الاستقلال الداخلي لتونس الذي لا يكون له من الحدود

والتحديد الا ما نصت عليه هذه للاتفاقيات والاتفاقيات الجاري بها العمل

الآن (2) .

فهذا البند يؤكد مبدأ " الاستقلال الداخلي " المعلن عنه في خطاب

منداسر فرنسريوم 31 جويلية 1954 . الا ان هذا الاستقلال مقيد ومجدد

بالاتفاقيات أخرى .

الاتفاقيات الخاصة وهي :

- الاتفاقية الخاصة بالامن العام .

- الاتفاقية الخاصة بالافراد .

- الاتفاقية القضائية .

- الاتفاقية التعاون الاداري والتقني .

- الاتفاقية الثقافية .

- الاتفاقية الاقتصادية والمالية .

بالاضافة الى مجموعة من الاتفاقيات الثانوية تدخل ضمن هذه المحاور

العامة كاتفاقية قدماء المحاربين وضحايا الحرب واتفاقية الملاحة الجوية

المدنية .

(1) صدر النص الكامل لاتفاقيات 3 جوان بالفرنسية في صحيفة ( La depeche Tunisien ) بتاريخ 11 جوان 1955 ، اما الترجمة لهذا النص فنجدها بجريدة الصباح بتاريخ 12 و 13 و 14

و 15 و 16 و 17 و 18 و 19 جوان 1955 .

(2) جريدة الصباح : 12 جوان 1955 .

لقد نصت الاتفاقية الخاصة بالامن (1) على الانتقال مصالح الامن الى التونسيين الا بعد 20 سنة وبصفة تدريجية بحيث يكون مدير الامن فرنسيا وتحت اشراف المفدوب السامي " الفرنسي مباشرة لمدة سنتين ثم يتداول على هذه الادارة كل من رئيس الحكومة التونسية وممثل فرنسا بتونس لمدة 5 سنوات .

اما مصالح الشرطة فتكون تحت اشراف فرنسيين لمدة 10 سنوات وخلال 10 سنوات الموالية يمسك الفرنسيون بمصالح الشرطة في الدوائر ذات نسبة هامة من السكان الاوروبيين وبالتحديد تونس العاصمة . وبعد ذلك تتفق الحكومتان الفرنسية والتونسية على تحديد عدد الموظفين الفرنسيين في قطاع الامن .

اما الاتفاقية القضائية : فلا تخول للقضاء التونسي ان يعطى كل الفاطنين بالبلاد الا بعد مرور 15 عاما بحيث تبقى المحاكم الفرنسية الخاصة بالفرنسيين والاجانب الى جانب المحاكم المختلطة التي تنظر في النوازل المشتركة بين التونسي وغير التونسي كما تنظر الاحكام الاجتماعية والحقوق التجارية باسم الباي .

كما تحصل الفرنسيون على عدة ضمانات من خلال الاتفاقيات الاخرى . ادارة البلديات : يساهم الفرنسيون في تسيير البلديات بنسبة تختلف حسب نسبة السكان الفرنسيين بها بحيث تكون نسبة التمثيل تقارب 3/7 في المجلس البلدي للدوائر ذات نسبة هامة من السكان الفرنسيين وهي بلدية ( تونس و فوش فيل ) ( بن عروس ) وبنزرت ونيرو فيل ( منزل بورقيبة ) ومقرين وسانت جرمان ( الزهراء ) وسوسة وفاقس وعين دراهم وطبرقة ) . اما اذا كان عددهم مساو أو اكثر من 10% من العدد الجملي للسكان في الدوائر الاخرى فتكون نسبة التمثيل 1/3 كما يكون هناك ممثل فرنسي في مجلس كل بلدية بها 100 فرنسي .

(1) الصباح : 14 جوان 1955 .  
(2) مصالح الشرطة : الامن العام الجولييسر العدلي البوليسر الاداري مصالح السجون رئاسة الموظفين والافارة العامة .

الميدان الثقافي : رغم ان اللغة العربية اصحت اللغة الوطنية  
والرسمية للبلاد التونسية (1) فان اللغة الفرنسية لن تعتبر لغة اجنبية  
اجنبية بحيث يتواصل العمل بها الى جانب العربية في الادارات التونسية  
والنصوص القانونية والمدارس كما تقوم المؤسسات الفرنسية بتونس  
بمهمة ثقافية بالاضافة الى بقاء المنظمات الثقافية الفرنسية  
والمؤسسات التعليمية الفرنسية ومعهد الدراسات العليا بتونس  
في تهيئة مباشرة لفرنسا (2) .

الوضعية الشخصية : تعترف تونس لجميع الذين يعيشون فوق ارضها  
بالتمتع بحقوقهم و ضمانات اشخاصهم ، وهي الحقوق المنصوص عليها  
في وثيقة حقوق الانسان " (3) .

فالحكومة التونسية تمنح الفرنسيين حرية ممارسة الانشطة الثقافية  
والدينية والاقتصادية والمهنية او الاجتماعية والحرية الشخصية والعامه  
لا سيما حرية التفكير والعقيدة والرأي والتعبير والاجتماع والتنظيم  
وكذلك الحرية النقابية بالاضافة الى محافظتهم على ادارة غرضهم  
الاقتصادية مع امكانية منحهم الجنسية التونسية اذا رغبوا في ذلك .  
الاتفاقية الاقتصادية والمالية : وتبدو انها من اهم الاتفاقيات في  
تحديد العلاقات بين تونس وفرنسا فبالاضافة الى كونها غير  
محددة بزمان فقد نصت على ربط البلاد التونسية بمنطقة الفرنك  
الفرنسي وذلك من خلال الميادين التالية :

\* ميدان العملة : ان اصدار الاوراق المالية يبقى خاضعا للامر العالي  
المؤرخ في 5 أوت 1948 (4) . يعني انه يبقى من مشمولات البنك التونسي

(1) الفصل السابع من الاتفاقية العامة .

(2) الفصل الرابع من الاتفاقية الثقافية ( الصباح 17 جوان 1955 ) .

(3) الفصل الخامس من الاتفاقية العامة .

(4) الفصل الثالث من الاتفاقية الاقتصادية ( الصباح 19 جوان 1955 ) .

الجزائري ولن يتم اثناء بنك مركزي تونسي الا بعد 1960 .

• اما التعامل التجاري فيكون بالفرنك .

\* ميدان المالية : نصت الاتفاقية على ان " فرنسا مستعدة

لتسهيل استثمار الاموال في تونس وخاصة عن طريق القروض

المقدمة (1) .

كما يمكن لفرنسا ان تعين وكيل عام للمالية الفرنسية بتونس

وهو مكلف بجمع وتنفيذ كل عمليات القبض والدفوع الخاصة

بالخزينة الفرنسية في تونس .

\* ميدان المراقبة الاقتصادية : لقد اتفقت الدولتان على تكوين

اتحاد جمركي " (2) ويعني الاتحاد الجمركي : " ان المنتجات

الاصلية الواردة من المنطقة الجمركية لبلد من البلدين لا يمكن

عند استرادها في البلد الثاني ان تقرر عليها ضرائب او معاليم

تختلف عن تلك التي تخضع لها المنتجات الوطنية المماثلة

لها " (3) مع ضمان " حرية العلاقات التجارية داخل الاتحاد الجمركي "

\* الاملاك الفرنسية بتونس :

نصت الاتفاقية على ان " تضمن الحكومة التونسية لارباب الاملاك

الفرنسيين المحافظة على ارضاتهم واملاكهم ومؤسساتهم

الخاصة وكذلك املاك للمنظمات التجارية او التعااضديات الفرنسية

ضد تدابير الحرمان منها الا اذا اقتضت المصلحة العامة تحويل

الملكية مع دفع غرامة عادلة لرب العقار " (5) .

(1) نفس المصدر :

(2) الفصل 11 من الاتفاقية الاقتصادية والمالية .

(3) الفصل 14 من نفس الاتفاقية .

(4) الفصل 15 من نفس الاتفاقية .

(5) الفصل 29 من نفس الاتفاقية .

ب- الاتفاقيات : " خطوة الى الامام " أو خطوة الى الوراء ؟

لقد جاءت هذه الاتفاقيات لتعترف بالاستقلال الداخلي لتونس

المشروط بضمائم لفرنسا وللفرنسيين بتونس .

فهذه الاتفاقيات اتخذت صبغة تعاقدية بما انها كانت نتائج لمفاوضات

دارت بين حكومتين : الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية فهي اذن

تمكسر ارادة و رغبة مشتركة ولم تكن نتيجة ضغط أو استعمال قوة مثلما

هو الحال في معاهدة باردو ( 12 ماي 1881 ) وهي نقطة استغلت

للطعن في شرعية هذه المعاهدة اثناء تقديم الشكوى التونسية لهيئة

الامم المتحدة في 1952 .

وبمقتضى اتفاقيات 3 جوان 1955 اصبحَت الحكومة التونسية متجانسة

بتركب فقط من تونسيين ، وهذه نقطة اساسية في السيادة الداخلية

وقد كانت حجر الزاوية في المطالب التونسية سواء في برنامج بورقيبة

ذي السبع نقاط لسنة 1950 او في مذكرة الباي في 1 أكتوبر 1951 او في

الشروط الخمسة التي حددها بن يوسف كحد أدنى " لقبول الحكم

الذاتي في 31 ديسمبر 1954 .

ولكن هذه الحكومة وان اسندت لها بعض الوظائف فانها حرمت ولو

بصفة مؤقتة من الاشراف على الامن والقضاء واصدار العملة وفرض عليها

التعامل الاقتصادي والمالي مع منطقة الفرنك الفرنسي ، كما فقدت

حقها في تكوين جيش وطني تونسي بمقتضى الفصل 10 من الاتفاقية

العامة : " تعترف الدولتان بالتضامن الكامل في ميادين الدفاع

والامن " كما تخرج عن مجال مراقبتها المؤسسات الترسوية والمنظمات

الاقتصادية والثقافية الفرنسية .

ولي كسل هذا تجاوز الشروط بن يوسف للحكم الذاتي وازافة جديدة لما لم يرد في

نصي معاهدة باردو . ومن ناحية اخرى الغت الاتفاقيات خطة المقيم العام والمراقبين .

الفرنسيين وقرار 10 نوفمبر 1884 الذي يخضع الى اوامر الباى الى  
تأشيرة المقيم العام . وهذه النقطة جاءت في برنامج بورقيبة  
ذي السبع نقاط ايضا .

وفي المقابل احدثت خطة " مندوب سامي " يكون واسطة بين  
الحكومة الفرنسية والسلط التونسية فيما يتعلق بالاعمال المشتركة  
بين البلدين ، كما يكون مسوؤولا عن حفظ الامن ومراقبة المنشآت  
العسكرية في قاعدة بنزرت وفريفييل ( منزل بورقيبة ) وفي المناطق  
الحدودية على طول الحدود الجزائرية التونسية من طرفة الى توزر  
ومنطق الجنوب التونسي لا سيما على طول الشريط الحدودي مع  
ليبيا على ان القياد في هذه المناطق يعينون من قبل الادارة التونسية  
كما اخضعت مصالح الملاحة الجوية والمدنية بتونس التابعة  
للكتابة العامة للطيران المدني والتجاري الى سلطات " المندوب  
السامي " وتتمثل مهامه في ضمان أمن الملاحة الجوية ومراقبة  
الجولان الجوي في كامل منطقة استعمال الطيران الخاصة بالتراب  
التونسي (1) ( وذلك لمدة 25 سنة ) . وان في هذا تأكيدا للبند الثاني  
من معاهدة باردو والذي يجيز لفرنسا الاحتلال بصفة مؤقتة  
بعض المراكز " الاستراتيجية " بالسواحل والحدود فانه يضيف عليه  
صفة الدوام طالما هو ليس محددًا بزمن .

كما نلاحظ ايضا ان " المندوب السامي " قد عوض المقيم العام  
بصورة اخرى وبوجه آخر .

اما في ميدان العلاقات الخارجية فان الاتفاقيات تبقى على " معاهدة  
باردو لسنة 1881 والاتفاقيات المبرمة منذ ذلك التاريخ بين الجمهورية التونسية وجلالة  
بهاي تونس " (2) .

(1) الصباح : 17 جوان 1955 .

(2) الفصل الثاني من الاتفاقية العامة .

وأخيرا تلتزم فرنسا بتمثيل تونس لدى المنظمات الدولية التي هي ليست عضوا فيها بعد، المقصود هو منظمة الأمم المتحدة فهذه النقطة اضافة لما ورد في معاهدة باردو في بندها السادس (1) وهي تشكل خطوة كبيرة في نظر الوطنيين الراغبين في حل القضية التونسية من قبل هيئة الأمم المتحدة بحيث تقطع عليهم الأمل في الحصول على الاستقلال خارج إطار ما ترضيه فرنسا .

ومن هنا يمكن ان نستنتج ان الاتفاقيات قد استجابت اكثر الى ما جاء في برنامج بورقيبة ذي السبع نقاط في حين تغافلت على معظم النقاط الواردة ضمن شروط " الحكم الذاتي التي وضعها بن يوسف .

فهل هذا ما جعل بورقيبة يقيمها بانها خطوة الى الامام في حين يقيمها بن يوسف بخطوة الى الوراء ؟ وهل يصح ان تكون في الآن نفسه " خطوة الى الامام " وخطوة الى الوراء " ؟

#### \*- الاتفاقيات " خطوة الى الامام " \*

لقد تمكنت السلطات الفرنسية بفضل الاتفاقيات المكتملة لمعاهدة باردو من اتمام سيطرتها على البلاد التونسية فسلبت دولة " البناي " السيادة الخارجية والسيادة الداخلية وحولت نظام الحماية الى ادارة مباشرة ، ولذلك كان بورقيبة ينظر الى هذه الوضعية العامة على انها نتيجة تجاوز فرنسا الى ما جاء في معاهدة باردو التي تضبط العلاقات التونسية الفرنسية .

(1) جاء في البند السادس من معاهدة باردو: يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الاجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها وفي مقابل ذلك يلتزم البناي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية دون اعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدما .

ومن هنا كان من الضروري الرجوع الى الصريح معاهدة باردو لتحقيق  
"الاستقلال الداخلي" ونظرا لايامنه سياسة المراحل فان بورقيبة  
يرى ضرورة العودة من نفس الطريق وبالتراجع الى حد الوقوف  
عند هذه المعاهدة (1) . بحيث يكون المنطلق بازالة قرار  
10 نوفمبر 1884 وان تكون آخر المراحل الغاء اتفاقية المرسى  
ولا تبقى الا معاهدة باردو التي في اطارها يمكن تجديد العلاقات  
المستقبلية بين فرنسا وتونس (2) .

فهو يذم ان يعتبر اتفاقيات 3 جوان 1955 "خطوة الى الامام" بما  
انها البقت قرار 10 نوفمبر 1884 الذي يمنح المقيم العام الفرنسي  
مراجعة ومراقبة قرارات الباي (السلطة التشريعية) كما انها  
البقت البند الاوّل من اتفاقية المرسى الذي يجيز للحكومة  
الفرنسية قصد اتمام حمايتها - التكفل بادخال الاصلاحات  
الادارية والعدلية والمالية التي ترى فائدة في ادخالها .  
ويلاحظ السيد شارل اندري جليان ان كلمة الحماية لم ترد سابقا  
في معاهدة باردو وانما جاءت فقط في هذا البند من اتفاقية  
المرسى (3) .

كما يعتبر بورقيبة الامتيازات التي اقترتها الاتفاقيات لفرنسا  
والفرنسيين هي وليدة حاجة تونس الى فرنسا لضمان امن  
البلاد وازدهار وتطور شعبها (4) وهكذا يمكن ان نؤيد ما  
ذهب اليه نوح لعذارى (5) في كتابه الاتفاقيات التونسية الفرنسية 55

(1) انظر الى الحديث الذي دار بين بورقيبة وبيار كوفال (P, Corva) مبعوث جريدة "لومند"

في 2 اوت 1954 اورد السيد "بريلي" في كتابه (La conquete) (ذكر سابق ص: 225 -

(2) مصدر سابق: (Bourguiba (H) La Tunisie et la France... PP 444 - 445

(3) Julien (Ch.A): Et la Tunisie ... Op Cit, P 192

(4) Bourguiba(H): La Tunisie ... P 449

(5) نوح لعذارى: محامي لدى محكمة الاستئناف بتونس يتناول اتفاقيات 3 جوان 55 من وجهة قانونية .

بحيث يقول : " ان الاتفاقيات التونسية الفرنسية المبررة في 3 جوان  
ازادت ان تأخذ بعين الاعتبار هدفين :

- اولا : ارضاء رغبة الحركة الوطنية في المحافظة على الذاتية التونسية.
  - ثانيا : وضع ضمانات حقيقية حفاظا على مصالح فرنسا .
- ولكن هذه النقطة الاخيرة هي التي ستحد من الاولى بحيث تكون  
الضمانات لفرنسا وللفرنسيين مسا من الذاتية التونسية ومن  
السيادة الداخلية للدولة التونسية وهذا ما جعل بن يوسف  
ينادي برفضها .

\* الاتفاقيات : خطوة الى الوراء .

لقد كان بن يوسف عند ما بلغته نتائج المفاوضات التونسية  
الفرنسية - في اندنوسيا يحضر مؤتمرات بانندونج الاول الذي يعتبر  
تشويجا لمرحلة تاريخية هامة قطعها الشعوب المستعبدة في  
سبيل انجاز استقلالها السياسي وهي تستعد لجابهة مرحلة جديدة  
هي مرحلة التخلص من الاستعمار الاقتصادي الجديد وذلك بواسطة  
الحياد الايجابي وعن طريق التضامن المتبادل فيما بينها وازالة  
جيوب الاستعمار من آسيا وافريقيا وخلق مجموعات اقليمية كبرى .  
لمن الطبيعي ان نظهر اتفاقيات " الاستقلال الداخلي المنقوص لابن  
يوسف كخطوة الى الوراء " امام المد التحريري في العالم فهو يقول  
" وفي هذه الساعة التي اعرب فيها مؤتمرات بانندونج الذي ضم أمم  
ثلثي العالم وعلى تأييده الكامل بالاجماع لطلب تحقيق الاستقلال الوطني  
ربدأ يضغط على الحكومة الفرنسية لقبول هذا الطلب بدون تأخير  
بحق للشعب التونسي اكثر من أي وقت مضى ان يرفض الحكم الذاتي  
النصوري الخالي من كل شيء " (1) وشرح بن يوسف مفهوم الحكم الذاتي

الصوري او المزيف : " بأن تبقى سلطة الامن وهي الركن الاساسي لقيام الدولة بيد الفرنسيين في جزء من الجنوب التونسي ومشاركة بين التونسيين والفرنسيين في منطقة بنزرت وتنجة و فريفيل ومنزل جميل بالشمال مع اقرار امتيازات مرهقة في اقتصاد البلاد لاقرار مصالح الفرنسيين وفرض تدخلهم في التعليم العمومي وجعل اللغة لغة رسمية الى جانب لغتنا العربية ...

ومن جهة أخرى اشراك الفرنسيين في ممارسة السيادة بطريقة غير مباشرة بأن يشاركوا في المجالس البلدية وفي مجلس اقتصادي نيابي ينظر في شؤون الميزانية العامة للدولة ، الى جانب ابقاء النظر في القضايا السياسية التي تتعلق بالتونسيين من مشمولات المحاكم وبما أن الاتفاقيات النهائية المبرمة في 3 جوان لم تدخل الفرنسية (1) الا تغييرات طفيفة على هذا المفهوم الذي وضعه بن يوسف للاستقلال الداخلي " المزيف " فقد اعتبرها عرقلة جديدة في سبيل

الحرية والاستقلال " (2) ، بما انها قننت كل ما اغتصبه الاستعمار منذ 1831 واعترفت له بما لم تعترف به معاهدة باردو (3) فهي تقر الوضع الراهن ولذلك نادى بن يوسف برفضها لان قبولها يشكل خذلانا للكتلة الافريقية الاسوية التي تبنت قضية شمال افريقيا ومن ناحية أخرى نفريطاطي تعاطف الشعوب ومساندة الرأي العام الموالي للقضية التونسية وهو ما كانت تعول عليه تونس في مواصلة الكفاح (4) .

وبالعودة الى تصريحات بن يوسف المعارضة للاتفاقيات نلاحظ انها جاءت باسم الشعب التونسي ومضاة باسم الامين العام للحزب الدستوري الجديد وكأنه يريد ان يبين للرأي العام بالداخل والخارج انه ليس الوحيد

(1) الصباح 19 لافريل 1955 .

(2) خطاب بن يوسف يوم 13 سبتمبر 1955 (الصباح 14 سبتمبر 1955) .

(3) = جامع الزيتونة ( 1955 ) : ( Le Petit Matin : 8, octobre 1955 )

(4) = منفلورى ( الزهرة : 18 اكتوبر 1955 ) .

المعارض لهذه الاتفاقيات بل يعبر عن ارادة عامة تجمع كل التونسيين  
كمان موقفه لا يناقض المباديء التي يقوم عليها برنامج حزبه ،  
كما نلاحظ ايضا انه لم يتعرض مباشرة " بالاتهام " الى بورقيبة الا في  
شهر جويلية اي بعد مصافحة البرلمان الفرنسي على الاتفاقيات يوم  
9 جويلية 1955 باغلبية ساحقة : 538 صوتا مقابل 44 صوتا و سكوت 29 .  
ج) - هل بن يوسف " عرف منفرد " في معارضة الاتفاقيات الفرنسية التونسية :

كان بورقيبة يعتقد ان معارضة بن يوسف للاتفاقيات ناتجة عن حالة غضب  
طرفية مرتبطة باغراض شخصية في الوصول الى مواقع السلطة والنفوذ  
ويمكن ويمكن امتصاصها بعرض مناصب وزارية على صاحبها غير ان بن يوسف  
رفض ذلك معتبرا نفسه صاحب رسالة مقدسة وعليه ان ينور الشعب التونسي  
وبلغت نظره الى الفخ الذي نصبر له خصومه الفرنسيون من وراء اتفاقيات  
الاستقلال الداخلي (1) .

وليس بن يوسف وحده في موقف المعارضة فقد اشترك معه معظم  
اللاجئين التونسيين بالشرق امثال يوسف الرويسي الذي اعتبر هذه  
الاتفاقيات مؤامرة ضد تونس والمغرب العربي ينسج خيوطها المستعمرون  
الفرنسيون ورجال الوفد المفاوض الذين اخذوا بخدعة الحكم الذاتي  
وعادوا بالشعب المناضل الشائر الى سياسة المفاوضات العقيمة ... ففرص  
ضد بنود " الاتفاقية ما يجعل الحكم الذاتي استعمارا جديدا في فترة  
تتحطم فيها قيود الاستعمار في كل مكان (2) .

اما حسين التريكي الذي اصبح فيما بعد الناطق الرسمي باسم الامانة العامة  
فكان يرى ان الاستقلال لا ينجز بالتفاوض وانما يفتك بقوة السلاح (3) ومشاركة هذه الفكرة  
اعضاء لجنة تحرير المغرب العربي .

(1) خطاب بن يوسف بمنفوري (الزهرة 118 أكتوبر 1955) .  
(2) مصدر سابق : الطاهر عبد الله / الحركة الوطنية التونسية : ص 148 .  
(3) حسين تريكى : من مواليد 1915 بالمستير من دعاة الكفاح المسلح (المعهد الاعلى لتاريخ الحركة  
الوطنية : 639/299 Boşine

اما الباهي الادغم فكان على اتصال دائم بين يوسف ، اذ كثيرا ما كانا يتبادلان وجهات النظر سواء بالمراسلة او بلقائهما في "جنيف" وكان الباهي الادغم يتفق مع بن يوسف في " حل القضية عبر هيئة الامم المتحدة " كما يعتبر " الاتفاقيات قد تجاوزتها الاحداث ولكنه لا يرفض الدخول في الحكومة (1) ويذكر بورقيبة ان الباهي الادغم قد صح في جنيف لزرق العيون بانه لا ينوي اتباع بورقيبة في خدعة ، كما انه لم يكتف بالقول بل سافر الى ليبيا حيث اتصل بالفلاحة " هناك قصد تحريكهم ضد بورقيبة وهو ما قام به في باريس ايضا حيث حرض الطلبة التونسيين ويشهد بذلك المنجي الكعلي (2) ومع ذلك فقد تولد بورقيبة مهمة أمين عام للحزب في مؤتمرات صفاقس خلفا لـ بن يوسف نفسه .

فهل شملت المعارضة الدستوريين في الخارج في حين بقيت محدودة ولوالى حين في الداخل ؟

يبدو ان الدستوريين بالداخل قد وجدوا في موقف شائك لاتخاذ موقف واضح من سير المفاوضات او من نتائجها فمنذ مطلع 1955 وبعد عملية تجريد السلاح من " الفلاحة " بدأ القلق يظهر في صفوف الدستوريين نتيجة تباطيء المفاوضات وطول الانتظار ، ولتبيد هذا القلق كان أعضاء الوفد المفاوضات يعقدون الاجتماعات العامة في انحاء البلاد بالشعب الدستورية وبالجماهير الشعبية قصد توحيد الجبهة الداخلية وتعزيز موقفهم في المفاوضات ، ولكن الامر اصبح اكثر تعقيدا بعد ما صح الأمين العام للحزب صالح بن يوسف بمناهضة الاتفاقيات " الاستقلال الداخلي " " المزيف " في الوقت الذي وافق فيه بورقيبة والوفد المفوض عليها .

(1) المائدة المستديرة حول 20 مارس ، المغرب عدد 92 ، الجمعة 18 مارس 1988 ص 61 .

(2) مصدر سابق : ( Bourguiba : Ma vie ... Op, Cit, P 306 et P317 )

ولكن ليس بن يوسف وحده هو الذي اعلن معاضته للاتفاقيات  
لقد عارضها بتونس كل الدستوريين القدامى والزيثونيين  
والشيوعيون وحتى الفرنسيون والذين هم على جهل بمحتوى الاتفاقيات  
حسب ما يقربه المقيم العام بوياي دي لا تور (1) .

اما داخل الحزب الدستوري الجديد فقد انتشرت الحيرة لدى البعض  
وظهر الاختلاف لدى البعض الاخر - اما البقية فكانت مع بورقيبة لانه  
الزعيم " والمجاهد الاكبر " ويقول الباهي الادغم " هناك تيار داخل الحزب  
وخارجه يؤمن بعصمة الزعامة وواجب تقديسها وبانفراد الزعيم بالنفوذ (2)  
ثم لانسى ان الحزب الدستوري قد دخل في حرب مفتوحة مع  
الدستوريين القدامى منذ ماي 1955 فعمل على تكسير اجتماعاتهم  
فأسفرت المصادمات على سقوط قتلى وجرحى (3) بحيث قتل محمد الكلثومي  
من الحزب الدستوري الجديد ومحمد قحمة من الحزب الدستوري القديم .  
ومن هنا كان على الحزب الدستوري الجديد ان يوحد صفوفه لمجابهة  
الوضع ويؤجل التفكير في تقييم الاتفاقيات الى ما بعد ويدعو الى  
تطويق الخلاف بين الزعيمين ( بورقيبة وبن يوسف ) .

اما الجماهير الشعبية فقد صورها صالح بن يوسف على انها مغيبة

وشغط في نوم عميق تهتف دون ان تفهم وتصفق دون ان تعرف فلماذا (4)  
وربما هذا ما يفسر برقيات التأييد الموجهة في الآن نفسه الى بورقيبة  
والى بن يوسف وكذلك الاستقبالات الرائعة التي خص بها بورقيبة  
يوم عودته في غرة جوان وبن يوسف للعائد يوم 13 سبتمبر 1955

وبحسب علقته صورة بورقيبة الى جانب صورة بن يوسف وارتفع الهتاف

بحياة الرجلين دون ان يبدو التمييز بينهما رغم ان صالح بن يوسف

(1) مصدر سابق : Boyer de la Tour: Verités... Op, Cit, P: 117.  
(2) المائدة المستديرة حول 20 مارس، المغرب عدد 92 و 18/3/1988 : ص 56.  
(3) مصدر سابق : Ben Salem (M): l'Antichambre... Op, Cit, P: 177.  
(4) = = =

قد اوصى بعدم اقامة حفل استقبال " مبهرج " له عند عودته  
فهل يعني ذلك ان صوت بن يوسف اليرافض للاتفاقيات لم يصل الى  
الشعب التونسي؟ او ان الحزب الدستوري الجديد قد عمد الى عملية  
تعتيم حول الخلاف حتى يتمكن من تطويقه ؟

(3) - محاولة تطويق الخلاف : " سياسة الترغيب " .

يبدو ان بورقيبة كان يعرف مسبقا رد فعل بن يوسف على اتفاق 21  
انريل 1955 (14) ومع ذلك غامر ونجح حيث فشل الآخرون (2) ولكن  
وان نجح بورقيبة في انقاذ المفاوضات التونسية الفرنسية من الفشل  
الا انه القى بحزبه وبالحركة الوطنية وبالهداد الى الانشقاق والانقسامية .  
وسرعان ما ادرك خطورة الموقف فعمل جاهدا على تطويق الخلاف  
فهل استفحاله وذلك باستعمال عدة وسائل للضغط على بن يوسف  
وارجاعه عن " غيه " .

- ارسال ثقة من الحزب الى جنيف لاقتناعه بصحة وجهة نظر بورقيبة  
خطوة الى الامام " فتعددت اللقاءات في شهر ماي بين بن يوسف والمنجي  
سليم والباهي الادغم وجلولي فارس ... وكانت الدعوة الى التعقل  
والحكمة وتعزيز وحدة الحزب (3) كما حول بوقيبة من جانبه التأثير  
على بن يوسف بحيث يذكر انه هاتفه قبيل عودته الى تونس وعرض  
عليه الرجوع معا " اخوة ، اليد في اليد " مثلما كان زمن المحن (4)  
الا انه أبى ؟ مع العلم ان بن يوسف قد حجزت عليه السلط الفرنسية  
العودة الى تونس في 2 ماي 1955 .

- الاغراء : لقد عرض بورقيبة على بن يوسف في عدة مناسبات مناصب

وزارية ~~كانت~~ كانت الاخيرة على يد الباهي الادغم الذي يقول : انه

لما اتصل ببورقيبة ( بعد عودته الى تونس في 10 اكتوبر 1955 ) وعرض

1) Bayer de la tour : Verites ... Op, Cit , P114

2) Bourguiba (H) : Ma vie ... Op , Cit, P 317

3) المصدر سابق : 1955/5/18 .

4) Bourguiba : Ma Vie ... Op, Cit, P: 318 .

4) المصدر سابق

عليه موضوع التراجع في قرار طرد بن يوسف قال له بورقيبة :  
" اذا كان صالح بن يوسف يعتبر ان ما قمت به خطوة الى الامام ويجب  
ان يتراجع في حكه على انها الى الوراء فليفضل ويكلم الباي ليصبح  
هو رئيس الحكومة بدلا من الطاهر بن عمار وادخل معه انت وافعلوا  
ما تريدون واطبوا المراحل واطلبوا الاستقلال ... " (1) لكن بن يوسف  
رفض ذلك ؟!

محاولة عزله : كانت المحاولة الاولى تتمثل في سحب اتباعه  
من حوله فقد وجه بورقيبة الدعوة الى انصار بن يوسف اللاجئين  
بالشرق قصد العودة معه الى ارض الوطن فاستجاب عدد منهم من  
بينهم صديقه محمد بدرة الوزير السابق في حكومة شنيق والذي  
كان لاجئا معه بمصر منذ 1952 وقد استدعاه بورقيبة الى باريس  
حيث طار اليه في شهر ماي 1955 ووعده بورقيبة بمنصب في الوزارة  
الجديدة ... ولما عاد محمد بدرة الى تونس صرح قائلا : " لقد اخترنا  
ان نسير مع بورقيبة " (2) .

اما المحاولة الثانية فكانت عزله من الامانة العامة للحزب في اكتوبر 55  
الا انه رفض قرار الرفت ؟!

السعي الى جلب بن يوسف الى تونس لرفض الخلاف اذ كان الجميع  
مقتنعين ان سوء التفاهم يقع تجاوزه بمجرد دعوة بن يوسف القريبة (3)  
كما كان بورقيبة يأمل في لوان بن يوسف الذي عاش مدة طويلة بعيدا  
عن الوطن وعاد اليه ليعيش فيه حتى بعض الاسابيع لفهم الوضع  
السياسي ولعدل من موقفه تجاه الاتفاقيات وما عليه الا الخضوع للواقع (4) .

(1) مصدر سابق : المائدة المستديرة حول 20 مارس المغرب عدد 92 . ص 61 .

(2) = = (2) Perilier (L) : La Conquête ... Op, Cit, P: 276 .

(3) = = (3) : كوهين حصرية : من الحماية ... ص : 277 .

(4) = = (4) Le Petit Matin : 9 Septembre 1955 .

ولهذا اجتمع الديوان السياسي في 17 أوت وعقد اجتماعا انبثقت عنه لجنة تتركب من 13 عضوا برئاسة جلولي فارس وقد سافرت هذه اللجنة الى القاهرة يوم 30 أوت في الوقت الذي كان فيه بورقيبة مسافرا الى باريس من اجل مناقشة قضية اللاجئين المبعدين وقد استجاب بن يوسف لدعوة مبعوثي الديوان السياسي والمنظمات القومية الى العودة الى تونس بعد 15 يوما من تاريخ لقائه بهم ولكن بن يوسف لا ينوي العودة الى تونس من اجل نفس الغاية التي كانت ترمي اليها اللجنة وهي تقريب وجهات النظر بينه وبين بورقيبة مع اقتناعه بقبول الاتفاقيات كخطوة نحو الاستقلال ، بل كانت عودته من اجل قيادة النضال من داخل البلاد لاحباط الاتفاقيات وتحقيق الاستقلال التام وهو لا يرغب في أن يقيم له استقبال كبير .  
مثما كان لبورقيبة عند رجوعه لذلك ابصر بهذه الوصية يوم 8 سبتمبر الى تونس وقد حدد تاريخ عودته بيوم 13 سبتمبر 1955 . (1)

وكان بورقيبة يعلق آمالا كبيرة على هذه العودة التي هي فرصة له لاحتواء "صاحبه ورفيقه في الكفاح اكثر من 25 سنة " وكان يقول :  
"ارجوان يفوت صالح بن يوسف الفرصة على أعدائنا بتفهمه الخطوة التي قطعناها" (1) .

وفي يوم 13 سبتمبر 1955 عاشت تونس للمرة الثانية يوما مشهودا فقد حضر اكثر من 15000 شخص بمطار العوينة (2) ، من مختلف الاعمار والفئات والتيارات السياسية والفكرية ومن كافة انحاء البلاد وكان في مقدمتهم الامير الشاذلي باي والحبيب بورقيبة واعضاء الحكومة وزعماء المنظمات القومية ...

(2) مصدر سابق : المنصف الشابي : صالح بن يوسف ... ص 164 .

(3) مصدر سابق :

2) Périlier (L) : la Conquête ... Op, Cit, P: 287 .

(1) الصحف التونسية الصادرة يوم 10 سبتمبر 1955 .

ولما حلت الطائفة القادمة من رومة وعلى متنها " الزعيم الاكبر " صحبة ابنيه وزوجته ( صوفية زهير ) وجلولي فارس وعلي زليطن والحبیب شیخ روحه ( مدير جريدة الصباح الذي التحق برومة ليكون اول المستقبلين لابن يوسف ) علت الهتافات والزغما ريد واسرع الحبيب بورقيبة الى الطائفة وصافح بن يوسف وعانقه امام كل الحاضرين كأنه يريد ان يكذب " الاشاعات " التي بدأت تروج حول خلاف " الزعيمين " ولكن الخلاف ليس مجرد " سحابة صيف انقشعت " فبمجرد التعرض الى الاتفاقيات حتى برز الخلاف جلياً بين من يعتبرها " خطوة الى الامام " ومن يعتبرها " خطوة الى الوراء " .

ومع ذلك ينفذ صبر بورقيبة من سياسة التصريب " ليلتجى " الى " الترهيب " الا بعد خطاب بن يوسف في جامع الزيتونة 7 اكتوبر 1955 فكان قرار السرفت من الامانة العامة .

وعموماً نلاحظ خلال هذه المرحلة الأولى للحركة اليوسيفية ( افريل - ستمبر 1955 ) .

أولاً : ان الحركة لم تتجاوز بعداً شخصي مؤسسها صالح بن يوسف الذي كانت معارضته في هذه المرحلة ليست لزعيم حزبه بورقيبة وإنما كانت منحصرة في رفض الاتفاقيات التونسية الفرنسية (المبرمة في 3 جوان 1955) والمناداة بعدم المصادقة عليها لا سيما وان المرحلة التاريخية تسمح بتجاوز مطلب الاستقلال الداخلي الى المطالبة بالاستقلال التام الناجز ويبدو ان هذا الرفض كان ناتجاً عن ادراكه - وهو رجل القانون - ان الاعتراف بمثل هذه الاتفاقيات من شأنه ان يعرقل طموحات الشعب التونسي في الاستقلال ولا يمكن ان نفهم ذلك الا اذا كنا خبراء في القانون الدولي العام الذي يقول :

عندما تكون للمعاهدة مدة محددة ( وهو الوضع بالنسبة  
لمعاهدة باردو لمعاهدة دولية من جانب واحد وانها طويلة  
الاجل . وكان الفريق الذي يستغل بنودها قد اصم اذنيه ولم  
يسعف المتعاقد المنكوب الذي طالب باعادة النظر في احكامها  
فان من حق الفريق الضعيف الرجوع الى التحكيم لتطبيق مبدأ  
تفسير الظروف " (Rebus Sij Stantibus) وطريق المراجعة يكون حسب المادة 32 من  
نظام محكمة العدل الدولية اذ بموجبهما تختص هذه المحكمة بالفصل  
في المنازعات التي يرفعها اليها المتخاصمون وفي جميع الحالات وخاصة  
منها التي لاحظها ميثاق الامم المتحدة ومن جهة اخرى فان المادة 36  
من ميثاق الامم المتحدة تخول لمجلس الامن حق الطلب الى الفريقين  
المتنازعين اذا كانا نزاعهما قد يوء دي استمراره الى تهديد السلم  
والامن الدوليين ان يطرحا هذا النزاع على محكمة العدل الدولية " (1)  
فخطورة الاتفاقيات تكمن في انها تعاقدية واعترفت بما لم تعترف  
به معاهدة باردو وحصرت القضية التونسية في كونها مسألة داخلية  
لا تهم سوى فرنسا وحدها .

اما الملاحظة الثانية : فتبرز في ربط بورقيبة بينه وبين الاتفاقيات  
التي ان جعل معارضتها تعني معارضة شخصيا وهو ما لم يكن وارد في  
ذهن بن يوسف في البداية ولكن اذا عرفنا ان بورقيبة لا يفصل بين الشخص  
كشخص وانتماءاته الفكرية والسياسية وبالتالي يعتبر كل من يعتنق مذهبها  
غير مذهبها هو ، ينال منه العداة مثلما هو الحال بالنسبة ليوسف الويسي  
الحسيب شامر - ابراهيم طوبال - صالح بن يوسف (2) الخ . . . وهم جميعا  
من الحزب الدستوري الجديد ) .

(1) عبد الوهاب الازرق : " القواعد العسكرية والقانون الدولي " مجلة المعرفة السنة الثالثة العدد 29  
التاسع والعشرون ( بدون تاريخ ) ص 16 و 25 .

(2) مصدر سابق :

اما الملاحظة الثالثة : فهي فشل سياسة الترغيب " التي اعتمدها بورقيبة  
لنطويق خلاف ما كان يتمنى ان يكون وقد عمل جاهدا على حصاره  
نظير لنا في موقف ضعف في حين بدأ بن يوسف رغم انه بمفرده  
في موقف القوة مما يدل ، اما على ان هناك خطأ " يجب مداراته والسكوت  
منه او ان بورقيبة يخشى قيام حرب تنال من وحدة حزبه وتضعفه امام  
خصومه .

فلماذا لم يسكت بن يوسف ولم يقبل بالامر الواقع الى ان قطعت رأسه  
رلم يكن ذلك الا وتونسرتخوض معركة الجلاء عن بنصرت ؟  
فهل الخلاف هو مجرد مؤامرة بينه وبين بورقيبة لاجبار فرنسا على الاعتراف  
بالاستقلال التام ؟ ولكن بما نفسر هذا التصلب لبورقيبة في مواجهة الحركة  
اليوسفية .

### الطور الثاني للحركة اليوسفية او المد اليوسفي :

عاد بن يوسف يوم 13 سبتمبر 1955 الى تونس بعد اكثر من ثلاثة اشهر من عودة  
بورقيبة ليفتح " النار على الاتفاقيات " من داخل البلاد ويدعو الى مواصلة  
الكفاح المسلح في نطاق توحيد الجهود بين اقطار المغرب العربي لمجابهة  
العدو المشترك ، فرنسا ، مناديا بالاستقلال التام والناجز .  
ويبدو لنا هذا التوجه الجديد للفكر اليوسفي مفاجئا ومغايرا لما عهدناه فيه  
من اعتناق للمذهب الاصلاحى ونبذ العنف الثوري وتمسك بالذاتية التونسية  
وسبل الى القومية القطرية .

فما الذي دفعه الى تبني هذه المبادئ الجديدة ؟ وما الذي دفعه الى العودة  
الى تونس بعد ما آل على نفسه ألا يعود اليها الا بعد حصولها على الاستقلال  
التام ؟ ، لا يوجد بين أيدينا من الوثائق ما يثبت او ما ينفي ، فكأن السؤال لم  
يطرحه احد على بن يوسف ، ولذلك سنفترض عدة احتمالات قد تكون متماسكة  
أدت الى هذا التحول الذي يسير الجانب التكتيكي وليس الجوهر الثابت للفكر  
اليوسفي .

(1) - الاحتمالات الممكنة للاجابة عن قرار العودة في هذا التاريخ : 13/9/1955

المرض : لقد عاق المرض صالح بن يوسف عن العودة فقد اثبت الدكتور محمد بن سالم وهو طبيب " القصر " ان بن يوسف قد استفحل به مرض الصفراء (1) وقد يجبره ذلك على البقاء في المنزل لعدة ايام ، وقد اكد الوفد الدستوري الذي زاره في القاهرة يوم 30 أوت 55 ذلك من خلال البرقية التي بعث بها الى تونس والتي يرجع تاريخ العودة الى 15 سبتمبر لاسباب صحية (2) . الا ان مرض الصفراء " لا يمنع رجل من التنقل والعودة الى ارض اشتقاق اليها واشتاقت اليه (3) برفض تسليمه تأشيرة الدخول : كانت السلط الفرنسية تخشى عودة اللاجئين التونسيين بالشرق الى تونس فهم متشبعون بالفكر الشرقي المتأثر بالتطورات السياسية المستجدة في الشرق الاوسط ( الصراع العربي الصهيوني - القومية العربية - دعوة بان دونغ الى التحام الدول الضعيفة الاشتراكية - العنف الثوري ) وهي افكار تخشى فرنسا تسربها الى مستعمراتها شمال افريقيا حيث تسعى جاهدة الى ربطها بالفكر الغربي والثقافة الغربية ولهذا كانت تمنع في السماح لهؤلاء بالعودة لا سيما صالح بن يوسف بعد ما اصبح يهاجم فرنسا ويطلب من الوطنيين بشمال افريقيا ان لا يهتفوا بها (4) وقد كان المقيم العام بويي دي لا تور متشددا في ذلك (5) فحرمه من تأشيرة الدخول (6) وفي برقية بعث بها صالح بن يوسف الى الطاهر بن عمار منتصف شهر ماي 1955 طالب بالنقاط التالية (7) .

(1) عودة كل اللاجئين التونسيين .

(2) اطلاق سراح المساجين والمعتقلين السياسيين .

(3) = = = : المنصف الشابي : صالح بن يوسف . ص : 162 .

(4) = = = : Perillier(L) : la C onquête . . . Op, Cit, P: 254 .

(5) = = = : BahiLadgham : Correspondances . . . Op, Cit, P: 285 .

(6) الاسبوع : 2 ماي 1955 .

(7) الصباح : 17 ماي 1955 .

1) Ben Salem : l'Antichambre . . . Op, Cit, P: 186 .

2) Ben Salem (M) : l'Antichambre . . . Op, Cit, P: 182 .

4) Perillier (L) : la C onquête . . . Op, Cit, P: 254 .

5) BahiLadgham : Correspondances . . . Op, Cit, P: 285 .

(6) الاسبوع : 2 ماي 1955 .

(7) الصباح : 17 ماي 1955 .

3) العفو على المحكوم عليهم بالاعدام امثال : الرويسي - الطيب سليم

رشيد ادريس - ابراهيم طوبال - حسين تريكى . . .

ومن هنا نستنتج ان رجوع بن يوسف كان رهينة " تأشيرة " تسلمها له السلط الفرنسية . فلماذا هذا الالحاح عليه بالعودة من قبل رفاقه الدستوريين فكأن الامر بيده ؟

بالحذر : يبدو ان بن يوسف كان خائفا من القاء القبض عليه من

قبل السلط الفرنسية اذ جاء في رسالة له الى الباهي الادغم بتاريخ

25 أفريل 1954 " انه يتعذر علي الرجوع الى تونس وقد صدرت في

شأني بطاقة جلب في قضية " النفسطلبي " ولا زال الكفاح في المطار

بصفة عدلية لا يمكن التملص منها ولو تدخل الباهي (1) .

اما المنصف الشابي فيذهب الى ان بن يوسف يخشى امكانية اغتياله

من قبل السلط الفرنسية ولكن هذا الاحتمال يقابله بالضرورة

التوضع المنفجر الذي ينشأ عن مثل هذه الفعلة والذي تسعى فرنسا

الى تفاديه (2) .

الرفض العودة الى تونس حتى تنال استقلالها التام : كان بن يوسف

منشوقا الى العودة ، ولكن اتفاق 21 أفريل 1955 بين بورقيبة وادقار

لور حول اتفاقيات " الحكم الذاتي الصوري " جعله يصح بعد عودته

من باندونغ الى القاهرة بأنه لن يعود حتى تنجز تونس استقلالها

التام ملزما نفسه بمواصلة الكفاح و طالبها من الشعب رفض الاتفاقيات

اذن ما دعاه الى العودة في 13 سبتمبر 1955 ؟

وهنا ايضا نلجأ الى الافتراضات :

المصادقة على الاتفاقيات : كان بن يوسف يأمل في ان لا تتم المصادقة على

(1) مصدر سابق : Bahi Ladgham:Correspondance.P:41(Partie Arabe)

(2) مصدر سابق : المنصف الشابي : صالح بن يوسف . . . ص 162 .

"الاتفاقيات" حتى لا تمر الى مجال التطبيق ولكن خاب امله  
فقد امضيت الاتفاقيات بصفة رسمية بين الحكومتين: الفرنسية  
والتونسية يوم 3 جوان ثم صادق البرلمان الفرنسي عليها في 9 جويلية  
ثم تمت المصادقة عليها من قبل مجلس الجمهورية الفرنسية في 3 اوت  
وأخيرا امضى عليها الباي "محمد الامين" في 27 أوت 1955 مصرحا  
"بناء على كوننا الملك الشرعي للقطر التونسي نعلن اننا وضعنا  
خاتمنا على الاتفاقيات المبرمة في 3 جوان 1955 بين حكومتنا التونسية  
والحكومة الفرنسية والمتضمنة لقرار السيادة التونسية بما يتبعها  
من حقوق وامتيازات .

وهذا الحدث يفتح في مملكتنا عصرا جديدا تسود فيه الطمأنينة  
والسلام وتتوثق به عرى المودة بين الشعبين التونسي والفرنسي (1) .  
ومن هنا كان على بن يوسف العودة حتى يحول دون تطبيق  
"الاتفاقيات" عاملا على تجاوزها .

بإحداث قسنطينة بالجزائر : 20 و 21 أوت 1955 .

في الذكرى الثانية لخلع ملك المغرب محمد بن يوسف ( الخامس ) نفذ  
جيش التحرير الجزائري (A.L.N) سلسلة من العمليات العسكرية غطت  
27 بلدة جزائرية (2) ( قسنطينة - عرّوش - فلبغويل . . . )  
وأسفرت الاحداث عن مقتل وجرح العديد من الاروبيين ومن اتباعهم  
الجزائريين . (3)

أما الجزائريون فقد اشتركوا في هذه الاحداث سواء بالقيام بها او يتحمل

1) الارشيف الوطني بالوزارة الاولى : 1)C.56,D.1,D.2-101,P.175.P

2) المتحف الوطني للمجاهدين الجزائريين .

3) من الملاحظ ان هناك تضارب في تقييم الخسائر البشرية في صفوف الاروبيين من ادارة الى اخرى  
( شارل روبرأجران (Ageron) اضطرابات 20 اوت 1955 بالجزائر، اعمال الندوة الدولية  
التسابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين (19 و 20) (مصدر ذكر سابقا /ص 224 .

حملات القمع التي شنتها السلط الفرنسية اثناء الاحداث أوفى اعقابها  
سقط أدى الى استشهاد اكثر من 1000 شهيد واعتقال عدد مماثل (1).  
ومن هذا التاريخ ادركت فرنسا والعالم ان " اجراس الحرب قد قرعت  
في الجزائر وليس هناك مجال للرجوع الى الوراء (2).  
ولعل هذا كان دافعا لبني يوسف حتى يلتحق بتونس وينظم الى  
المقاومة المسلحة في تونس ويوحد الكفاح المسلح " بالمغرب العربي  
لأنجاز الاستقلال طبقا لميثاق لجنة تحرير المغرب العربي .  
بئردي الوضع الداخلي بتونس:

كان الاعتقاد السائد لدى التونسيين ما عدا النخبة " النيرة " ان  
تونس قد حصلت على استقلالها وتخلصت من الهيمنة الفرنسية  
المباشرة وقد تجسد هذا الاعتقاد يوم عودة بورقيبة في 1 جوان 1955  
حيث استقبله التونسيون استقبالا رائعا عكس تعطشهم للحرية والامتنان  
وكانت فرحة الشعب تخفي وراءها آمالا عريضة واحلاما كثيرة :  
بالفلاح يحلم بعودة ارضه المقتصبة " وبتمكينه من القروض والمنح بعد  
حصوله على عقود الملكية ... والتاجر والحرفي يحلمان بالتخلص من  
المنافسة الاجنبية لمنتجاتهم و سلعهم وبحماية السوق التونسية  
بعد التخلص من الوحدة الجمركية ... اما الموظف وكان يحلم بانتدابات  
واسعة في مجال الادارة بعد طرد الفرنسيين منها والغاء امتيازاتهم  
واحتكارهم المناصب السامية .

اما العامل فكان يحلم بالرقى الاجتماعي والازدهار الاقتصادي وتحسين  
مستواه الشرائية والضمانات الصحية والتغطية الاجتماعية في حين كان العاطل  
يحلم بفتح ابواب العمل امامه واستعادة كرامته ومكانته الاجتماعية

(1) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(2) ما صرح به الجنرال " سوستال " لجاك شفاليري (J. Chevalier) نفس المصدر / ص 222 .

كذلك " المقاوم " كان يحلم بجني ثمار كفاحه بتمكينه من النخ  
المالية وبانخراطه في الجيش والسلط . ونسي جميعهم ان الواقع  
لا يسمح بذلك .

فهل اخطؤوا في احلامهم ؟ واصبحت مطالبهم غير شرعية " لانها  
تطرح في ظرف حرج وصعب بالنسبة للحكومة التونسية . (1) التي  
اصبحت تواجه اضرابات العمال واضطرابات سكان الارياف طالبي  
الشغل مما دفع بالحكومة الفرنسية الى منحها قرض بقيمة 3.400 مليون  
فرنك وهبة تقدر ب: 2.600 مليون فرنك وذلك لتوفير القروض

للفلاحين والحرفيين من ناحية ولمقاومة البطالة من ناحية اخرى (2)  
الا ان في الواقع هذه القروض وهذه المنح لا تغطي عيوب الاتفاقيات  
(المنقوصة ) والتي حاول بن يوسف تعريضها وهوفي الخارج ولكنه  
ادرك ان لا جدوى من ذلك الا اذا كان وسط الشعب ، ما دام بورقيبة الذي  
عاد الى تونس منذ جوان يعمل جاهدا على اظهار ايجابيات " الاتفاقيات"  
واخفاء " نقائصها " من خلال جولاته العديدة التي قام بها داخل البلاد  
ولا سيما جهة الساحل بالاضافة الى حركة التجديد التي شهدتها  
عدة شعب وجامعات دستورية الى جانب احداث لأول مرة جامعات  
دستورية بالتراب العسكري : مطامة - مدينين - بن قردان - قبلي (3) .  
فهل خاف بن يوسف من مكوثه على الرف " اذا طالت غيبته ؟  
وهكذا يمكننا ان نعتبر هذه الافتراضات قد وردت جميعا او على الاقل  
بعضها ولذا وجد بن يوسف نفسه مضطرا الى العودة ، فما بقي  
امامه الا الاعتماد على قوة ما كان يعطيها اهتماما كافيا قبل الحين

1) I.S.H.M.N: Service Historique de l'Armée de Terre ,Serie 2H  
D:151,Bobine:S.386(Physionomie de la Presse Arabe Tunisienne: (1  
AL AMAL: 2 Decembre 1955.

2) Julien(Ch.A): et la Tunisie...Op,Cit, P: 197. (مصدر سابق: (2  
3) الزهرة: 1 جويلية 1955 . (3)

وهو " الشعب التونسي " فهو الوحيد القادر على دحر الاتفاقيات  
المزيفة " .

فهل سيلبى الشعب نداءً بن يوسف لمحاربة الاتفاقيات ومن وراء  
الاتفاقيات ؟ وما هو رد فعل بورقيبة من ذلك وهل ستكون الحرب بين  
الرجلين بينما يكون الشعب حكماً فيها ؟

(2) عودة بن يوسف وتعمق الخلاف :

أستعداد تونس للدخول في تطبيق الاتفاقيات :

لقد دخلت الاتفاقيات مرحلة التطبيق بعد مصادقة الباي عليها يوم  
27 أوت 1955 ولذلك ارتحل المقيم العام بوياي دي لا تور في 30 أوت  
بعد ما عين مقيماً عاماً بالمغرب وعوضه " سيدو " (R.Seyd-  
oux) الذي  
استلم مهامه الجديدة .

وفي 1 سبتمبر أصدر الباي أول قرار له غير خاضع لتأشيرة المقيم العام  
ويتعلق بالعفو على 80 تونسي محكوم عليهم من قبل محاكم  
عسكرية وكذلك لرفع حالة الحصار على البلاد .

كما قدم الطاهر بن عمار استقالة حكومته الى الباي .

وما إن عاد بن يوسف الى تونس حتى اتصل الباي مقترحاً عليه  
تكليف " بورقيبة " بتشكيل الحكومة الجديدة (1) .

فهل كان بن يوسف يرغب في " رد الجميل " لزعيم حزبه الذي  
كان سابقاً قد رشحه للمشاركة في وزارة شنيق التفاوضية وهو اليوم  
يقترح عليه الانخراط في حكومة "الاتفاقيات"؟ وعلى كل فقد تشكلت  
الحكومة التونسية الجديدة في 17 سبتمبر ولم تضم لابن يوسف ولا

بورقيبة إذ كانت على النحو التالي :

الطاهر بن عمار ( مستقل : رئيس الحكومة ورئيس مجلس الوزراء ) . النجى سليم

( من الحزب الدستوري الجديد ) : وزير الداخلية محمد المصودي  
( من الحزب الدستوري الجديد ) : وزير الاقتصاد القومي  
الهادي نويرة ( من الحزب الدستوري الجديد ) وزير المالية  
• <sup>الملك</sup>جلولي فارس ( من الحزب الدستوري الجديد ) وزير التربية القومية  
• محمد بدره ( من الحزب الدستوري الجديد ) وزير الفلاحة  
• حاتم بن عاشور ( مستقل ) وزير العدل  
• فحي زهير ( من الحزب الدستوري الجديد ) وزير الشؤون الاجتماعية  
• عز الدين العباسي ( مستقل ) وزير الاشغال العامة  
• الشاذلي رحيم ( مستقل ) وزير البريد والبرق والهاتف  
• الباريسيس ( يهودي تونسي ) وزير التعمير والاسكان  
كما نلاحظ ان المندوب السامي الفرنسي بقي وزيرا للخارجية ، في  
حين بقي الجنرال قائد القوات العسكرية وزيرا للدفاع ، كما يمكنه  
التدخل في حالة اندلاع اضطرابات في البلاد طبقا للبند الثالث معاهدة  
باردو ( 1 ) باسم حماية الباي  
•  
كما نلاحظ ايضا ان نسبة مشاركة الدستوريين الجدد في الحكومة  
الجديدة قد بلغت النصف ، اما النصف الباقي فهو من المتعاطفين معهم ،  
وربما هذا يعود الى حرص الحزب الدستوري الجديد وزعيمه الحبيب بورقيبة  
على العمل الجاد من اجل نجاح " الاتفاقيات " بعد ما التزم بها قائلا  
" اننا مستعد للمواجهة دفاعا عن الاتفاقيات التي يجب ان تضمن السلم  
بين شعبين ... " ( 2 ) .

ولكن من الغريب ان تكون المواجهة بينه وبين الامين العام لحزبه  
صالح بن يوسف الذي رفض كل " المغريات بما فيها السلطة والجاه

1) Boyer de la Tour: Verités...Op,Cit, P: 121.

(1) مصدر سابق:

2) Perillier(L): La Conquête...Op,Cit, P: 250.

(2) مصدر سابق:

بمنسكا بموقفه المهاجم للاتفاقيات مصرحا بذلك اينما حل .  
خطاب جامع الزيتونة القطرة التي افاضت الكأس باعتبارها امينا  
عاما للحزب عقد بن يوسف اجتماعا عاما في جامع الزيتونة  
يوم 7 اكتوبر 1955 اثر صلاة الجمعة قال فيه : "لما قبلنا المفاوضات  
كان القصد منها ان تكون لضمان مصالح الجالية الفرنسية في هاته البلاد  
لان تؤول الى اتفاقيات اقترت بصفة صريحة واضحة لا تقبل الشك ، بالوضع  
الاستعماري الموجود . لاجل ذلك اقول ان الاتفاقيات التي اقترت الوضع  
الاستعماري تعترف بما لم تعترف به معاهدة باردو والتي لا تحرمنا  
صراحة لا من السيادة الخارجية ولا من الجيش ولا تجل من الحكومة  
في علاقتها الاقتصادية والمالية لا تتجاوز الرحمة الفرنسية ... لذلك  
اعتبرناها ارجعنا الى الوراء ، ولذلك ادعو حزبي ومن ورائه الشعب  
بان لا يقر ما اقره غيره ويجب على الشعب ... ان يعقد العزم على مواصلة  
الكفاح للتخلص نهائيا من نير الاستعمار .

ان هذه البلاد عربية اسلامية لا تستقل ولن تؤول الى استقلالها الا اذا  
استقلت الجزائر والمغرب الشقيقتان ... ثم ان الحزب الدستوري التونسي ومن  
ورائه المنظمات القومية لم يقر بعد ما يسمى الاتفاقيات ضمانا للسيادة  
هذا الشعب سيادة كاملة ، " الوطن حق مشاع للجميع " ... ويحق لكل  
تونسي ان يبدي رأيه ويعبر عنه بحرية " (1) .

لقد اعلن بن يوسف للعموم عن موقفه الراض للاتفاقيات ، كما وضع  
اسباب هذا الرفض داعيا الشعب التونسي لمواصلة الكفاح من اجل الاستقلال  
التام الذي لن يكون الا اذا تم الاستقلال لكل اقطار المغرب العربي

(1) مقتطفات من خطاب صالح بن يوسف بجامع الزيتونة ، الصباح 8 اكتوبر 1955 / ص 1 .

تمثل هذه الافكار من شأنها ان تزعج المندوب السامي الفرنسي الذي احتج رسميا لدى الحكومة التونسية قائلا " انه لا يجوز للسيد صالح بن يوسف وهو الامين العام للحزب الدستوري الجديد الذي وافق رئيسه بورقيبة على الاتفاقيات التونسية الفرنسية ان يعلن الحرب على نفس الاتفاقيات " (1) .

وبسرة انعقد اجتماع ضم اعضاء الديوان السياسي بغياب صالح بن يوسف وبدعوة من رئيس الحزب الحبيب بورقيبة يوم 8 اكتوبر 55 وقد اتخذ القرارات التالية :

- (1) - عقد المؤتمر النظامي للحزب الحر الدستوري التونسي يوم 15 نوفمبر .
- (2) - تجريد الامتياز صالح بن يوسف من الامانة العامة للحزب ومن عضويته بالحزب . (2) عملا بالفصل الثالث والاربعين من القانون الداخلي للحزب (3) .
- ولكن بورقيبة لم ييأمر من عودة صديقه ورفيقه في الكفاح الى الجادة لوضع قرار الطرد في جيبه ثم اتصل بصالح بن يوسف ودام اللقاء بينهما نراية الساعتين (4) حاول خلالها بورقيبة اقناع صالح بن يوسف بالعدول عن موقفه في الوقت الذي حاول فيه بن يوسف اقناع صديقه بأن يكشف هذا الاخير خطوة الاتفاقيات للشعب نفسه ويضغط على فرنسا بذلك وطلب منه ان يعقد مؤتمرا للحزب يصدر عنه رفضا للاتفاقيات ثم يطالب المؤتمر الحكومة التونسية بابلاغ فرنسا موقف الشعب من الاتفاقيات مطالبتهما بالدخول في مفاوضات جديدة على اساس الاعتراف بالاستقلال التام (5) .

(1) مصدر سابق : الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية / ص 142 .

(2) الصلاح : 3 اكتوبر 1955 .

(3) القانون الداخلي للحزب (ذكر سابقا) .

(4) مصدر سابق :

4) Bourguiba(H) : Ma Vie... Op, Cit, P: 319 .

(5) مصدر سابق : الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية : ص 142 و 143 .

به في ذلك الحين يعتبره بورقيبة قفزا على الواقع وحرقا للمراحل  
ويؤيده جلولي فارس في ذلك اذ يقول: " فلا بد ان نأخذ بعين  
الاعتبار وضع البلاد التونسية من حيث افتقارها للاطارات الكفأة  
التي يمكن ان يعوض الفرنسيين بعد ترحيلهم من الادارات التونسية وخاصة  
عجزها المالي فهي غير قادرة على الوقوف على قدميها بمفردها  
اذا عادت لها كل الحقائق بما فيها الخارجية والأمن والجيش، ومن هنا  
كان الاكتفاء بالحكم الذاتي كمرحلة اولى ضرورة حتى يتدرب التونسيون  
تدرجيا على تسيير شؤون بلادهم بانفسهم... وبعدها ياتي الاستقلال التام  
(1).

ولكن بن يوسف الذي ينطلق من المعطيات الخارجية في العالم يرى  
ان الوقت مناسب للمطالبة بالاستقلال التام وهو ما تم بالفعل لفائدة  
المغرب بعد شهر فقط من هذا التاريخ.

ورغم ان اقتراح بن يوسف يبدو مقنعا ولو تم العمل به لتجنبنا البلاد  
خربا اهلية الا ان بورقيبة اصرا على طرد بن يوسف من الحزب مثلما فعل  
سابقا مع سليمان بن سليمان في سنة 1950 ورغم محاولة العديد من  
الديمقراطيين التوفيق بين الزعيمين الا ان كليهما قد تسمك برأيه  
واضحنا على طرفي نقيض وحن الوقت لاختبار قوة كل واحد منهما فهذه  
القوة تبدو متساوية فكل منهما له مكانة عالية داخل الحزب كما يتمتع  
بثقة الشعب، ولهذا الخشي الديموقراطيون الجدد من الانشقاق فحاول  
الباهي الادغم حال عودته الى تونس في 10 اكتوبر 1955 ان يتدخل  
لسدى بورقيبة ليتراجع في قرار الاطرد بايعاز من احمد بن صالح واحمد  
الثليلي (2) وكانت المساومة اما ان يتراجع بن يوسف في حكمه على

(1) استجواب السيد جلولي فارس يوم 13 جانفي 1996 اثناء اقامته بمصحة ابو لبابة بقابس.

(2) مصدر سابق: مائدة مستديرة حول 20 مارس المغرب، 1988 ص 61.

على الاتفاقيات على انها الى الورا" ويكون جزاؤه رئاسة الحكومة التونسية بعد دفع الظاهر بن عمار على الاستقالة وهذا حسب اتفاق بورقيبة والمنذوب السامي الفرنسي " سيدو" (1) واما يكون الطرد وفي 13 اكتوبر 1955 نشرت الصحافة التونسية نبأ طرد صالح بن يوسف من الحزب وتجريده من الامانة العامة .

فلماذا هذا القرار الذي لا يجهل اصحابه مدى خطورته ؟ ولماذا تمسك بن يوسف برفضه ؟

الطرد بن يوسف من الحزب؛ ولادة الحركة اليسوعية؛ سيدو ان بورقيبة  
تند وصل الى هذا القرار بصعوبة فبعد ان اقنع المنذوب السامي الفرنسي الذي كان يقترح نفي بن يوسف بان مثل هذا الاجراء قد يتسبب في اندلاع حرب اهلية وكان البديل فصل من الحزب مع تجريده من جميع مسؤولياته الحزبية (2) وذلك لاقفاه عما يعقده من اجتماعات (3) وكان على بورقيبة اقناع زملائه في الديوان السياسي بهذا القرار .  
ويبدو انه انتزعه انتزاعا من الديوان السياسي لان الجميع كانوا يخشون ردة الفعل الجماهيرية (4) كما كان بعض اعضاءه يرى قرار طرد الامين العام هو اجراء عاقبته ثقيلة فلا يمكن اتخاذه في جلسة من جلسات الديوان السياسي رغم اعترافهم بأن بن يوسف قد حاد عن الخط العام للحزب (5) .

وقد قال احد المقاومين للباهي الادغم " اذا رأى الجماعة طرد بن يوسف فليخذ هذا القرار في الموء تمر لا في الديوان السياسي (6) .

(1) مصدر سابق: الطاهر عبدالله: الحركة الوطنية التونسية / ص 142 .

(2) نفس المصدر: ص 144 .

(3) مصدر سابق: تصريح الباهي الادغم في المائدة المستديرة، المغرب ص 61 .

(4) مصدر سابق: المنصف الشابي: صالح بن يوسف / 182 .

(5) مصدر سابق: Bessis(S) et Belhassen(S) Bourguiba...P: 159 .

(6) مصدر سابق: تصريحات الباهي الادغم في المائدة المستديرة، المغرب 188 / ص 61 .

ولكن لا بد من التوضيح حتى لا يظهر الحزب امام فرنسا وكأنه يلعب على حبلين ( 1 ) والآن نفسه لا بد من الاستعداد امنيا لمواجهة ما قد يجر عن هذا القرار من مضاعفات .

وكان بن يوسف لم يعلم بهذا القرار الا يوم 13 اكتوبر .

فماهي ردود الفعل عن قرار الطرد ؟

جاء في بلاغ صادر عن صالح بن يوسف : " طالعت بالصحف التونسية الصادرة بتاريخ 13 اكتوبر 1955 قرار من الديوان السياسي ممضي من الرئيس الحبيب بورقيبة يقضي بتجريد الامين العام للحزب الدستوري التونسي من الامانة العامة للحزب ومن عضوته للحزب... واني بوضعي الامين العام... اعلن ان القرار لم يكن صادرا عن ذي أهلية او صلاحية حسب قوانين حزنا ، ولذا فاني اعلن بطلانه من اساسه مؤكدا استمراره على مباشرة مسؤوليته الحزبية وعملي السياسي " ( 1 ) .

اما الدستوريون فقد فاجأهم قرار الطرد فتوافدوا على منزل الامين العام الذي قام فيهم خطيبا مستعملا شرفه بمنزله بمنفوري منصة للقاء الخطب الحماسية في اتجاه مناهضة الاتفاقيات الافرنسية التونسية وفي اتجاه التمسك بمهام الامين العام ورفض قرار الطرد الجائر الذي اتخذته الديوان السياسي منتهكا القوانين الداخلية للحزب التي ساهم الدستوريون في وضعها ( 2 ) .

وأمام مواجهة المساندة التي هزت البلاد وانعكست في حركية الوفود القادمة من انحاء البلاد وفي تتالي البرقيات المستنكرة لقرار الطرد تسراى لا بن يوسف ان الامانة العامة اصبحت الممثل الشرعي والمسير الوحيد للحزب الدستوري الجديد ، وفي احد خطبه بمنزله بتاريخ 15 اكتوبر صرح بن يوسف امام ما يقارب عن 10 آلاف شخص بعدم شرعية الديوان

( 1 ) خطاب بورقيبة : الصباح 14 اكتوبر 1955 .

( 2 ) الزهرة : 18 اكتوبر 1955 ( خطاب صالح بن يوسف في منفوري يوم 17 اكتوبر .

السياسي واعتباره منحلا (1) .

وربما اسندت هذه التصريحات على قرار لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة والصادرة يوم 14 اكتوبر 1955 والتي تنص على :

(1) - فصل الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي الجديد ورئيسه بورقيبة من عضوية اللجنة .

(2) - اعتبار ان السلطات التي للديوان السياسي قد انتقلت الى يد

الامين العام السيد صالح بن يوسف وهو الذي بقي محافظا على المبادئ

الاستقلالية التي انضم الحزب على اساسها الى اللجنة .

(3) - يبقى الممثل السيد صالح بن يوسف هو الممثل الرسمي للحزب

الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي التي ان يتمكن

جمهور الحزب من البت في مصير الديوان السياسي الحالي وتدبير

المسؤولين الجدد عن سياسة الحزب وذلك في جو بعيد عن الارهاب

الفرنسي وضغط الديوان السياسي الحالي .

وان لجنة تحرير المغرب العربي لتجد نفسها مضطرة لاتخاذ هذه القرارات

وذلك للمحافظة على المبادئ التي قامت عليها ولحماية الحركات الاستقلالية

بالمغرب العربي من التوجيه الاستعماري الذي بدأ يتسرب الى بعض

القادة وهو مؤمن بأن لا خلاص لتونس الا بالعودة الى كفاحها المستمر

في سبيل تحقيق الاستقلال الصحيح متضامنة في ذلك مع شقيقتها مراكش

والجزائر (2) .

وفي 17 اكتوبر اعلن جمال عبد الناصر عن مؤازرته لموقف بن يوسف (3)

وفي هذا اليوم صرح بن يوسف في خطاب القاه في جمع من " الفلاحة "

المجاهدين جاؤوا من الجنوب التونسي لمسانده " ان الكفاح يجب

ان يعتمد بالضرورة على المساعدة الخارجية ، لقد عرفت كما ينبغي بقضية

(1) مصدر سابق: الطاهر عبد الله الحركة الوطنية التونسية / ص 147 .

2) Ben Salem (M): 1' Antichambre... Op. Cit, P: 186.

(2) مصدر سابق:

وطني وشعبي (1) ” .

رجاء الاثبات عند ما تلقى بن يوسف برقية تأييد وتضامن من جبهة التحرير الوطني الجزائري بامضاء محمد خيضر ومن حزب الاستقلال المغربي بامضاء علاله الفاسي (2) ومن الملاحظ انهما قد حضرا اجتماع لجنة تحرير المغرب العربي المنعقد يوم 14 اكتوبر والذي فصل بورقيبة والديوان السياسي من عضوية اللجنة . وهكذا يرى ان في كل يوم تزداد شعبية صالح بن يوسف الذي خرج من منزله ليقوم بالدعاية اولا في تونس العاصمة ومنها في كافة انحاء البلاد وكان يعقد الاجتماعات نلوا الآخر واستطاع بقدرته الخطابية ان يجلب الناس للاستماع اليه .

رئاسته في عدة مواقف لا سيما المطالبة بالاستقلال التام ، ومواصلة الكفاح وتنسيق العمل داخل اقطار المغرب العربي وهو في ذلك مصرا على انه لم يخرج ولم يحدد عن مبادئ الحزب الاساسية التي هي سر قوته والتي يقول عنها بن يوسف انه بذل مع بورقيبة جهودا تركيزها (3) .

ويمكن ان نثبت ذلك بأن ما يدعوا اليه لا يخرج عن نطاق لوائح مؤتمرات الحزب والتزاماته ، فالدعوة الى مواصلة الكفاح من اجل تحقيق الاستقلال التام قد جاءت في قرارات مؤتمر الحزب المنعقد بصفة سرية يوم 18 جانفي 1952 الذي اقر العمل على الغاء الحماية الفرنسية وهو ما التزم الحزب به وقد قال المنجي سليم في رسالته الى الباهي الادغم بتاريخ 9 افريل 1954 : ” اننا جميعا تربطنا لائحة مؤتمر 18 جانفي 1952 والاقتصر على ذكر الاستقلال الداخلي لا يمكن اعتباره الا كأمرفرضته ظروف معينة في وقت معين يتغير بتغييرها ” (4) .

(1) من خطاب بن يوسف بمنفلاوري (الزهرة 18 اكتوبر .

(2) البلاغ 4 نوفمبر 1955 .

(3) الزهرة : 18 اكتوبر 1955 (خطاب بن يوسف 16 اكتوبر في وفد الاتحاد العام للفلاحة التونسية .

(4) مصدر سابق : (Partie : 20, Op, Cit, P: 20) Bahi Ladgham ; Correspondance... Op, Cit, P: 20 (Partie : 20, Op, Cit, P: 20) (Arabe) .

أما وحدة الكفاح بين اقطار المغرب العربي فهي تنبع من ميثاق لجنة المغرب العربي في جانفي 1948 والتي انخرط فيها الحزب الدستوري الجديد وكان بورقيبة امينا عاما لها .

وبما ان بن يوسف أمين عام للحزب فهو مسؤول على تنفيذ قرارات الحزب والمؤامح ومؤتمره وعليه ايضا توجيه الصحافة الحزبية الى جانب دعوة رؤساء الشعب والجامعات الى مؤتمرات دورية ، يقرر اثناءها الخط السياسي الذي يسير عليه الحزب ( 1 ) .

ومن هنا نلاحظ ان بن يوسف قد استغل ما منحہ القانون الداخلي للحزب من مهام واسعة ليضعن في قرارات الطرد ويتمسك بمهامه داخل الحزب ويدعو الى عقد مؤتمر لتقييم الاتفاقيات وعلى المؤتمر ان يتخذ القرار المناسب لفض المشكل بطريقة ديمقراطية ( 2 ) .

وهذا المقترح قديم جديد عند بن يوسف فقد سبق وان اقترح عقد مؤتمر خارق للعادة خلال 24 ساعة في حالة الانقسام بينه وبين بورقيبة حول المفاوضات الجارية بين تونس وفرنسا ( 3 ) اي قبل اندلاع الازمة .

كما اعاد بن يوسف هذا المقترح على بورقيبة عند ما جاء ليقنعه بالانسحاب عن مهاجمة الاتفاقيات بعد خطابه في جامع الزيتونة . ولكن الديوان السياسي قد سبق وقرر عقد مؤتمر ليوم 15 نوفمبر 1955 وهذا هو بن يوسف يطعن في شرعية القرار لانه لم يصدر عنه كما انه لم يترقبه تاريخ انعقاده ففضل ان يكون يوم 18 جانفي 1956 .

ولعل في ذلك اثباتا لصحة توجه الديوان السياسي المطالب بالاستقلال التام .

( 1 ) القانون الداخلي للحزب ( ذكر سابقا ) .

( 2 ) الزهرة : 18 اكتوبر 1955 ( خطاب بن يوسف في 16 اكتوبر ) .

( 3 ) رسالة بن يوسف الى الباهي الا دغم بتاريخ 1954/4/2 ( مصدر سابق " الباهي الا دغم مراسلات

وهكذا نلاحظ ان الخلاف بين زعيمي اهم تنظيم في الحركة الوطنية  
الحزب الدستوري الجديد قد بلغ حد القطيعة باصدار قرار طرد  
بن يوسف من الحزب وتجريده من الامانة العامة .  
ويبدو لنا ان الديوان السياسي برئاسة بورقيبة قد اخطأ في اتخاذ  
هذا القرار الذي اعتبره صالح بن يوسف " ابرة وخزت الشعب التونسي  
بإستيقظ من سباته ليلتف حول شخصه المتواضع " (1) .

لقد اعطى قرار الطرد الفرصة لابن يوسف حتى يصبح في عين الدستوريين  
والتونسيين عموماً " ضحية " متعسف عليها وكان رد فعل الشعب  
ليس " استفاقة " كما عبر عنها بن يوسف وانما تعاطف يستند لا  
الى وعي سياسي بقدر ما هونابع من قيم اخلاقية موروثة شعارها  
" نصرة المظلوم " .

تقد سمح قرار الطرد لابن يوسف بما لم يكن يسمع به لولم يكن  
هذا القرار وهو التفاف الشعب حوله والاستماع الى مواقفه في الاتفاقيات  
وتحامله على الديوان السياسي الى درجة اقصائه من الحزب وبالتالي  
اصبح الحزب محل التنافس بين المتصارعين في نطاق " خطوة الى  
الامام " ، " خطوة الى الوراء " ومن هنا اتسعت رقعة الخلاف لتشمل  
الحزب والمنظمات القومية والمجتمع التونسي ككل في حين كان  
القصد من وراء قرار الطرد خنق المعارضة الناشئة للنظام الجديد قبل  
ان يستفحل أمرها غير أن التجري الرياح بما لا تشتهي السفن .

في الامانة العامة وتكوين الصف اليوسفي :

في 30 اكتوبر 1955 أسس بن يوسف مقر الامانة العامة للحزب بنهج  
الجزيرة بتونس العاصمة حتى يصبح مكاناً عاماً يجتمع فيه مناصروه واتباعه

بوضاه عن منزله بمنفطوري؟ فمن هم هؤلاء الاتباع وما هو المقياس لتصنيفهم ؟

(1) الزهرة 18 اكتوبر 1955 خطاب بن يوسف 17 اكتوبر 1955 .

أ- اليوسفية داخل الحزب الدستوري الجديد :

لقد رفض صالح بن يوسف اقتراح بورقيبة تأسيس حزب جديد لأنه يعتبر نفسه احد مؤسسي الحزب الدستوري الجديد وممن بذلوا جهدا في ترسيخ قيمه اضافة الى كونه لا يرى موقفا لانسلاخه من حزبه طالما لم يخرج عن مبادئه وانما <sup>من</sup> انحرف عن المنهج القومي والحزبي هو الديوان السياسي، ولهذا يرى من واجبه انقاذ الحزب من الخطر (1) .

ومن هنا يمكن ان نعتبر ان بن يوسف قد كلف نفسه مهمة نزل الديوان السياسي قاعديا بل يذهب بورقيبة الى القول :  
" ظن بن يوسف ان تمسكه بصفته الكاتب العام للحزب يكفيه لجلب كل شعب الحزب اليه ، ويصبح بذلك هو الحزب وهو المؤتمر، وهو الديوان السياسي " (2) .

ومن هنا نتبين ان الحزب اصبح مركز الصراع بين اليوسفية والبورقيبية لكل طرف يسعى الى الاستحواذ عليه واقصاء الطرف المقابل ملقيا عليه تهمة خرق قيم الحزب ومبادئه وهذا التمسك بالحزب يكشف عن مكانته داخل الحركة الوطنية وتفلكله في المجتمع التونسي بالاضافة الى معرفته من قبل الاوساط العالية لهوا اطار شرعي وتاريخي ومكسب سياسي . من الصعب التفريط فيه .

وهكذا اصبح من المفروض على الدستوريين بعد فشل محاولات التوفيق بين قطبي

الصراع ( بن يوسف وبورقيبة ) ان يختاروا بين اتجاهين :

- اتجاه نحو مهادنة الاتفاقيات والدعوة الى مواصلة الكفاح من اجل انجاز الاستقلال التام في نطاق استقلال المغرب العربي (3) .

- اتجاه آخر نحو مباركة الاتفاقيات والعمل على انجاحها طبقا لقول بورقيبة " فعندما نحترم هذه الاتفاقيات ونفي بعهودنا ، انما نندفع في الطريق الموصلة الى الاستقلال التام بدون مغامرة ولا مجازفة .

(1) الصباح : 11/11/55 الدوه الصحفية لابن يوسف يوم 4/11/55 (1955)  
(2) من خطابات بورقيبة في جربة 15 ديسمبر 55 (راجع كتاب خطب لبورقيبة /ص 224) .  
(3) خطاب جامع الزيتونة .  
(4) خطاب بورقيبة في قابس 11 ديسمبر 55 (ص 208) .

فهذان طريقان لا ثالث لهما بالنسبة للدستوريين الجدد ، وكلمة  
السر التي تجعلك في هذا الصف او ذلك هي " خطوة الى الامام "  
خطوة الى الوراء " ، فاذا نطقت بالاولى اصبحت في صف البورقيبية  
وبالتالي عليك مقاومة " الفئة الضالة " ( اليوسفية ) واذا نطقت بالثانية  
كان تصنيفك ضمن اليوسفية و عليك بموجب ذلك مناهضة الاتفاقيات  
ومواجهة صف البورقيبية ( الديوان السياسي ) الى جانب معارضة حكومة  
بن عمار الثانية ومقاومة الحضور الفرنسي ، ففي كلتا الحالتين عليك  
بالمقاومة واليك الخيار بين الخط الاصلاحى وقبول ما تجود به فرنسا  
نحت شعار " خذ وطالب " او المغامرة نحو المجهول " بحيث تشن حربا  
تحريرية معتمدا على قوى خارجية " الشرق وكتلة باندونغ " و سرعان  
ما تكون صفان متقابلان لا يخضعان لآي قاعدة في تحديد أسرار الانتماء  
اليهما مما جعل التمييز بينهما صعبا ان لم نقل مستحيلا اذ لم يضم  
احدهما ما لم تضم الآخر من مختلف الاعمار والاصناف والفئات والطبقات  
بحيث توجد في الصف البورقيبي وكذلك في الصف اليوسفي المثقف  
والامي ، الغني والفقير ، الحضري والريفي ، الكهل والشباب ، العامل والعاقل  
الا ان النسب تختلف من جهة الى اخرى ولكن لا يعني تواجد البورقيبية  
سكثرة في منطقة ينفي تواجد اليوسفية بها والعكس صحيح .  
بالوضع يكشف عن انقسامية تذكرنا بمرحلة ما قبل الاستعمار ، والتي  
خدمت تحت الرماد في ظل التواجد الفرنسي المباشر وهيمنته على البلاد  
وفقا لشعار " أنا ضد أخي وأنا ضد ابن عمي وأنا وابن عمي ضد الغريب " الا ان هذه  
الانقسامية قد ظهرت من جديد في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ تونس  
التي اصبحت تنهيا للدخول في مرحلة ما بعد الاستعمار المباشر من الطبيعي  
ان يكون الصراع حول مستقبل البلاد ، وان يكون التكاليف والتنافس على مراكز الثروة  
والسلطة حسب الخدمات التي قدمها كل واحد الى هذا الوطن

وفي خضم هذا الصراع يجد " الانتهازيون " فرصة للبروز لكي  
الأممي يلعبوا دورا متأخرا ولكن فعلا يضمن لهم " نصيبهم في النظام  
الجديد .

وهكذا انقسمت الشعبة الواحدة الى شقين : شق يتبع الامانة العامة  
ويرى ان قرار الطرد غير شرعي بما ان المتهم لم يستدع ولم يستمع  
لائقوا له ولذلك يبقى صالح بن يوسف امينا عاما للحزب .  
وشق آخر يقرب بما جاء في قرار الطرد ويعتبر الامانة العامة ملغاة  
ولهذا تجد كل شق يخول لنفسه الشرعية في التكلم باسم الشعبة  
ليبعث الشق اليوسفي بهرقيية مساندة الى الامين العام باسمها بينما  
يبعث الشق البورقيبي ببهرقيية تأييد الى بوقيينة باسمها ايضا (1) .  
رغد تجاوزت الانقسامية اطار الهيئات المديرة للشعب لتجرف المخرطين  
والافراد في الاحياء والقرى والمدن ، وشعر البعض بخطورة الموقف ففضل  
الصمت واضعا قدما هنا وأخرى هناك في انتظار ان يتجلى الامر (2)  
واندر البعض الآخر في صفوف هذا الشق او ذاك متظاهرا بما لا يبطن  
سائلا على نقل اخبار وتحركات الشق المقابل واختلط " الحابل بالنابل "  
وانتزجت الاطماع الشخصية بالطموحات السياسية و ساد مناخ من عدم  
الثقة لا سيما امام موجة العنف التي بدأت تجتاح البلاد منذ اواخر  
اكتوبر 1955 .

وهكذا نجد صعوبة في تمييز الصف اليوسفي عن الصف البورقيبي مع  
انهما كانا يعرفان بعضهما معرفة جيدة - فليس من الممكن ان يفترض  
ان كل من زار او اتصل بصالح بن يوسف مواسيا او منددا او محاولا تقرب  
اجهات النظر ، هو يوسفي وان كل البهرييات والرسائل الواردة عليه ،

(1) استجواب حسين عزيز : رئيس شعبة جارة بقابس (ذكر سابقا) .

(2) استجواب عبد الله الغنوشي .

جاءته من يوسفيين وأن كل من قال أنا يوسف يوتي أو تظاهر

بذلك هو يوسف بالفعلة .

فلا بد اذن من التحري والحذر وأن نأخذ بعين الاعتبار الفعل قبل القول بحيث يكون الانتماء الى اليوسفية حسب اقتناع هؤلاء " اليوسفيين " بصحة اتجاه صالح بن يوسف الى حد الانسلاخ عن الديوان " والعمل على احباط الاتفاقيات الفرنسية التونسية والمادة بسقوط حكومة بن عمار ومقاطعة مؤتمر صفاقس ( نوفمبر 55 ) وانتخابات المجلس القومي التأسيسي ( مارس 1956 ) والاطار من ذلك قطع الحدود والاتحاق بمراكز التدريب العسكري في ليبيا ومرافقة القوافل المحملة بالسلح لفائدة " جيش التحرير " في تونس والجزائر والمغرب أو حمل السلح والاتحاق بالاحراش لمواجهة القوات الفرنسية ولجان " اليقظة " البورقيبية .  
ومن هنا سنعمد على ثلاث معطيات :

( 1 ) الانسلاخ عن الديوان السياسي :

يذكر السيد المنصف الشابي انه توصل من خلال قراءه لأهم الصحف الصادرة في تونس الى تعداد 374 شعبة دستورية من جملة 600 شعبة أعلنت مقاطعتها للمكتب السياسي بالاضافة الى عدد آخر من الشعب لم تتمكن من ابلاغ صوتها الى الصحف فكان الاعلان عن موقفها مباشرة الى الامين العام عن طريق ممثلين عنها ( 1 ) .  
ولكن من الصعب التثبت في هذا الرقم لأن اعلان الانضمام لهذا الطرف وذلك يتم عبر الشق المؤيد لاحد الطرفين باسم الشعبة فسرعان ما يكذبه الشق المقابل . ومع ذلك فقد يبدو ان الامانة العامة قد

( 1 ) مصدر سابق : المنصف الشابي / صالح بن يوسف ص 185 اما بن يوسف فيعطي رقم 510

شعبة ( ندوة صحفية يوم 8 سبتمبر 1955 ) .

تمكنت من استقطاب العدد الاوفر من الشعب الدستورية وعلى رأسها الجامعة الدستورية بالعاصمة والاحواز والتي تضم قرابة 20% من جملة المنخرطين (1) وهذا ما يفسر عقد مؤتمر الحزب بصفاقس بعيذا عن العاصمة .

بمقاطعة مؤتمر صفاقس :

لقد رفض بن يوسف واتباعه الاقليلا منهم حضور مؤتمر صفاقس المنعقد من 15 - 18 نوفمبر 1955 احتجاجا عن طرده من الحزب ومن هنا كانت الاغلبية الساحقة التي حضرت المؤتمر تنتمي الى الصف البورقبي مع العلم ان الحضور لم يشمل سوى المندوبين عن الشعب الدستورية وقد بلغ عددهم 2500 نائب (2) وهذا لا يسمح لنا بالقيام بعملية حسابية لمعرفة عدد اليوسفيين الذين لم يحضروا المؤتمر فهناك ايضا عدد كبير من البورقبيين " لم يحضروه ايضا " .

3- مقاطعة الانتخابات التي جرت في 25 مارس 1956 :

دعت الامانة العامة للحزب الدستوري الجديد الى مقاطعة الانتخابات طالما تشرف على تنظيمها حكومة الطاهر بن عمار وترا قبحها وزارة الداخلية برئاسة المنجي سليم " فكان عدد الذين سجلوا اسماءهم ( من 21 سنة فما فوق ) 736 الف وقد تعطلت بطاقات الانتخاب ليستين الف منهم واحجم عن الانتخاب اتباعا لفئة مظللة ما يقارب عشرين الف وكانت جملة الناخبين 66 الف حصلت الجبهة القومية التي ترأسها 59750 صوت (3) ويعني ذلك ان مرشحي الجبهة قد تحصلوا على 81,48% من المرسمين و 98,34% من الاصوات المصرح

(1) وصلت هذه النسبة من خلال تقديرات عدد المستجوبين .

(2) مصدر سابق : Julien(Ch.A): ET la Tunisie... OP.Cit , P: 199.

(3) من رسالة بعث بها بورقبي لصديقه المصري "أبو الحسن" بتاريخ 4 افريل 1956 (عشر

على هذه الرسالة بمقر اللجنة الثقافية بقابس) .

بها مما يعني وجود حوالي 20% من المرسمين غير راضين

سواء بعدم تصويتهم لقوائم الجمعية او بتغيبهم (1) ويظهر

ذلك جليا بمدينة تونس حيث لم يصوت لفائدة الجبهة سوى 39715

من جملة 670109 مرسم أي حوالي 41% من المرسمين . اما صوتوا

لمرشحي الحزب الشيوعي او تغيبوا (2) ، اما في جزيرة جربة مسقط

رأس صالح بن يوسف صوتوا لفائدة الجبهة 3129 من جملة 106796

مرسم (3) . ومع ذلك فان هذه النسب لا تكشف العدد الحقيقي لليوسفيين

الذين كانوا كثيرا منهم رهن الاعتقال او في صفوف جيش التحرير التونسي .

ثم لا ننسى الدستوريين بالخارج الذين اعتنق عددهم اليوسفية

اذا كانوا على صلة بصالح بن يوسف شخصيا وهو كثيرا ما كان يحاول

جاهدا فرض عودتهم الى ارض الوطن متبنيا قضية اللاجئيين التونسيين

لمن الطبيعي ان يكون الخطاب اليوسفي اقرب الى ميولاتهم السياسية

من الطرح البورقبيي بحكم معاشتهم التطورات السياسية بالشرق بعد

ميلاد دولة اسرائيل بفلسطين .

وهكذا نستنتج غياب احصاء دقيق لعدد اليوسفيين في صفوف

الدستوريين الجدد ومن الثابت ان نسبتهم كانت هامة افرغت

بورقبية وجعلته يبيع كل الوسائل لمحاصرتهم .

اليوسفية في عيون الاخرين خارج اطار الحزب الدستوري الجديد :

\* - القصر :

يسدون القصر حاول ان يبقى فوق الصراع الذي بدأ يشق المجتمع

في هذه المرحلة الدقيقة في تاريخ تونس وفي حياة الدولة الحسينية

(1) لطفي بن عيسى : اضاء على المجلس القومي التأسيسي (1956-1959) اطروحات العدد 3

عشر/1987 ، صص 12 - 20 .

(2) نفس المصدر : ص 14

(3) نفس المصدر نفس الصفحة .

ولكنه لم يسلم من الانقسام بحيث كان يضم تيارا معتدلا تمثله  
الاميرة زكية وزوجها الحكيم محمد بن سالم وتيارا دستوريا  
يمثله الشاذلي باي الاكبر لمحمد الامين باي الاول (1) ويبدو  
ان هناك تقاربا بين بن يوسف والشاذلي باي ، فربما اعطى  
ابن يوسف تظمينات للامير فويما يخص وراثته العرش ، مقابل منحه  
رئاسة الحكومة بمجرد انهاء مفاوضات الحكم الذاتي (2) .  
بحالما بدأ التباين يظهر بين بورقيبة وبن يوسف حول الاتفاقيات  
الفرنسية التونسية طالب الباي بعودة الزعيمين الى تونس  
دون ان يكون هناك غالب او مغلوب (3)  
وبعد عودة بن يوسف مباشرة ارسل الباي في طلبه يوم 14 سبتمبر 1955  
نصدا الحضور الى القصر والتوفيق بينه وبين بورقيبة الا ان بن يوسف اعتذر  
عن ذلك (4) .

كما يمكن ان نشير ايضا الى عدم حضوره من يفضو الملك اونجله  
لي مؤتمر صفاقس رغم ان بورقيبة قد وجه الدعوة الى القصر الملكي (5)  
ومن هنا يمكن ان نستنتج ميل القصر نسبيا نحو التيار اليوسفي الذي  
يتطلب بالسيادة التونسية الكاملة واقامة ملوكية دستورية ولا خوف  
على العرش الحسيني منه اذا حصلت المملكة على استقلالها .

ومن ناحية أخرى يبدو أن العلاقة بين بورقيبة والقصر تشهد نوعا ما  
من الفتور ولا سيما بعد أن أعاد بن يوسف وهو في جزيرة قروا (ماي 54)  
يشان الافتخار الى الباي احتجاجا على اصلاحات فوازار<sup>6</sup> ورغم ان

(1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية 1955/252 en 1955/299/N.D en 1955/252

(2) نفس المصدر : الملحق الثالث .

(3) = = = =

(4) مصدر سابق

(5) Ben Salem (M) ; L'antichambre... Op.Cit, P 185.

(6) اليقظة : 28 نوفمبر 1955 .

(6) المنجي واردة ، دور الحركة اليوسفية ، المجلة التاريخية المغاربية ، العشرون  
العدد 71-72 ، ماي 1993 ص.ص : 480-563 .

بورقيبة كان يدعوا الى الملوكية الدستورية (1) الا ان الباي يبدو  
حذرا من طموحاته الواسعة والتي ربما اخضعها ايضا لسياسة المراحل  
وهذا قد يفسر اهمال الباي لمقتراح ابن يوسف حول تكليف الحبيب  
بورقيبة تشكيل الحكومة الجديدة بعد استقالة حكومة ابن عمار الاولى  
" سبتمبر 1955 ) وقد يكون بورقيبة قد رفض المشاركة في حكومة  
نجتاز اختبارا صعبا في تطبيق " الاتفاقيات " وهو طريق لا يخلو من  
المخاطر والالتزامات قد يحاسب عليه المرء فيما بعد ، ومن هنا يكون  
" المكوث على رسوخة اسلم " (2) .

\* اليوسفية والاحزاب والمنظمات التونسية :

لقد ادى تشبث ابن يوسف بمقائه في الحزب الدستوري الجديد رغم  
فرار الديوان السياسي بطرده الى تصدع وحدة الحزب الهشة تلك الوحدة  
التي فرضها الصراع مع الاستعمار ، فسرت الانقسامية في صفوفه وتسربت  
العدوى الى عدة تنظيمات نقابية وسياسية وفكرية نذكر منها :  
الاتحاد التونسي العام للشغل :

لقد اعرب بن صالح عن تأييده منذ البداية لما جاء في " الاتفاقيات "  
التونسية الفرنسية حتى ولو انها لا تنفعها سوى امكانية تكوين برلمان ،  
لكانت كافية (3) .

فمخالفة احمد بن صالح لبورقيبة خلال ما اصطلح على تسميته " بالفتنة  
اليوسفية " كانت منسجمة مع سياق نظري دعائمه وجود عناصر دستورية  
شديدة الاخلاص لبورقيبة الى جانب قوة نفوذها داخل المركزية النقابية

(1) في حديث اجراه معه بياركور قال ( P. Corval ) مبعوث صحيفة لوموند Monde اوت 1954

(2) مثل عربي استعمل اثناء " الفتنة الكبرى " من طرف الذين لم يشاركوا فيها .

(3) مصدر سابق : علي بلهوان " نحن أمة " ص 3 .

مثل الحبيب عاشور واحمد التليلي (1) . . .

وقد كان احمد بن صالح من انصار الدولة اللائكية ومع نظام الملوكية الدستورية (2) ومع التأميم ويطمح الى انجاز مشروع اقتصادي اجتماعي ذي نزعة اشتراكية - ديمقراطية ، وان كان يلتقي مع بورقيبة في النقطة الاولى والثانية فانهما لا يلتقيان في بقية النقاط ولكن بورقيبة في حاجة الى حليف قوي مثل الاتحاد العام التونسي للشغل وعليه مساندة مؤقتة مطالب الاتحاد الاجتماعية والاقتصادية بل اصبحت بعض الكلمات ترد في خطابه كالعدل والمساواة والعدالة الاجتماعية . . .

وهو في ذلك مدرك لحقيقة احمد بن صالح الرامية الى تغيير الحزب من الداخل بالشكل الذي يضمن دورا اكبر للعمال (3) .

اذن لم يكن للنقابيين خيار فعليهم مساندة الحبيب بورقيبة ضد صالح بن يوسف المدعوم من قبل عبد الناصر الذي كان بدوره مدعوما من قبل الاتحاد السوفياتي ولولم يفعلوا ذلك لدفعهم اليه حلفاؤهم (اعضاء منظمة السيزل)

وذلك للحيلولة دون انزلاق تونسي نحو المعسكر الشرقي (4) .

ولكن لا ننسى ان الاغلبية الساحقة من النقابيين هم ايضا دستوريون ينتمون للحزب الدستوري الجديد ويدركون اهميتهم في ترجيح الكفة لفائدة من يتحالف معهم ، ولذلك بادر الحبيب بورقيبة باستدعاء اعضاء

الهيئة الادارية الى منزله بمرحبة الغنم قبيل انعقاد مؤتمر صفاقس وصرح لهم بانه على اقتناع ببرنامج " اشتراكي " وانه بمعية الاتحاد

سيقوم بعمل هائل (5) .

ولعل هذا يفسر لنا حضور الاتحاد بكثافة مؤتمر صفاقس لانجاحه وتبني

حزب الدستور ببرنامجهم .

(1) عدنان منصور: الخلافات الحزبية في تونس المستقلة ، الكراسات التونسية ، مجلد XLVI ، العدد 104 ، الثلاث اشهر الثانية لسنة 1993 / كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس / ص 1 - 56 .

(2) Le Monde: 28 Mars 1956 .

(3) مصدر سابق: ( ) Azaiiez(B.L): Tels Syndicalistes...Op.Cit,P:229 .

(4) = = = ص 228 .

(5) حقي الهمامي: قراءة في تاريخ الحركة النقابية ، صامد للنشر والتوزيع 1988 ص 51 .

وهكذا نستنتج ان المصلحة المشتركة دفعت بالاتحاد العام التونسي للشغل الى التحالف " مع البورقبيية " امام العدو المشترك " اليوسفية " التي تنالقض بتوجهها الشرقي البرنامج الاقتصادي لابن يوسف الذي كان عضوا سابقا للسينزل في بروكسيل من 1951 الى 1954 .  
وربما هذا يجعلنا نتساءل مع الاستاذ عبد السلام بن حميدة : " الا يهدد هذا الاختيار مصير الحركة النقابية ومستقبلها ؟ فهل تمكنت من تحصين نفسها في اطار نضالها ضد الامبريالية حتى لا تنزلق في شباك الاستعمار الجديد ؟ (1) .

### الاتحاد العام للفلاحة :

يعتبر الاتحاد العام للفلاحة التونسية من اهم وواحد الحزب الدستوري الجديد الضاربة في اعماق المجتمع التونسي الذي بقي يضم نسبة هامة من الفلاحين والمزارعين وصيادين وعملة فلاحيين .  
لقد ولدت هذه المنظمة وهي تحمل في طياتها بذور الانشقاق فقد كان بين الهيئة المسيرة والقاعدة تناقض واضح فالقاعدة كانت بأيدي السورجوازيين الزراعيين والملاكين العقاريين الكبار .  
اما القاعدة فتتشكل من المزارعين وصغار الفلاحين (2) ورغم ذلك فقد حاول بن يوسف صهرها في منظمة واحدة من اجل توحيد الصفوف لمواجهة الاستعمار الا ان هذه الوحدة تصدعت بتصعد رأس الحزب الدستوري الجديد نتيجة الاتفاقيات الفرنسية التونسية فانطلقت عمليات الانسلاخ عن الاتحاد العام للفلاحة التونسية الذي ابدت عناصره القيادية تأييدها لصالح بن يوسف .  
ومن أهم العناصر نذكر :

(1) مصدر سابق : عبد السلام بن حميدة : الحركة النقابية الوطنية ... ص 127 .

(2) مصدر سابق : الهادي التيمومي : نقابات الاعراف التونسية خ

ابراهيم عبدالله (1) والحبيب المولهي وعلي الحمامي ومحمود ياسين وكانت لهم ولاه علاقات شخصية بصالح بن يوسف حتى ان محمود ياسين قد رافقه في جولاته بالشمال الغربي .

وقد دفعت عمليات الانسلاخ التي تزعمها الصادق خلف الله عضو المكتب التنفيذي " للاتحاد العام " والكاتب العام للاتحاد الجمهوري الساحل ومحمد قاسم عضو المجلس الاداري " للاتحاد العام " الي عقد مجلس وطني موسع يوم 27 نوفمبر 1955 بتونس العاصمة طالب بمراجعة اتفاقيات الاستقلال الداخلي وخاصة جانبها الاقتصادي (2) وذلك وفقا لمقررات المؤتمر الوطني الثالث المنعقد بتونس العاصمة ايام 24 و 25 و 26 سبتمبر 1954 وقد جاء في وائحه :

" ان مصيرنا الاقتصادي والزراعي لا يمكن ان نطمئن عليه الا اذا تأسس لبي وطننا مجلس تشريعي نيابي متمتع تمتعا تاما بمميزات السيادة القومية ... يمثل الفلاح حسب اهميته العددية ... "

بحيث ان نتمكن من تقرير سياسة اقتصادية بأنفسنا دون انتظار في كافة اقطار الدنيا ... دون ان نكون وقيدين بأراء الملحقين التجاريين لبي السفارات والقنصليات الفرنسية ... بل علينا ان نعمل لتكون حقوقنا مضمونة ... "

" ليس من المعقول ان يضل انتاجنا من غير حماية " (3) .

(1) ابراهيم عبدالله : من مواليد قصر هلال سنة 1917 ومن خريجي المعهد الصادق اعقل عدة مرات ، اشتغل معلما ثم موظفا ، انظم الي " الاتحاد للنقابات الصناعية وصغار التجار بالقطر التونسي " ثم انسلخ عنه لينخرط في " الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة " ثم قام بتكليف بن صالح بن يوسف بتأسيس " الاتحاد العام للفلاحة التونسية " في ماي 1950 (المصدر : الهادي

الشموي : نقابات الاعراف / ص 119 ) .

(2) نفس المصدر : ص 130 .

(3) الاتحاد العام للفلاحة التونسية " مؤتمر النهضة الزراعية ، المؤتمر الوطني الثالث الشركة التونسية للتسويق والرسم ، بدون تاريخ / ص : 93 .

وبالنظر الى الاتفاقيات " فلانجد انها تلبي هذه المطالب اضافة  
الى عدم حسمها قضية اراضي المعمرين ، فمن الطبيعي ان يتحالف  
قيادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية مع صالح بن يوسف الذي طالب  
سرفض الاتفاقيات ومواصلة الكفاح من اجل الاستقلال التام ومن هنا بدأ  
الاتحاد العام يشن اضرابات في شكل الامتناع عن تموين الاسواق البلدية  
والاسواق الاسبوعية من يوم 31 اكتوبر الى 4 نوفمبر 1955 (1) . كما  
نطاع انتخابات مارس 1956 ولعل هذه المساندة لا تخلوا من معارضة  
قيادة الاتحاد العام التونسي للشغل الذين ساندوا بورقيبة . لقد كانت  
هناك خلافات بين القيادتين زمن محشاد الا انها تفاقمت بعد تولي  
احمد بن صالح الامانة العامة للمركزية النقابية والداعي الى اقامة نظام  
راسمالي بتونس يعطي الاولوية للقطاع الحكومي مع انشاء التعاضديات  
على نطاق واسع وهذه الافكار الاشتراكية الديمقراطية " اثارته  
البورجوازيين الزراعيين والمالكين العقاريين الماسكين بقيادة الاتحاد  
العام للفلاحة التونسية (2) والتي بدأت تتضمر من موجة اضرابات  
العمال الفلاحيين التي تجاوزت ضيعات المعمرين الى ضيعات كبار الفلاحين .  
اشغل انصار الحبيب بورقيبة هذه الاوضاع الداخلية فصعدوا عمليات  
الانسلاخ عن " الاتحاد العام للفلاحة التونسية " وتمت الدعوة الى عقد  
مؤتمر تأسيسي يوم 2 ديسمبر 1955 نبتت عنه جامعة نقابية جديدة  
تسمى " الاتحاد القومي للمزارعين التونسيين " وجاء في لائحة سياسية :  
" بان المنهاج الذي سلكه الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد  
والذي اوصل البلاد الى حكمها الذاتي هو السبيل الموصل لما تصبو

(1) مصدر سابق : لطفي عيسى : اضواء على المجلس القومي ... اطروحات العدد الثالث عشر 87 ص 13 .

(2) مصدر سابق : الهادي التيمومي : نقابات الاعراف ... ص 128 .

إليه البلاد التونسية من حرية واستقلال كامل (1) .

وقد حضر بورقيبة بنفسه الجلسة التأسيسية للمنظمة الجديدة وألقى خلالها خطابا هاجم فيه قيادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية مذكرا "بماضيهم الاسود" . مما يدل على الأهمية التي يعلقها بورقيبة على "الاتحاد القومي للمزارعين التونسيين" في محاصرة المد اليوسفي داخل المجتمع التونسي .

وقد رأى الامين العام " للاتحاد العام للفلاحة التونسية " ابراهيم عبد الله في احداث هذا الهيكل النقابي " حركة تفرقة في صفوف الفلاحين دشنتها مسوؤل كبير يوم 2 ديسمبر بالقيروان ووجهها لسي اطار حملة حزبية عامة ، ففرض ضغطا مسلحا لا يطاق على اطرائنا لكرهها قهرا على الانسلاخ من منظمتنا (2) .

ومن هنا نستنتج ان ميلاد هذه المنظمة كان بغاية اثاره التناقضات الطبقية بين الفلاحين والمزارعين التونسيين واستغلال ذلك سياسيا ولكن لا يعني ذلك ان جميع الفلاحين والمالكين العقاريين قد انضموا الى بن يوسف وخير دليل على ذلك مساندة الطاهر بن عمار وهو من اكبر البورجوازيين الزراعيين بتونس للشق البورقيبي بينما ايد بن يوسف نسبة هامة من المزارعين والعملة الفلاحين بانحاء مختلفة من البلاد (الجنوب - الوسط - الشمال الغربي والوطن القبلي) .

لهل يعني ان الانقسامية لم تخضع للصراع الطبقي ؟

الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة :

ينضم الاتحاد قبيل الاستقلال ما بين 40 الف (3) و 50 الف منخرط (4)

(1) العمل : 8 ديسمبر 1955 .

(2) صحيفة الارض (الناطقة باسم الاتحاد العام للفلاحة التونسية) : 20 جانفي 1956 .

(3) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية 1955 (Anexe) 1955 en 639/299/N.D en 3) Bobine

(4) مصدر سابق : محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس . III ص 133 .

وكان معظم عناصره متوسطي الحال أو أصحاب ملكيات صغيرة أو فقراء لا يهتمون كثيرا بالسياسة ويجنحون الى الهدوء " لأن فيه مكسب ولا يعني ذلك بعد الاتحاد عن الحياة العامة فان الاتحاد العام كان عنصرا فاعلا منذ تأسيسه وواخر الاربعينات وقد قام او شارك في العديد من الاضرابات ذات صبغة سياسية ...

وكان " للاتحاد " صلة وثيقة بالحزب الدستوري الجديد بلغت درجة العلاقات الشخصية الخاصة فمثلا كان الامين العام للاتحاد الفرجاني بالحاج عمار دستوريا قلبا وقالبا (1) ومن هنا كان من الطبيعي ان يتخذ موقفا من الصراع الدائر بين بورقيبة وبن يوسف ، فقد نادى الاتحاد في مؤتمره الثالث المنعقد في افريل 1955 بتونس العاصمة " بالاسراع في انجاح المفاوضات السياسية وتحقيق استقلال البلاد على قاعدة خطاب من داس برانس " كما طالب في مجلسه الاعلى المنعقد في 11 سبتمبر 1955 " بتشكيل مجلس تأسيسي (2) .

لهذه المطالب لا تبعد عن التوجه البورقبيي رغم احترازا تجارحية (3) الذين كانوا متذبذبين بين محمد بدره المساند للبورقبيية وصالح ابن يوسف المعارض له فهما الاثنان ينحدران من جزيرة جربة (4) الاحزاب والمنظمات السياسية :

وان تبعد العلاقات والولاءات الشخصية لقيادة المنظمات الاجتماعية المنظوية تحت لواء الحزب الدستوري بصورة او بأخرى قد لعبت دورا هاما في تحديد المسار هذا الشق أو ذاك بقطع النظر عن الانتماء الطبقي لطرفي النزاع مما يؤكد التفاف الرجولين رغم خلافهما .

هل ستستند مواقف الاحزاب في تقييمها لهذا الصراع على نفس الركائز ؟

مصدر سابق: الهادي التيمومي : اتفاقيات نقابات الاعراف / ص 188 .

مصدر المصدر : ص 205 .

مصدر سابق : ص 206 .

اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي ( القديم ) :

يعتبر الحزب الدستوري الجديد الصلب الذي انحدرت منه الحزب الدستوري القديم خصما تاريخيا له في حين تعتبره فرنسا منظمة متطرفة شديدة العداء لها ( 1 ) وذلك لتمسكه بمبدأ الاستقلال التام حسب ما جاء في قرارات مؤتمر ليلة القدر ( 1945 ) والذي حضره بن يوسف ممثلا للحزب الدستوري الجديد ، ولم يخف الحزب الدستوري القديم معارضته للاتفاقيات حتى من قبل انهاء المفاوضات من خلال مؤتمره المنعقد في افريل 1955 ولما صرح ابن يوسف بمناهضاته اتفاقيات الحكم الذاتي دعت اللجنة التنفيذية التي عقد مؤتمرها الخارجي للعبادة يوم 15 نوفمبر 1955 وطالبت في اللائحة المياسية الصادرة عن هذا المؤتمر : " ان الحزب يضع يده في ايدي جميع العاملين في سبيل تخليص الوطن من القيود التي قيده بها الاستعمار ، وتحقيق استرجاع استقلاله التام ، وسيادته الكاملة في جميع الميادين " ( 2 ) . وهكذا جمع مبدأ الاستقلال التام بين الحزب القديم ( الغرناطة ) ( 3 ) والحركة اليوسيفية ولا سيما ان بن يوسف لا يعارض العمل الجبهوي " في نطاق توحيد الصفوف لمواجهة " الاستعمار الفرنسي لايمانه " بان فرنسا لن تتنازل على شيء جوهري " من سيطرتها للشعب التونسي الا تحت عامل الاضطرار " ( 4 ) . ولذلك كان بن يوسف يسعى الى ربط الصلة بين الحزب والقصر ومختلف التنظيمات السياسية والنقابية في الداخل .

اما في الخارج فكان يسعى الى كسب اكثر ما يمكن من الانصار ودعا الى التحالف مع مجموعة بانمدونغ والكتلة الآسيوية الافريقية ونادى بوحدة

( 1 ) مصدر سابق : ) Boyer de la Tour: Vérités... Op, Cit, P: 117.  
( 2 ) الاستقلال : 27 نوفمبر 1955 .  
( 3 ) الغرناطة : كلمة تطلق على اتباع الحزب الحرالدستوري التونسي ( القديم ) .  
( 4 ) مصدر سابق : تقرير بن يوسف الموجه للديوان السياسي بتاريخ 14 / 2 / 1954 ( الباهي الادغم : براسلات... ص 12 ( القسم العربي ) ) .

الكفاح بين اقطار المغرب العربي . وكان ذلك قصد تجاوز تفاوت ميزان

القوى بين فرنسا وتونس .

### الحركة الزيتونية :

لقد عارضت هذه الحركة عملية تجريد الثوار من السلاح ، كما رفضت استقلالاً بدون قضاء وأمن " ولاعتبرته استعماراً ( 1 ) . ولما تمت المصادقة على الاتفاقيات الفرنسية التونسية اعتبرت السكوت عنها والانزواء عن مقامها خيانة ، فهي لم تكن خطوة الى الوراء فقط بل كانت انحذاراً وطنياً لضياعها وان الرضا بها يجرد لعنة التاريخ ويساوي تدهور الايمان ( 2 ) .

لقد وجدت الحركة الزيتونية نفسها في خندق واحد والامين العام للحزب صالح بن يوسف والذي كان بالامس يطاردها عند ما كان وزيراً للعدل في وزارة شقيق التفاوضية ( 1951-50 ) لكنهما اجتمعا على مناهضة الاتفاقيات فكل منهما يشعر بخطورتها على مستقبل البلاد الثقافي والحضاري

لقد لاحظ الشيخ الفاضل بن عاشور " ان فرنسا وان رفعت يدها على توجيه سياسة التعليم بتونس ، فانها احتفظت بحق فتح المدارس على نفقتها و سن مناهج التعليم فيها على الخطط التي تراها ، وان الذي يتبع البعثة الثقافية الفرنسية الآن يتجاوز 60% من معاهد التعليم علاوة على ما يتبع المؤسسات الاحنسية الحرة من مسيحية واسرائيلية ( 3 ) . وقد استغل بن يوسف تشبث الحركة الزيتونية بالقيم الاساسية للمجتمع التونسي بغاية الدعاية والتعبيث ، فجعل من مسجد جامع الزيتونة فضاءً ولدت فيه حركته كما نعت بن حسين تدشين مقر الامانة العامة الجديد وعقد المؤتمر الوطني الزيتوني ومن ناحية اخرى اصبحت كلماته ترفد بمعاني العروبة والاسلام

( 1 ) صدي الزيتونة : 29 ديسمبر 1955 .

( 2 ) صدي الزيتونة : 2 جانفي 1956 .

( 3 ) مصدر سابق : الشيخ الفاضل بن عاشور : الحركة الادبية ص 236 .

وصيغ الحضارة العربية الاسلامية ...  
وهكذا انصل الى ان كل من الحركة الزيتونية وصالح بن يوسف قد وجد  
في الآخر ضالته فالاولى بحاجة الى دعم سياسي والثاني بحاجة الى  
مدد شعبي .

### الاتحاد العام لطلبة تونس:

لقد ولدت هذه المنظمة الطلابية بفرنسا خلال سنة 1952 وعقدت مؤتمرها  
الناسي في جويلية 1953 بباريس وحضرته شخصيات فرنسية (1) وكان  
بورقية اثناء وجوده بفرنسا يتردد على الاوساط الطلابية التونسية  
لنصد تآطيرهم في العمل السياسي .

وقد بدأ الاتحاد العام لطلبة تونس الاتفاقيات خلال مؤتمره الثالث  
المتعقد في جويلية 1955 " رغم انها تحدد من الاستقلال الداخلي الا  
لها احدثت انقلابا في نظام الحماية اذ هي تعترف بالسيادة التونسية  
واحدة لا تتجزأ ... لذا تعتبر مرحلة سياسية توؤدي الى استقلال بلادنا وهو  
مهدفنا الاصلي (2) .

وعند ما اذلح الخلاف بين بورقية وبين يوسف حاول " الاتحاد " ان يلعب  
دورا توفيقيا بين الطرفين حتى انه عمد الى شن اضراب جوع في  
اكتوبر 1955 ولكن امام تصاعد الاحداث اختار الانضمام الى الصف البورقيبي  
الذي لا يخفي ميولاته الغربية وتشبثه بالثقافة والحضارة الغربية التي  
ان قال عنه الفرنسي لا كوتور " La Couture " انني لم اجد رجلا فرانيا  
اكثر من بورقية خارج فرنسا ، ولا رجلا عربيا اقل عروبة منه في العالم  
المصري (3) .

فهل سيراغي بورقية هذا الموقف في المستقبل ؟

(1) الطاهر شقرون: الحركة الطلابية التونسية ، اطروحة العدد 9 ، اكتوبر 1985 ص/56 .

(2) الصباح : 28 جويلية 1955 .

(3) La Couture (Y) : Cinq Hommes et la France , Ed, Seurl, Paris, 1961 . P: 175 .

الحزب الشيوعي التونسي :

رفض الحزب الشيوعي الاتفاقيات واعتبرها خطوة الى الوراء نظرا للظرفية التاريخية التي كانت تقطعها البلاد " اذ ان الوضع العالمي الجديد لا يسمح بأن يتواصل وضع الاستعمار (1) ، وقد جاء في تقرير المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي " التونسي المنعقد في ماي 1956 ما يلي :

" فعلى قاعدة الاحترام الكامل لسيادةنا الوطنية يمكن ومن الواجب ضمان حقوق فرنسا المشروعة وحقوق رعاياها بالبلاد التونسية هذه الحقوق التي لا تشابه بينها وبين امتيازات مؤسسات الاحتكار الاستعمارية (2) .

ومن هنا نلاحظ ان الحزب الشيوعي التونسي وان التقى مع بن يوسف في موقفه من الاتفاقيات فقد التقى مع بورقيبة في اقرار حقوق مشروعته لفرنسا وللفرنسيين في تونس مع ذلك فقد حافظ على عدائه الايديولوجي للحزب الدستوري الجديد بل ندد بالحركة اليوسيفية من خلال مؤتمر الخامس " نعم نحن نعرف ان هناك تونسيين ينتمون الى الاستاذ صالح بن يوسف ويطلبون اوامره ، وصلوا الى استعمال العنف ضد تونسيين آخرين وزيادة على ذلك فقد نظموا عصابات مسلحة تبث الفوضى والاضطراب في البلاد ، وفي وقت ما زال فيه الواجب على مجموع الشعب بمختلف نزعاته ان يجابه الاستعمار وليس الدخول في نوع حرب مدنية مضره بالمصلحة الوطنية (3) ويفسر السيد محمد نافع الكاتب العام السابق للحزب الشيوعي موقف الحزب من صالح بن يوسف قائلا : " وموقفنا لم يكن انتهازيا وانما

سديتيا ضد ما حللنا موقف صالح بن يوسف وجدنا فيه موقفا جامدا )

(1) محمد نافع : في المائدة المستديرة حول 20 مارس "المغرب عدد 92 مارس 1988 ص/59 .  
(2) محمد الكيلاني : الحركة الشيوعية في تونس (1920-1985) طبع المطابع الموحدة بالمنطقة الصناعية الشرقية ، تونس 1989 ص/30 .  
(3) نفس المرجع ونفس الصفحة .

لا ينطلق من نظرة متحركة للواقع...

رأينا ان هذه النظرة لا يمكن ان يكتفي بها الانسان وقد ارسلنا رسالة الى مؤتمر صفاقس رايدنا فيها الاتفاقيات واقترحنا على الاخوان الدستوريين مواصلة الكفاح للوصول الى الاستقلال... فيما يخص الفتنة اليوسفية كل التونسيين لم يتحملوها... " (1) .

ومن هنا نستنتج ان ليس كل من رفض الاتفاقيات رفض الاتجاه اليوسفي ايضا .

### الصحافة التونسية:

لم تقض الانقسامية الناتجة عما يسمى " بالفتنة اليوسفية " عند انشقاق الدستوريين والنقابيين والسياسيين التونسيين بصفة عامة، بل مست ايضا الصحافة التونسية، وهذا طبيعي بما ان الصحافة مرآة لما يدور في المجتمع وتنافذة على العالم واداة تعبير لكثير من التيارات السياسية والفكرية . وقد صنف كوهين حضرية في صحيفة " تونس الاشتراكية " الصحف التونسية الى صحف مناصرة الى اليوسفية واخرى الى البورقيبية قائلًا :  
" الزهرة والبلاغ ، صحيفتان يوسفيتان أمّا الصباح فهي يوسفية ولكن الآن ما زالت متذبذبة ، في حين اصبحت العمل ولاكسيون (Laction) بورقيبيتين مسراحة (2) " .

الا ان هذا كان في بداية الازمة التي تعمقت باستعمال العنف ووقوف حكومة بن عمار وراء الشق البورقيبوي وباصدار قرارات تحدد من حرية ممارسة الرأي الهائل مثل قرار 8 ديسمبر 1955 او توقف بعض الصحف عن الصدور ومن هنا تعاطفت عدة صحف مع الحركة اليوسفية منذ بدء هذه الممارسات اومسدينة

(1) ، تصريحات : محمد نافوي المائدة المستديرة حول 20 مارس (مصدر ذكر سابقا) ص 60 .

(2) Tunis Socialiste: 4 Novembre 1955 .

الموقف اليوسفي من الاتفاقيات وحكومة بن عمار والانتخابات .  
ومن هذه الصحف نذكر: البلاغ الجديد ،الاسبوع ،صدى الزيتونة ،النهضة  
الفرزوزو...

ومن الملاحظ ان صحيفة " البلاغ " قد تم ايقافها لمدة ثلاثة اشهر  
بداية من شهر ديسمبر (1) اما جريدتي البلاغ الجديد وصدى الزيتونة  
فقد تم ايقافهما عند الصدور في اواخر شهر جانفي 1956 في حين تعرض  
مقر صحيفة الصباح الى المداهمة من قبل عناصر ارهابية تابعة للديوان  
السياسي يوم 1 ديسمبر 1955 أي اليوم الذي اغتيل فيه سائق صالح  
ابن يوسف (2) .

ومن هنا نلاحظ ان اغلبية الصحف التونسية قد ساندت أو تعاطفت  
مع الحركة اليوسفية مما يفسر اللجوء الى منطق " القوة " لاختماد  
صوت المعارضة واجهاض التجربة الاولى في ممارسة الرأي المخالف" وربما  
هذا يشير الى الملامح السياسية للنظام الجديد لفترة ما بعد الاستعمار  
المباشر .

---

(1) الصباح : 7 ديسمبر 1955 .

(2) البلاغ : 2 ديسمبر 1955 .

## المرحلة الثالثة: حرب اهلية او حرب تحريرية؟

لم تمض ثلاثة اشهر على ابرام الاتفاقيات بين تونس وفرنسا وعودة " المجاهد الاكبر" الى تونس وحتى شهدت البلاد ازمة عميقة منبعها الاتفاقيات التي عاد بن يوسف من اجل محاربتها ان يقول في خطابه يوم 16 اكتوبر 1955 : " لقد عدت لأقاوم ولن اترك ابدا المقاومة وسأرفع معنويات هذا الشعب ليرمي هذا المصير الذي اقترته له الاتفاقيات الفرنسية التونسية... " (1) .

فبعد المصادقة على هذه الاتفاقيات في فرنسا وتونس لم يبق امام بن يوسف سوى اثارة الشعب ضدها قصد رفضها وبهذه الصورة يمكن الطعن فيها حسب ما جاء في القانون الدولي ، ولكن هذا الطعن سينعكس سلبيا على موقف الحبيب بورقيبة ويظهره في موقف حرج امام من منحوه ثقتهم في الحكومة الفرنسية ولا سيما امام اصدقائه الفرنسيين الذين راهنوا عليه لنجاح " التجربة" التي ستصبح مثالا لبقية اقطار المغرب العربي .

ولهذا وجب عليه ان يحول دون تشويه صورة الحزب الدستوري الجديد وذلك بتجريد صالح بن يوسف من الامانة العامة بعد ما فشلت معه سياسة " الترغيب" الا ان صالح بن يوسف تمسك بحزبه وبمهمته داخله طاعنا في قرار الطرد الذي لا يجب ان يتخذ الا في مؤتمر عام للحزب ورغم ان قرار الطرد يشمل على دعوة لعقد مؤتمر يوم 15 نوفمبر الا ان ابن يوسف طعن ايضا في هذا القرار لانه لم يمض عليه وانما كان بامضاء رئيس الحزب وهذا لا يجيزه القانون الداخلي للحزب...

ما العمل اذن ، واليوسفية تنتشر بسرعة مذهلة في كافة انحاء البلاد

(1) الزهرة: 18 اكتوبر 1955 ( خطاب بن يوسف في وفد الاتحاد العام للفلاحة التونسية ) .

ومن ناحية اخرى قيام غلاة الاستعمار وانصارهم اليمينيين في باريس بحملة شنيعة قصد نكث عهد 30 جويلية 1954 واحباط الاتفاقيات ؟  
لابند من مؤتمر ا ولكن اين سينعقد ؟ وما هي الضمانات لنجاحه ؟  
(1) - مؤتمر صفاقس : بداية النهاية ؛

### أ- ظروف ومكان انعقاده:

بذكر الحبيب عاشور انه اتصل ببورقيبة في تونس العاصمة وكان يرفقه كريم ، فوجداه في حالة صعبة ونفسية صعبة نتيجة " خيانة " الجامعة الدستورية له واتباعها صالح بن يوسف الى درجة انه لم " يعد يقدر على الخروج او عقد الاجتماعات " ولهذا فهو مرهق ويرغب في الذهاب الى فرنسا حيث يقضي نصف شهر او شهرا كاملا هناك " .  
ولكن الحبيب عاشور حذره من سلبات هذا الغياب ، مقترحا عليه عقد مؤتمر الحزب في صفاقس ، ومتعهدا له بتحمل المسؤولية (1) وهي حمايته وحماية المؤتمرين (2) .

لماذا صفاقس بالذات ؟

لقد وقع الاختيار على مدينة صفاقس لتحتضن أول مؤتمر علني منذ 1937  
الكانت المؤتمرات العديدة التي تخللت تلك الفترة سرية وكان ذلك لعدة  
اسباب :

أولاً : ان جهة صفاقس هي موطن الشهيدين فرحات حشاد والهادي شاعر  
الذين يعتبران رمزا للتضحية والنضال وبرهاننا على فترة قمع وتعسف عاشها  
الشعب التونسي في عهد تكلوك والتي لن تتكرر بفضل " الاتفاقيات " .  
ثانياً : ان لصفاقس جذورا ونضالات نقابية واحداث أو ت 1947 شاهدة على ذلك ،

1) Achour(H): Ma Vie Politique... Op, Cit, P: 51.

(1) مصدر سابق :

2) Bourguiba(H): Ma Vie ... OP, Cit, P: 321.

(2) مصدر سابق :

كما انها تستقطب نسبة كبيرة من ماضلي الاتحاد العام التونسي

للشغل " الذي يدعم بقوة الشق البورقيبي .

ثالثا : ان صفاقس مدينة تجارية وصناعية والتجار عادة ما ينفرون من

جوا الاضطرابات لان التجار لا تنتعش الا في ظل الاستقرار .

رابعا : وعد الحبيب عاشور بورقيبة بالحماية اذ وفر الاتحاد العام التونسي

للشغل 20000 عامل لحماية الموترين . ممن ؟ هل من السلط الفرنسية

وهي التي قد اجبرتها الاتفاقيات على عدم التدخل لحماية الباي ؟

او من اليوسفية وقد طلب منها بن يوسف عدم المشاركة في المؤتمر ، بل

مفد اجتماعا موازيا له ؟

ب - تنظيمه :

يبدو ان البورقيبية " استعدت - رغم شروطها - جيدا للدخول في المؤتمر

والخروج منه منتصرة و متمتعة بكامل النفوذ ، فكان الاتفاق مسبقا عشية

المؤتمر فيما يتعلق بالجانب التنظيمي وما يتعلق بالمحتوى وتوزيع

الادوار (1) حتى بدأ لمبعوث مجلة " المصور " المصرية (2) " ان جميع من

حضر المؤتمر كانوا مقتنعين مسبقا (3) وفي يوم 15 نوفمبر بدأ المؤتمر

اشغاله في مناخ من الريبة استهدف المؤتمرين الذين يشتم منهم تعاطفا

مع " اليوسفية " او الذين كانوا قد عبروا عن استيائهم تجاه الانشقاق

سواء من التونسيين او من الاجانب ...

اما خارج قاعة المؤتمر فقد تجذرت " الشبيبة الدستورية ورجال الحبيب

عاشور " ولجان اليقظة " للحيلولة دون امكانية تنسيق مضاد .

ج - سير اعماله :

لقد حضر المؤتمر 50000 شخص (4) ومن بينهم الممثلين الرسميين لكل

(1) استجواب حسين عزيز .

(2) وهو الحبيب جاماتي الصحفي الذي جاء ضمن الوفد الرسمي المصري لحضور المؤتمر .

(3) المعمد الاغلي لتاريخ الحركة الوطنية : Volume : 2 H 151, Bobine: S 386.

(4) انظر المصدر : "Al Mussaḥwar" du : 2(Extrait de la Revue Egyptienne

من مصر والعراق وليبيا وانفوسيسيا والهند وقد دافعت هذه الوفود بشدة عن الاتفاقيات ولكن كخطوة نحو الاستقلال (1) فقد قال فضيلة الشيخ احمد احمد حسن الباقوري وزير الاوقاف المصري: "باسم مصر وعلى رأسها القائد جمال عبد الناصر اقدم اخلص واصدق تمنياتي ان مصر فخورة بشقيقتها تونس البلد العربي، بالنسبة للخلاف القائم بين الاخوين بورقيبة وبن يوسف لا بد من الموازنة بين ما لهذا وما لذلك ولا يجب ان يتسبب الخلاف في قطيعة في صلب الحزب (2) .

اما مبعوث حزب المؤتمر الهندي فقد اعربت عن ثقتها في ان يتطور الاستقلال الداخلي ليفضي الى الاستقلال التام (3) .

ومن هنا نتبين ان الوفود الشرقية قد عبرت<sup>ت</sup> عن رفضها للاتفاقيات مع المطالبة بتجاوزها الى الاستقلال التام وقد صرح جمال عبد الناصر اواخر شهر نوفمبر بان " الاتفاقيات الفرنسية التونسية هي خطوة عظيمة الى الامام " (4) وهذه المواقف كما تبدو وتتماشى واتجاه بورقيبة اكثر من اتجاه بن يوسف .

فهل كانت مجرد مواقف دبلوماسية من وحي مؤتمر صفاقس ذي النزعة البورقيبية او محاولة اخفاء فاشلة لليوسفية (5) . ومع ذلك وبغض النظر عن مواقف هذه الوفود فان حضورها ذكر المؤتمرين بالدور الذي لعبه الشرق العربي والاسلامي في تدويل القضية التونسية ودعمها (6) .

ومن ناحية اخرى حضرت المؤتمر شخصيات فرنسية كجان روس المبعوث الخاص (France-Tirelli) وانديري بديت (A. Bidet) رئيس لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الاتحاد الفرنسي باسم (S.F.I.) وغيرهما... اما للمشاركة في اعمال المؤتمر فقد كانت من قبل 13 جامعة دستورية مثلها 1350 نائب (7) .

ومن الملاحظ ان هناك تضارب في الارقام لتحديد النيابات بحيث يذكر

- (1) مصدر سابق :
  - (2) Julien (Ch. A.): Et la Tunisie... Op, Cit, P: 200.
  - (3) Le Petit Matin: 16 Novembre 1955
  - (4) نفس المصدر ونفس التاريخ
  - (5) العمل: 1 ديسمبر 55
  - (6) مصدر سابق :
  - (7) = = : المنصف الشابي : صالح بن يوسف . ص 197 .
- (7) العمل : 20 نوفمبر 1955 .

مارل اندري جليان عدد 20500 نيابة (1) بينما نجد في كتاب لمحة  
من تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري رقم 1229 نيابة (2) في حين  
نورد صوفي بسيسر و صهر بلحسن رقم 1300 نيابة (3) .  
اما جريدة الصباح فتذكر " ان لجنة النيابات كانت قدمت تقريرها  
بعل خطاب الاستاذ الحبيب بورقيبة فقالت " ان للحزب الف وثلاثمائة  
نيابة في حين عدد الحاضرين يبلغ حوالي ثلاثة آلاف " مما جعل بعض  
المراقبين على الاعتقاد بان عددا وافرا من الناس قد وقع جلبهم بدون  
مشروعية ولا قانون (4) .

### د - خطب بورقيبة :

التي بورقيبة خطابين : الاول خلال افتتاح المؤتمر يوم 16 نوفمبر 1955  
والثاني عند اختتامه يوم 18 نوفمبر 1955 واستغرق كل واحد منهما  
اكثر من ساعتين بذل خلالهما رجل السياسة والحقوق مجهودا  
مضاعفا واضعا كل ثقله في هذه المرافعات المخصصة لاقتلاع التأييد  
لسياسته التي سلكها سواء بشأن الاستقلال الداخلي او بشأن رفعت صالح  
البن يوسف و اضفاء شرعية على تصرفاته قائل في خطابه الاول : " ان  
البن يوسف تلقى اعانات من ذول الشرق ، لكن لم يبعث السلاح للتونسيين  
والا اردتم سماع الاستاذ بن يوسف ليعرض وجهة نظره فاني لا ارى مانعا  
ليس دعوته ليقدم الحجج والبراهين التي بحوزته .  
اما قضية طرده ، فكانت لرفع الالتباس حول موقف الحزب اذا اصبح ازاء  
الفرنسا بوجهين : وجه للسلم ووجه للمقاومة ، وستنظر لنا فرنسا  
بالتنا أناس بدون ذمة ، وستجد مبررا لتدخلها عسكريا ... فالخلاف ليس

(1) مصدر سابق :  
(2) مصدر سابق : لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ... ص 72 .  
(3) مصدر سابق :  
(4) جريدة الصباح : 18 نوفمبر 1955 .

1) Julien (Ch.A) : Et la Tunisie... Op, Cit, P:199.

3) Bessis et Belhassen : Bourguiba... Op, Cit, P:161.

نضية شخصية فكيف يمكن الحديث عن وحدة وهذا يتجه الى الشرق  
الاخر الى الغرب ، فم هذا يدعوا الى التهلكة وهذا يدعوا الى النجاة  
الفرار لكم ... انك لتهددي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء (1) ”  
وهكذا نلاحظ ان بورقيبة استعمل كل الوسائل المثيرة والمؤثرة  
لائتباع الحاضرين مؤكدا على عروبة الشعب التونسي واسلامه قائلا :  
” ان الشعب التونسي عربي اكثر منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف و مسلم  
مدى اقلية ضئيلة .. ” (2) لكن الانتماء العربي الاسلامي ، لا يعني  
المزلة ولا بد من التعامل والتعاون مع البلدان الاروبية لصالح تونس  
لكن هذا التعاون يجب ان يكون في كنف الحرية (3) .  
كما اشاد بورقيبة بالتعاون والتضامن العربي الاسلامي والافريقي الاسياوي  
ومساعدة البلدان العربية للقضية التونسية الى ” ان اصبح بعضها عدوا  
لفرنسا بسبب تونسي (4) .

كما نلاحظ ايضا ان بورقيبة ختم خطابه بايات قرآنية حتى يظهر  
نمسه بالاسلام والعروبة وعدم ابتعاده عن هذه القيم للحضارة العربية  
الاسلامية ، عكس ما هو متهم به وبالتالي يسحب البساط من تحت اقدام  
” اليوسفية ” التي بدت غائبة ، حاضرة في هذا المؤتمر وبدأ بورقيبة  
وكأنه يتكلم بلسان صالح بن يوسف ، في مغازلة الوفود الشرقية  
ولا سيما الشيخ الباقوري و زير الاوقاف المصري والسيد وزير العدل الليبي  
اللتان كانا يرفلان في لباسهما الشرقي الاسلامي (5) وكان بورقيبة  
لي ذلك ينتقي كلماته مبرزاً النقاط المضيئة في الاتفاقيات الفرنسية التونسية

(1) : ( Histoire du Mouvement National Tunisien : D.15, T.3, P.P:299 - 338.

(2) العمل : 16 نوفمبر 1955 .

(3) خطاب الافتتاح الذي القا بورقيبة في المؤتمر 25 نوفمبر 1955 .

(4) مصدر سابق : المجلة المصرية : المصور ) ؛ Volume 2.H.151 ; Bobine S.386,D:2 .

(5) ذكر لي السيد حسين عزيز رئيس شعبة جارة والذي كان حاضرا في المؤتمر .

ومتغافلا بلباقة عن نقاط ضعفها واستطاع بحنكة "المحامي"  
ان يقنع سامعيه بان الاتفاقيات خطوة في طريق التطور ".  
وهذا ما صرح به الشيخ الباقوري في اذاعة الرباط اثناء تحوله الى  
المغرب الاقصى (1) .

وامام هذه المواقف تنتابنا الحيرة اين الخلاف ما دام بورقيبة بنفسه  
يتكلم نفس اللغة ويعبر عن نفس التوجه لأبن يوسف؟ فهل هما وجهان  
لعملة واحدة وما خلافهما الا تعبيراً عن اتفاقهما ؟  
هـ - مقاطعة صالح بن يوسف للمؤتمر:

ولحسم الخلاف بين بورقيبة وصالح بن يوسف اقترح المؤتمرون دعوة  
ابن يوسف لحضور المؤتمر وتوضيح موقفه ولم يمانع بورقيبة وبعث رئيس  
المؤتمر احمد علو لوبيرقية الى صالح بن يوسف يستدعيه لحضور المؤتمر لتوضيح  
وجهة نظره (2) الا ان بن يوسف ربط حضوره بشروط بعث بها الى المؤتمرين قائلاً:  
" اشركم على استضافتي لحضور اجتماعكم بصافق سر واعتقد انكم بهذا العمل ما زلت  
تعتبرونني أمينا عاما للحزب الدستوري الجديد وهكذا يمكنني ان اوجه دعوة المجيء  
الى صفاقس لكل الشعب الدستورية المنضوية تحت لواء الامانة العامة للحزب مما يستوجب  
أجلاً بأسبوع على الاقل ولهذا ارجو التأجيل لاسبوع (3) .

وقد رد بورقيبة على هذه البرقية امام المؤتمرين موضحاً انه دعا بنفسه بن يوسف للادلاء  
برأيه ولكن خوفه من عدم اقناع المؤتمرين جعله يعتبر "المؤتمر غير شرعي" بل وصفه  
باجتماع عادي واعتبر الدعوة من المؤتمر اقراراً بمواصلة خطته كأمين عام للحزب (4) .  
وهكذا نلاحظ ان بورقيبة اراد ان يظهر امام الحاضرين بمظهر الرجل الديمقراطي الذي لم  
ينعسف على بن يوسف عند ما قرر الديوان السياسي طرده من الحزب مع تجريده من الامانة العامة  
لم يودعوه للحضور قصد طرح رأيه على المؤتمرين وهو في الواقع يلقي "بالكرة في شباك بن يوسف" لربح

- 1) Volume 2H 151:Bobine S.386,D:2(physi) :المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية: 1955  
onomie de la Presse Arabe Tunisienne P:429,Samedi 3 Décembre 1955
- 2) Al-Amaly. Histoire du Mouvement National Tunisien,D15,T3(L'in) (2)  
dependance p.344.
- 3) Perillier(L): La Conquête...Op,Cit,P: 289. ) (3)
- 4) Le Petit Matin: 18 Novembre 1955. ) (4)

نقاط اضافية على حسابه فبورقيبة وهو الخبير باصحابه يدرك جيدا ان بن يوسف لن يحضر المؤتمر ولو امهل اكثر من سنة ما دامت نفس العوامل التي دعت الى المقاطعة ما زالت قائمة فباية صفة سيحضر مؤتمر الحزب الذي رقت منه ؟ فلو حضر بن يوسف المؤتمر الا تكون في ذلك موافقة على قرار طرده ؟ افلا يمكن بحضوره مؤتمرا " بورقيبيتي " علنيا تحضره الحكومة التونسية برئيسها وستة وزراء من اعضائها ان يكون بن يوسف محل شك وتتبع بتهمته تكسير المؤتمر ؟ باتباعه الاذي ؟

فهبن يوسف ايضا يعرف جيدا خصومه ونزعتهم " العدائية " نحوه اذ لم تسلم صورته من التمزيق واجتماعائه من التكسير ، فهل يحضر وهو يتوقع سوءا وما هي الصورة التي ستعلق في اذهان المراقبين والملاحظين وضيوف المؤتمر عن تونس التي تطالب بالاستقلال التام وبنظام ديمقراطي وما زالت تُخبت بها السياسة تمارس العنف لحل تناقضاتها !

اذن لا بد من اعادته الى منصبه ، وهذا شرط بن يوسف الاساسي (1) وهو ما لا يقبله بورقيبة .

ومع ذلك يبدو ان صالح بن يوسف قد ترك الساحة خالية امام بورقيبة الذي استغل هذا الغياب ليحصل من المؤتمرين على شرعية قرار الرفت يوم 17 نوفمبر 1955 .

ومن هنا نستنتج ان بن يوسف قد شارك بنفسه في هزيمته السياسية عند ما نادى بمقاطعة المؤتمر والتزم بذلك فبغيا به عن " مبارزة مصيرية " كالتسي ستجري بينه وبين بورقيبة في قاعة المؤتمر ، جعل خصمه بورقيبة يستصر عليه طبقا لقانون اللعبة " الفوز بالغياب " وينجح في توجيه الحاضرين

(1) مصدر سابق : المجلة المصرية (المصور) : 25 نوفمبر 1955 / المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية .

وجهة معادية " لليوسفية " بعدما كان الاتجاه العام ينحو نحو  
إيجاد حل " يحفظ وحدة صفوف " وظلت القضية قائمة من ناحية رفت  
بن يوسف من عضوية الحزب وتجريده من الامانة العامة ومن ناحية  
اخرى عدم امتثال بن يوسف لهذا القرار وعدم تنازله عن خطة أمين  
عام للحزب !

فهل يعني هذا ان اليوسفيين لم يحضروا المؤتمرات ؟

لقد ذكر بورقيبة ان عددا كبيرا من اتباع بن يوسف قد حضر المؤتمر  
من الجامعة الدستورية لتونس العاصمة ، كما يخص بالذكر الطاهر عميره ،  
مزوز الرباعي ، الصادق الشائبي ( 1 ) .

فلماذا حضر هؤلاء اليوسفيون ولم يمثلوا لنداء المقاطعة الذي رفعه  
بن يوسف ؟

وان لا يخلو الامر من الجوسسة الا انه يشير الى الانشقاق في صفوف  
اليوسفية نفسها ، فهذه الحركة التي تفتقد الى ايديولوجية واضحة  
ومتميزة ضمت في صفوفها كل المعارضين للوضع الجديد الموروث عن  
الاستعمار المباشر وكل الرافضين لمظاهر القمع وخنق الحريات وكل  
الاشتاقين الى الاستقلال ...

لكل واحد من هؤلاء له رأيه وله طموحه رغم اجتماعهم على مبدئ  
الاستقلال التام ، وليس من الغريب ان يظهر الاختلاف من اول اختبار تجتازه  
الحركة ، يقول الطاهر عميره " : انا مواطن لم نسع ابدا الى التزعم  
بل كان همه الوحيد الاصداق بما يراه حقا ...

والأكد أنني لم اتحمل مسؤولية في حركة صالح بن يوسف لأنني لم اكن  
المحسن التكتيك التي توخاها ، وهذا لا يعني التبرؤ ، وهذا لا يعني  
التي كنت ولا زلت أشاطر افكار صالح بن يوسف وأتعاطف معها ...

وجهة معادية " لليوسفية " بعدما كان الاتجاه العام ينحو نحو  
ايجاد حل " يحفظ وحدة الصفوف " وظلت القضية قائمة من ناحية رفت  
بن يوسف من عضوية الحزب وتجريده من الامانة العامة ومن ناحية  
اخرى عدم امثال بن يوسف لهذا القرار وعدم تنازله عن خطة أمين  
عام للحزب !

فهل يعني هذا ان اليوسفيين لم يحضروا المؤتمرات ؟

لقد ذكر بورقيبة ان عددا كبيرا من اتباع بن يوسف قد حضر المؤتمر  
بن الجامعة الدستورية لتونس العاصمة ، كما يخص بالذكر الطاهر عميره ،  
عزوز الرباعي ، الصادق الشائبي ( 1 ) .

فلماذا حضر هؤلاء اليوسفيون ولم يمثلوا لنداء المقاطعة الذي رفعه  
بن يوسف ؟

وان لا يخلو الامر من الجوسسة الا انه يشير الى الانشقاق في صفوف  
اليوسفية نفسها ، فهذه الحركة التي تفتقد الى ايديولوجية واضحة  
ومتميزة ضمت في صفوفها كل المعارضين للوضع الجديد الموروث عن  
الاستعمار المباشر وكل الرافضين لمظاهر القمع وخنق الحريات وكل  
المشتاقين الى الاستقلال ...

لكل واحد من هؤلاء له رأيه وله طموحه رغم اجتماعهم على مبدأ  
الاستقلال التام ، وليس من الغريب ان يظهر الاختلاف من اول اختبار تجتازه  
الحركة ، يقول الطاهر عميره : " انا مواطن لم نسع ابدا الى التزعم  
بل كان همه الوحيد الاصداق بما يراه حقا ...

وأكد أنني لم اتحمل مسؤولة في حركة صالح بن يوسف لأنني لم اكن  
المتحسّن التكتيك التي توخاها ، وهذا لا يعني التبرؤ ، وهذا لا ينفي  
الشي كنت ولا زلت أشاطر افكار صالح بن يوسف وأتعاطف معها ...

1) Bourguiba(H): Ma Vie...Op,Cit,P: 322.

(1) مصدر سابق :

واذكر اني اعظيته في مناسبة نصائح اعتقد انه لو اتبعها لجنب نفسه وانصاره الأذى الذي تسلط عليهم ولسحب من تحت ارجل خصومه البساط ، ولما تمكنوا من الانفراد بالحكم حيث كان بإمكان صالح بن يوسف ان يكشف خورهم وان لا يكون لهم من المستقبل بعد مؤتمرها صفاقس افضل مما حصل لمصالي الحاج في الجزائر (1) ...

اذن حضر عدد من اليوسفيين المؤتمرو وقد فوجئوا وبحسن التنظيم الذي اعدده الحبيب عاشور لآستقبال المؤتمرين اذ وجدوا انفسهم في آخر القاعة قريبا من الباب (2) ومنهم من اختار ذلك وهو وضع يوحي بكثير من المعاني :

اولا : اقضاء اغليبتهم عددا قليلا منهم من شارك في اعمال المؤتمرو - كالتاهر عميرة الذي كان مقررا للجنة السياسية وقد استطاع ان يقنع زملاءه في هذه اللجنة " بانه لا يمكن الحديث عن الاستقلال في الوقت الذي ما زال فيه الوطنيون قابعين في السجون الاستعمارية ، ففي هذا اعتداء على السيادة التونسية ، وفي صورة عدم اطلاق سراحهم رجب على الحزب المطالبة باستقالة حكومة بن عمار التفاوضية والاعلان عن تخليتها على الاتفاقيات (3) .

وفي اليوم الموالي تدخل بورقيبة للمناضلين بانه لما فتحت المفاوضات التونسية الفرنسية سوى في عهد حكومة او حكومة الطاهر بن عمار كان هو نفسه رهن الاعتقال في السجون الفرنسية (4) ولم يطالب احد باطلاق سراحه مستغربا كيف يكون اليوم تعطيل اجراءات الاستقلال الداخلي باسم الدفاع عن المساجين السياسيين وبالتالي تقديم ما هو ثانوي على ما هو اساسي (5)

(1) تصريح الطاهر عميرة في المائدة المستديرة حول 20 مارس، المغرب العربي عدد 92 مارس 88 ص 59 .

(2) استجواب حسين عزيز الذي حضر المؤتمرن بزيارة عن شعبة جارة بقابس .

(3) Histoire du Mouvement National Tunisien: D15, T3. مصدر سابق : ( ) L'indépendance p:286.

(4) Bourguiba(H): Ma Vie... Op, Cit, P: 322. مصدر سابق : ( )

(5) Histoire du Mouvement National Tunisie: D15, T3; P:287. مصدر سابق : ( )

ثانيا: البعد عن المنصة وعن " المكرفون " وبالتالي الحيولة دون ابلاغ وجهة نظرهم للرأي العام الداخلي والرأي العام الخارجي المتمثل في الصحافيين وضيوف الشرف مع امكانية الانسحاب من القاعة بصمت وبدون ضجة في صورة اختلال ميزان القوى لفائدة البورقبيية وهو ما خطط له منظمو المؤتمر .

ثالثا: اتحاد موقف المتفرج الذي يكون خارج الركح وحضر للمشاهدة فقط

بدأت اليوسفية " وكأنها لم تعط للمؤتمر الاهمية اللازمة ولم تقدر خضورة النتائج التي قد يسفر عنها ،عكس" البورقبيية" التي راهنت على هذا المؤتمر ونزلت بثقلها وعملت جاهدة على ضمان نجاحها من خلاله واستغلاله افضل استغلال لقلب الكفة لصالحها .

و- ما هي نتائج المؤتمر؟

\*-قرارات المؤتمر ولوائحه:

اللائحة السياسية: عبرت هذه اللائحة عن مساندتها للديوان السياسي الذي " قاد الحركة الوطنية داخل البلاد وخارجها قيادة رشيدة وانه قد أدى الامانة احسن الاداء" (1) كما سجلت منح المؤتمر كامل ثقته لرئيس الحزب والديوان السياسي لمواصلة مجهود النهوض الديمقراطي الرامي لتحرير الوطن سياسيا واقتصاديا واجتماعيا حتى تتحقق الرسالة والاهداف التي أسس من اجلها الحزب تحقيقا كاملا (2) . كما تضمنت اللائحة السياسية العامة اعلان المؤتمر عن " ان الاستقلال التام هو غاية الحزب وان الاتفاقيات التونسية الفرنسية خطوة الى الامام نحو هدف البلاد الاسمي الاستقلال التام بما انها اعترفت بالحكم الذاتي للبلاد (3) ، وقد لاحظت جريدة الاسبوع ان هذه اللائحة السياسية لم تدرس من طرف اللجنة السياسية ولكنها قدمت من طرف رئيس الحزب مباشرة واعتبر التصفيق لها تأييدا (4) . وما يمكن ان نلاحظه من خلال هذه اللائحة ان المؤتمر قد ابدى مساندة للحبيب بورقبيية والديوان السياسي الا انه لم يقف عند اعتبار الاتفاقيات " خطوة الى الامام " بل اقرب بأنها دون المنشود " الاستقلال، التام " وبالتالي الدعوة الى مواصلة النضال لتحقيق "المنى" وقد يجزنا هذا الى فترات من افكار بن يوسف .

(1) الصباح : 20 نوفمبر 1955 .

(2) مصدر سابق : لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي ... ص 72 .

(3) العمل : 19 نوفمبر

(4) الاسبوع : 21 نوفمبر 1955 .

لائحة الجيش الوطني : طالبت هذه اللائحة باحداث قوة عسكرية تكون نواة لجيش وطني يساعد على تحقيق الهدوء واستتباب الامن والسلام بأرض الوطن (1) .

ومن الملاحظ ان هذه النقطة كانت احدي مطالب الحبيب بورقيبة بعد الاعلان عن تجريد الثوار من السلاح ، فقد اقترح اثناء المفاوضات الفرنسية التونسية تكوين جيش تونسي صغير قوامه ستة آلاف رجل ينتدبون من بين " الفلاحة " الذين سلموا سلاحهم واصبحوا رعايا الباي بصفة قانونية (2) .

لكن هذا المقترح قد رفضته الحكومة الفرنسية انذاك فهل ستقبله اليوم وهو يجسد فعلا السيادة التونسية والمظهر السياسي لذاتيتها .  
لائحة في تأييد الجزائر: عبرت هذه اللائحة عن المساندة التامة للشعب الجزائري وتأييده في المطالبة بتحقيق طموحاته المشروعة لنيل الحرية والاستقلال مع التأكيد بسياسة فرنسا القمعية ومطالبتها بوضع حد لحربها في الجزائر وبتراجعها عن سياستها الاستعمارية في شمال افريقيا واعترافها بمبدأ حق الشعب الجزائري في تقرير المصير ، كما لاحظت اللائحة بالأسلام ولا امن في تونس طالما الشعب الجزائري يعاني الاضطهاد (3) .

ففي هذه اللائحة اعتراف صريح بشرعية الثورة الجزائرية وارتباط الوضع في الجزائر ببقية اقطار المغرب العربي وخاصة بتونس وهذه النقطة قريبة ايضا من افكار صالح بن يوسف .

ريبدو ان بورقيبة قد ساير المؤتمرين فيها حتى يضمن لنفسه رفع التهم " بعدم الاكتراف بمصير العرب " ومع ذلك يبقى السؤال كيف ستكون

(1) :

(2) :

(3) : نفس المصدر ونفس التاريخ .

1) Le Petit Matin: 19 Novembre 1955.

2) Le Petit Matin: 22 Novembre 1954.

المساندة للشورة الجزائرية؟ فهل بوحدة الكفاح مثلما يدعوا صالح بن يوسف؟ او بمساعدتها على حل قضيتها على شاكلة حل القضية التونسية؟ وذلك بأن تلعب تونس دور الوساطة بين فرنسا والجزائر وهذا ما طلبه بورقيبة من فرنسا يوم 22 أوت 1956.

والى جانب لوائح اخرى تخص تمجيد الكفاح التونسي الذي افضى الى اتفاقيات 3 جوان 1955، والاخرى تتعلق بالصحة والسكن والغذاء صادق المؤتمرين على تقريرين خاصين بالشؤون الاجتماعية والاقتصادية والتعليم والشباب.

• انتخاب اعضاء المكتب السياسي والمجلس الملي :

• المكتب السياسي الجديد :

لقد ترشح للديوان السياسي 17 دستوريا فاز منهم (1) :

- الحبيب بورقيبة رئيسا بالاجماع .
  - الباهي الادغم : 1157 صوتا .
  - جلولي فارس : 1110 صوتا .
  - الصادق المقدم : 1095 صوتا .
  - النجفي سليم : 1088 صوتا .
  - الهادي نويرة : 984 صوتا .
  - علي بلهوان : 978 صوتا .
  - الطيب المهيري : 970 صوتا .
  - احمد التليلي : 941 صوتا ( عضو بالاتحاد العام التونسي للشغل ) .
  - محمد المصمودي : 886 صوتا .
  - عبد الله فرحات : 468 صوتا ( عضو بالاتحاد العام التونسي للشغل ) .
- لقد سقط في الانتخابات كل من الطيب سليم (433) صوتا ورشيد ادريس 23 صوتا

• العمل 28 نوفمبر 1955

والظاهر عميرة (271 صوتا) واحمد المستيري (228 صوتا) وعبدالله

البرقاوي (107 اصوات) .

المجلس الملي : ويضم 32 غرضوا (1) وهم :

مصطفى الفيلاي - شاذلية بزقرو - عبد الرحمان عبد النبي - اندي باروش  
لحسين جراد - احمد دريره - الحبيب الشطي - الخاج محمد زخامة -  
آسيا غلاب - عزوز الرباعي - محمد باللونة - الطيب السحباني - محمد  
اللقنونو - عبد الله جراد - محمد الحبيب توفيق ابراهيم - محمد الجدي  
محمد صفوة - الظاهر العلاني - محمود اللافي - مصطفى والي - البشير  
بن لاغة - الناصر بن جعفر - علالة العويتي - عبد الحميد القاضي - الحكيم  
بن ساسي - حسونة القروي - القائد العجيمي - البشير عاشورا - عمر  
شاشية - بوبكر باكير - محمد المقني .

وقد تم الاعلان عن هذه النتائج يوم 19 نوفمبر 1955 في منتصف النهار  
بقاعة المؤتمر بالحي الزيتوني بصفاقس ( معهد 15 نوفمبر حاليا ) .

ز - اليوسفية دون المؤمل :

بعد ما تتبعنا وقائع مؤتمر صفاقس ( 15 و 16 و 17 و 18 و 19 نوفمبر 1955  
يمكن ان نستنتج ان اليوسفية لم تنتهي بعد لخوض الحدث :

لقد حضر المؤتمر وهي مشتتة اذ نادى زعيمها صالح بن يوسف ( الى المقاطعة  
واستجاب له معظم مناضليها وحتى من حضر ما كان يهدف الملاحظة  
والجوسسة وحب الاطلاع الاقلية . ارادت ان تكون فاعلة مثل الطاهر عميرة  
وعزوز الرباعي .

لما المقاطعة قدمت اليوسفية خدمة جلية للبرقيبية التي عدلت من وجهة  
نظرها حسب ما يتمشى وتوجه المؤتمرين وخاصة الضيوف الاجانب

الملاحظين القيين أصبحوا بمثابة " القضاة " ...

(1) نفس المصدر ونفس التاريخ .

وهكذا ارتبكت المواقف وبدأ التساؤل أين سقطت الخلافة ؟

التي غابت بغياب اصحابها ( اليوسفيون ) وانعدام التمييز بين الروايات بعد ما تبنت " البورقيبية " افضل ما جاء في الطرح اليوسفي " مواصلة النضال والسيطرة من اجل تحقيق الاستقلال التام " .

وربما هذه الضبابية دفعت ببعض ضيوف المؤتمر الشريفين الى حضور الاجتماع

الذي نظمه صالح بن يوسف في الملعب البلدي بتونس العاصمة يوم 18 نوفمبر

( 1 ) لعلمهم يظفرون بحقيقة واضحة حول طبيعة الخلاف بين الزعيمين على

ضوءها يكون التصرف وتحديد المواقف .

ومن هنا نتبين ان البورقيبية قد خرجت غائمة ومنتصرة من هذه

الجولة المصيرية ( مؤتمر صفاقس ) في حين ظهر اليوسفيون " في موقف

الشرذمة الضالعة " وان لم نقل في موقف الخيانة الكبرى " مما يستوجب

حرمانهم من حق مواصلة الانتماء الى الحزب الدستوري الجديد الذي من

اجله سخروا جهودهم وعرضوا حياتهم وانفسهم الى الخطر في سبيل

اشعاعه داخليا وخارجيا . وهذا ما جعلهم لا يقبلون بالحكم .

فانطلاقا من مؤتمر صفاقس بدأ العد التناقصي لليوسفية التي بدأت

تفقد مواقعها لفائدة البورقيبية ، فقد تمكن بورقيبية من فرض رؤيته

من خلال مؤتمر صفاقس الذي رسم ملامح المرحلة القادمة ومرر قرارات

خطيرة تمس مستقبل البلاد وعلاقاتها الدولية في جو من التصفيف

المنتشي . كما اعطى مؤتمر صفاقس اشارة الانطلاق لحرب اهلية خاضها

البورقيبيون بالاعتماد على الشرعية التي منحها لهم المؤتمر باقرار رف

سن يوسف " وخاضها اليوسفيون الذين قهرهم مؤتمر صفاقس بتشكك

الرأي العام الداخلي وحتى الخارجي في نيتهم واهدافهم ، فكان العنف

لاعادة الاعتبار واسترجاع المواقع .

1) Ben Salem (M): L'antichambre... P: 188.

ومع ذلك يبدو وان صالح بن يوسف قد حقق رغم غيابه نقطة برنامج السياسي وهي تجاوز الاتفاقيات المبرمة في 3 جوان 1955 فقد عاد بن يوسف الى تونس ليشن حملة ضد الاتفاقيات قصد تجاوزها للمطالبة بالاستقلال التام. وها هو المؤتمر ينادي بالاستقلال التام معتبرا الاتفاقيات مجرد خطوة في سبيل تحقيقه، فهكذا نستنتج ان المؤتمر اتخذ حلا وسطا من الاتفاقيات الفرنسية التونسية فلم يرفضها وانما اقر ضمنيا بنقائصها وهذا ما سيصرح به بورقيبة في جملته التعهوية ضد اليوسفية قصد سحب البساط من تحت اقدامها وليدفع فرنسا على فتح باب التفاوض من جديد.

وعوما يمكننا القول ان مؤتمر صفاقس كان بمثابة ضربة بداية النهاية للمد اليوسفي الذي خسر جولة سياسية هطمة نتيجة مقاطعته المؤتمر.

ولكن ألا تعني هزيمة في معركة خسارة الحرب؟

٢- الاستعداد للمرحلة الحاسمة: معركة الاستقلال التام.

أ- تأهب اليوسفية لخوض المعركة:

لقد قبل مؤتمر صفاقس باتفاقيات الحكم الذاتي كخطوة نحو الاستقلال التام، يقول الطاهر عميرة: "كانوا (البورقيبيون) راضيين في نوفمبر بالحكم الذاتي بينما كان الاستقلال التام في متناولهم، و دليل ذلك انهم تحصلوا على الاستقلال التام بعد اربعة اشهر فقط من اقرارهم بالحكم الذاتي واتفاقيات 3 جوان 1955" (1).

لم تكن نتائج المؤتمر لترضي اليوسفية المنادية بالاستقلال التام وبالغاء جميع المعاهدات والاتفاقيات المقررة بالنظام الاستعماري، اذ كان بن يوسف

(1) تصريح الطاهر عميرة: في المائدة المستديرة حول 20 مارس، المغرب العربي، عدد 92/ ص 58.

منذ اتفاق 21 افريل 1955 يبحث عن الصيغ القانونية لابطال الاتفاقيات "الحكم الذاتي" وذلك بمناداة الشعب التونسي الى رفضها قصد ان يختل احد الشروط الموضوعية لصحة انعقادها وهو شرط الرضا (1) . وبما ان المؤتمر اقر الاتفاقيات فعليه ان يمر الى مرحلة جديدة يستعمل خلالها اساليب جديدة في مواجهة الوضع الناتج عن تنفيذ الاتفاقيات ومن حين تنتقل الحركة اليوسفية من الدعاية الى التنظيم السياسي والعسكري سالكة سياسة "العنف الثوري" .

### الحملة السياسية :

جاء في خطاب صالح بن يوسف الذي القاه في اجتماع بلعب (بلعب الشاذلي زويتن حاليا) يوم 18 نوفمبر 1955 ما يلي :

ان الاتفاقيات هي استعمار جديد... يابورقية :ويالنجي سليم ... نسألكم كيف ستزدهر البلاد و تصل الى الاستقلال عبر استقلال داخلي في الوقت الذي تكونون مجموعة فرنسية تونسية التي تتعامل معكم ولن يتعامل الشعب التونسي معكم ابدا... لن يكون مصيرنا الا مصيرا عربيا... ان مؤتمرات صفاقس المزعوم لا يمثل الشعب التونسي ولا يمثل شيئا... يجب ان نستأنف المقاومة السياسية ، فلها دور اكثر اهمية في الوقت الراهن من المقاومة المسلحة (2) .

وان لم يات هذا الخطاب بجديد في موقف بن يوسف من الاتفاقيات ومؤتمر صفاقس الا انه اكد على دعوة الشعب الى مقاطعة الديوان السياسي والذي يمثله بورقيبة والمنجي سليم وزير الداخلية وعضو الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد .

كما حدد طبيعة المرحلة التي تمر بها الحركة اليوسفية والتي لا تخرج عن حدود

---

(1) الدكتور احمد الرحال : قانون العلاقات الدولية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان 1990 / ص 89 .

منذ أكتوبر 1955 اعتبر بن يوسف الديوان السياسي منحلا و دعا  
انصاره الى الانسلاخ عنه ، كما انه لم يعترف بالمكتب السياسي الجديد  
المنبثق عن مؤتمرات صفاقس .  
هذا المؤتمري الذي انتخب خلاله الباهي الادغم امينا عاما للحزب  
بدلا عن بن يوسف " المرفوت " ، فلماذا الباهي الادغم ؟ الم يكن الباهي  
الادغم من الاوائل الذين حفرنا من انعكاس عملية تجريد الشوار من السلاح  
على مجرى المفاوضات التونسية الفرنسية ( 1 ) ؟ الم يساند الباهي الادغم  
تصريح صالح بن يوسف ليوم 13 / 12 / 1954 ، محتجا عن موقف الصمت  
الذي توخاه الدستوريين الجدد تجاهه قائلا في رسالة بعث بها الى  
ابن يوسف بتاريخ 7 جانفي 1955 : " ان سكوت الرفاق عن تصريحك هو غير  
مقبول بالمرة فبعد ما اعطوا الرهان لمننداس فرانسوياله من رهان !  
فماذا ينتظرون حتى يوضحوا موقفهم ... لا يمكن ان تقطع كل القناطر ويبقى  
الخطأ في جانبنا ، بل يجب التحرك بذلك " ووضع القضية التونسية في  
المستوى الذي وصلته بفضل تضحية وجهد المناضلين والزعماء ... ( 2 )  
الم يقل الباهي الادغم ان الاتفاقيات التونسية الفرنسية قد تجاوزتها  
الاحداث وضح للبشير زرق العيون بانه غير مستعد لمتابعة بورقيبة  
في خيانتة ( 3 ) ومع ذلك نجد الباهي الادغم " القريب في افكاره من  
صالح بن يوسف ( 4 ) يشارك في مؤتمري دعا " صاحبه " الى مقاطعته وينتخب  
امينا عاما للحزب عوضا عنه فيماذا تفسر ذلك ؟  
لا يمكننا الا الافتراض لنفسه هذا التحول :

(1) Ladgham(B): Correspondance... Op,Cit, P: 278.

(2) نفس المصدر ونفس الصحيفة :

(3) Bourguiba (H): Ma Vie... P: 317.

(3) مصدر سابق :

(4) Bessis et Belhassen: Bourguiba... Op,Cit, P: 160.

(4) مصدر سابق :

اولا: يبدوان الباهي الادغم وبن يوسف قد اجتمعا حول رفض

الاتفاقيات ولكنهما اختلفا حول معالجة الوضع .

فالباهي الادغم يهدو انه قبل الامر الواقع الذي لم يقبله بن يوسف

ويمكن ان نستشف ذلك من خلال النقاش الذي دار بين الرجلين قبل

اصدار قرار الرفض في اكتوبر 1955 . اذ يقول الباهي الادغم: " ذهبت

الى بن يوسف مع المرحوم محمد شنيق فكان جوابه: " انني حددت

موقفي الان ... و سأقاوم الاتفاقيات " فقال الباهي الادغم: فأنا متطرف

اكثر منك ، واذا ما حدثوني عن الاتفاقيات سأقول لهم انه قد تجاوزتها

الاحداث ... فلندخل سويا الحكومة وسأعينك على مهامها ، فرد

ابن يوسف بالرفض (1) .

ثانيا: يبدوان مسيري الحزب قد خافوا مما ينجر عن انتصار بورقية

وازاحة الرجل الثاني في الحزب صالح بن يوسف ، من دعم لهيمنة بورقية

المطلقة ( دكتاتورية ) ولخلق توازن جديد في صلب الحزب ، كان اختيارهم

على الباهي الادغم وهو رجل له وزنه داخل الحزب وخارجه اذ كان ممثلا

للحزب في نيويورك وتابع عن كثب اطوار القضية التونسية امام هيئة

الامم المتحدة بالاضافة الى علاقاته باعضاء الكتلة الافريقية الاسيوية

ومعرفته الدقيقة بنقاط ضعف وقوة الفكر اليوسفي " ولكن لماذا

لم يرفض بورقية رأي ان الاعتراض ليس في صالحه في تلك الظروف وان

الموافقة على هذا التعيين تكون افضل ، لان من شأنها تجلب الى صفه عديد

التحالفات (2) وتضم اليه المترددين من الدستوريين الذين صعب عليهم

الاختيار بين زعيمين تماوت قيمتهما داخل الحزب ولا يعتبر احدهما افضل

من الاخر ، فبورقية اسر الحزب وقادته لمدة 25 سنة بينما برز صالح بن يوسف

(1) تصريح الباهي الادغم: في المائدة المستديرة حول 20 وارسا المغرب العربي عدد 92 مارس 88 ص 6

(2) مصدر سابق: (Bessis et Belhassen: Bourguiba... Op, Cit, P: 162-2)

كصاحب سياسة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي وحدت بين الشعب والباي ( Pays Reel et Pays ) ( 1 ) ولعب دورا كبيرا في دور القضية التونسية Legal.

امام هيئة الامم المتحدة وكسب الانصار لها .

اذن يعتبر ضم الباهي الادغم الى الديدوان السياسي دعما للصف البورقيبي وانراغا للامانة العامة " من قواعدها اليوسفية لتسهل محاصرتها ثم القضاء عليها .

وربما شعر صالح بن يوسف بالخطر فكثف اتصالاته المباشرة ، فعقد الاجتماعات تلو الأخرى مكررا في كل مرة موقفه من الاتفاقيات التي سماها اتفاقيات بورقيبة ( 2 ) مشيرا الى مساندة المنظمات الدولية ( مؤتمر باندونغ ، الجامعة العربية ، هيئة الامم المتحدة ) لحركات التحرر الوطني مناديا بوحدة الصفوف لمجابهة الاتفاقيات والحضور الفرنسي عبر الكفاح المسلح في نطاق توحيد النضال الثوري في اقطار المغرب العربي من اجل الحصول على الاستقلال التام .

الا ان هذه الاجتماعات التي كان يعقدها صالح بن يوسف في كافة انحاء البلاد لم تسلم من حملات التشويه " رفاق الامس " وذلك قصد اجبار صالح ابن يوسف على الامتثال لقرار " الرفت " و"التجريد" ، الا ان بن يوسف ازداد اصرارا بتمسكه بخطته السابقة داخل الحزب الدستوري الجديد باذلا كل جهده المادي والمعنوي لتعبئة اكثر ما يمكن من افراد المجتمع التونسي واستنفارهم ضد الوضع الجديد ، فكثيرا ما تنتهي هذه الاجتماعات بمظاهرات او عرائض او سريقات احتجاج تتجه غالبا الى قصر الباي منادية بتدخل الباي " لانقاذ البلاد من الهلاك وليكون حكما في هذه الوضعية " ( 3 ) ولكن الباي ذلك

( 1 ) مصدر سابق : ( 1 ) Ladgham(B) : Correspondance ... Op, Cit, P.P:322-323.

( 2 ) البقظة : 2 جانفي 56 ( بن يوسف يجيب عن الخمسة الاسئلة التي طرحتها " البقظة " )

( 3 ) ( 3 ) I.S.H.M.N.T:Volume 2H151,Bobine S386,D2(Physionomie de la Presse Tunisienne,As Salah du 1<sup>er</sup> Novembre 1955) P: 412.

الشيخ المريض كان عاجزا عن اتخاذ اجراءات حازمة قد تعجل بانتهيار  
عرشه . اما الحكومة التونسية فيبدو انها ساندت الشق البورقيبي مما  
جعلها عرضة لهجمات " اليوسفية " .

اليوسفية في معارضة الحكومة التونسية :

من الطبيعي ان يقف بن يوسف ضد حكومة تجندت لتطبيق اتفاقيات  
" الحكم الذاتي المزيف " وضمت عناصر من الديوان السياسي كالمجني سليم  
والهادي نويرة ومحمد المصمودي وغيرهم .

فما هو موقف الحكومة من الصراع اليوسفي البورقيبي ؟  
هل ستتخذ موقف الحياد باعتبارها جهازا من المفروض ان يكون فوق  
الصراعات ؟ او ستندفع لمساندة " الديوان السياسي " وتسخير قوتها المادية  
والمعنوية لتغلبه على الشق اليوسفي ؟

يقول صالح بن يوسف في ندوته الصحفية بتاريخ 4 نوفمبر 1955 " اصبحت  
حرية الاجتماع وحرية الرأي في كنف الحذر ، اذ منذ ان قررت الاتصال  
بالجماهير الشعبية ما انفك الديوان السياسي المنحل يستعمل جميع الوسائل  
لمنع ذلك الاتصال بما فيها تدبير الاغتيالات والاعتداءات على الاشخاص :...  
وانني اتهم صراحة الديوان السياسي باعداد هصابات مسلحة تضم رجالا  
لا وازع ولا ضمير لهم دفعت لهم مبالغ طائلة وعادوا اليوم من جديد ليفرضوا  
ارهابهم على الرأي العام ...

ان هذه العصابات المسلحة اليوم بمساعدة اعضاء الحكومة الدستوريين  
المتواطئين معها في مآمن من كل التتبعات ( 1 ) ومن خلال هذا التصريح  
تتبين اتهم صالح بن يوسف اعضاء الحكومة الدستوريين وخاصة المجني  
سليم وزير الداخلية بانهم يمثلون غطاء لاعمال العنف التي يمارسها الشق البورقيبي .

( 1 ) الصباح : 5 نوفمبر 1955 .

ويقول الحبيب بورقيبة في خطابه بنابل ( 2 ديسمبر 1955 ) : " ان  
المسؤول عن سيلان الدماء هو تثبيت الامانة العامة " بارتباطها بالحزب  
الدستوري التونسي ، في الوقت الذي لم يعد بينهما اي ارتباط فالدعوة  
لمواصلة الكفاح ورفض الاتفاقيات منها الحزب براء... " ( 1 )  
اما المنجي سليم ، عضو الديوان السياسي ووزير الداخلية فقد ارجع حالة  
الفوضى والاضطرابات التي عليها البلاد الى التظاهرات التي يقوم بها  
بن يوسف باسم الحزب الدستوري على اساس انه الامين العام لهذا الحزب  
فقد قال المنجي سليم " فلو قام بن يوسف بتظاهراته تحت اسم حركة  
اخرى لانتفتت الفوضى بلاشك " ضاربا مثلا انعقاد مؤتمر الحزب القديم  
الذي كان بدون مشاكل ولا مصادمات ، ناسيا ان هذا المؤتمر كلف  
" القدامى " قتيلين احدهما في قلبية والاخر في العالية ( 2 ) .

ويوافق كوهين حضرة على ضرورة تكوين بن يوسف لحزب آخر وانسحابه  
من الحزب الدستوري الجديد ، الذي اصبح يضم حزبين : " الامانة العامة "  
والديوان السياسي " مصرحا : " منذ بداية الازمة اليوسفية البورقيبية  
كنا من الاوائل الذين تنبؤوا بان حلها ديمقراطيا يكون عبر تواجد  
حزبين معارضين ووصلنا الى حد التأكيد على ان المهمة التاريخية لابن  
يوسف هي تشبيب الحزب المتحجر... " ( 3 )

وهكذا يمكننا ان نستشف ضمنا استباحة اعمال العنف التي كانت تعم  
البلاد مع القاء المسؤولية على هالح بن يوسف الذي اتخذ من الرفض  
شعارا بحيث رفض الاتفاقيات ورفض قرار رفته وتجريده من الامانة العامة  
للحزب ورفض مؤتمر صفاقس وقراراته ورفض ان يوسف سر حزبا خارجيا

( 1 ) المصدر الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Physio- : Volume 2H151, Bobine: S386, D: 2) p: 429  
nomie de la presse arabe et tunisienne, Al Amal du 3 Decembre

( 2 ) Tunis Socialiste 25 Novembre 1955.

( 3 ) الصباح 23 ديسمبر 1955

من حزبه ( الحزب الدستوري الجديد ) ورفض ان تتواجد عناصر دستورية داخل الحكومة وحتى الحكومة نفسها كانت محل رفض فقد جاء في صحيفة البلاغ " : لا يمكن للبلاد ان تتجنب حربا اهلية ما دامت تحكمها حكومة لا تتمتع بثقة الشعب ولا تعبر عن طموحاته ولا تعمل لصالحه (1) " .

ولعل سكوت الحكومة عن اعمال العنف ، وعدم مقاضاة مقترفيها رغم معرفتها بهم وسكانهم في ماطر ومنزل بوزلفة و سليمان وقصر هلال والقيروان وقابس وغيرها (2) ، جعل اليوسفيين يردون بالمثل على الممارسات البورقبيية فسعوا الى افساد اجتماعات بورقبيية مما ادى الى مصادمات كانت قاتلة في بعض الاحيان من ذلك ما هل في الوطن القبلي وفي الجنوب... كما نظم اليوسفيون المظاهرات الواحدة تلو الاخرى في اتجاه مقر الحكومة بساحة القصة وبعد ان تجوب شوارع العاصمة تتحول الى دار الباي بقرطاج ، منادية بسقوط الاتفاقيات وسقوط حكومة بن عمار وسقوط المنجي سليم وزير الداخلية الذي اصبح في عيون المعارضين " حامي حمى المجرمين " (3) .

وفي يوم 28 نوفمبر 1955 قام متظاهرون من ( الفلاحة ) امام قصر الحكومة بمظاهرة عنيفة جعلت المنجي سليم سجينا في مكتبه (4) مما ادى الى انعقاد مجلس الوزراء لتدارس الوضع ...

وفي يوم 29 نوفمبر 1955 كان المصور الصحفي " بن عمار عرضة لحادث اعتداء ادى بحياته ، وترجع صحيفة " البلاغ " الحادث الى سببين :

اما ان يكون بن عمار هو الشخص المقصود لانه تمكن من تصوير السيد

(1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية (Physionomie de la presse Arabe et Tunisienne, Al Balagh du 3 Decembre) P:425

(2) انفس المصدر ونفس الصفحة .  
(3) = = = =

4) Ben Salem (M) : L'antichambre... Op, Cit, P:189.

(4) مصدر سابق :

مبروك عبد الصمد اثناء ضربه لأحد المقاومين ( خلال مظاهرة  
28 نوفمبر ) .

وأما انه اصيب على وجه الخطأ عوضا عن شخص آخر ، وفي كل الحالات  
يحمل " البلاغ " وزير الداخلية المسوءولية لانه المسوءول عن النظام العام  
كما تشير ايضا الى تعدد مثل هذه الحوادث دون ان يتخذ الوزير ادنى  
قرار (1) .

وفي الليلة الفاصلة بين 30 نوفمبر ( 1 ديسمبر 1955 اقتحمت مجموعة  
مسلحة تضم اربعة اشخاص مبعوثين من قبل الديوان السياسي مقر  
جريدة الصباح سائلة عن مديرها وعند ما لم تعثر عليه عبثت  
بمحتويات مكاتب المقر ، ثم انسحبت (2) .

كما اغتيل يوم 1 ديسمبر علي بن اسماعيل السائق الخاص لأبن يوسف  
من قبل مجموعة من انصار الديوان السياسي نصب له كميناً في  
" الخربة " على الطريق الرابطة بين بزلفة و سليمان ، وتذهب صحيفة  
الصباح التي أوردت الخبر الى ان المستهدف بالاغتيال هو صالح بن يوسف  
الذي لم يكن برفقة سائقه اثناء الحادث (3) .

وهرع بن يوسف الى القصر حيث التقى بالشاذلي باي ليطلب منه  
سحب الثقة من الوزراء الدستويين في ظرف 48 ساعة والا اشتعلت البلاد  
نارا ودماء (4) .

وفي 3 ديسمبر اغتيل المختار بن عطية وهو امين عام مساعد لا تحاد  
الصناعة والتجارة وقد قال عنه الطاهر عميرة : " انه من الاوائل الذين

ساهموا في اعداد ثورة 1952 وغداة اغتياله تكتب عنه جريدة يومية (5)

(1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Physi-) Volume 2H151.Bobine S386,D:2  
onomie de la presse arabe et Tunisienne, Al Balagh du 1/12/55 P:426

(2) الصباح : 1 ديسمبر 1955 .

(3) نفس المصدر .

(4) مصدر سابق :

(5) العمل : 4 ديسمبر 1955 .

(4) Ben Salem (M) : L' Antichambre... Op, Cit, P: 189!

" مجهولون اصابوا بالرصاص حلواني في نهج الجزيرة " ان هذه الحادثة وهذا التعليق من الاشياء التي لم اقبلها اطلاقا اذ كيف يمكن ان ارى احد اعلام الحركة الوطنية يقتل ويعامل بهذه الطريقة والسلطة الحاكمة لم تقم بأي تتبع جدي في الموضوع... بينما كان الجاني معروفا لدى الخاص والعام (1) .

وفي نفس اليوم جرت احداث دامية في قرية بين البورقيبيين واليوسفيين بحيث تذكر جريدة العمل : " ارادت اقلية مما يسمى بالامانة العامة تخريب المنصة المعدة لألقاء بورقيبة خطابه منها الا ان منظمو الاجتماع حالوا دونها فكان رمي الحجارة وضرب العصي ، كما اطلقت عيارات نارية في الهواء قصد تفريق المجتمعين واصابت المجاهد حبيب الوكي من منزل جميل فتوفي على عين المكان ، اما محمد بن عمر بن علي نواره فقد اصيب بجروح خطيرة استوجبت نقله مع بقية الجرحى الى مستشفى ناهل " (2) .

ومن الملاحظ ان حبيب الدوكي هو احد الحراس الشخصيين لبورقيبة كان قد سبق هذا الاخير الى قرية للاشراف على اعداد الاجتماع ! ومن الملاحظ ايضا القاء القبض على اربعة عناصر من الامانة العامة (3) . وفي 4 ديسمبر 1955 واطلق الرصاص على سيارة بورقيبة العائدة من جولته من الوطن القبلي الى تونس العاصمة ولم يسفر الحادث عن اصابة بورقيبة بل على اصابة الشخص الذي كان يجلس بجانبه (4) وقد بررت جريدة " البلاغ " الحملة ضد الديوان السياسي " لاننا لسنا ضد بورقيبة ولا اعضاء الديوان السياسي كاشخاص ، فاشخاصهم لا تهمننا كثيرا ، فالمهم

(1) تصريح الطاهر عميرة في المائدة المشتديرة حول 20 مارس (المغرب العربي عدد 92 مارس 88 ص 58)

(2) العمل : 4 ديسمبر 1955 .

(3) وهم محمد بن عمر خليفة ، عبد القادر بن علي البغدادي ، المولدي بن محمد بن علي الحداد ومحمد بن عبد القادر خليل (نفس المصدر ونفس التاريخ) .

(4) الاسبوع : 5 ديسمبر 1955 .

هي المبادي، فنحن نصارع هو، لانهم ارتبطوا بالاستعمار لذلك نحن

نحارب الاستعمار واساسا الاستعمار الفرنسي (1).

كما كتبت صحيفة صدى الزيتونة " ... اننا نقاوم الاتفاقيات لاننا

رأينا فيها استعمارا جديدا، نقاومها لاننا عرب مسلمون نريد الالتحاق

بمركب العروبة والاسلام ... ونقاومها لانها كبلت اقتصادنا بقيود من

حديد، هذا الاقتصاد الذي لو تحرر لقضي على البطالة والمجاعة (2)

وهكذا شرع الشق البورقيبي والشق اليوسفي على السواء ممارسة العنف

والاول باسم اجبار صالح بن يوسف على التخلي عن استعمال صفه الامين

العام للحزب، اما الثاني فباسم محاربة الاستعمار، " واما اعضاء الديوان

السياسي الاذناب له " .

وفي خضم هذه الاحداث، ارتفعت الاصوات منادية بوضع حد لدوامة

العنف التي غرقت فيها البلاد والتي اعادت للاذهان صورة عهد المقيم

العام دي هوتوكوك وقد صورت صحيفة الزيتونة هذا الوضع قائلا "

ارواح تزهق في كل يوم وحريرات تقيد وافكار تخنق بالطرق التي كان

يستعملها المستعمر قبل هذا العهد النحاس (3).

ولكن نتساءل اين السلط لايقاف موجة العنف هذه ؟

بها النسبة للباي، لا تسعفنا المصادر بشيء عن موقفه بحيث بدأ لنا

متخاذلا امام اصوات الشعب المرتفعة في المظاهرات او من خلال عرائض

وبسريقات الاحتجاج وكانت الوفود من كافة انحاء البلاد ومن مختلف

شرائح المجتمع تفد على القصر لتقديم شكواها واحتجاجاتها

طالببة من الباي بصفته سلطة عليا ان يتدخل لانقاذ البلاد من حالة

الفوضى والمحافظة على الامن (4).

(1) الاسبوع: 5 ديسمبر 1955 .

(2) Volume 2H151, Bobine S386, D:2 (Physilnomie de la Presse Arabe):

at Tunisienne, Al Balagh, du 2 Decembre 1955) P: 418.

(3) صدى الزيتونة: 2 جانفي 1956 .

(4) = = 2 = 1956 .

وهكذا نلاحظ انه بقدر ما تزخر الصحف اليومية الصادرة في تلك  
الفترة ( نوفمبر - ديسمبر - جانفي - فيفري ) بالشكوى للباي بقدر  
ما غابت قراراته في هذا الشأن ! فبماذا يمكن ان نفسر ذلك ؟  
لبي ظل سكوت المصادر ، نلتجىء الى الافتراض فمن الممكن ان يكون  
الباي محمد الامين الاول مريضا وهذا ما نستوحيه مما ورد في مذكرات  
طبيب القصر وصهر الباي محمد بن سالم (1) ولذلك فضل المحيطون  
به عدم اطلاعه على حقيقة ما يجري في البلاد وكثيرا ما جاء في الصحف  
التونسية ، ان الشاذلي باي هو الذي كان يستقبل الوفود المحتجة  
ولكن لم تختف اصوات المتظاهرين جدران القصر لتصل اليه ؟  
وهنا يمكن القول انه سمع وتغافل أو عجز على ان يكون حسب ما  
يريد الشعب ان يكون " حكم الموقف " وربما كان ذلك خوفا على "عرشه"  
وبذلك سعى الى عزل نفسه قبل ان يعزله المجلس القومي التأسيسي  
في 25 جويلية 1957 باعلان النظام الجمهوري وسقوط الملكية .  
اما الحكومة التونسية ، فكان موقفها مدعاة للتساؤل هل هونائج  
من سياسة المكيايين : مكياي لليوسفية وآخر للبوقيبية ، او هونائج  
من نقائص " الاتفاقيات الفرنسية التونسية فيما يتعلق بالامن ، بحيث  
لا يتوفر للحكومة التونسية كل الوسائل وكل القوى اللازمة لضمان الامن (2)  
ولكن ما تجدر ملاحظته ان هذه الوسائل وهذه القوى التي كانت " غائبة "  
في بداية الازمة اليوسفية البوقيبية توفرت منذ شهر ديسمبر لمطاردة  
اليوسفية المنهزمة باشارة الفوضى والتحدي للحكومة الفتية حديثة العهد  
بالسيادة " قصد تهديمها بدافع لذة التمهديم (3) .

بيدولنا ان الحكومة التونسية قد اتخذت مواقف متباينة تجاه الازمة التي

(1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية . (Physio-) Volume 2H151, Bobine S 386, D:2 (2) (3) (4) (5) (6) (7) (8) (9) (10) (11) (12) (13) (14) (15) (16) (17) (18) (19) (20) (21) (22) (23) (24) (25) (26) (27) (28) (29) (30) (31) (32) (33) (34) (35) (36) (37) (38) (39) (40) (41) (42) (43) (44) (45) (46) (47) (48) (49) (50) (51) (52) (53) (54) (55) (56) (57) (58) (59) (60) (61) (62) (63) (64) (65) (66) (67) (68) (69) (70) (71) (72) (73) (74) (75) (76) (77) (78) (79) (80) (81) (82) (83) (84) (85) (86) (87) (88) (89) (90) (91) (92) (93) (94) (95) (96) (97) (98) (99) (100) (101) (102) (103) (104) (105) (106) (107) (108) (109) (110) (111) (112) (113) (114) (115) (116) (117) (118) (119) (120) (121) (122) (123) (124) (125) (126) (127) (128) (129) (130) (131) (132) (133) (134) (135) (136) (137) (138) (139) (140) (141) (142) (143) (144) (145) (146) (147) (148) (149) (150) (151) (152) (153) (154) (155) (156) (157) (158) (159) (160) (161) (162) (163) (164) (165) (166) (167) (168) (169) (170) (171) (172) (173) (174) (175) (176) (177) (178) (179) (180) (181) (182) (183) (184) (185) (186) (187) (188) (189) (190) (191) (192) (193) (194) (195) (196) (197) (198) (199) (200) (201) (202) (203) (204) (205) (206) (207) (208) (209) (210) (211) (212) (213) (214) (215) (216) (217) (218) (219) (220) (221) (222) (223) (224) (225) (226) (227) (228) (229) (230) (231) (232) (233) (234) (235) (236) (237) (238) (239) (240) (241) (242) (243) (244) (245) (246) (247) (248) (249) (250) (251) (252) (253) (254) (255) (256) (257) (258) (259) (260) (261) (262) (263) (264) (265) (266) (267) (268) (269) (270) (271) (272) (273) (274) (275) (276) (277) (278) (279) (280) (281) (282) (283) (284) (285) (286) (287) (288) (289) (290) (291) (292) (293) (294) (295) (296) (297) (298) (299) (300) (301) (302) (303) (304) (305) (306) (307) (308) (309) (310) (311) (312) (313) (314) (315) (316) (317) (318) (319) (320) (321) (322) (323) (324) (325) (326) (327) (328) (329) (330) (331) (332) (333) (334) (335) (336) (337) (338) (339) (340) (341) (342) (343) (344) (345) (346) (347) (348) (349) (350) (351) (352) (353) (354) (355) (356) (357) (358) (359) (360) (361) (362) (363) (364) (365) (366) (367) (368) (369) (370) (371) (372) (373) (374) (375) (376) (377) (378) (379) (380) (381) (382) (383) (384) (385) (386) (387) (388) (389) (390) (391) (392) (393) (394) (395) (396) (397) (398) (399) (400) (401) (402) (403) (404) (405) (406) (407) (408) (409) (410) (411) (412) (413) (414) (415) (416) (417) (418) (419) (420) (421) (422) (423) (424) (425) (426) (427) (428) (429) (430) (431) (432) (433) (434) (435) (436) (437) (438) (439) (440) (441) (442) (443) (444) (445) (446) (447) (448) (449) (450) (451) (452) (453) (454) (455) (456) (457) (458) (459) (460) (461) (462) (463) (464) (465) (466) (467) (468) (469) (470) (471) (472) (473) (474) (475) (476) (477) (478) (479) (480) (481) (482) (483) (484) (485) (486) (487) (488) (489) (490) (491) (492) (493) (494) (495) (496) (497) (498) (499) (500) (501) (502) (503) (504) (505) (506) (507) (508) (509) (510) (511) (512) (513) (514) (515) (516) (517) (518) (519) (520) (521) (522) (523) (524) (525) (526) (527) (528) (529) (530) (531) (532) (533) (534) (535) (536) (537) (538) (539) (540) (541) (542) (543) (544) (545) (546) (547) (548) (549) (550) (551) (552) (553) (554) (555) (556) (557) (558) (559) (560) (561) (562) (563) (564) (565) (566) (567) (568) (569) (570) (571) (572) (573) (574) (575) (576) (577) (578) (579) (580) (581) (582) (583) (584) (585) (586) (587) (588) (589) (590) (591) (592) (593) (594) (595) (596) (597) (598) (599) (600) (601) (602) (603) (604) (605) (606) (607) (608) (609) (610) (611) (612) (613) (614) (615) (616) (617) (618) (619) (620) (621) (622) (623) (624) (625) (626) (627) (628) (629) (630) (631) (632) (633) (634) (635) (636) (637) (638) (639) (640) (641) (642) (643) (644) (645) (646) (647) (648) (649) (650) (651) (652) (653) (654) (655) (656) (657) (658) (659) (660) (661) (662) (663) (664) (665) (666) (667) (668) (669) (670) (671) (672) (673) (674) (675) (676) (677) (678) (679) (680) (681) (682) (683) (684) (685) (686) (687) (688) (689) (690) (691) (692) (693) (694) (695) (696) (697) (698) (699) (700) (701) (702) (703) (704) (705) (706) (707) (708) (709) (710) (711) (712) (713) (714) (715) (716) (717) (718) (719) (720) (721) (722) (723) (724) (725) (726) (727) (728) (729) (730) (731) (732) (733) (734) (735) (736) (737) (738) (739) (740) (741) (742) (743) (744) (745) (746) (747) (748) (749) (750) (751) (752) (753) (754) (755) (756) (757) (758) (759) (760) (761) (762) (763) (764) (765) (766) (767) (768) (769) (770) (771) (772) (773) (774) (775) (776) (777) (778) (779) (780) (781) (782) (783) (784) (785) (786) (787) (788) (789) (790) (791) (792) (793) (794) (795) (796) (797) (798) (799) (800) (801) (802) (803) (804) (805) (806) (807) (808) (809) (810) (811) (812) (813) (814) (815) (816) (817) (818) (819) (820) (821) (822) (823) (824) (825) (826) (827) (828) (829) (830) (831) (832) (833) (834) (835) (836) (837) (838) (839) (840) (841) (842) (843) (844) (845) (846) (847) (848) (849) (850) (851) (852) (853) (854) (855) (856) (857) (858) (859) (860) (861) (862) (863) (864) (865) (866) (867) (868) (869) (870) (871) (872) (873) (874) (875) (876) (877) (878) (879) (880) (881) (882) (883) (884) (885) (886) (887) (888) (889) (890) (891) (892) (893) (894) (895) (896) (897) (898) (899) (900) (901) (902) (903) (904) (905) (906) (907) (908) (909) (910) (911) (912) (913) (914) (915) (916) (917) (918) (919) (920) (921) (922) (923) (924) (925) (926) (927) (928) (929) (930) (931) (932) (933) (934) (935) (936) (937) (938) (939) (940) (941) (942) (943) (944) (945) (946) (947) (948) (949) (950) (951) (952) (953) (954) (955) (956) (957) (958) (959) (960) (961) (962) (963) (964) (965) (966) (967) (968) (969) (970) (971) (972) (973) (974) (975) (976) (977) (978) (979) (980) (981) (982) (983) (984) (985) (986) (987) (988) (989) (990) (991) (992) (993) (994) (995) (996) (997) (998) (999) (1000)

تصاعدت مع تصاعد الاحداث ، بحيث وقفت في البداية موقفا اتسم بنوع من السلبية امام اعمال العنف الدائرة في البلاد رغم الدعوة الموجهة لها من قبل الكثير من التونسيين لفك النزاع الذي اصبح محل انشغال كافة التونسيين وجلب اهتمام بعض الدول الاجنبية كمصر وليبيا اللتين ارسلتا من يستطلع الامر ويسعى لحل المشكل بتقريب وجهات النظر واصلاح ذات البين " وفي هذا الاطار تندرج مهمة الوزير المصري الشيخ الباقوري والوفد المصاحب له ثم البعثة الليبية فيما بعد .

فهل يعني هذا ان الحكومة اتخذت موقفا الحياد ؟

يبدو ان الحكومة التونسية التجأت الى الصمت والسكوت عما يدور من اعمال العنف التي انطلقت منذ نهاية شهر اكتوبر وتضاعفت اثر مؤتمر صفاقس وبقيت الحكومة على هذا الموقف الى الايام الاولى من شهر ديسمبر ، بل نجدها في الذكرى الثالثة لاغتيال فرحات حشاد أمر منقل رفاته من مسقط رأسه جزيرة قرقنة الى تونس العاصمة ليدفن فيها . ولا يخلو هذا الاجراء من خلفيات سياسية ونقابية : اهمها مغازلة الاتحاد العام التونسي للشغل ومن ورائه الطبقة الشغيلة قصد شدها الى موازرة الحكومة في وضعيتها الحرجة بسبب انعكاسات الازمة الاقتصادية والاجتماعية مما ادى الى استفحال المعارضة وتصاعد موجة العنف ، بحيث يقول احمد بن صالح في ندوة صحفية : " ان الطبقة الشغيلة لا تحبذ اللجوء الى وسائل العنف وهي عازمة على مساندة الحكومة (1) . ومن ناحية اخرى كانت الحكومة ترمي بهذا الاجراء الى اعادة شمل الدستوريين حول رمز الكفاح فرحات حشاد بتذكيرهم بايام صعبة عاشوها معا في مواجهة الاستعمار المباشر وها هي اليوم اصبحت حكومة تونسية متجانسة بإمكانها ان تحقق للتونسيين ما لم يكن مسموحا به في ظل الاقامة العامة الفرنسية .

ومع ذلك يمكننا ان نتساءل عن سبب سكوتها عما يدور من اعمال العنف في البلاد .

(1) للمعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Physio) Volume 2H151, Bobine, S386, D:2  
nomiz de la presse Arabe et Tunisienne, Al Amal du 2 Decembre 1955  
P: 420.

فهل السكوت علامة الرضى مثل ما يقول المثل العربي ؟

فهل سكنت الحكومة وهي التي تضم من بين اعضاءها عناصر من الديوان السياسي لان بعض البورقبيين متطورون في هذه الاعمال باسم سيثسة " الترغيب والترهيب " فلم تتدخل الا عند ما سادت المعاملة بالمثل " طبقا للقانون " السن بالسن " ؟

او هل كان السكوت نذرا عن افتقادها السيطرة على اجهزة الامن والشرطة ولا يمكن لها التحرك الا بموافقة المندوب السامي الفرنسي ؟ وفي ذلك مجازفة فبامكان الشعب التونسي الواقع تحت تأثير اليوسفية ان يؤول هذا التحرك المشترك بين الحكومة التونسية والمندوب السامي الفرنسي بالتعامل المباشر مع فرنسا وينعت الحكومة بالارتباط مع الاستعمار فتصبح محل انتقاد ، وربما يكشف هذا التعامل مع ممثلي فرنسا بتونس نقائص الاتفاقيات ويثبت صحة نظر المعارضة ؟

وعموما ادى موقف السكوت هذا الى اشتعال نار الحرب الاهلية في انحاء البلاد وغاب التعامل بالكلمة ليحل محله التعامل بالسلاح واصبح " الارهاب " سيد الموقف واصبح التعامل بين الناس على اساس الحذر وعدم الثقة فلا يستطيع المرء ان يصدع برأيه ويعبر عن افكاره بصدق وحرية حتى لا تلصق به تهمة الانتماء الى هذا الشق او ذاك ، ويصبح في كلتا الحالتين عرضة للانتقام وفي بعض الحالات للموت وارتفعت الاصوات منادية بحرية الرأي وممارسة الرأي المخالف على اساس من الديمقراطية وعدم الانصاء ، تقول جريدة " الزهرة " لقد ناضلت الامة التونسية من اجل الحرية منذ الاحتلال الفرنسي وكانت عرضة لوسائل الاستعمار الوحشية واللا انسانية ... واليوم بعد ما لم تسترجعت تونس سيادتها ، انقسمت الامة الى صفيين مختلفين لكل منهما وجهة نظره السياسة ويسعى مع الاسف

الى فرضها على الآخر (1) .

فكيف ستحل الحكومة المشكل ؟ وما هي الطريقة التي تدخلت بها ؟

لقد ازدادت الضغوطات على الحكومة سواء من قبل اليوسفيين الذين اعتمدوا

اسلوب الالتشنيع باعضاء الحكومة الدستوريين مع المطالبة باستقالتهم (2)

او عن طريق تنظيم المظاهرات ومن اهمها مظاهرة 28 نوفمبر 1955

التي حاصرت مقر الحكومة ولا سيما وزارتي الداخلية والتربية القومية .

اما الشق البورقيبي فقد جاء على لسان زعيمه في خطاب بنابل يوم 1 ديسمبر 55

" فعلى الحكومة التي يراد من اعضائها الاستقالة تحت ضغط الاضطرابات

والاستفزازات ... ان تتخذ اجراءات حازمة لحماية هيبتها باعادة الامن للبلاد

واصلاح العناصر الفاسدة ... فحن نريد من الحكومة ان تطبق قرارات مؤتمر

صفاقس التي بمثابة المرهم لكل الآما" (3) .

وجاءت الاجراءات وهي :

- اولا : تحجير صدور جريدة " البلاغ " ( اليوسفية ) لمدة 3 اشهر بقرار صادر

عن مجلس وزاري منعقد يوم 6 ديسمبر 1955 ، مع تبجيل عدلية (4) .

- ثانيا : قانون 8 ديسمبر 1955 يمنع المظاهرات (5) .

- ثالثا : قرار من وزارة الداخلية يضع بن يوسف عقد اجتماع عام كان مقررا

ليوم 18 ديسمبر 1955 بقصر المعرض (6) ، وقد علق بن يوسف على هذه القوانين

قائلا : ايها الشعب لقد حرمت من حرياتك الاساسية لانك ادنت الناس

الذين خدعوك والذين حادوا على مبلادتنا المقدسة والذين فرطوا في

حقوقنا (7) .

اما الصحفي فريد بورقيبة فقد لاحظ " ان هذه القوانين الجديدة المعلن

(1) الزهرة : 3 ديسمبر 1955 .

(2) نفس المصدر ونفس التاريخ (رسالة سكان توزر الى حضرة جلالة الباي) .

(3) العمل : 2 ديسمبر 1955 ( خطاب بورقيبة بنابل ) .

(4) الصباح : 7 ديسمبر 1955 .

(5) العمل : 9 ديسمبر 1955 .

(6) )

(7) La Dépêche Tunisienne, 18 Decembre 1955 .

(7) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Physionomie de 1955) V.2H 151, B.S 386.D:2

Presse Arabe et Tunisienne, SAda-Azzitouna du 28/12/1955) P: 532 .

عنها من قبل الحكومة التونسية هي قوانين جزرية وقمعية تهدف الى خنق الحريات العامة فـقانون و8/12/1955 هـ ونسخة طبق الاصل من القانون الفرنسي بتاريخ 28/10/1935 الصادر في عهد حكومة لفال (Laval) الرجعية (1) .

كما نددت جريدة الصباح بهذه الاجراءات التي ترمي الى احباط حركة المعارضة ملاحظة فشل هذه السياسة في تحقيق اهدافها معتبرة بالعكس انها ستؤدي الى سقوط الحكومة الحالية (2) .

اما محمد كريم الامين العام المساعد للاتحاد العام التونسي للشغل فقد ندد بدوره بهذه القوانين الاستثنائية واعتبرها تشكل خطرا على الحريات الفردية والجماعية (3) .

اما احمد بن صالح فقد وقف ضد هذه القرارات مطالبا بضرورة استشارة الشعب .

ورغم منع عقد الاجتماع العام بقصر المعرض فقد عقد بن يوسف اجتماع امام منزله بمنفلوري يوم 20 ديسمبر 1955 الا ان قوات من الشرطة تدخلت لمنع الاجتماع وتشجيت المجتمعين مما اسفر عن مقتل عمر عريفان وجرح آخرين (4) .

ومن الملاحظ انه الى جانب هذه الاجراءات المتخذة لمحاصرة نشاط اليوسفيين نفذت وزارة الداخلية حملة اعتقالات في صفوفهم بدعوى الحفاظ على النظام العام وقد شملت هذه الحملة خاصة تونس العاصمة والجنوب التونسي فقد رقع اعتقال 28 شخصا من ابناء تطاوين اثر الاحداث الدامية التي وقعت بمناسبة زيارة بورقيبة لهذه المنطقة (5) .

كما حاولت الحكومة التونسية استغلال الوضع المنخرم للضغط على المندوب

(1) : La Dépêche Tunisienne du 18 Dec 1955.

(2) الصباح : 18 ديسمبر 1955 .

(3) : La Dépêche Tunisienne du 18 Decembre 1955.

(4) : مصدر سابق : Ben Salem (M) : L'Antichambre... OP, Cit, P: 191.

(5) الصباح : (16 ديسمبر) الصفحة الثانية

السامي الفرنسي " سيدو " لعلها تظفر بتنازلات في ميدان الامن والدفاع

بتكوين ( جيش وطني ) تونسي وقد تكثفت اللقاءات بين بورقيبة والندوب

السامي الفرنسي للتباحث حول تعزيز قوات الامن بتونس وامكانية تنفيذ

لائحة مؤتمرات صفاقس الخاصة بتكوين جيش تونسي .

وبعد مشاورات مع حكومة باريس صرح الوندوب السامي بتونس " سيدو " بانه

بالامكان تعزيز قوات الامن بقوة اضافية قد تبلغ الفي رجل او اكثر حسب

الاتفاق المشترك ، وتكون هذه القوة تحت امرة ضابط تونسي وترجع بالنظر

الى وزير الداخلية مباشرة تحت مسؤولة الحكومة التونسية التي بإمكانها

الاستعانة بخبراء فنيين فرنسيين توفرهم لها فرنسا ، كذلك بإمكانها طلب

المزيد من القوات الاضافية حسب حاجتها (1) .

اما فيما يتعلق بجيش وطني فقد صرح الوندوب السامي الفرنسي في ندوة

صحفية بانه لا سبيل الى تكوين جيش تونسي او اعادة النظر في الاتفاقيات

التونسية التونسية <sup>بأنه</sup> لا تسمح هذه الاتفاقيات أبدا بتكوين جيش تونسي (2)

لقد كان بورقيبة يدرك جيدا هذه الثغرة في الاتفاقيات والمتعلقة بالامن

كما كان يدرك ان المعركة مع خصمه الذي رفع شعار الاستقلال التام لا يمكن

كسبها بالعمل السياسي فحسب بل لا بد من قوة عسكرية تقلب الكفة لصالحه

ولهذا سارع من قبل الاعلان عن الخلاف بينه وبين بن يوسف الى جمع " الفلاحة "

القدامي بمنزله في رحبة الغنم حيث اجتمع بهم (3) وقد حضر هذا الاجتماع

عدد وافر من قادة الكفاح المسلح وكان المقصود تكوين لجنة قدماء المحاربين

ضمت العناصر التي اقرت " بان الشعب لم يعد قادرا على مواصلة الثورة (4) .

اما الظاهر لسود ورفاقه مما كانوا يؤمنون " بانه بإمكان الشعب التونسي مواصلة

الكفاح الى اكثر من عشرين عاما آخر " فقد انسحبوا من الاجتماع وتركبت

(1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Physionomie de) : 2 : 386 . D : 2 (V. 2H 151, B. S 386 . D : 2)

(2) P : 449 (7/12/1955) Al Amal du la Presse Arabe et Tunisienne, 26 ديسمبر 1955 .

(3) استجواب الظاهر لسود ماي 1985 .

(4) وهو محور الحوار الذي دار في هذا الاجتماع ( حسب رواية الظاهر لسود ) .

اللجنة من لزهر الشرائطي ومصباح الجربوع والساسي لسود ومحمد  
البيوعمراني وحسن بن لخضر والمحجوب بن علي وحسن بن عبد العزيز  
الورداني ومحمد بن حسونة والعجيمي الجلاصي وعلي البازمي واحمد  
الرزاق وعبد الله الفقراوي ومحمد بن عزوز .

وانتدب بورقيبة رئيسا لها (1) وتذكرنا هذه اللجنة بمجموعة " السود  
الاحدى عشر" التي أمر بورقيبة بتكوينها في سنة 1950 وهي منظمة سرية  
الى جانب الحزب وبمعزل عنه ، مهتمها الاشراف على الكفاح المسلح  
حتى طلب منها ذلك (2) .

وهكذا يتضح لنا ان بورقيبة كان يحاول ابان اقنوع بن يوسف بقبول  
الاتفاقيات ، الاعداد لمواجهة في حالة اصراره على رفض الاستقلال الداخلي " .  
وبعد مؤتمرات صفاقس الذي اقر رفض صالح بن يوسف " سعى الديوان  
السياسي الى تكوين فرق مسلحة تنتدب من الفلاحة القدامى ومن الشبيبة  
الديموقراطية اطلق عليها اسم لجان الرعاية " وان كان هذا الاسم يعيد  
الى ذاكرتنا صورة لجان الرعاية " التي تكونت في نوفمبر 1954 من 21 عضوا  
من التونسيين و 21 عضوا من الفرنسيين من اجل القيام بعملية تجريد  
الشوار من اسلحتهم ، فان مهمة " لجان الرعاية " المتكونة اساسا من انصار  
البورقيبية ، هي القيام بمطارة " الامانة العامة " واتباعها وكل المعارضين  
والرافضين للاستقلال الداخلي ، فكلمة " الرعاية " تعني المحافظة على مكاسب  
تحققت بفضل سياسة الديوان السياسي وبالتالي حماية الاستقلال الداخلي  
والذود عنه ، واما اليوسفيون فقد لقبوا لجان الرعاية " باليد الحمراء "

(1) مصدر سابق: المصنف الشابي: صالح بن يوسف ص 185 .

(2) مصدر سابق: وزارة الاعلام: الاستعداد للجنة الثالثة (1950-1957) ص 51 .

لا تتركب مجموعة " السود الاحدى عشر من الحبيب بورقيبة واحمد التليلي وعلالة العويطي وبلحسن  
جراد والشاذلي قلاله وحسن بن عبدالعزيز ومحمد زهيوه والعجيمي بن المبروك ومحمد الكواش  
وبوبكر باكير والتومي بن احمد .

للديوان السياسي تشبيها لها باليد الحمراء الاستعمارية التي تكونت

في 1947 وقامت بعدة اغتيالات في صفوف الوطنيين سواء بالجزائر او بتونس.

وهكذا نلاحظ ان الحملة السياسية التي شنها بن يوسف على الاتفاقيات

الفرنسية التونسية جعلته في صراع مفتوح مع الديوان السياسي ومع

الحكومة التونسية في وقت واحد .

فهل يكتفي بن يوسف بالعمل السياسي ويتغافل عن اهمية العمل العسكري

لمواجهة خصومه؟

الحملة العسكرية:

جاء في خطاب صالح بن بنن يوسف يوم 7 اكتوبر 1955 بجامع الزيتونة

" ادعو حزبي ومن ورائه الشعب بان لا يقر ما أقره غيره يجب على الشعب ان

لا يخون عقيدته الوطنية ولا يخذل اخوانه في الجزائر والمغرب وحتى لا يخذل

هذه المجموعة ( بناندونغ ) عليه ان لا يقر هذه الاتفاقيات وان يعقد العزم

على مواصلة الكفاح للتخلص نهائيا من نير الاستعمار" ( 1 ) ، فهذه الشعارات

كافية لجلب المقاومين المؤمنين بمواصلة الثورة ، لا سيما وان اوضاعهم

الاجتماعية والاقتصادية ازدادت تدهورا بمفعول الجفاف والبطالة . . . لذا

ساندوا صالح بن يوسف في معارضته للديوان السياسي والحكومة التونسية

وتوافدوا على منزله وحضروا اجتماعه ، وشاركوا بكثافة في المظاهرات والاضطرابات

فان ظهر لنا بن يوسف وكأنه يقدم العمل السياسي على العمل العسكري

الا انه بعد مؤتمر صفاقس ما بقي له الا الجمع بين العمليين في الان نفسه :

لمن ناحية اصبح يسعى الى عقد مؤتمر عام مهمته رفض الاتفاقيات الفرنسية

التونسية .

ومن جهة اخرى اصبح يعمل على اعادة الثورة من جديد في ثوبها الجديد

( 1 ) الصباح : 8 اكتوبر 1955 .

" كحرب تحريرية " فقد تراءت له " الحرب " اداة ناجحة للتخلص من جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي تربط بين تونس وفرنسا حسب ما جاء في القانون الدولي : " ان المعاهدات الثانوية عموما والمعاهدات الخاصة التي تكون قد انشأت بين الدول المتحاربة ... تصبح لا قيمة لها بمعنى الالفاء العملي بها باعتبار تناقض الغاية التي اقيمت من اجلها في حالة الحرب . ولا يصير الى تنفيذها الا بموجب معاهدة جديدة أو اتفاق بين الاطراف المعنية ( 1 ) " .

3 - الاستعداد للحرب :

أ- التعبئة والاستنفار :

في 18 نوفمبر 1955 ، وفي الوقت الذي لم ينه فيه مؤتمر صفاقس اعماله بعد عقد صالح بن يوسف اجتماعا عاما بالملعب البلدي يؤكد فيه للرأي العام الداخلي والخارجي ( الممثل في بعض من الصحفيين وضيوف المؤتمر الاجانب الذين حضروا الاجتماع ) على ان قضية الخلاف " ما زالت قائمة ولم نسو بعد في مؤتمرات صفاقس " غير الشرعي " كما اعلن عن مواصلة معارضته للاتفاقات الفرنسية التونسية .

ولم يكتف صالح بن يوسف بالاعلان عن موقفه في العاصمة فقط بل انطلق منذ 20 نوفمبر في جولة بانحاء البلاد وخاصة نحو الجنوب التونسي ليختبر مدى عزم الشعب على مواصلة الكفاح ، ولكن من سيقوم بالثورة ومن سينظمها وما هي حظوظ نجاحها ؟

ب - التقاء بن يوسف بالطاهر الاسود : حول مبدأ مواصلة الكفاح من اجل

تحقيق الاستقلال التام .

لقد سبق القائد الطاهر الاسود في معارضة قرارات حزبه (الحزب الدستوري الجديد) صالح بن يوسف ان رفض الاستجابة لنداء 20 نوفمبر 1954 الداعي

(1) مصدر سابق : د . احمد الرحال : قانون العلاقات الدولية . ص 97 .

الى تجريد الثوار من اسلحتهم واعتبره تنكرا لمبادئ الحزب وخيانة للجزائر في ظرف حرج (1) لذلك اعدم من اتصل به لغاية تسليم السلاح (2) واعتبر كل من سلم سلاحه في ديسمبر 1954 خائنا لانه عدل عن مواصلة الكفاح حتى النهاية وهي الاستقلال التام. ولهذا قرر الالتحاق بالثورة الجزائرية لمحاربة الاستعمار الفرنسي فهو يعتقد ان محاربة الاستعمار ليست محددة بمكان معين " بل اين ما كنت فعليك القيام بالواجب المقدس وهو تحرير شمال افريقيا من الاستعمار الفرنسي (3) .

اذن حول " مواصلة الكفاح من اجل الاستقلال التام التقت وجهة نظر " القائد الطاهر الاسود " والزعيم " صالح بن يوسف " مما ادى الى التقاء الجناح العسكري بالجناح السياسي لتصبح الحركة اليوسيفية حركة منظمة رسمت الاستقلال التام هدفا لها .

رافق الطاهر الاسود صالح بن يوسف في اغلب جولاته التعبوية في الحاء البلاد وحضر معه اغلب الاجتماعات التي عقدها والتي كثيرا ما يقع افسادها من قبل عناصر من الديوان السياسي بالتشويش وحتى الطلقات النارية مثل ما حدث في اجتماع سوق الاربعاء (جندوبية) ليوم 3 نوفمبر او اجتماع قابس في 20 نوفمبر ، ومع ذلك لم يعلن الطاهر الاسود عن انضمامه الى الحركة اليوسيفية الا في مطلع شهر ديسمبر 1955 بعد تصاعد موجة العنف مصرحا برأيه : " اني لا اقبل الاتفاقيات التي عقدت مع فرنسا لاننا دفعنا مهر الحرية وما عزيزا علينا و دفعنا دم غمائننا : حشاد وشاكر والاخوين حفوز ، و دم ابطال الكفاح والنضال واني اعلن تأييدي للزعيم صالح بن يوسف ... واني احذر كل انسان يريد التعرض ليه (4)

(1) استجواب الطاهر الاسود في ماي 1985 .

(2) Boyer de la Tour: Verités, P: 94.

(3) مصدر سابق :

(4) ما ورد على لسان الطاهر الاسود .

(5) مصدر سابق: الحركة الوظيفية التونسية . ص 140 .

واشتعلت الثورة من جديد بعد ما التحق المقاومون بالجبال والاحراش

### ٧- الفلّاقة الجدد

هو اسم اطلقتها الصحافة الفرنسية على المجموعة المسلحة بالمنظمة التي صالح بن يوسف والتي تتركب اساسا من " الفلّاقة القدامى " وبعض قدماء المحاربين الذين شاركوا الى جانب فرنسا في حروبها وخاصة حرب الهند الصينية ولم يتحصلوا على حقوقهم الى جانب بعض الفقراء والمهمشين والعاطلين عن العمل - وقد صرح صالح بن يوسف عند اعطائه تعليماته الى وفد من يوسفيين المرسي من اجل تكثيف عملية الانتداب: " لا تبحثوا عن الكيف اذ ليسر باهل الطرابيش تخاض الثورة ، فمن انا في حاجة لهم هم رجال الشارع الذين لا يخشون الوقوف في وجه الوزراء ومن يدعون بقيادة الحزب... اختاروا من ليسر لديهم ما يخشون عليه في مستقبلهم ووضعهم (1) .

وانتشر " الفلّاقة الجدد " في عدة انحاء من البلاد خاصة في الوسط الغربي والجنوب ومن اشهر قادتها الطاهر الاسود ومحمد مصباح النيفر والهادي الاسود وعبد اللطيف زهير والطيب الزلاق وعلي درغل ورضا بن عمار واحمد الازرق وعبد الله بن الشيخ عمران وناصر الوصيف (2) ...

ويبدو ان تكوين هذه القوة العسكرية الفلّاقة ( الجدد ) قد استغرق كاملا شهر ديسمبر وبصفة سرية (3) ولم ينطلق نشاطها الا في مطلع شهر جانفي 1956 وكان في الوقت نفسه باتجاه الديوان السياسي " والحكومة التونسية قصد ارغامها على الكف عن مطاردة اليوسفيين من ناحية ومن ناحية اخرى اجبارها على عدم الاكتفاء بالاستقلال الداخلي ودفعها للمطالبة بالاستقلال التام . وفي ذات الوقت باتجاه ما يرمز للحضور الفرنسي من معمرين

(1) عن " الدولة الجديدة " لمحمد الصياح ، الجزء 3 ، (سنة 1985)

(2) علي بن عامر : سيرة صالح بن يوسف / اطروحات : العدد 15 - 1989 / ص : 14 .

(3) استجواب الطاهر الاسود ماي 1985 .

رجيش... وذلك تعبيراً عن " ان الشعب التونسي لا يقبل بأي شكل من اشكال الاستعمار وانه لا بديل عن الاستقلال التام لشمال افريقيا " (1) .  
فهذه اهداف حركة " الفلاحة الجدد " كما ضبطها الطاهر الاسود الذي لاحظ وقوع بعض التجاوزات مثلما حدث في الثورة الاولى ( ثورة 52-54 )  
قامت بها بعض العناصر التي التحقت بالثورة لاغراض شخصية كسلب المتاجر او سلب الفلاحين ، فمثلاً جماعة " بوعمود " بجهة سيدي بوزيد وهي مجموعة من اللصوص ليسرلها انتماء سياسي استغلت فرصة انعدام الامن للحصول على الاموال وقد حوكم الكثيرون منهم بتهمة اللصوصية (2) .  
ومع ذلك يغفر الطاهر الاسود لمثل هؤلاء صنيعهم رغم استنكاره له بما انهم جياح ولا يغفر للذين سلموا سلاحهم في 1954<sup>الذين</sup> اجهضوا الثورة وهي في اوج عنفوانها حسب قوله (3) .  
لقد بدت حركة الفلاحة الجدد اعمالها في جانفي 1956 باشتباكات مع القوات الفرنسية بمناطق الجنوب وعلى الحدود التونسية الجزائرية (4) في فترة استفحل فيها نشاط جيش التحرير الجزائري في مقاومة الحضور الفرنسي داخلها وخارجيا ، يقول صالح بن يوسف في اجتماع نظمته لجمعية التجار في مقر الامانة العامة بتونس العاصمة يوم 13 جانفي 1955  
اما اليوم وبفضل ارادة الله نهض الشعب الجزائري الى الكفاح وهذا من شأنه ان يهزم فرنسا ويضعف موقفها... فان شاء الله ستكون هزيمة فرنسا النهائية على يد الثورة الجزائرية (5) .  
وهكذا تزاوجت المقاومة المسلحة الجزائرية بالمقاومة المسلحة التونسية الجديدة من قبل تكوين جيش التحرير الموحد " وربما هذا ما جعل فرنسا

(1) هذا حسب وجهة نظر الطاهر الاسود زعيم " الفلاحة الجدد " .

(2) مصدر سابق : محمد المختار ناصي : الحركة الوطنية بين البورقيبية واليوسفية ( 1961-34 ) ص 112 .

(3) استجواب الطاهر الاسود ماي 1985 .

(4) نفس المصدر .

(5) الصباح : 14 جانفي 1956 .

الحكومة التونسية يشتبه عليها الامر فلنُسند اعمال " الفلاحة الجدد " التي حاولت " القيادة " ان تبقيها في كنف السرية ، الى الثوار الجزائريين الذين كانوا كثيرا ما يجتازون الحدود ويمارسون بعض الاعمال الفدائية ضد المنشآت العسكرية بالتراب التونسي واكدت جريدة لوبيتي ماتان *Le petit matin* الصادرة في 29 جانفي 1956 ان المقاتلين المنتشرين في المناطق الحدودية من غار الندماء الى قفصة كلهم من الجزائريين ، وحقيقة الامر خلاف ذلك تماما فالمقاومة المسلحة في تلك المرحلة كانت تتكون من التونسيين وان انضم اليهم احيانا بعض الجزائريين الذين يعبرون الحدود لمساعدتهم . وتحصل نفس العملية بالاتجاه المعاكس (1) . وقد ندعم هذا التضامن بين الثوار الجزائريين والثوار التونسيين بتكوين " جيش التحرير الموحد " .

التأجير " جيش تحرير شمال افريقيا :

#### أ- جذور الفكرة :

ان فكرة احداث جيش تحرير لشمال افريقيا قديمة وترجع الى سنة 1948 (كان بورقيبة موافقا عليها (2) . وقد سهر على انجاز هذه الفكرة اللاجئون السياسيون بالشرق فقد كلف بورقيبة مراد بو خريص باعداد قوات الجيش ( الكومندوس ) منذ اواخر الاربعينات ، وفي مارس 1952 التحق به علي زليطن وقد اشرفا على تجميع اللاجئين ( التونسيين والجزائريين والمغاربة ) في اماكن سكن سرعان ما تحولت الى معسكرات تحت قيادة علي زليطن ، اما التكوين العسكري فقد تكلف به عز الدين عزوز (ضابط تونسي كان قد انخرط بالجيش السوري (3)

(1) فهد سابق : المنصف الشاب : صالح بن يوسف . ص 201 .  
(2) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : 13639/229 التقرير السري عن نشاط الحزب الدستوري ص 45 (1955) .  
(3) نفس المصدر :

بمخلافات مالية فارتحل علي زليطن الى مصر في حين قاطع عز الدين  
الحزب الدستوري الجديد عند ما قبل بالدخول في مفاوضات  
مع فرنسا. كما تأسست مراكز تدريب بمصر تحت اشراف  
السيد الكريم الخطابي (1) .

يقول العيساوي الشكابي (2) في تقرير بتاريخ 15 مارس 1989: " وفي 1954  
الطيفي المرحوم علي زليطن بسايطال 60 مقاوما الى القاهرة لتدريبهم  
على اعمال ارهابية وقد ذهبنا معا على متن " حافلة سلعة " تابعة  
للشركة للنقل ، وقد وصلنا الى القاهرة وسلمت الستين متوطعا الى السيد  
يزاد بوخريص ومكثت ليلة بالقاهرة ثم رجعت صحبة ستيون متدرسا  
رابع تدريبهم بالقاهرة منهم رضا بن عمار وحمادي بن غرس وصلاح الزرلي  
وعمر الطوير... وعند حلولنا بالسلموم " التي تحد بين ليبيا و مصر  
سبب الخلاف بيننا حول فتح المفاوضات مع فرنسا وامر الحزب المجاهدين  
بالنزول من الجبل (3) وهكذا نتبين ان قبول الحزب الدخول في  
المفاوضات وقرار تجريد الثوار من اسلحتهم قد تسبب في نشوب  
التمرد بخلاف بين هؤلاء اللاجئيين التونسيين في المشرق فانقسموا الى مؤيد  
وعلى رأسهم صالح بن يوسف وعلى رأسهم عز الدين عزوز .  
ولكن هذه القرارات لم تتسبب في قطع التدريبات واعداد جيش التحرير  
سوائيا وان ادخلت عليهم ما الاضطرابات والتذبذب فقد تواصل العمل بمراكز  
التدريب لتلبية حاجيات جيش التحرير الجزائري ...  
ولم يلبث صالح بن يوسف منذ مارس 1955 ان أمر الجامعة الدستورية  
بتونس العاصمة باعادة الكفاح المسلح لان الاتفاقيات الفرنسية لا تلبى

1 انظر المصدر :  
2) العيساوي بن سالم الشكابي مولود في قابس 1914 سائق سيارة اجرة انخرط بالحزب الدستوري الجديد  
منذ 1934/9/3 كان منضويا تحت اللجنة السرية المشرفة على التنسيق بين الديوث السياسي والجامعة  
الدستورية بالجنوب قام بتفجير عدة منشآت استعمارية بتونس العاصمة وبجهة قابس وكان يصنع المتفجرات  
ويهرب على صنعها كما كان ينقل الشبان التونسيين الى مراكز التدريب في ليبيا ومصر (حصلت على هذه المعلومات  
منه شخصيا) .  
3) مدني به السيد العيساوي الشكابي .

المذالب التونسية (1) .

وهذا ما جعلنا نذهب الى ان المقاومة المسلحة بتونس لم تتلاشى  
تماما بعد ديسمبر 1954 بل استمرت في لحمة مع جيش التحرير الجزائري  
وهذا ما يفسر تلك الاشتباكات التي كانت تقع من حين الى آخر  
في التراب التونسي وعلى الحدود التونسية الجزائرية قبل اعادة تنظيم  
" الثورة الثانية " في 1956 .

مثلا يذكر الدكتور محمد بن سالم ان في 30 اوت 1955 هاجم 200 فلاق  
القوات الفرنسية في التراب التونسي (2) .

في حين تورد صحيفة " لوبتي متان " نبأ وفاة ثلاثة فنيين فرنسيين  
بمنطقة الرديف يوم 21 اكتوبر 1955 .

وما بقي لنا الا ان نتساءل هل كانت هذه الاحداث في علاقة بالاتفاقيات  
الفرنسية التونسية ؟ هل لها صلة بالرد على قرار " رفت صالح بن يوسف  
ابصورة عامة هل نجبن يوسف يد في تحريكها ؟ او منها براء لأنه عرف  
بعدم الاهتمام كثيرا بامور المجاهدين (3) ؟

ب - احداث جيش التحرير التونسي :

في جانفي 1956 وقبل مغادرته البلاد التونسية الى طرابلس عقد صالح  
ابن يوسف اجتماعا في بيته بقيادة المقاومة المسلحة في شمال افريقيا (4)  
في نطاق الجهود الرامية الى توحيد الكفاح المسلح بالمغرب العربي  
لمسد تسهيل مد المقاومة بالاسلح ، وقد اتصل الطيب المهيري وامحمد  
سوعبيد بالطاهر الاسود ليعلمانه بموعد الاجتماع (5) .

(1) مصدر سابق : (1) Boyer de la Tour: Verités... Op, Cit, P: 99.  
(2) مصدر سابق : (2) Ben Salem (M): L'Antichambre... Op, Cit, P: 182.  
(3) رسالة علي بلهوان الى الباهي الاذغم بتاريخ 28 ماي 1953 (الباهي الاذغم: مراسلات...  
(القسم العربي) ص/54 .  
(4) مصدر سابق: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية ... ص 157 .  
(5) استجواب الطاهر الاسود : ماي 1985 .

وقد حضر هذا الاجتماع من الجانب التونسي صالح بن يوسف وعلي  
الزليطني والطاهر الاسود والطيب الزلاق . ومن الجزائر عبد الحي وعباس  
بنغروور ومن المغرب جمع من المقاومين بقيادة محمد البصري (1) .  
يقول الطاهر الاسود : " طلب مني صالح بن يوسف في هذا الاجتماع  
الذهاب الى الشرق لجلب السلاح لتمويل " الثورة الثانية " ، لكنني رفضت  
ذلك لاعتقادي اننا بامكاننا الحصول على السلاح من اخواننا الجزائريين  
ولكن بن يوسف استطاع اقناعي بضرورة اللقاء بجمال عبد الناصر الذي  
له ثقة بي في عدم التفريط في السلاح الى فرنسا ، بما انه قد سمع  
منني رفضي تسليم السلاح في 1954 " (2) .

وبعد رحلة شاقة برا وصل الطاهر الاسود الى القاهرة وكان برفقته البشير  
الشلبي وتم اللقاء بين الطاهر الاسود وجمال عبد الناصر وقد حضر  
هذا الاجتماع كل من احمد بن بلة وبلغروور والمهدي بن عبود وتم  
التباحث حول امكانية بعث نواة لجيش التحرير التونسي على غرار جيش  
التحرير الجزائري ثم يقع التوحيد بين جيوش التحرير في كامل المنطقة  
شمال افريقيا .

وفي فيفري 1956 اصدر الطاهر الاسود بيانا جاء فيه :  
" اننا نعلن على رؤوس الملائم للشعب التونسي والشعب الفرنسي والعالم  
باسره ، اننا احدثنا على بركة الله جيشا تحريريا وطينيا تونسيا وان مهمة  
هذا الجيش هو تحرير وطننا العزيز من قاذورات الاستعمار واذنابه... وقد  
لنرنا ضم جيشنا المبارك الى جيوش اخواننا الجزائريين والمغاربة (3) .  
وهكذا نلاحظ ان الاعلان عن تكوين جيش التحرير التونسي ثم في الشرق وايماز من جمال  
عبد الناصر ، وبعد التحاق صالح بن يوسف بطرابلس .

(1) نفس الاستجواب .

(2) =  
(3) الصباح : 12 فيفري 1955 .

ومن الملاحظ ايضا ان " الفلاحة الجدد " هم الذين شكلوا نواة جيش التحرير التونسي على شكل فرق اهمها : حسب الطاهر عبد الله (1)

- (1) - فرقة اولاد عون بقيادة عبد القادر زروق " والاخضر القرماسي " .
- (2) - فرقة منطقة سون الاربعاء وغا رالدماء بقيادة الطيب زلاقي .
- (3) - فرقة منطقة زرامدين بالساحل بقيادة عبد اللطيف زهير .
- (4) - فرقة منطقة قفصة بقيادة الحسين الحاجي وعبد الله بوعمراني .
- (5) - فرقة تطاوين والحواييه ومطماطة بقيادة الطاهر الاسود ومحمد قرفة وسعد بعر واحمد الازرق .
- (6) - فرقة نفزاوة بقيادة علي بالشعر المرزوقي ومحمد الغيلوفي .
- (7) - فرقة ام العرائس وونفطة وتوزر بقيادة الطاهر الاخضر الغريب .
- (8) - فرقة جبل أم علي بقيادة بلقاسم بن فرج العقوبي .
- (9) - فرقة تونس العاصمة بقيادة رضا بن عمار .

كما وردت في الصحافة الفرنسية اسماء اخرى ، كمحمد مصباح النيفر وحسونة الجلاصي فهذه اسماء لقادة " الفلاحة الجدد " مثلا ذكرت الصحف نباء القاء القبض على مجموعة حسونه الجلاصي وهي تتركب من ثمانية عشر رجلا يوم 18 ديسمبر 1955 (2) . وهكذا يمكن ان نستنتج ان حركة الفلاحة الجدد التي انطلقت في مطلع شهر جانفي 1956 سرعان ما تحولت الى جيش تحرير وطني تونسي " مطلع فيفري 56 تموله البلدان الشرقية ولا سيما مصر بالسلاح في مذكرات فتححي الذيب (3) مندوب سامي في الجيش المصري ) : " كنا قد بدأنا فعلا في استخدام السيخت " غنود هوب " في تهريب الاسلحة الى السواحل الليبية وتونس وفي 18 جانفي 1956 استخدم البخت ، لنقل الشحنة السادسة لتلبية احتياجات الجبهة الشرقية بالجزائر ولا مداد "

(1) مصدر سابق : الطاهر عبد الله الحركة الوطنية . ص 156

(2) Le Petit Matin : 21 Decembre 1955 .

(3) فتححي الذيب : مذكرات : تطوير عمليات تهريب السلاح . مجلة "مصرية" بدون تاريخ / ص 2

جيش التحرير التونسي بكمية من السلاح و النخيرة تكفيه لبدء عملياته  
الاجابية المسلحة ضد القوات الفرنسية المرابطة بتونس . وقد تضمنت هذه الشحنة  
الكميات التالية :

الجهة المطلوب تزويدها		العدد	الوصف
تونس	الجزائر		
x	/	330	بنديقة 92 ر 7
الباقي	150	236	بنديقة 303 ر
الباقي	40	100	رشاش لانكستر
x	/	23	رشاش فاو 92 ر 7
/	x	11	رشاش فيكرز 303 و
x	/	50	مسدس برتا 9 ملم
3	2	5	وصلة ايناضد الدبابات
x	x	209	خزنة لزوم لانكستر
/	x	40	شريط للفكرز
x	x	20.000	طلقة 303 ر
x	x	20.000	طلقة 92 ر 7
x	x	50.000	طلقة 1 ملم للانكستر
300	200	500	قنبلة يدوية
x	/	600	طلقة 9 ملم للمسدس
100	100	200	قنبلة انبرجاص / د

واند غادر الپيخت " غود هوب " ميناء الاسكندرية يوم 20 جانفي ليرسي  
بالسواحل الليبية يوم 21 فيفري نظرا لرداء الاحوال الجوية ( 1 ) .  
وهكذا نستخلص ان مصر جمال عبد الناصر قد تكلفت يتمويل المقاومة  
المسلحة بتونس الى جانب بقية المقاومة في شمال افريقيا . وقد تم ارسال  
كمية اولى من الاسلحة الى تونس منذ اواخر جانفي 1956 .

فهل سعى صالح بن يوسف في طلب ذلك ؟ ومتى كان ذلك ؟  
وهل هناك علاقة بين الشروع في عملية تهريب السلاح وانطباعات الوفد  
المصري برئاسة الشيخ الباقوري عن الوضع بالمنطقة اثر زيارته  
لتونس والمغرب الاقصى ؟

### ج - توحيد قيادة جيش تحرير شمال افريقيا :

انطلاقاً من ايدىولوجية " الوحدة " قد كان احداث لجنة المغرب العربي  
الجديدة في افريل 1954 من قبل جامعة الدول العربية ليسهل عليها  
التعامل مع ممثلي الحركات الوطنية المغاربية في القاهرة وامكانية مدهم  
بالاموال اللازمة ، وعلى غرار ذلك سعت مصر جمال عبد الناصر الى توحيد  
الكفاح المسلح بشمال افريقيا باحداث هيكل موحد يشرف على المقاومة  
المسلحة ويمدها بما تحتاجه من السلاح والذخيرة ومن خلاله يمكن لها  
مراقبة الوضع بالمنطقة والتحكم فيه وبالتالي يتسنى لها مسك فرنسا  
من يدها التي توء لها قصد الضغط عليها فيما يخص سياستها بالشرق  
الاطوسط .

ومن ناحية اخرى اقناع الحركات الوطنية بشمال افريقيا بأن تأمين  
مستقبل شعبها " لا يتأتى الا بوحدة الاقطار الثلاثة وارتباطها الوثيق  
بالوطن العربي في المشرق الى قدرات الامة العربية في الحفاظ على  
عروبته هذا الشعب وتحرير ارادته (1) .

وفي اواخر فيفري 1956 وبعد عقد ثلاث جلسات متتالية حضرها  
قيادة جيوش التحرير الثلاثة بالمغرب العربي (2) اتخذت القرارات التالية :  
(1) - العمل فوراً على توحيد الكفاح في شمال افريقيا تحت قيادة موحدة  
تنضم قيادة جيوش التحرير على ان تختص هذه القيادة بوضع الخطوط العامة

(1) نفس المصدر : ( مذكرات فتحي الذيب ) مجلة مصر / ص 4 .

(2) استجواب الظاهر الاسود .

للمليات المشتركة في الاقطار الثلاثة في نطاق الاستراتيجية التي تم الاتفاق عليها وهي العمل بكل الطرق المتاحة لتزويد المكافحين بكافة احتياجاتهم من الاسلحة والذخيرة لدعم قدرات الكفاح في الاقطار الثلاثة لتشتيت جهود القوات الفرنسية وعدم تمكينها من توجيه اية ضربات مؤثرة في قدرات الكفاح .

(2) - قيام قيادة كل جيش بوضع الخطط التكتيكية لعملياتها النضالية على ارض قطرهما .

(3) - مباشرة الدعوة الى وحدة اقطار شمال افريقيا بمهدف تحقيق قيام الدول الموحدة بمجرد تحرير اداة شعوبها .

(4) - التعهد باستمرار الكفاح المسلح في الاقطار الثلاثة حتى يتم جلاء آخر جندي فرنسي على ارضها .  
وقد تم اسناد القيادة العامة لجيش تحرير شمال افريقيا الى الطاهر الاسود .

اما الامانة العامة فقد اسندت لاحمد بن بلة بينما الاعضاء كانوا من المغرب (1) وتكلف الطاهر الاسود بالاشراف على عمليات انزال السلاح المهرب من مناء الاسكندرية الى الشاطيء الليبي ثم نقله الفوري الى مخزن "التشوين" بزواة وبعد ذلك يتم توزيعه على فرق متكونة من تونسيين وجزائريين ومغاربة تسهر على تهريبه عبر الحدود الليبية التونسية الى الجنوب التونسي حيث يتم تزويد الجهات الجبهة الشرقية وتشمل جيش التحرير التونسي والمناطق الشرقية الجزائرية، والجبهة الغربية وتضم جهتي مراكش وهران (2) .

لهل هذا مايفسر عدم تفريط فرنسا للسلط الفرنسية في منطقة الجنوب التونسي ؟ وايضا لسدة التنافس بين البورقيبية واليوسفوية على كسب اهالي هذه المنطقة ؟

(1) استجواب الطاهر الاسود ماي 1985 .

(2) نفس المصدر : استجواب الطاهر الاسود .

## الجنوب التونسي والصراع اليوسفي البوقبي :

شكل الجنوب التونسي عبر تاريخه ارضية خصبة لاحتضان الثورات نظرا لما يتمتع به من معطيات طبيعية واجتماعية ملائمة :  
ثوفاير الجبطل والاحراش يمكن من ايجاد مأوى آمن للشواربالاضافة الى سهول والاتصال بالتراب اللبيي ، الى جانب النزعة التمردية القبائل الجنوب التي ازدادت حدة بثقل التواجد العسكري الفرنسي لعمل الاستعمار على تكسير الهني القبلية وتمهيشها وهذا ما جعل سكان الجنوب يوفرون احتياطيا بشريا هائلا للثورة فلا تربة اذن ان يكونوا محل تنافس بين بن يوسف وبورقيبة .  
(1) - حمى الاجتماعات :

### اجتماعات صالح بن يوسف في الجنوب :

لقد لبى عدد هام من مناظلي الحزب الدستوري الجديد بالجنوب لبدء مقاطعة حضور مؤتمرات صفاقس (1) وربما هذا ما جعل بن يوسف يسارع بزيارته الى هذه المنطقة التي ينحدر منها ، ليؤكد رفضه الاتفاقيات ( لانها خطوة الى الوراء ) طالبها من اهالي الجنوب الاصداغ برأيهم لانهم يملكون كلمة الحق ، وحاثا لهم على مواصلة الكفاح من اجل الاستقلال التام مبينا ان الوقت قد حان لتخليص البلاد من الاستعمار وأذنا به (2) .

يقول الطاهر الاسود وكان يرفقه "صالح بن يوسف اثناء هذه الزيارة :  
لما اخذت الكلمة في اجتماع البئر الاحمر قلت :  
"يا رغبة ، انتم لم تشاركوا في الثورة الاولى لاسباب معروفة ولكن اليوم ادت الثورة الاولى الى الاستقلال الداخلي وكان سلاحها من الشعب هذا السلاح الذي اشتركت الامانة العامة والديوان السياسي في تجريد الشوار منه لغاية تحطيم الثورة ، فبعد ثلاث سنوات من الكفاح المقاومة ، سلب "الدساترة" سلاح الشعب وسلموه الى العدو الفرنسي ، لكن الطاهر الاسود لم يسلم سلاحه وها انا امامكم مستعد لعادة

(1) استجواب عبدالله الغنوشي (مناضل دستوري سبق ذكره) .

(2) الزهرة 1 23 نوفمبر 1955 .

عدد كبير من الناس ، حزم بن يزي ، غرائرة ، قواسية ) وقد جاءت  
بائل بن يزي والحزم لحماية المنصة قبل مجيء " صالح بن يوسف " (1)  
إما المختار دبية فهو من الشبيبة الدستورية فقد ذكر أن يوم  
اجتماع طاف المرحوم الطيب زياب في أنحاء المدينة وجمع عددا من  
الأطفال الذين حرضهم على أحداث الفوضى والتشويش والمناداة بحياة  
لزعيم بورقيبة ،

إما نحن فقد وزعت علينا مسدسات لعب أطفال " فرطابو"  
(نهام اليوسفيين بانها اسلحة خفيفة فيرهبون ويتراجعون (2) .  
إما الحبيب قرفال وهو عضو بالجامعة الدستورية ومكلف بالشبيبة  
الدستورية فقد عمد الى وضع مضخم صوت على سطح منزله المشرف  
على الساحة التي عقد فيها الاجتماع قصد التشويش (3) .

فالبورقيبيون تجندوا لافشال الاجتماع واليوسفيون قد عملوا على نجاحه .  
وما إن حل ركب صالح بن يوسف بقابس حتى خرجت كل المدينة  
لرؤيته ، أما حب الاطلاع أو التأييدا أو للتعبير عن رفض زيارته ... دخل  
بن يوسف بطحاء " المنشر " بطحاء الزعيم حاليا ) واعتلى المنصة  
التي تحف بها خيالة من بني يزيد يفوق عددهم الثمانين فارسا ،  
انضاف اليهم آخرون كانوا مع الطاهر الاسود في حراسة صالح بن يوسف  
وما إن اخذ الكلمة حتى علا نشيد الثورة من مضخم الصوت وتجاوبت  
معه عناصر الشبيبة المدرسية وارتفعت الاصوات هاتفة بحياة بورقيبة  
وامتزج النشيد بالصياح وفجأة اطلق الحبيب الجمل النار في الهواء ،  
فتوزعت الخيالة لمطاردة " المشوشين " وتكثف قذف الحجارة في

(1) استجواب الطاهر الاسود .

(2) استجواب المختار ادبية من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس مارس 86 .

(3) استجواب الحبيب قرفال من قبل الجمعية المذكورة نوفمبر 1985 .

الثورة من جديد ، فهل انتم مستعدون لثورة ثانية " تحقق الاستقلال  
الكامل ، فردوا جميعا بالموافقة " (1) . . .

ولكن الديوان السياسي وعلى رأسه بورقيبة كان يخشى ان تصل مثل  
هذه الافكار والمواقف لسكان الجنوب المعروفين بميلهم الى الحضارة  
الشرقية وتأهبهم الدائم للثورة ، فعمل على افساد اجتماعات صالح بن  
يوسف وان لم يفلح الا في " تكسير " اجتماع قابس .

لقد اجمع المستجوبون الدستويون في هذه المدينة على ان الديوان  
السياسي قد بعث بتعليماته اليهم للعمل على افساد اجتماع بن يوسف  
الذي سينعقد بقابس يوم 20 نوفمبر 1955 . كما طلب ممن كانوا

يحضرون مؤتمراً صفاقس ان يلتحقوا بقابس حالاً لنفس الغاية وان لم  
يصلوا الا يوم الاجتماع . ومع ذلك فقد انعقد اجتماع فوراً بمقر  
شعبة جارة (ليلة الاجتماع) في غياب الهيئة المديرية للشعب التي كانت  
تضرب اشغال المؤتمر وذلك للتباحث في طرق العمل الممكنة لانجاز  
المهمة (2) وتكلفت " الشبيبة الدستورية " بذلك . ولا يعني ذلك اتفاق

الجميع على هذا الموقف فالخلاف كان يمزق الهياكل الدستورية في هذه  
المدينة ، وقد ضرب في الجامعة الدستورية نفسها بحيث انقسمت الى

يوسفيين ومنهم عمر الغنوشي : الكاتب العام والصادق بوشريكة كاهية  
رئيس الجامعة ، اما البورقيبيون فمنهم صالح بن احمد الشين : امين مال

الجامعة وعبد الله جراد رئيسها ، ولذلك فقد اختلفت مواقفها من هذا  
الاجتماع : يقول صالح الشين " لقد جاء صالح بن يوسف الى قابس باستدعاء

من عمر الغنوشي في حين كانت بعض الاطراف غير راضية بذلك خوفاً  
من احداث الشغب " (3) . اما الطاهر الاسود فيقول : كان اجتماعاً رهيباً حضره

(1) استجواب الطاهر الاسود ( ماي 1955 ) .

(2) استجواب عبد الله الغنوشي ( ذكر سابقاً ) .

(3) استجواب صالح الشين من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس افريل 85

اتجاه المنصة ، ووضع صوت صالح بن يوسف الجهوري في خضم الصراخ  
والفوضى فقطع خطابه وانسحب قائلاً : " جماعة عبد الله جراد لم  
ينركوني اتكلم " (1)

أما الظاهر الأسود فقد صعب عليه إطلاق النار على " أبناء علي الجمل (2)  
في الوقت الذي تسلس البعض من الشبيبة الدستورية الى سيارة صالح  
ابن يوسف " الفاخرة " فأفرغوا عجلاتهم من الهواء وقطعوا احداها ...  
واسفرت المصادمات على جرح 15 شخصاً منهم 4 في حالة خطيرة (3)  
ثم عقب الاجتماع حملة اعتقالات في صفوف اليوسفيين .

ومن الملاحظ انه لم يحدث مقر للامانة العامة بجماعة بورقيبة  
الا بعد هذه الزيارة (4) . ولكن هذه الاحداث لم تتكرر في بقية الاجتماعات  
الخرى التي عقدها بن يوسف في مناطق اخرى من الجنوب نظراً لعجز  
" الاقلية البورقيبية " على تنفيذ تعليمات الديوان السياسي (5) .

#### اجتماعات بورقيبة بالجنوب :

رغم طلب الشعب الدستورية بكل من تطاوين ومدنين وأم التمر والمستورية ...  
من بورقيبة عدم المجيء الى الجنوب التونسي محذرة مما قد ينجر عن هذه  
الزيارة من نتائج وخيمة ملقبة بالمسوء ولية عليه (6) فقد قام بورقيبة  
بزيارة الى الجنوب التونسي بدأ بقابس يوم 11 ديسمبر 1955 أي بعد  
صدور قرار 8 ديسمبر 1955 ! ومن قابس انتقل الى مدنين يوم 12 ديسمبر  
ثم الى تطاوين في 13 ديسمبر وبعدها جرجيس يوم 14 ديسمبر ثم جربة  
يوم 15 ديسمبر ومن جربة ذهب الى بنقردان في 16 ديسمبر ومنها ارتحل

(1) استجواب الحسين لعزيز ( رئيس شعبة جارة انذاك ) .

(2) تذكيراً بفضل هذا المناضل على الحركة الوطنية ، ومن الملاحظ ان من أطلق النار اثناء الاجتماع هو ابنه  
الحبيب الجمل .

(3) : ( )  
3) Le Petit Matin: 22 Novembre 1955.

(4) استجواب علي الساحلي من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية بقابس .

(5) استجواب الظاهر الأسود .

(6) V:2H151, B S386, D:2 (Physionomie de la : المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية :  
Presse Arabe et Tunisienne, Al Balagh du 1<sup>er</sup> Decembre 1955) P: 411.

الى مطماطة في 17 ديسمبر وبعدها الحامة في 19 ديسمبر فقبلي يوم 20

ديسمبر ولة خيرا دوز يوم 21 ديسمبر .

وكان بورقيبة يلقي خطابا في كل محطة يقف عندها خلال هذه الرحلة  
الموكبية في انحاء الجنوب التونسي محاولا ان يوصل بنفسه ومباشرة صوته  
الى كل نقطة فيه رغم ما تقوم به الاذاعة من بث فقرات مطولة من هذه  
الخطب التي تنشر عبر الصحف ، ولذلك قال في خطابه بمطماطة :

" وارييدان اعرب عن شكري الخاص وامتناني للاذاعة التونسية ومبعوثها الخاص  
ذلك لانها عملت بواسطة اجهزتها ومبعوثها على تبليغ ما يحدث في هذه  
الاجتماعات الى الأمة قاطبة ... "

وهكذا يستمع ابناء الشعب الى ما به الحاجة قبل صدور الصحف <sup>على</sup> لقد جاءت

زيارة بورقيبة الى الجنوب بعد بضع اسابيع من زيارة بن يوسف لها تلك الزيارة  
التي كانت خاطفة في الزمن ومحدودة في المكان ( الجنوب الشرقي ) .

اما زيارة بورقيبة فقد استغرقت اياما وشملت كامل المنطقة وكأنه يريد

ان يحي ما خلفته زيارة خصمه من افكار ومواقف بالاضافة الى محاولة استقطاب

واحتواء اكثر ما يمكن من السكان باقتناعهم بصحة وجهة نظره بعد الاستماع

اليه لذلك كان حمل الناس على حضور هذه الاجتماعات حملا وقصرا (2)

لمثلا نقلت جريدة الصباح ما حدث في جربة خلال زيارة بورقيبة لها :

اذ حلت بالجزيرة ليلة يوم الاجتماع شاحنتان عسكريتان تقلان ثلاث مائة

رجل مسلح انطلقوا في عمليات تفتيش للسكان والمحلات وترويع الاهالي

بطلقات نارية في الهواء كما تم احتلال المواقع الهامة والطرق الرئيسية الى

حساب القيام بحملة اعتقالات في صفوف المعارضة " (3) يوم <sup>ال</sup>العدد سبقت مجي

(1) الحبيب بورقيبة : "خطب" مج III ، كتابة الدولة للاعلام بالمطبعة الرسمية تونس 1975 ص 209 .

(2) حسب الصحف اليوسفية

(3) الصباح 16 ديسمبر 1955 .

بورقيبة 8 شاحنات اخرى بها حشد من الجيش والجنندرمة لم يتم  
يعمل من شأنه ان يضايق السكان ، ولعل وقسع جلبه لحالات طارئة (1)  
وعقد بورقيبة اجتماعه في حراسة رجال الساسي الاسود (2) .  
يقول جريدة الصباح : " لم يحضر الجرابة هذا الاجتماع ما عدى عمال  
الحضائر الذين وقع جلبهم بالقوة من قبل السلط المحلية الى جانب من الناس  
جلبوا من الساحل ومن جرجيس ... (3) .  
اما بورقيبة فقد قال في خطابه : " يقال لي ان عمدا من اهالي جربة  
خرجوا عن صف الحزب بدافع الامتعاض وانسلخوا عنه بعد ان كانوا من  
اخلص اتباعه ... واحمد الله تعالى ان لم تنجح هذه الدعاية المفرضة التي  
حاول بها صالح بن يوسف تشتيت الامة ... وما هذا الاجتماع الذي تحضره اليوم  
هذه الجموع الحاشدة في جربة نفسها الا اصدق دليل على فشل تلك المحاولة (4)  
اما في مدنين فقد تجند مصباح الجربوع وجمع من رجاله لحراسة  
الحبيب بورقيبة اثناء زيارته لهذه المنطقة وقد كان مصباح الجربوع ضمن  
لجنة قدماء المقاومين " الموالية لبورقيبة وقد ابلى البلاء الحسن في  
مقاومة اليوسفية وارجاع الكثيرين الى حضيرة الحزب (5) ومن الملاحظ  
ان بورقيبة في خطابه بمدنين بدأ بكلمة اخواني المجاهدين في حين في  
بقية الخطب يقول : " ايها المجاهدون انه بخاطبهم قائلا " اناشدكم انتم  
المقدمون بهذه الحقائق ان تقنعوا بها غيركم ممن تواروا في هذا اليوم  
وتحاشوا حضور الاجتماع (6) والمقصود هنا "اليوسفيون" الذين قاطعوا اجتماعات  
بورقيبة . ولتغطية هذا الفراغ في اجتماعاته اللاحقة عمدت بعض الدوائر الحزبية

(1) نفس المصدر زونغير التاريخ .

(2) مصدر سابق : (H) Bourguiba: Ma Vie... Op, Cit, P: 325.

(3) الصباح : 16 ديسمبر 1955 .

(4) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة : خطبته ج 3 ص 223 .

(5) ماورد في مداخلة لسعد الغزال بعنوان (لقاء مصباح الجربوع) في ملتقى مصباح بمدنين (14 و15

(6) مارس 1986) مصدر سابق "الحبيب بورقيبة" خطبته ص 212 .

من جهات اخرى موفرة لهم وسائل النقل مجانا ، كما استعملت وسائل  
منط مختلفة تتراوح " بين الترهيب " والترغيب " .  
وقد ادى في بعض المناضق الى وقوع بعض التجاوزات اسفرت عن ممارسة  
العنف بين اخوة الامر مثلما وقع في اجتماع تطاوين بحيث اندلعت مصادمات  
بين الجانبين اليوسفي والبورقيبي تذكرنا بمصادمات قريبة مطلع ديسمبر 1955  
ادت الى وفاة احد الدستوريين وهو حمادي خضير قبيل عقد الاجتماع وقد  
لاحظت " العمل " ان المقصود من هذه الجريمة افساد الاجتماع ملقية  
المسؤولية على اليوسفيين الراضين لزيارة بورقيبة الجنوب التونسي ( 1 ) ، اما  
بورقيبة فوجه التهمة للمعارضين قائلا : " علينا جميعا ان نقف في وجه الفئة  
الضالة وان نضرب على ايدي افرادها دون هوادة لانهم هدامون باعثوا فتنة  
ارجوان يكون موت حمادي خضير الذي استشهد صبيحة هذا اليوم خاتمة  
اعمال هذه الفئة الضالة ( 2 ) .

وقد عكبت الاحداث الدامية بتطاوين حملة اعتقالات واسعة في صفوف  
اليوسفيين شملت 28 شخصا من بينهم المقطوف البكاي رئيس الشعبة الاساسية  
لي تطاوين رغم مرضه ( 3 ) وقد اجتجت الجامعة الدستورية بمدنين عن هذه  
الممارسات المطالبة باطلاق سراح الموقوفين فورا مع اعادة فتح مقرات الشعب  
الدستورية الأربعة التي وقع اغلاقها بدون سبب ( 4 ) .

ومع ذلك فقد وصفت صحيفة العمل " استقبالات سكان الجنوب لبورقيبة بانها  
استقبالات رائعة ( 5 ) اما صالح بن يوسف فقد اعتبر في ندوة صحفية يوم 16  
ديسمبر 1955 اجتماعات بورقيبة اجتماعات مفروضة على الشعب بالحديد

- ( 1 ) العمل : 14 ديسمبر 1955 .
- ( 2 ) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة " خطب " ج 1 ، ص 216 - 217 .
- ( 3 ) الصباح : 16 ديسمبر 1955 .
- ( 4 ) نفس المصدر ونفس التاريخ .
- ( 5 ) العمل : 12 - 15 - 16 - 17 ديسمبر 1955 .

والنار ، مؤكدا على ان الشعب ليس رقيقا من الغنم ندفع به حيث نريد بل له ارادة حرة وشخصية وكرامة ولذلك اقترح بن يوسف عقد اجتماع مشترك بينه وبين بورقيبة لي طرحا وجهات نظرهما امام الشعب (1) .  
ويعلق بورقيبة على هذه التصريحات في خطاب مطماطة يوم 17 ديسمبر  
نائلا : لقد بلغتنا البارحة اخبار عن طريق الاذاعة تدل على ان صالح بن يوسف احس بالارض تמיד تحت قدميه... ذلك انه صرح بان لا خصومة بينه وبين بورقيبة وبانه انما يعارض الاتفاقيات ويقف في وجه الوزراء فحسب... ان هذه المغالطة لا تروج على احد فكل من يطعن في الديوان السياسي او في الوزراء الحاليين المتمتعين بثقة الحزب انما يطعن في شخصي انا رئيس هذا الحزب... " (2) .

فما هو فحوى خطاب بورقيبة التي القاها في الجنوب وما هي الغاية من ورائها؟ من خلال خطبه العديدة التي القاها بورقيبة دون ان يسند الكلمة لأحد من مرافقيه يبدو لنا وكأنه مقبل على معركة شعارها " تكون او لا تكون " اذ كان بورقيبة يتكلم الى سكان الجنوب وفي ذات الوقت يخاطب فرنسا ومن يمثل فرنسا بتونس ، فمثلا قال في خطابه بقابس يوم 11 ديسمبر : " وأوصيكم بمواصلة السير في هذا الطريق واعتبار الفرنسيين اخوة لكم وضيوف عليكم وان تنظروا الى مواطنينا اليهود ونظرتكم الى غيرهم المواطنين التونسيين ، ولهم ما لنا وعليهم ما علينا وهكذا نقيم البرهان امام انظار العالم على اننا اهل للسيادة واكفاء لممارستها فن دعم موقف اصدقائنا الذين ساعدونا وبذلك يكسر عددهم ويدفعهم الى توسيع التجربة...  
فتشمل اقطار اخرى مثل الجزائر " (3) .

لغاية بورقيبة تهدف الى احباط مخطط بن يوسف الداعي لمواصلة الكفاح

(1) العمل : 17 ديسمبر 1955 .

(2) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة "خطب" ج 3 ص 239 .

(3) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة "خطب" ج 3 ص 209 .

لبلوغ الاستقلال التام ، طارحا البديل " سنطالب بمراجعة الاتفاقيات حتى نسترد كل حقوقنا بالطرق السياسية والدبلوماسية السلمية... فلاداعي اطلاقا للمطالبة بالكفاح المسلح والحرب طالما نحن غير متهيين لذلك اذ الافضل الاستعداد قبل الدخول المعامع وبعد الوشوش من تهية اسباب النصر (1) لبدي بورقيبة محذرا من الانصياع لدعاية الطيش والتنطع خاصة في هذا الجنوب التونسي هذه المنطقة العسكرية التي نال اهلها من العذاب

ما نالهم فذاقوا الحسف الوانا نتيجة لحركات جانبتها الحكمة (2) .

ومن الملاحظ ان بورقيبة استخدم كل الوسائل التعبيرية التي صورت بن يوسف ومن آمن بمذهبه في مظهر الفئة الضالة . فحاولنا ان نحصي عشا الكلمات الواردة في هذا المعنى من خلال هذه الخطب ( بالجنوب فقط ) فاحصينا اكثر من 35 كلمة تدور كلها حول الضلالة والفتنة والتفرقة والافتراء والدجل النفاق - البهتان - الخداع - المغالطة - القساوة - التخريب - والتهديم - الفساد ...

أما الآيات القرآنية فقد استعمل بورقيبة 7 آيات قرآنية بمعاني مختلفة تحوم حول تجذب الفتنة" وتحت على وحدة الأمة " .

وهكذا نيتنتج ان زيارة بن يوسف للجنوب كانت بقصد اشارة الهمم من اجل مواصلة الكفاح ومعاوضة الثورة الجزائرية ولعل بورقيبة قد تظن لذلك نسي الوقت الذي انضم فيه الكثيرون من مقاومي الجنوب ولا سيما الطاهرا لاسود الى الحركة اليوسفية التي انتقلت اثر مؤتمرها من حركة سياسية سلمية الى حركة ثورية عنيفة فبدأت تشكل خلايا للكفاح المسلح نواة لجيش التحرير التونسي على غرار جيش التحرير الجزائري الا ان السلط الفرنسية وتبعها السلط التونسية اطلقت على هؤلاء الثوار اسم " الفلاقة " التجدد انقاصا من اهميتهم

السرازا لهم في مظهر الخارجيين عن القانون وبالتالي اعطاء الشرعية لمطاردتهم .

(1) نفس المصدر : ص 234 .

(2) نفس المصدر : ص 213 .

وخوفا من اندلاع الحرب من جديد في تونس. يقطع النظر عن الطرف المتجهة اليه ( الحضور الفرنسي او الديوان السياسي او حكومة بن عمار ) فقد سارع بورقيبة الى مصدر الخطر ( الجنوب ) لعله يوقت المد الثوري قبل ان يستفحل وبغرن البلاد في " الدم والدمع " على غرار ما يجري في الجزائر. بهذا كل جهوده ليحول دون ذلك باقناع سكان الجنوب بالعدول عما يدعوهم اليه صالح بن يوسف الى درجة الاعياء والارهاق (1) ويبقى السؤال : بأي وجهة نظر سيعمل سكان الجنوب ؟ وهل ليسرلهم رأي ولا موقف من هذا الخلاف ؟

ب - موقف الجنوب التونسي من الخلاف اليوسفي البورقيبي :

بحكم الطبيعة الانقسامية لهذه المنطقة القائمة على الثنائية : بلدي / عربي ، متقف / جاهل ، متعلم / أمي ، فقير / متوسط الحال ( لان الاغنياء قلة نادرة ) ، مقاوم / قومي / دستوري / غرنوطي (2) ، لذلك لا يمكن اعتبار الجنوب وحدة متجانسة وموقف موحد من أمهات القضايا المطروحة آنذاك على الساحة السياسية ( الاتفاقيات ومستقبل تونس ، الثورة الجزائرية ، علاقة تونس بالشرق وعلاقتها بالمغرب ... )

العامل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي يؤثر بصورة او بأخرى على هذه المواقف التي تكون في بعض الاحيان خاضعة لعلاقات شخصية او صبغ الولاء .

ولذلك وفي غياب الاحصائيات الدقيقة ، ليس من السهل ان نحدد موقف سكان الجنوب من الخلاف اليوسفي البورقيبي فنصنفهم ضمن اليوسفية او ضمن البورقيبية بنسبة مائة بالمائة .

ومن خلال الاستجابات والاستبيانات اللذان قمنا بهما لا حظنا تواجد الطرفين

(1) : العمل : 22 ديسمبر 1955 .

(2) : الفرانطة : اسم يطلق على جماعة الحزب الدستوري القديم الذي كانت له بالجنوب التونسي 15 شعبة .

(البورقيبي واليوسفي) وبنسبة متفاوتة حسب مناطق الجنوب، وان كانت نسبة اليوسفية هي الطاغية في كل المناطق، فبإمكاننا تقدير هذه النسبة عامة ب: 80 أو 90 % دون ان ننسى تلك النسبة من السكان الذين يضعون قدما في اليوسفية واخرى لدى البورقيبية، فهم ليسوا برقيبيين ولا يوسفيين وانما ينتظرون الغلبة لمن ستكون فيسارعون بجمع القدمين ليقفوا الى جانب الشق المنتصر عاملين بالمثل العامي "يهرب من البحرث بحضري الحصاد". فهذه نتائج الاستبيان الذي شمل 100 عينة بتاريخ 1995 (1).

(1) - توزيع العينة حسب الجنس:

الجنس	النسبة العامة	النسبة في صفوف اليوسفية
ذكور	80 %	96 %
اناث	20 %	4 %

بالإضافة هنا ضعف نسبة النساء من جملة الذين شملهم الاستبيان وهذا قد يفسر بعدم اهتمام المرأة بأمور السياسة فهي في اغلب الاحيان تكون سلبية او تابعة للرجل.

(2) - توزيع العينة حسب فئة الاعمار: 1995:

الفئة العمرية (سنة)	النسبة الطمة	النسبة لليوسفيين	الفئة العمرية (سنة)	النسبة العامة	النسبة لليوسفية
من 55 الى 60	2 %	/	من 71 الى 75	18 %	8 %
من 60 الى 65	12 %	4 %	من 76 الى 80	12 %	12 %
من 65 الى 70	26 %	32 %	من 81 الى 85	4 %	4 %
من 70 الى 75	22 %	20 %	86 فما فوق	4 %	/

هنا نلاحظ ان الخلاف البورقيبي اليوسفي قد جلب اهتمام الفئات العمرية ما بين 20 و 35 سنة الشباب بنسبة 66% ومن الملاحظ ان اليوسفية قد ضربت في الشباب الذين تتراوح اعمارهم ما بين 40 سنة.

أرغعت مطبوعا تغلي طلبة المعهد الاعلى لتكوين المعلمين بقا برالذين هم من مناطق مختلفة بالجنوب الرئيسي تحمل اسئلة منتقاة تخص المستجوب (اليوسفي او البورقيبي) حسب المثال في الملحق.

البيانات العينة حسب الجهات :

النسبة العامة	النسبة لليوسفية	الجهة	النسبة العامة	النسبة لليوسفية
%2	/	بنقردان	%2	%4
%18	%4	رمادة	%6	%8
%2	/	مدنين	%2	/
%52	%5,866	جربة	%16	%29,33

ملاحظة: أهمية منطقتي جربة وتطاوين داخل العينة و داخل  
البيانات يشكلان معاً نسبة 88% من اليوسفيين الذين شملهم الاستبيان  
المستوى التعليمي :

المنف	النسبة العامة			النسبة لليوسفية
الابون	%46			%28
التعليم الابتدائي	%28	بالخارج		%24
		بتونس	أوروبا	
		%4	الشرق	
العريتوني	%24			%36
التعليم عالي	%2			/

البيانات العينة عن أهمية نسبة الاميين عموماً داخل العينة ومع ذلك تنخفض  
داخل اليوسفية التي مست ذوي التعليم الابتدائي والزييتوني بنفس الدرجة  
ذلك يعود الى اصحاب شهادت التعليم الابتدائي في الجنوب هم في معظمهم  
الكثايب والمدارس القرآنية ، فليس غريباً ان يلتقي هؤلاء مع خريجي  
البيوتونية في الاستجابة للدعاية " اليوسفية " المتبادية بالعودة الى رحاب  
التمسك بالعروبة وهما من السمات المميزة لهوية الشعب التونسي

التي يعمل الغرب على طمسها ، وهي مهددة ايضا من قبل التيارات  
اللائكية المرشحة لتعويض الاستعمار المباشر .

(5) - توزيع العينة حسب الانتماء المهني في الخمسينات :

المهنة	النسبة العامة	بالنسبة لليوسفية	المهنة	النسبة العامة	بالنسبة لليوسفية
العمال	% 14	% 8	الموظفون	% 12	% 20
التجار	% 14	% 24	الرعاة	% 8	% 12
الفلاحون	% 22	% 24	العاطلون	% 18	% 12
الحرفيون	% 4	% 12	غير ذلك تلاميذ	% 8	/

لقد بينا ان اليوسفية مست جميع شرائح المجتمع وبنسب هامة بنسبة  
( 1/4 ) في صفوف التجار والفلاحين ونسبة ( 1/5 ) في صفوف الموظفين  
ثم بدرجة أدنى الاصناف الاخرى .

وربما هذا يفسر بنقص الاستبيان الذي لم يغط كامل الجهة وكذلك بارتفاع نسبة  
سطقتي تطاوين وجرسة في العينة وهما منطقتان اشتهر سكانهما بتعاطي  
التجارة والفلاحة والصناعات التقليدية .

(5) - توزيع العينة حسب الانتماء السياسي :

الانتماء الى	اليوسفية	البورقيبية	لا موقف
النسبة	% 50	% 40	% 10

وهذا ما يجعلنا نؤكّد على اهمية انتشار اليوسفية في صفوف سكان الجنوب رغم  
ان هذا الاستبيان لم يغط جل مناطق الجنوب مما يجعل نتائجه متبورة كذلك جاء في فترة متأخرة  
كثيرا ( 40 سنة ) عن احداث الحقبة المدروسة وبعد القضاء على اليوسفية وبعد اكثر من 30 سنة  
من الحكم البورقيبي وما صاحبه من ممارسات لاستئصال هذا الخط من المجتمع التونسي .

(6) - بماذا يفسر اصحاب العينة انتماءهم:

1- المحايدون :

* نبتذ الصراعات الذائبة والشخصية	* عدم الاكتراث
* الايمان بعدم التبعية لأحد	بما يحدث
* وضع المصلحة العليا للبلاد	* عدم الوعي
واستقلالها فوق كل اعتبار.	باعتد الخلف
النسبة % 80	% 20

(2) - البورقييون :

ساعة بصحة وجهة نظره	اعجابا بشخصيته	خوفا من العواقب	تقدير لما حققه بعد الاستقلال لفائدة البلاد والمرأة
% 36,40	% 45,5	% 4,55	% 13,65

(3) - اليوسفيون :

ساعة بصحة وجهة نظره	اعجابا بشخصيته	على اساس القرابة والاقليمية
% 64	% 12	% 24

وهكذا نتبين ان الذين اتخذوا موقف الحياد هم ممن اعتقدوا ان  
الخلاف كان خلافا شخصيا سيضر بمصلحة البلاد العليا .  
ان البورقييون واليوسفيون فقد كانوا مواقفهم نابغة من ان الخلاف  
هو اختلاف في وجهات النظر بين الزعيمين الا انه يبدو ان اليوسفيين  
انظر اقتناعا بوجهة نظر " الزعيم الكبير " ( بن يوسف ) في حين ان

البورقيبيين ظهروا اكثر اعجابا بشخصية المجاهد الاكبر .  
وعموما وان مدنا الاستبيان ببعض الملاحظات الهامة والعامّة الا انها  
تهقى منقوصة ولذلك استنجدنا بما جاء في شهادة الكفاءة في  
البحث للاستفادة منيرة المحضي حيث كان ترتيب مناطق الجنوب

حسب كثافة اليوسفية ( 1 ) :

- مواقع ذات اغلبية يوسفية :

/ تطاوين والقري المجاورة .

/ نفزاوة ، قبلي و دوز .

/ مدينين والعروش المجاورة .

- المواقع ذات الاهمية المتوسطة .

/ بنقردان .

/ بني خداس .

/ جرجيس .

- المواقع ذات اقلية من اليوسفيين :

/ مطاطة .

/ الاعراض .

/ مارث .

/ قابس .

وهكذا نقف على تباين نسبة اليوسفيين بالجنوب التونسي التي تتراوح

بين الارتفاع الى حد 100% مثلما هو الحال بالمدو ( 2 ) والعمارات .

والعكاريت ( 3 ) والانكماش بجهة الاعراض ولا سيما بمدينة قابس ، فما هي

( 1 ) مصدر سابق : منيرة المحضي : " المسألة التونسية من 31 جويلية 54 الى 20 مارس 56 ص 115 . 311

( 2 ) استجواب عبد الله الغنوشي ذكر سابقا .

( 3 ) استجواب الكيلاني بن علي الناجح شهر الغول وهو من مواليد جارة قابس 1933 شارك في الثورة  
الاولى وفي الثورة الثانية ضمن اللجنة الفرعية المكلفة بتوزيع السلاح في تونس .

اسباب حركة المد والسجزر بهذه الجهة ؟ وهل تخضع لقانون الانقسامية الموروثة ( صف يوسفي - صف شدادي ) ؟

من خلال الاستبيان يظهر لنا ان محك الانتماء الى اليوسفية او البورقبيية اساسه الاسلوب المتبع لتحقيق الاستقلال اما " الطرق السلمية " او " العنف الثوري " بقطع النظر عن الانتماء القديم لصف يوسف او صف شداد الذي يظهر وكأنه تلاشى نسبيا في معركة الكفاح ضد الاستعمار .

فلماذا احتضن الجنوب الحركة اليوسفية ؟

- استجابة سكان الجنوب للدعاية اليوسفية حول العروبة والاسلام .

لقد كان سكان الجنوب محافظين على ما يبرز هويتهم العربية الاسلامية وشخصيتهم المميزة لهم عن بقية العناصر الاخرى ولا سيما " الروامة " ( 1 ) رمز الاستعمار . ورغم محاولات السلط الاستعمارية كسبر هذا الحاجز النفسي والثقافي عبر التعليم وحركة التجنيس ومختلف الانشطة الثقافية الاخرى الا ان سكان الجنوب بقوا في عداة للحضارة الغربية ويعتبرون كل من سار في ركبها " قواد " بمعنى " عميلا " ولا يستحق ان ينتمي اليهم وتحل مقاطعته اقتصاديا واجتماعيا وتجنب مخالطته الى درجة رفض دفنهم بهم ، ويظهر هذا جليا من خلال تخصيص مكان من المقبرة للمتجنسين مثلا بقيت مقبرة سيدي بولبابة بقابس على هذه الحال الى ما بعد الاستقلال ويمكن ان ترجع هذا الموقف المحافظ الى عدم تواجد المعمرين بكثرة في المنطقية فهي لا تعزي الى ذلك ثم عدم انتشار التعليم الغربي بها نظرا لعقلية السكان الراضة للحضارة الغربية وكذلك ضعفهم العادي الذي حال دون ان يواصل ابناءهم تعليمهم بالعاصمة ، فما بالك بفرنسا !

وهكذا بقي هؤلاء السكان متشبهين بقيمهم الاخلاقية الموروثة عن

( 1 ) وهي كلمة تطلق على الأروبيين .

نظامهم القبلي مثلما بقوا متمسكين بعروبتهم واسلامهم لمواجهة  
الاخر ، فمن الطبيعي ان يجدوا ضالتهم في الدعاية اليوسفية .

ج - اتفاقيات جوان 1955 والجنوب التونسي :

كان الجنوب التونسي احد النقاط الشائكة في المفاوضات الفرنسية  
التونسية بحيث كانت فرنسا متمسكة بهقاء الجنوب تحت النفوذ  
العسكري الفرنسي ، في حين كان الطرف التونسي متمسكا بعدم تجزئة  
التراب التونسي واحترام وحدة السيادة (1) واخيرا اتفقا الطرفان على  
ابقاء مواقع من الجنوب تحت مراقبة الجيش وقوات البوليس الفرنسي  
ولا سيما الشريط الحدودي بين ليبيا وتونس (2) .

وبذلك يتسنى لفرنسا احكام قبضتها على منافذ تمويل الثورة  
الجزائرية بالسلاح وبالرجال الذين تدرّبوا في معسكرات ليبيا ومصر  
قبل التحاقهم بالجزائر .  
وهكذا نلاحظ ان المفاوضات لم تسوقضية الحكم العسكري في الجنوب  
نهائيا اذ بقيت المنطقة الشرقية خاصة لمراقبة السلط الفرنسية  
وهذا من شأنه ان يبرز اندفاع هو لاء السكان الى احضان الحركة اليوسفية  
ما دامت تطالب بتحرير البلاد من نير الاستعمار .  
- أسباب أتنيية : بن يوسف بن الجنوب .

قد يتبادر للذهن ان من الاسباب الدافعة لاحتضان اليوسفية من قبل القسم  
الأكبر من سكان الجنوب يعود الى مبدأ " الاقرب بون أولي بالمعروف "  
وناصر اخاك ظالما او مظلوما " حسب الموروث الثقافي للنظام القبلي  
يقول ابن خلدون " ان صلة الرحم طبيعي في البشر الا في الاقل ومن  
صلتها النعرة على ذوي القرى واهل الارحام ان ينالهم ضيم ، وتصيبهم

1) مصدر سابق : (1) Perillier(L): La Conquête... Op, Cit P: 250.

2) Boyer de la Tour: Verités... Op, Cit, P: 113. (2) مصدر سابق :

هلاكة ، فان القريب يجد في نفسه غضاظة من ظلم قريبه أو  
العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصل من المعاطب  
والمهالك (1) .

وهكذا نلاحظ ان منذ صدور قرار " رفت بن يوسف من عضوية  
الحزب الدستوري الجديد وتجريده من الامانة العامة عبر الكثيرون  
من سكان الجنوب عن استنكارهم لهذا الاجراء الذي وصفه بعض المقاومين  
القذامي بقرار جائر " (2) وقد تكلف عدد منهم ، رغم الخصاصة  
مشقة وتكلفة التحول الى تونس العاصمة للتعبير لابن يوسف عن  
مساندتهم في حين بعث البعض الآخر برسائل وبرقيات احتجاج صدرت  
مثلا عن شعبة أجيم - سكان دقاش - سكان الحامة - سكان واد الزبيب  
(جربة) و سكان بني خداش (3) .

فظهرت لنا هذه السلوكات كردود فعل عاطفية اكثر منها ردود فعل عقلانية  
وانطلاقا من هذا الاعتقاد ركز بورقيبة خطبه في الجنوب على نهذ  
القبلية والجهوية والاقليمية قائلا : " فحن ، لا قبيلية فينا ، ولا ننزع  
نزع جاهلية ، وعملنا لوجه الله لا فرق عند بين من هو اصيل جربة  
او اصيل الشمال ، ولا بين من ينتمي الى جربه ومن ينتمي الى الساحل أو  
بشرت او الجريد ، كلنا في خدمة وطن واحد ... " (4)

ولكن من الملاحظ أنه ليس بمكان الجنوب هم وحيد الذين استنكروا  
قرار طرد بن يوسف او اعتنقوا وجهة نظره فبالعاصمة مثلا اليوسفيون  
كانوا اكثر حركية من يوسف في الجنوب الى درجة انهم حالوا دون نشاط  
بورقيبة وتحركاته (5) ومن هنا نذهب الى ان هذا العامل الاتسفي موجود

(1) مصدر سابق : ابن خلدون : المقدمة ... ص 128 .

(2) الزهرة : 18 اكتوبر 1955 .

(3) نفس الصحيفة ونفس التاريخ .

(4) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة "خطب" ج 1 ص 213 (خطاب قابس) .

(5) مصدر سابق : ( )

نسبياً حسب ما بينه الاستبيان لا سيما لدى الأميين إلا أنه ليس  
بالعامل الأساسي .

تجاوب سكان الجنوب مع مبدإ " مواصلة الكفاح من أجل تحقيق الاستقلال التام .  
في 1954 استجاب مقاوموا الجنوب لعملية تجريد الثوار من السلاح ما  
بدا الظاهر الأسود وجماعته وذلك اعتقاداً منهم في أن الثورة قد حققت  
أهدافها بالحصول على الاستقلال الداخلي كمرحلة حتمية في طريق الاستقلال  
التام، الذي سيتحقق عن طريق التفاوض وليس عبر فوهة البندقية .  
واستكان " الكفاح المسلح " في تونس في الوقت الذي اندلعت فيه  
الثورة الجزائرية ، فحركت في نفوس التونسيين روح التضامن والتآزر  
وخاصة وقد أصبح التراب التونسي ملجأً للثوار الجزائريين أمام هجمات  
الاستعمار الشرسة .

اذن ليس من الغريب أن يجد نداءً بن يوسف لمواصلة الكفاح له صدى .  
ولكن يبدو لنا بن يوسف وهو يدعور رجال الجنوب إلى الكفاح المسلح  
وكانه قد خرج من ~~توجهه~~ " الإصلاحية " وتبني توجهها ثورياً لم نعهده  
في الحركة الوطنية عبر تاريخها فهي حركة دأبت على الطرق السلمية  
والشرعية لاقتناع السلط الفرنسية بتقديم بعض التنازلات والقيام ببعض الإصلاحات  
وأن تلجئ إلى أعمال " الشغب " في بعض الأحيان فذلك كأداة للضغط فحسب  
والأسلوب المعتمد هو " التعقل والحكمة وعدم الارتماء في التهلكة " يقول بورقيبة  
في خطاب قابس ( 11 ديسمبر 1955 ) : " وبسلوك هذه السياسة الحكيمة ،  
جلب فرنسا إلى ارتكاب أخف الضررين ، فتجنح إلى سبيل الرشده ، إلى طريق  
المفاوضة والأخوة والمساواة فلا غالب ولا مغلوب ( 1 ) .

وهذا التوجه تفرضه النظرة الواقعية للظرفية التاريخية فتونس البلد  
الصغير لا قدرة لها على مواجهة عسكرية ضد فرنسا العظمى " ومن هنا

( 1 ) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة : " خطب " ج 1 ص 210 .

تصبح " الثورة " واعتماد الكفاح المسلح في محاربة دولة قوية .  
مدججة بالسلاح . " عملية انتحارية يائسة " وهي لا تؤدى الا لزيادة  
احكام السيطرة الاستعمارية على البلاد والتمديد في عمر الاستعمار " .  
اما بن يوسف الذي كان الى حد مطلع سنة 1955 لا يخرج عن هذه  
النظرة " الاصلاحية " ولا عن هذه الطريقة السلمية قد ظهر بثوب جديد  
مبنيا نظرة ثورية جديدة تعتمد على استراتيجية قائمة على الكفاح  
المسلح في مواجهة المستعمر ضمن وحدة المقاومة بين اقطار المغرب الثلاث  
ولعل هذا الاسلوب يعيد الى اذهاننا تجربة " هوشي منه " في الهند  
الصينية او تدفعنا الى ان نقارب في ملفات مؤتمرات الاممية الثالث ( 1921 )  
الداعي الى قيام جبهة واسعة ومفتوحة في وجه جميع القوى المناهضة  
للإمبريالية على الصعيد القومي والدولي ( 1 ) .  
لعل انقلب بن يوسف بين عشية وضحاها الى شيوعي بعد ما قضى  
حياته في عداة الشيوعية ؟

لقد جاء في تقرير صالح بن يوسف بتاريخ 14/2/1954 " اما مجموعة  
الدول العربية والآسيوية وفي مقدمتها الهند واخيرا مصر فهي الآن  
اخذت تتجه نحو الحياد والابتعاد عن كل تعاون مع الغرب ما دام الغرب  
( ان فرنسا وانكلترا ) معرضا على التسليم بحقوق الشعوب العربية  
كاملة غير منقوصة بما فيها المغرب العربي وقد اصبحت بذلك قضيتنا  
جزءا من كل ، الأمر الذي يجعلنا نستفيد في المستقبل القريب من ضغط  
مصر على الغرب وتعليق تعاونها معه على شرط الاعتراف بحقوقنا والتسليم بها وهذا  
الموقف من مصر اصبحت يؤثر على امريكا تأثيرا كبيرا ... وامريكا قد استولى عليها زعر  
كبير لأن سياستها وهي سياسة تطويق روسيا بسائل استراتيجية  
( 1 ) محي الدين الحضري : الحركة الوطنية التونسية في تاريخ العلاقات الدولية ( 1920 - 1954 )  
بحوث الندوة الثانية لتاريخ الحركة الوطنية 27 و 28 و 29 ماي 83 : مصادر تاريخ الحركة الوطنية التونسية  
بناهاجه ( 1920 - 1954 ) منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية تونس 9 يتبع عدد ( 1 )  
ص 287/ .

الاطراف ، أصبحت فاقدة لأهم حلقاتها وهي حلقات الشرق الاوسط (1) " من هنا ندرك ان صالح بن يوسف قد راهن " على القوى الصاعدة المناهضة للاستعمار " دون مناهضة امريكا من اجل دفع القضية التونسية الى حلها النهائي وهو الاستقلال ، وقد ترأى له ان اسطورة فرنسا العظمى قد " سقطت في معركة " ديان بيان فو " التي اجبرت فرنسا على ابرام اتفاقيات جنيف 1955 ، يقول صالح بن يوسف في اجتماع لجمعية التجار بمقر الامانة العامة بتونس ريووم 13 جانفي 1956 :

" في الوقت الذي ادرك فيه كل امرء نبيه ان فرنسا تنزلق على حافة الانهيار ، شرى رجلا ( والمقصود هنا بورقيبة ) له ماض وطني مشع ما زال متشبثا بعظمة فرنسا بينما يعترف الفرنسيون انفسهم بانهم يشرفون على الانهيار " (2) اما فريد بورقيبة ( صحفي ) فينعت فرنسا بالرجل المريض (3) .

لقد دعا فعلا الى مواصلة الكفاح المسلح ولكن دون ان يخرج عن خاصيات الحزب الدستوري الجديد وهي معادلة الشيوعية والعنف الثوري " ، الكفاح بالنسبة له يبقى اداة ضغط والتحالف مع القوى الثورية يبقى اداة مناورة و دفع لفرنسا حتى ترضخ للامر الواقع وهو الانسحاب من مستعمراتها شمال افريقيا . فجاء خطاب بن يوسف في ثوب جديد بلف جوهر متأصلا ( مهادي الحزب ) .

واستجاب القسم الاكبر من سكان الجنوب الى نداء مواصلة الكفاح ، فهؤلاء قد اضعفهم التواجد العسكري الفرنسي و غاضهم عمل الاستعمار على تكسير شوكتهم وتمهيشهم اقتصاديا واجتماعيا فكانوا متعطشين الى

الكفاح المسلح بعد ما ذاقوا متعة المشاركة في الحركة الوطنية من خلال

(1) مصدر سابق : P 14-15 (Partie Arabe) Correspondance (Bahi Ladgham) 1  
(2) الصباح : 14 جانفي 1956 .  
(3) الزهرة : في ديسمبر 1955 .

الثورة الاولى (1952-1954) فهذا الاسلوب هو طريقهم للتعبير،  
وسيلتهم لتصدر ساحة الاحداث، فتكتب عنهم الصحف وتنقل اخبارهم  
الاذاعات فيستعيدون اهميتهم ويكون لهم نصيب في النظام الجديد .  
فهل كل سكان الجنوب يوفيون ويرغبون في مواصلة الكفاح .  
لقد تبين لنا من خلال الاستجابات والاستبيانات ان هناك نسبة ولو  
ضعيفة بالمقارنة مع مجموع سكان الجنوب كانت في صف البورقيبية  
ارتحاشت على الاقل الارتقاء في احضان اليوسفية ويمكن ان نأخذ مثالا  
نابس المدينة ، فهذه المدينة بدت من خلال اجتماع بن يوسف نافرة  
من اتباعه والتجاوب مع مبادئه رغم ان محيطها الريفي المجاور لها  
ند غرق في اليوسفية : كالمندو - تبلبو - الحامة - العمارات - العكاريت  
فما هو السبب ؟ فهل مل سكان المدينة حالة الاضطراب وعمليات  
تفتيش البوليس والجنדרمة لهم فرحبوا بالنظام الجديد الذي افرزته  
اتفاقيات 3 جوان 1955 مثلما فعلت ارسطقراطيتها ابان دخول الاستعمار؟  
هل هذا الموقف املاه وضع المدينة كقاعدة عسكرية استخدمتها فرنسا  
لمراقبة الجيوب التونسية طيلة فترة حضورها ؟ فهل احتكاك سكان  
المدينة بالاجانب ( يهود - فرنسيون و مالطيون ) خلال 75 سنة في  
ظل الاستعمار الفرنسي جعل المدينة تبتعد عن جذورها الريفية  
وتبهر بالحضارة الغربية فتنسى انقساميتها ( جارة / المنزل )  
وتصبح اكثر ميلا الى الطرق السلمية مع النفور من استعمال العنف  
كاسلوب للتعامل ؟ وموقفها من بن يوسف هل كان ناتجا عن عدم  
معرفة بها به شخصا لانه لم يكن يتردد عليها مثلما كان يفعل الحبيب  
بورقيبة ( 1950 - 1951 ) ؟

وعلى كل فقد احدث مقر الامانة العامة في جبارة مثلما انبعثت عدة  
خلايا لليوسفية في انحاء عديدة من الجنوب وقد كانت هذه الخلايا

منضوية تحت جامعات مثل جامعة الاعراض ، جامعة الجنوب الشرقي .  
وقد باشرت نشاطها لتأطير اتباع اليوسفية ولاعداد مؤتمرات الامانة  
العامة المقرر يوم 18 جانفي 1956 ولكن السلط المحلية والديوان السياسي  
ما كان ليترك هؤلاء ينشطون فكان اقتحام هذه المقرات ومنع الاجتماعات  
بها مثلما وقع في قابس يوم 9 جانفي 1956 عند ما دعت جامعة  
الاعراض التي عقد اجتماع بهذا المقر قصد تأسيس مكتب تنفيذي للجامعة  
الا ان قوات الصبائية والمقاومين القدامى ( لجان الرعية ) حاصروا  
المكان وحالوا دون عقد الاجتماع الذي تأجل الى المساء (1) .  
اما في جرجيس فقد انطلقت مصادمات يوم 12 جانفي 1956 بين  
البورقيبيين واليوسفيين بمناسبة اجتماع الخلية اليوسفية بهذه الجهة  
واسفر الحادث عن جرح يوسفي بجروح بليغة (2) .

الجنوب التونسي والثورة الثانية :

### \* التطوع للكفاح المسلح :

في غياب التوصل الى حل الخلاف بين الزعيمين : المجاهد الاكبر  
الخبيب بورقيبة والزعيم الكبير صالح بن يوسف التجا الطرفان الى تحكيم  
الشعب ، لكن الشعب في معظمه كان اميا يدين بقداسة الزعيم " ،  
لجأت احكامه متباينة تباين اتجاه الزعماء مما أدى الى اتساع رقعة  
الخلاف الى حد الانقسامية ( يوسفية / بورقيبية ) ونظرا لان كل طرف  
لا يريد ان يسمع الا نفسه ، سعى الى فرض وجهة نظره مستعملا في  
البدائية قوة المنطق والحجة لاقتناع سامعيه عبر الخطب والاجتماعات  
والندوات والصحفية والتصريحات ...

لكن هذا الاسلوب لم يحسم الخلاف ، فكان اللجوء الى منطق القوة ،

(1) الصباح : 10 جانفي 1956 .

(2) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( S.506/Carton 2H 313(Fiche de Ren- seignement) ) .

فكون كل طرف من انصاره قوة عسكرية لاجبار الطرف المقابل على التراجع ، لعله يحسم بمنطق القوة ما لم يحسم بقوة المنطق .  
لذلك اصبح المقاومون القدامى الامل المنشود في ترجيح احدي الكفتين فتسابق الخصمان لكسب تأييدهم ، لكنهم بدورهم ليست لهم رؤية واحدة ولا برنامج موحد فانقسموا الى مؤيد ومعارض :  
فالتحق بالبورقيبية من كان يعتقد انه لم يعد في استطاعة البلاد مواصلة الكفاح مثلا الساسي الاسود ولزهر الشرائطي ومصباح الجريوع اما من كان يعتقد عكس ذلك فقد التحق باليو سفوية ، يرد الطاهر الاسود على الرأي القائل ان المجاهدين فقدوا الامكانيات لمواصلة الكفاح مؤكدا " بان هذا محض افتراء حيث اننا كنا نقاوم الاستعمار ونحن اقلية والاستعمار يقاومنا وحدثنا في شمال افريقيا واما بعد فقد تعززت صفوفنا واصبح لفرنسا مقاومون بالجزائر والمغرب ( 1 ) .

وهكذا تشكل المقاومون القدامى نواة " لجان الرعاية " من جهة ونواة الفلاحة الجدد من ناحية اخرى ، وانطلقت كل تشكيلة في تنفيذ مهامها وان كانت مهمة لجان الرعاية مطاردة رفاق الامس ومعارض اليوم فان مهام الفلاحة الجدد كانت اشق بحيث طرحوا على انفسهم مهمة تحرير البلاد ومواجهة الحركة المضادة .  
لقد تطوع ابناء الجنوب للمشاركة الفاعلة في النزاع اليوسفي البورقيبي بالمظاهرات والاجتماعات ثم ضمن التشكيلات المسلحة وبالتالي اصبح ابناء الجهة الواحدة يلعبون دور الصياد والطريدة " في الان نفسه فمثلا تحول الطاهر الاسود والساسي الاسود الى غريمين رغم انهما ينتميان الى نفس البلدة ( الحامة ) .

\* هل اتبعت الثورة الثانية خطوات الثورة الاولى :

١- من حيث التنظيم :

بمناصرها :

لقد ضمت الثورة الثانية عناصر من الثورة الاولى ( 1952-1954 ) الذين خاب ظنهم في الحكومة التونسية التي افرزها نظام الاتفاقيات فلم تتحسن اوضاعهم المادية والاجتماعية (1) فقد ضالوا هوءاء في مظاهراتهم امام قصر الباي او امام قصر الحكومة بتحسين اوضاعهم عبر منح شهرية وتوفير الشغل وتمكينهم من الوظائف بالنسبة لمن كان منهم يحسن الكتابة والقراءة او ادماجهم ضمن سلك قوات الامن (2) .

كما ضمت الثورة الثانية عناصر جديدة تشكلت اساسا من قبائل التراب العسكري ولم تشارك في الثورة الاولى مثل ورغمة والمرازيق اذ كانوا يعملون ضمن القوات الفرنسية " كقومية " وصباحية (3) وبمقتضى اتفاقيات 3 جوان 1955 تخلت عنهم السلط الفرنسية فتحولوا الى عاطلين عن العمل لم تستطع " حضاير الشغل " استيعابهم فتحولوا الى فائض استطاعت الدعاية اليوسفية استقطابه .

والى جانب هوءاء المدربين على العمل العسكري انضمت الى الثورة الثانية مجموعة من الشباب ايقظت فيهم الدعاية اليوسفية مشاعر الانتماء الى العروبة والاسلام والتضامن مع الاخوة الجزائريين في حربهم التحريرية التي لا تخرج عن تحرير المغرب العربي ككل ، وبما ان هوءاء الشباب لا يحسنون استعمال السلاح ، استوجب تحويلهم الى الشرق

(1) الصباح : 12 جانفي 1956 .  
(2) الصباح : 22 اكتوبر ، الصباح 29 نوفمبر 1955 .  
(3) استجواب الطاهر الاسود .

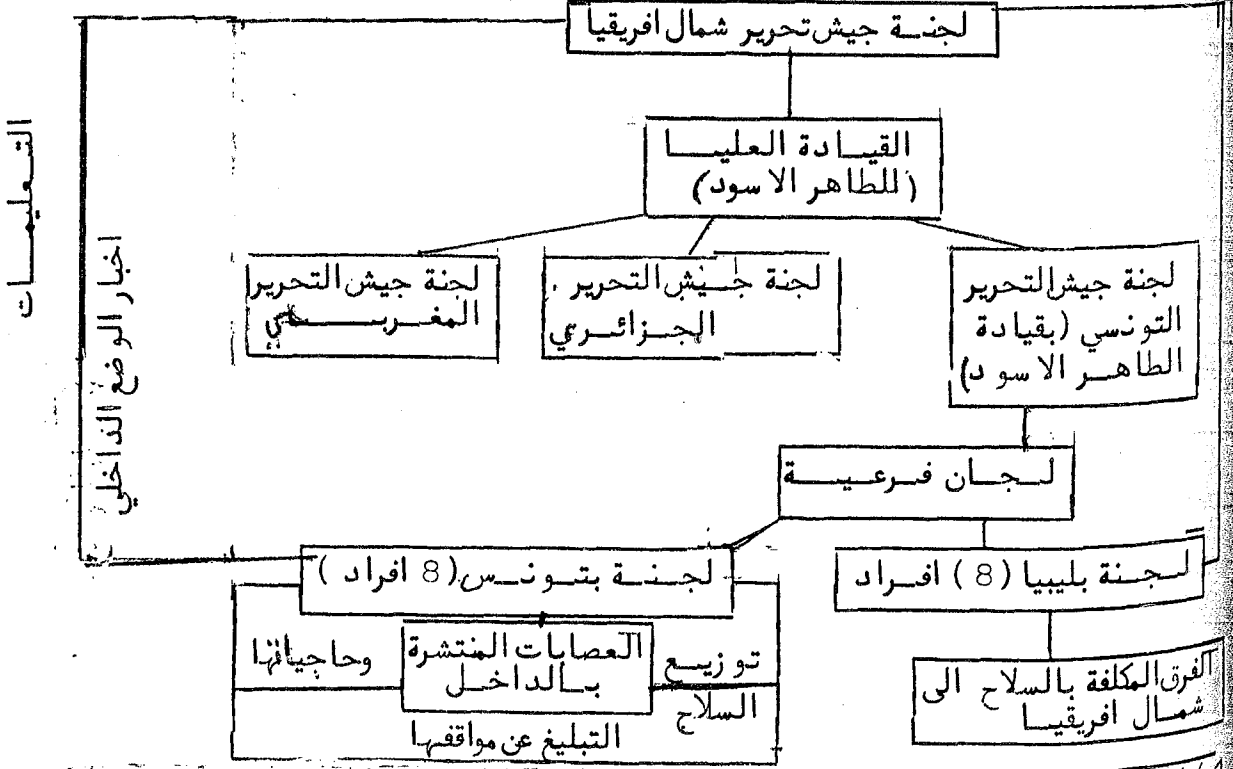
للتدريب في معسكرات جيش التحرير لشمال افريقيا .

### تمويلها :

فان اعتمدت الثورة الاولى على قدرات البلاد الذاتية فكان تمويلها بالسلاح والمؤونة من قبل التونسيين سواء كان تطوعا او خوفا ، فان الثورة الثانية اعتمدت كليا على الشرق فيما يتعلق بتمويلها بالسلاح والاموال والكمندوس (1) وقليل ما كان الفلاحة الجدد " يحتاجون في تمويلهم بالمؤونة واللها سر لمساعدة التونسيين بالداخل ، فبالمال يمكن اشتراء حاجياتهم .

### تنظيمها العسكري :

يتوزع تنظيمها العسكري على هياكل بالداخل واخرى بالخارج فالقيادة العليا بالخارج ، اما مجموعات " الفلاحة الجدد " او عصابات جيش التحرير فهي منتشرة في الداخل دون ان تخضع لحدود قائمة بين اقطار شمال افريقيا وقد مدنا المرحوم الطاهر الاسود بصورة عامة عن هذا التنظيم فرسمناه على هذا الشكل :



(1) استجواب الظاهر الاسود

وهكذا نلاحظ ان قيادة العصابات المباشرة للعمل العسكري بالداخل تتلقى التعليمات والاوامر من القيادة بالخارج في حين كان كل قائد أثناء الثورة الاولى يتخذ القرار الملائم له ولمجموعة حسب الوضع والظروف التي هو فيها طبقا لميزان القوى . ومع ذلك فقد اخذت الثورة الثانية عكس الاولى وتتنظيم الفرق في شكل مجموعات متوسطة العدد ( عصابات ) تمركزت في الجبال والاحراش لكن في علاقة مع اللجنة الفرعية بتونس لتلقي التعليمات والتزود بالمال والسلاح . كما ورثت عنها اسلوب حرب العصابات وان لا يمكن لنا تحديد هذه العصابات فان عدد افرادها يتراوح بين 600 (1) شخص و 1000 (2) دون احتساب افراد تهريب السلاح الذين عادة ما يكونون في زبي التجار مضاهات او الرعاية تمويتها على القوات الفرنسية ، وهذه العصابات يشترك ضمنها الجزائريون والتونسيون والمغاربة دون الفصل بينهم ويقدر الطاهر الاسود عددهم بثلاثة آلاف شخص (3) .

### تهريب السلاح :

تكلف مصر بتوفير السلاح الذي يقع شحنه من ميناء الاسكندرية نحو السواحل الليبية حيث يقع تسليمه من قبل القيادة العليا لجيش تحرير شمال افريقيا ثم يقع توزيعه في اقرب وقت على فرق مكلفة بايصاله الى التراب التونسي بمساعدة السلط الليبية وعند الوصول الى الحدود الليبية التونسية تسلك كل فرقة طريقا غير طريق الاولى فهذه الفرق تعرف المنطقة جيدا وتعرف طرقها ومسالكها وبذلك تدخل التراب التونسي في شكل مجموعات متفرقة وكان الطاهر الاسود يشرف على

1) Le Petit Matin: 29 Janvier 1955.

(1) :

(2) تقديرات الطاهر الاسود .

(3) استجواب الطاهر الاسود .

ايصالها للتراب التونسي بنفسه حيث يمكن لبعض الوقت في المناطق  
الحدودية بين تونس وليبيا (المخيفين أو جبل الابيض) يسلم خلالها  
الاسلحة والذخيرة التي تحمل على ظهر الجمال لا تفوق الثلاثة في  
اقصى الحالات تكون تحت اشراف مجموعة من " الفلاقة " لا تقل عن عشرة  
انفار ، يقطعون الطريق (1) حسب توجيهات مرشدين تونسيين  
وتمتد الطريق من برج مشيقيق فجنوب رمادة في اتجاه الظاهر  
فبالشيمة ثم الحامة التي اصبحت مركزا هاما لتجميع الاسلحة بحيث  
تلتقي فيها خطوط قوافل تهريب السلاح القادمة من ليبيا ، وهي ايضا  
نقطة توزيع الاسلحة (2) ومن ضمن المكلفين بهذه المهمة ( حسب التقرير  
السري للقوات الفرنسية بالجنوب (3) :

- المبروك بن العروسي وهو ابن عم الظاهر الاسود ( الحامة ) .

- العروسي بن بوبكر من الحزم رأس الوادي ( قابس ) .

- عمر بن عمار من الحزم رأس الوادي ( قابس ) .

- حسين بن الجيلاني ( الحامة ) .

- جيلاني بن سويدان ( الحامة ) .

- القناوي بوجمه ( الحامة ) .

- علي كرشاد ( الحامة ) .

- بلقاسن بن المبروك ( قبلي ) .

- علي بن لخضر الصوفي ( المضيلة وهو اصيل لسوف ) .

- احمد بن عمار ( المضيلة ) .

- محمد بن علي بن بوبكر ( الجليدات ، تطاوين ) .

هؤلاء في صلة مباشرة بالظاهر الاسود {

- الجليلي بشير بن حاج لخضر .

- عمر بن الحاج عمار ( من بنقردان ) .

(1) انظر الخريطة في الملحق (رقم 1)

(2) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية (Renseignement) H 313 (Note de S.506/2 le 16 Juin 1956/B1).

(3) نفس المصدر .

وبعد ما يتزود جيش التحرير التونسي بما يحتاج من اسلحة ، تاخذ الاسلحة المرصودة لجيش التحرير الجزائري طريقها من الحامة فسكرة ومنها الى الشارب فحديفة فالسند ومن قفصة تتحول القافلة من حماية المرشدين التونسيين الى وصاية المرشدين الجزائريين لتقطع جنوب تمغزة في اتجاه التراب الجزائري حيث توضع الاسلحة في المغاور (1) في انتظار توزيعها على " الفلاقة " .

ومن هنا نلاحظ تحالف اليوسفية مع الثورة الجزائرية قد نسف اهداف فرنسا من وراء اتفاقيات 3 جوان 1955 الرامية الى تهدئة الوضع بتونس ومنع التحام المقاومة التونسية بالمقاومة الجزائرية حتى يسهل عليها الامر لملاحقة الثورة في الجزائر . فهذا التحالف ادى الى اتساع حركة قوافل تهريب السلاح وتغذية الثورة في كامل المنطقة .

فهل فرنسا قادرة على مواجهة الحرب الشاملة ؟

---

1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Commandement Supérieur des Troupes de Tunisie Division Sud Etat Major 2 Bureau) N° 752/2/D.S/S .

تحالف القوى لضرب الخط اليوسفي داخل الحزب الدستوري الجديد ومن ورائه المعارضة :

شكلت اليوسفية جناحيها : السياسي والعسكري خطرا حقيقيا على كل من الديوان السياسي والحكومة التونسية والحضور الفرنسي بشمال افريقيا ، فماذا كان يخشى كل طرف من هذه القوى ؟

(1) بالنسبة للديوان السياسي : كان زعيم " الديوان السياسي " في الحزب الدستوري التونسي لان ذلك قد يجعله يخسر قواعده التي كسبها داخل الحكومة الفرنسية ولدى الرأي العام الفرنسي التي منحته ثقتها في السهر على تطبيق الاتفاقيات واذا طعن الحزب او الشعب في هذه الاتفاقيات مثلما يريد صالح بن يوسف فلن يقف هو لاء الفرنسيون الى جانبه في نضاله من اجل تحقيق الهدف الاسمي " الاستقلال التام " الذي يراه لا يكون ولن يكون الا بموافقة فرنسا وفي كنف " التكافل " وبطريقة سلمية فهو كثيرا ما يردد اننا بامكاننا ان نحقق مراحل اخرى دون اراقة دماء وبالاتفاق مع فرنسا (1) وهذا المبدأ يتناقض مع ما يدعوا اليه بن يوسف من مواصلة الكفاح لتحقيق الاستقلال التام عبر منبر هيئة الامم المتحدة .

(2) الحكومة التونسية : لقد تشكلت هذه الحكومة على النحو الذي ضبطته اتفاقيات 3 جوان 1955 ومن اجل تنفيذ هذه الاتفاقيات فهي تخشى على نفسها ان تسقط بسقوط هذه الاتفاقيات ولا سيما وان اليوسفية تضغط على الرأي العام الداخلي وعلى الباي قصد ازاحتها من السلطة ، فمن الطبيعي ان ترى في اليوسفية خطرا يهدد وجودها وامنها واستقرارها .

(1) العمل 1 ديسمبر ( خطاب بورقيبة في منزل تيم 30/11/1955 ) .

(3) بالنسبة لفرنسا:

بعد انسحابها من الهند الصينية اثر هزيمة " ديان بيان فو " اصبحت فرنسا متشبثة بتواجدها بمنطقة شمال افريقيا نظرا للاهمية التي اكتسبتها هذه " المستعمرة " بفضل الحرب العالمية الثانية ونشوب الحرب الباردة مما زاد في اهميتها الاستراتيجية بحكم موقعها على المتوسط وكممزة وصل بين اوروبا والشرق الاوسط وبين اوروبا والقارة الافريقية بالاضافة الى اهميتها الاقتصادية بعد ما تدفق النفط والغاز الطبيعي في صحرائها منذ 1952 . ( 1 ) وهذا ما يفسر سياستها المتأرجحة بين " اللين " بالنسبة لتونس والمغرب والتصلب بالنسبة للجزائر في نطاق هدف واحد هو عدم خروج هذه المنطقة نهائيا من يدها فهي لم تقبل بتقديم تنازلات لفائدة القضية التونسية والقضية المغربية الا تحت ضغط الثورة الجزائرية التي رفعت شعار " الكفاح المسلح لنيل الاستقلال " ولم ترض بالحلول الوسطى مثل جارتها فكان لا بد من عزلها حتى تتمكن فرنسا من الانفراد بها ، لكن اندلاع الثورة من جديد في تونس من شأنه ان يفك عليها الحصار ويشقت مجهودات فرنسا العسكرية وهذا يحتم عليها ان تزيد في جيوشها في المنطقة مما يجعل مساهمتها العسكرية في الحلف الاطلسي ضعيفة ، وهذا يضعف جيوش الحلف الاطلسي امام الشيوعية وحلف فارسوفيا ( 14 مارس 1955 ) ويرسك موقف فرنسا امام حليفاتها . فما هو العمل اذن ؟

1) Nouchi (A):

De la dependance a l'indpendance? la France, le Petroleet les Algeriens, de 1956, a 1965; Les Cahiers de Tunisie, TXXIX, N°11/118, 3<sup>em</sup> et 4<sup>em</sup> Trimestre 1981, F.L.S;H, Tunis, P P: 345-366.

2) Raymond Aron: Paix et Guerre... P: 56.

(2) : مصدر سابق :

لقد تحالفت هذه القوى لمواجهة العدو المشترك : الحركة اليوسفية فكان تكثيف الجهودات وتنوع الوسائل ضمن سياسة " التغييب والترهيب " .  
( ٤ ) - وسائل الترهيب :

لقد عمل الديوان السياسي والحكومة التونسية على افرار الحركة اليوسفية من قواعدها عبر وسائل الاغراء والضغط بحيث تمكن بعض الفلاحة القداى من رخص " بيع التبغ " ( جمر ) و رخص للتجارة واخرى للتاكسي او سيارات اجرة فقد جاء على لسان احمد بن صالح في اجتماع 8 جويلية 1956 انه قد تم توزيع 50 رخصة تاكسي على بعض عناصر من الفلاحة القداى (1) كما تم توزيع مساحات من الاراضي عليهم ، وقد قدرت صحيفة الصباح عدد المنتفعين بألفي شخص كما تذكر ايضا بأنه تم توزيع 65 قطعة بسيدي بوزيد باثمان رمزية (2) ولا يخلو الامر من خلفيات سياسية فقد صرح وزير الداخلية المنجي سليم بمناسبة توزيع بعض الاراضي على قبيلة الهمامة يوم 21 جانفي 1956 : " فليسر بالسهولة التي ولا بالتصفيق " تثبت بان هذه الخطوة التي الامام وانما بالانجازات التي تلمسونها انتم بأنفسكم ، هنا : وهناك ، في كافة انحاء المملكة " (3) . ومن ناحية اخرى وعدت الحكومة التونسية بوضع قانون اساسي للمال والفلاحين (4) كما عملت على ادماج بعض " المخازنية " داخل قواتها ، ولا سيما ان هؤلاء يعرفون جيدا طرق ومخابر " الفلاحة الجدد " ومسالك قوافل تهريب السلاح ...

والتي جانب وسائل الاغراء عمد الديوان السياسي والحكومة الى وسائل الضغط فكان حرمان الفلاحين غير التا بعين للديوان السياسي من

(1) الاسبوع : 9 جانفي 1956

(2) الصباح : 20 جانفي 1956

(3) العمل : 22 جانفي 1956

(4) العمل : 20 جانفي 1956

القروض ومن مياه الري (1) بالإضافة الى منع غير المنتمين للديوان السياسي من العمل في الحضائر (2) ، كما حرم الديوان السياسي اعطاء الدروس الليلية الا للدستوريين من انصاره (3) .

اما الحكومة فقد عمدت الى عزل العناصر غير المرغوب فيها من خططها داخل الادارة التونسية مثلما حدث لشيخ منزل تميم (4) مع الحد من مشاركتها في الحياة العامة طبقا للقانون الانتخابي لسنة (جانفي) 1956 الى جانب هذه الاجراءات فقد ابقيت على قانون 8 ديسمبر 1956 رغم رفع حالة الحصار منذ سبتمبر 1955 فضعفت عقد مؤتمرا لامانة العامة المقرر ليوم 18 جانفي 1956 ، كما عمل المندوب السامي الفرنسي من جهته على تحريض ممثلي السفارات والقناصل لدى البلدان الافريقية والاسيائية ( مجموعة بانندونج ) على التدخل للحيلولة دون ارسال هذه البلدان مبعوثين لها لحضور المؤتمر (5) .

وهذا ما جعلنا نلمس مخوف الحكومة التونسية والسلط الفرنسية بتونس من عقد هذا المؤتمر في ظروف تميزت بتصاعد موجة العنف بالبلاد وكشفت عمليات جيش التحريز الجزائري في الداخل والخارج وفي الوقت الذي منفتحت فيه فرنسا المغرب ما لم تضحه لتونس (الاستقلال) فمن وراء هذا المؤتمر كانت الامانة العامة تهدف الى اثبات رفض الشعب التونسي للاتفاقيات وسط الطريق المؤدية لتحقيق الهدف المقدس مع درس الخطوط العريضة التي على اساسها تكون المفاوضات التونسية الفرنسية الجديدة .

1) V 2152, Bobine: S 387, D1 (Physionomie) : المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : (Al Balagh Al Jadid du 28 Jan 1956) de la Presse Arabe et Tunisienne, P: 206.

(2) نفس المصدر ونفس الصفحة .  
(3) الاكبر: 24 جانفي 1956 .  
(4) البلاغ: الجديد: 28 جانفي 1956 .  
(5) الاسبوع: 9 جانفي 1956 .

على قاعدة الاستقلال التام للبلاد التونسية (1) .

فهذه الاهداف ستجعل من صالح بن يوسف " بطل المرحلة " وأمل الجماهير في التحرير الوصني (2) وربما هذا ما يفسر قرار منع عقد هذا المؤتمر .

(ب) - وسائل الترهيب :

اجتمعت الامكانيات العسكرية المتوفرة لدى كل طرف من القوى المتحالفة سواء التابعة للديوان السياسي ( لجان الرعية ) او الحكومة التونسية ( الشرطة وبعض من قوات الامن ) او السلط الفرنسية ( قوات الامن والجيش ) في بداية سنة 1956 كانت تحت تصرف الحكومة التونسية شرطة المدن و 40 رجل " درك " ومجموعة امنية متحركة و 5 فصائل مخزن تعدد 300 رجل و 350 صبائحي من الوجود و 250 فارسا في الجنوب وبفضل امر صادر في 1 مارس 1956 سمح للحكومة بانتداب 1000 عون " وعلى اساس عرضي وقابل للنقض " لمساعدة الوجود في مهمتهم (4) .

اما القوات الفرنسية فتفوق 70 الف رجل في صائفة 1954 بعد التعزيزات التي تحققت في عهد المقيم العام بوايمي دي لا تور ويبدو ان فرنسا ابقّت على هذه القوات بالمواقع الاستراتيجية بقاعدة بنزرت وعلى طول الحدود التونسية الجزائرية والحدود التونسية الليبية بمقتضى اتفاقيات 3 جوان 1955 ، كما يبدو ان فرنسا قد بقيت الى مطلع سنة 1956 خارج دوامة العنف التي سادت البلاد منذ اواخر اكتوبر وبلغت اوجها في شهر ديسمبر 1955 حتى تضاعفت المصادمات والاعتداءات على الاشخاص والمنازل والمتاجر ومقرات هذا الشق او ذاك وقد حاولت ان تضع جدولاً من خلال المعلومات الاسلامية التابع للمندوبية العليا الفرنسية بتونس حول اهم ما يصدر عن الصحف العربية والتونسية لشهر ديسمبر 1955 .

(1) الزهرة : 24 جانفي 1956 (تصريحات محمد المرزوقي مندوب الامانة العامة بالمغرب) .

(2) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية (Phylonomie de) V2H152, Bobine, S387, D1 (a Presse Arabe et Tunisienne, Assabah du 12 Jan, 1956) pp:87 .

(3) الاستقلال : 3 فيفري 1956 .

(4) مصدر سابق : علي بن عامر : سيرة صالح بن يوسف " اطروحات العدد 18 و 1989 / ص 15 .

الاعْتداءات						الطرف المتضرر
على المقرات	على الممتلكات	بالعنف	التهديد بالقتل	محاولة الاغتيال		بالقتل
4	9	7	4	في الخارج	في الداخل	الامانة العامة
				1 طومال 1 شوشان	2 بن يوسف	
1	1	1	1		1 بورقية	الديوان السياسي

وهكذا نلاحظ ان الطرف الاكثر تضررا هو الامانة العامة التي ستفرد

بحملات الاعتقال في صفوفها .

ومنذ جانفي 56 وبعد انطلاق نشاط " الفلاقة الجدد " ادخلت السلط الفرنسية بصورة سافرة لمطاردات عصابات " الفلاقة " او عناصر جيش التحرير فسخرت القوات الامنية التي تحت سلطتها للبحث عن اليوسفيين ، كما استأنف الجيش الفرنسي عملياته ضد المقاومة المسلحة (1) .

ففي خلال الفترة الممتدة بين 27 جانفي و 2 فيفري 1956 فقد افلح سلاح الجو المنتصب في تونس 62 مرة اساسا في مهام حماية القوافل العسكرية أو في مهام استطلاعية (2) وقد تمكن الثوار من اسقاط واحدٍ منها في جهة

قفصة (3) .

ومنذ اواخر جانفي 1956 تكثفت الهجمات على مقرات الامانة العامة وفي صفوف انصارها الذين كانوا عرضة للاعتقالات وقد بلغ العدد الاجمالي للذين أُلقي عليهم القبض أو سجنوا 2372 شخصا حسب بلاغ صادر عن التضدوية

السامية الفرنسية في تونس بتاريخ 16 فيفري 1956 (4) كما تكثفت الهجمات

(1) مصدر سابق : علي بن عامر ( سيرة صالح بن يوسف ، اطروحات العدد 15 - 1989 / ص 14 .

(2) Le Petit Matin: 19 Fevrier 1956.

(3) الاكبر: 20 جانفي 1956

(4) Le Petit Matin: 17 Fev 1956

( ):

العسكرية على قواعد الفلاحة الجدد " في الجبال والاحراش حيث اشتهرت مجموعات منها بتحركاتها الخفيفة من جهة الى اخرى او حتى بسرعة نقلها من التراب التونسي الى التراب الجزائري ويمكن ان نذكر منها فرقة محمود بن حسونة اليزيدي بتالة وفرقة العربي العكرمي بجبل سيدي عيش ، مجموعة الطيب العربي الصوفي وتكون من مرازيق وكراشة ) وتحتل جبال المرانة والسدره ، مجموعة علي بن حاج صالح وتجمع بني زيد والعمارنة ) وتتحرك في جبال مطاطة بالاشتراك مع مجموعة علي بن سالم بن يحي التي تضم عناصر من قصر الحدادة ومن مارت ( 1 ) .

وكانت مطاردة هذه العصابات المباشرة للعمل العسكري الى جانب قوافل تهريب السلاح وقد سهلت عملية الهجوم والمطاردة عما كانت عليه ابان الثورة الاولى ( 52 - 1954 ) وذلك بفضل التجهيزات الاساسية التي قام بها بوايي دي لا تور فخصص لها مليارين " لفتح "معلب الطرقات والمسالك وأسراج المراقبة واقامة قواعد للطيران في عدة مناطق وعرة ، قصد تمكين الوحدات الفرنسية من التحرك السريع في جبال الوسط والجنوب ( 2 ) بالاضافة الى الخدمات والارشادات التي يقدمها المقاومون القدامى من اتباع الديوان السياسي والذين قد تمارسوا بهذه المواقع اثناء الثورة الاولى وهكذا اشتعلت المعارك من جديد بين القوات الفرنسية واتباعها من الديوان السياسي ، ومن جهة اخرى عصابات جيش التحرير التي تعزز جانبها بكهجات هامة من السلاح وقع تهريبها عبر الحدود الليبية رغم اشتداد الرقابة الفرنسية المدعومة بانصار البورقيبية ( 3 ) وقد تم تهريب دفعات السلاح خلال الفترة من 20 مارس الى 6 افريل 1956 على اربع دفعات وعددها : 330 بندقية و 75 رشاشا و 608 قنبلة يدوية و 520000 خرطوشة و 9 صناديق ديناميت و 50 مدسسا و 21 قنبلة ضد الدبابات ( 3 ) .

1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( Bultin de Renseignement ) V2H313, S:506  
N° 610/2/D.S/S.C/ Date le 19 Mai 1956.  
2) Boyer de la tour: Verités... OP, Cit, P: 94.  
3) مصدر سابق : مذكرات فتحي الذيب "مجلة مصر/ ص 5".  
4) نفس المصدر ونفس التاريخ ونفس الصفحة .

وانتشرت المعارك من زهية فتطاوين وبنقردان ومظاظة ومرتفعات  
قفصة وتالة ومكثروغيرها وسقط عديد الضحايا من الطرفين وقد  
احصى السيد علي بن عامر انطلاقا من صحيفة " لوسبي ماتان " :  
70 قتيلا في صفوف الفلاقة الجدد خلال شهري جانفي وفيفري 1956  
و 76 قتيلا في افريل و 200 على الاقل في شهر ماي و 50 في جوان 1956  
في منطقة مدينين ومطاطة فقط (1) .

ومن الملاحظ اشتراك السلاح الجوي الفرنسي مع القوات البرية في هذه  
المعارك والتي كان الثوار خلالها يربطون ارجلهم حتى لا يفرون من المعركة  
مهما كانت صعوبتها مثلما حدث في معركة تطاوين والتي دامت 5 ايام (2) .  
وفي الوقت الذي اشتبكت فيه عناصر المقاومة المسلحة مع القوات  
الفرنسية المتعاومة مع انصار " الاتفاقيات " كانت فرق من الصبائحية  
والقومية والبوليسر تابعة للسلط التونسية تقتحم منازل اليوسفيين وتروع  
اصحابها وتتلف المومن وقد جاء في احدي الشكاوي التي بعثت بها جمع  
من سكان غمراسن رفعها وفد منهم الى الباي ( ديسمبر 1955 ) : " ان شعبكم  
باصحاب الجلالة يجري عليه التفتيش في الطرقات العامة و داخل المنازل  
حيث تروع النساء والاطفال وتتلف السمتاع . وبالجملة فان حالة الجنوب  
الآن يا صاحب الجلالة تحاكي حالته فيما قبل 1875 ايام كانت الاقبائل  
يسطو بعضها على بعض غير ان الفرق بين الحالتين ان الحكومة في هذا  
الوقت تحمي احد الشقين على الآخر نتيجة تأييد مذهب سياسي ولأن  
بعض اعضائها هم من هذا الشق . وان هاته الحكومة التي اصبحت من العجز  
حيث لم تعد قادرة على مسك اعصابها لجديرة بالاقالة (3) .

كما عادت موجة العنف تتصيد العناصر اليوسفية فاغتيل الحاج علي بن خضر

(1) مصدر سابق : علي بن عامر ( سيرة صالح بن يوسف اطروحات عدد 15 ص 17 ) .

(2) استجواب الظاهر الاسود .

(3) ارشيف الوزارة الاولى : ( 400 P. ر D1 . D2 )

(4) الصباح : 22 جانفي 1956 .

رئيس جامعة اليوسفية بجامعة بني زيد وامين عام الاتحاد الجهوي للفلاحين في 21 جانفي 1956 كما تم اغتيال احمد بن جميل الغربي بائع صحيفة البلاغ الجديد ورئيس الشعبة اليوسفية بقلبية في 27 جانفي (1) .

وهكذا نلاحظ ان القوى المتحالفة (الديوان السياسي والحكومة التونسية والسلط الفرنسية بتونس) قد سعت لخلق المعارضة "بمطاردة" اليوسفية" التي وضعت في نفس الكيس مع الدستوريين القدامى والزيتونيين وحتى اللصوص غير ان هذه الممارسات يبدو انها قد عززت القوى الراضة للاتفاقيات كما غذت المقاومة المسلحة بالعناصر الغاضبة ولعل بورقيبة قد خشى ازدياد شعبية بن يوسف وقد يضعف هذا موقفه امام الحكومة الفرنسية ولا سيما امام انصاره الفرنسيين وبالتالي لن يكون في نظرهم ممثلا للشعب التونسي بل مجرد رئيس لحزب مشتت . ولهذا سارع منذ عودته من زيارة الجنوب التونسي او اخر ديسمبر 1955 الى المندوب السامي الفرنسي بتونس "رو جي سيدو" للتباحث حول مطالب بن يوسف (3)

كما انعقد مجلس وزاري لدراسة مسألة المعارضة بزعامة صالح بن يوسف (4) . ومنذ جانفي 1956 تبدل الخطاب الرسمي بوصف الاتفاقيات بكونها منقوصة حسب ما جاء في التقرير الادبي الذي قدمه الامين العام للحزب الباهي الادغم امام المجلس الملي المنعقد أيام 21 و 22 و 23 جانفي 1956 (5) وقد صدر عن هذا المجلس بيان يعلن أن الأوضاع السياسية لا تنفك تتطور بالبلاد التونسية والعالم تطورا يسير بتونس نحو استقلالها ويؤكّد ان استقرار النظام لا يتحقق

- (1) البلاغ الجديد : 28 جانفي 1956 .
- (2) مثلما ستكشفه المحاكمات فيما بعد .
- (3) الزهرة : 29 ديسمبر 1955 (نقل عن فرانس سوار) .
- (4) نفس المصدر ونفس الصحيفة والتاريخ .
- (5) العمل : 22 جانفي 1956 .

الابادخال تعديلات على الاتفاقيات تجعلها متناسقة مع الواقع التونسي ، كما يجدد الثقة في الديوان السياسي لتنفيذ مقررات مؤتمر صفاقس (1) بينما كان المندوب الفرنسي يتابع بقلق عجز وزير الداخلية المنجي سليم الفاح في وقت يدعوفيه بن يوسف الى الثورة مدعما " الفلاحة الجدد " الذين يشرف عليهم الطاهر الاسود و لهذا قرر " روجي سيدو " ان يضع حدا للحرب الاهلية بالقاء القبض على محركها الاساسي (2) صالح بن يوسف .

واثر جلسة عمل عقدها المنجي سليم وزير الداخلية وجان فرانسوا مدير مصالح الامن بتونس يوم 27 جانفي ، صدر قرارا مشترك بين الحكومة التونسية والادارة الفرنسية يقضي بملاحقة صالح بن يوسف (3) وتسربت الاخبار الى بن يوسف فتسلل خفية عبر الحدود الليبية ونجا للمرة الثانية (4) من الوقوع رهن الاعتقال ، وهذا ما يجعلنا نعتقد بان بن يوسف عيوننا واذانا داخل ادارة المركزية وحتى ضمن الديوان السياسي نفسه مثلما لهذا الاخير عيون المندسة في صفوف الحركة اليوسفية ايضا . ولكن ما يثير الاستغراب هو تحول من تونس العاصمة الى ليبيا برا دون ان يلقي عليه القبض .

وفي 28 جانفي داهمت قوات الامن مقر الامانة العامة بالعاصمة ، كما وقع تفتيش منزل صالح بن يوسف بحثا عنه لكنه اختفى ، ولم يعلن عن وجوده بالتراب الليبي الا مطلع شهر فيفري 1956 بعد ما منحته السلطة الليبية حق اللجوء السياسي ويبدو ان خطة الالتحاق بالشرق كانت مرسومة مسبقا ولكن مؤجلة التنفيذ ، يقول الطاهر الاسود : " كنا اتفقنا على ان يلتقي بالشرق قصد تنظيم المقاومة (5) .

(1) المصدر السابق \*  
(2) = = = :  
(3) = = = : محمد الصياح " الدولة الجديدة " الجزء الثالث ص 153 .  
(4) المرة الاولى كانت في مارس 52 حينما تسلل من فرنسا الى بلجيكا عند ما بلغته انباء حملة اعتقال حكومة شنيق .  
(5) استجواب الطاهر الاسود .

وعموما بعد فرار صالح بن يوسف من تونس في 28 جانفي 1956 اعتقد "انصار الاتفاقيات" بان بن يوسف لن يكون (مقلقا) في الخارج مثلما هو في الداخل وان بإمكانهم القضاء على حركته عبر غلق نوادي الامانة العامة وحجز الصحف المناصرة لها "الاسبوع" اليقظة" وصدى الزيتونة" لمدة ثلاثة اشهر (1) مع شن حملة اعتقالات في صفوف اليوسفيين وتنصيب محكمة استثنائية لمحاكمتهم .

ولكن هذا لا يكفي فالرأي العام التونسي بات مقتنعا بنقص الاتفاقيات ولا سيما بعد ما كشفت عنه الاحداث الاخيرة من عجز في ميدان الامن والقضاء . وظهر "انصار الاتفاقيات" انفسهم وكانهم مقتنعون بما يقول بن يوسف من "ان السيادة الداخلية التي تمنحها الاتفاقيات لتونس هي" سيادة منقوصة" فلا بد ان من اعاد النظر في هذه الاتفاقيات .

فهل تستجيب فرنسا لذلك بعد ما صرح المندوب السامي في عديد المناسبات انه لا سبيل لذلك ؟

يبدو ان فرنسا قد بدأت تغيير نظرتها للاتفاقيات نتيجة التطورات التي تشهدها منطقة شمال افريقيا عامة والبلاد التونسية خاصة اثر اعتماد الحركة اليوسفية على الكفاح المسلح منذ جانفي 1956 فهي غير قادرة على تمويل حرب شاملة ولهذا انقسم الفرنسيون ولم يتفقوا على ما هيبة السياسة الخارجية التي يجب اتباعها في مستعمراتهم وتمكن اليسار الذي ركز حملته الانتخابية على ادانة الحرب "الحرب

فدرة ولا طائل من ورائها (2) حسب عبارة قي موللي (Guy Moller) (3)

(1) الصباح : 2 فيفري 1956 .

(2) مصدر سابق :

(2) Guy de Carmoy: Les Politiques... P: 203.

(3) قو موللي : رجل سياسي فرنسي ، ثابت ، وامين عام الحزب الاشتراكي رئيس المجلس الوطني الفرنسي من جانفي 1956 الى ماي 1957 .

وقد افرزت انتخابات الجمعية الوطنية الفرنسية صعود " قي موللي " الي رئاسة الجمعية في 03 جانفي 1956 في الوقت الذي كانت تهين فيه القضية الجزائرية على الرأي العام الفرنسي وفي الوقت الذي بدأت فيه القضية المغربية تأخذ طريقها نحو الحل بحصولها على حق تكوين جيش وممارسة ديبلوماسيتها بصفة مستقلة في نطاق التكافل مع فرنسا فكيف يرفض لتونس ما تمتعت به المغرب ؟ (1) وقد سبق ان وعد مندوب فرنسا بورقيبة بأن سيجعل من تونس خفلا لتجربة رائدة لي التحرر من الاستعمار باتفاق مباشر ودون اللجوء الي المحاكم الدولية (2) .

وفي 31 جانفي 1956 صرح " قي موللي " امام المجلس الوطني الفرنسي اثر فوزه بثقة اعضاءه بان اتفاقيات 1955 لا تمنع تونس من الاستقلال مثل المغرب في نطاق التكافل المنظم (3) .  
وفي 2 فيفري 1956 طار بورقيبة الي باريس حيث تعددت اللقاءات بينه وبين اعضاء الحكومة الفرنسية .

وفي 3 فيفري 1956 التقى بورقيبة برئيس الحكومة " قي موللي " بحضور المندوب السامي لفرنسا بتونس " روجي سيدو " ووكيل وزارة الخارجية المكلف بشؤون المغرب وتونس الان سافري ( A.Savary ) للتباحث حول أطر جديدة للعلاقات الفرنسية التونسية وكانت ادوات ضغط بورقيبة على الحكومة الفرنسية تتمثل في قرارات المجلس المملي بأن الاتفاقيات الفرنسية التونسية المبرمة في 3 جوان قد تجاوزتها الاحداث وعلى فرنسا ان تمنحه عن طريق التفاوض ما يريد ان يفتكه خصمه

1) Perillier(L): La Conquête...P: 292.

(1) مصدر سابق :

2) La Couture(J): Cinq Hommes...Op,Cit,P:162.

(2) مصدر سابق :

(3) مصدر سابق :لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ، ص 76/ .

( ابن يوسف ) بالقوة ( 1 ) وربما هذا ما جعل الصحافة لفرنسية تعلق على زيارة بورقيبة الى فرنسا بأنه يطلب من فرنسا الاستجابة لمطالب بن يوسف باسمه هو شخصيا ( 2 ) الى جانب ما وعدت به فرنسا ملك المغرب ، فطالب بتطبيق المعاملة بالمثل وهكذا فرض بورقيبة على فرنسا ان تختار بين ان تفرض ارادتها أو تفرض عليها ارادة الآخرين " ، وهذا حسب وضعها الداخلي والخارجي في منتصف الخمسينات والذي يفرض عليها عدم التورط في حرب شاملة بمنطقة شمال افريقيا وذلك لضعف قدراتها المادية والعسكرية في مواجهة انتشار " الكفاح المسلح " بكامل مستعمراتها جنوب المتوسط اذ يستوجب الحرب نفقات اضافية حادة ، فما كان عليها الا ان تقبل " بأخف الضررين " حسب عبارة بورقيبة وذلك عبر فتح باب التفاوض من جديد بينها وبين المغرب ( 15 فيفري 1956 ) وبينها وبين تونس ( في 27 فيفري ) وفي الجزائر ايضا صرح " قي ملي " اثناء زيارته اليها يوم 6 فيفري 1956 بثلاث كلمات تلخص التوجه الفرنسي الجديد في السياسة الخارجية : " وقف اطلاق النار ، انتخابات ومفاوضات " ( 3 ) . وبهذا تتفادى فرنسا شر هزيمة عسكرية قد توء دي بها الى الانهيار كأحدى الدول " العظمى " ومن ناحية اخرى تبرز امام الرأي العام العالمي بمظهر الدولة المحبة للسلام المستجيبة للخلول السلمية وهذا من شأنه ان يقلص تأثير " الثورة الجزائرية على مواقف حلفائها المنتقدة للسياسة الفرنسية بالجزائر .

وهكذا اصدرت الحكومة الفرنسية في 7 فيفري بياناً عبرت فيه عن

( 1 ) مصدر سابق : ( L ) Perillier : La Conquête... Op, Cit, P: 292.

( 2 ) الصباح : 8 فيفري 1956 .

( 3 ) مصدر سابق : ( ) Guy de Carmoy : Les Politiques... Op, Cit, P: 230.

استعدادها لفتح المفاوضات من جديد مع الحكومة التونسية

إذا ما اعرب الباي عن رغبته في ذلك (1) .

وفي 24 فيفري ،تشكل الوفد التونسي التفاوض برئاسة السيد الطاهر بن عمار وهو مستقل ولكنه شديد التعاطف مع الديوان السياسي الجديد ، والمنيحي سليم وزير الداخلية ( ومن الديوان السياسي ) محمد المصمودي وزير الاقتصاد القومي ( من الديوان السياسي ) والباهي الادغم

كاهية رئيس الحكومة ( خطة محدثة ) ووزير الدولة (2) .

وفي 26 فيفري سافر الوفد التونسي التفاوض الى فرنسا قصد التفاوض من اجل دفع البلاد التونسية نحو الاستقلال في نطاق التكافل الحر والمنظم القائم على التضامن والصدقة بين الشعبين الفرنسي والتونسي (3)

وفي 29 فيفري 1956 افتتحت المفاوضات بالكاي دور ساي بعد ان تأجلت بيومين بحضور رئيس الحكومة الفرنسية " قي موللي " ووزير الشؤون الخارجية " كريستيان بينو ( Pineau ) وكاتب الد ولة للشؤون المغربية والتونسية آن سافري .

وقد انطلقت المفاوضات التونسية الفرنسية حين اوشكت المفاوضات المغربية الفرنسية الجارية في سيل سانت كلود ( Celle Saint Claud )

على الانتماء ، اذ اعترفت فرنسا في 2 مارس 1956 با لغاء معاهدة 1912 ) وباستقلال المغرب الذي يقضي بايجاد جيش وسلك ديبلوماسي مع تأكيد عززها على احترام والسعي لجعل الغير يحترم سلامة الاراضي المغربية التي تضمنها الاتفاقيات الدولية (4) .

ولكن المفاوضات التونسية كانت شاقة وصعبة فقد انطلقت المفاوضات

(1) مصدر سابق : عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ص 76 .

(2) الباهي الادغم : كان من انصار بن يوسف ثم تحول عنه الى صفوف الديوان السياسي اثناء مؤتمر صفاقس ( نوفمبر 1955 ) .

(3) مصدر سابق : ( ) .

(4) الصباح : 3 مارس 1956 .

3) Perillier(L):La Conquête...Op,Cit, P: 293.

في وقت تصاعد فيه العنف بالبلاد بحيث اصبح اليوسفيون هدفا للمطاردة والاعتقال في حين اصبح البورقيبيون والمدنيون والعسكريون الفرنسيون هدفا لتشاط " الفلاقة الجدد " او جيش التحرير التونسي وقد كانت تونس العاصمة يوم 9 مارس 1956 مسرحا لأعمال عنف كبيرة قام بها الفرنسيون بتونس احتجاجا عن مقتل اثنين من المعمرين بمنطقة مجاز الباب ، وقد اشترك في هذه الاضطرابات المعمرون والجنود وحتى رجال الامن الفرنسيون مما جعل المنذوب السامي الفرنسي يقبل اربعة من رؤسائهم ( 1 ) وقد صرح المنجي سليم بان هذه الاعمال تهدف الى عرقلة المفاوضات ببباريس .  
و فعلا كانت المفاوضات تتعثر امام تمسك الجانب الفرنسي رافضا لكل مقترح يكون دون الذي تحقق للمغرب ، وسقطت المفاوضات في مازق يوم 17 مارس 1956 حول ثلاث نقاط ( 2 ) :

(1) - طالب الوفد التونسي باعتراف فرنسا للحكومة التونسية بحق ممارسات كامل مسوءولياتها في ميدان الدفاع القومي .  
(2) - يرغب الوفد الفرنسي في ان يقيم تعاونا عسكريا وثيقا بين جيش الغد التونسي وبين الجيش الفرنسي .  
(3) - طالبت فرنسا الحكومة التونسية ان تسمح للجيش الفرنسي بحق التصرف بكل حرية في ميناء بنزرت الكبير وبمراقبة الامن خاصة في الوقت الذي يوجد فيه تهريب الاسلحة .

ومن هنا نتبين تمسك فرنسا بمبدأ المسوءولية المشتركة في ميدان الامن والدفاع وهو ما يراه الوفد التونسي مسا من السيادة التونسية ويراه بورقيبية دافعا لليأس " من البورقيبية " وهو ما صرح به بورقيبية

(1) مصدر سابق : ( Julien (Ch.A) : Et la Tunisie... Op, Cit, P : 204 )

(2) الصباح : 17 مارس 1956 .

اثر مقابله مع قي موللي "الذي كان رافضا للمقترحات التونسية (1) ولعل فرنسا كانت تخشى من ان تصبح تونس المستقلة ممر للثورة الجزائرية (2) لو تحصلت على ما تحصلت عليه المغرب ، وتوقفت المفاوضات يوم 17 مارس 1956 على ان تستأنف يوم 15 افريل لاتمام صور انجاز الاستقلال وتحديد صيغ التعادل مع فرنسا (3) .

ويبدو ان بورقيبة قد خاف من هذا التأجيل لان كامل الوقت لا يخدم "البورقيبية" بل سيكون في صالح خصمه بن يوسف الذي التحق ببارابلس وبدأ ينسق بين العمل السياسي والعمل العسكري في نطاق جهة موحدة مع الثورة الجزائرية وفي ذلك مخاطرة بكل ما احرز عليه الحزب الدستوري التونسي من مكاسب في الداخل والخارج وبالتالي سحب البساط من تحت اقدام بورقيبة الذي لا زال متمسكا "بالحل الوسطي" وربما سينعكس عشر المفاوضات على انتخابات المجلس القومي التأسيسي المقررة ليوم 25 مارس 1956 ، فيجعل حظوظ البورقيبية في الفوز بها ضعيفة لان تعليق المفاوضات من شأنه ان يطعن في جديتها ويجعل القسم المتردد من الشعب التونسي يندفع الى احضان المعارضة .

ومن هنا يصبح من الضروري الحصول على برتوكول الاستقلال قبل 25 مارس 1956 على الاقل ، فكانت المقابلة الخاصة التي جرت بين بورقيبة ووزير الخارجية الفرنسي "بينو" وفجأة زالت كل العراقيل ! واسفرت المقابلة عن بروتوكول الاستقلال الذي سيعرف ببروتوكول 20 مارس ، وقد علقت صحيفة لو مند (Le Monde) على هذه المقابلة بانها انقذت الموقف (4) .

ومع ذلك يبقى السؤال قائما كيف توصل بورقيبة وبينو الى هذا الاتفاق؟

- 1) مصدر سابق : ( ) Julien (Ch.A) : Et la Tunisie... OP, Cit, P: 205.
- 2) تصريحات الباهي الادغم : في المائدة المستديرة حول 20 مارس ، المغرب عدد 92 مارس 88 ص 6 .
- 3) الصباح : 18 مارس 1956 .
- 4) ( ) : Le Monde : 20 Mars 1956 ;

ما هي الضمانات او التنازلات التي قدمها كل طرف ؟ ولماذا قبل وزير الخارجية الفرنسي " بينو " ما رفضه رئيس الحكومة " قي موللي " ؟  
فهل هناك خلال داخل الحكومة الفرنسية جعل مواقفها مشتتة ازاء سياستها الخارجية ، فكانت الفجوة التي تسرب منها بورقيبة للحصول على بروتوكول الاستقلال ، مثلما سربت فرنسا اتفاقيات 3 جوان 1955 مستغلة تشتت المواقف داخل الحركة الوطنية التونسية ؟

"حركة منظمة"

١- محتوى البروتوكول وموقف بن يوسف منه:

لقد نص بروتوكول 20 مارس 1956 على ثلاث نقاط (1) :

(1) - عدم صلاحية معاهدة 1881 .

(2) - تعديل او الغاء اتفاقيات 3 جوان 1955 التي لم تعد تتماشى ووضع

البلاد التونسية كدولة مستقلة ذات سيادة .

(3) - مباشرة تونس لمرسومها ولياتها في مادة الشؤون الخارجية والامن

والدفاع ، وكذلك تكوين جيش وطني تونسي في " اطار التكافل

والتعاون بين فرنسا وتونس في الميادين ذات المصلحة المشتركة

ولا سيما الدفاع والعلاقات الخارجية " .

" وستضع الاتفاقيات بين فرنسا وتونس صيغ المساعدة التي ستقدمها

فرنسا لتونس في انشاء الجيش الوطني التونسي " ورغم ان البروتوكول

نص على ان المفاوضات ستستأنف يوم 16 افريل 1956 " قصد الوصول

في اقصى الحالات الممكنة وطبقا للمبادئ المقررة في هذا البروتوكول

لاهرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ (2) فقد اعتبر التونسيون

النقطة الاولى من البروتوكول علامة نهاية النظام الاستعماري فبالنسبة

لهم قد انجز الاستقلال التام (3) ولكن بالنسبة لابن يوسف وان اعتبر هذا

البروتوكول خطوة متقدمة على الاتفاقيات الا انه صرح قائلا :

" اني في هذا الظرف التاريخي الحاسم ادعو شعبنا العربي الأبى الى

(1) النص الكامل للبروتوكول التونسي الفرنسي صدر بصحيفة الصباح بتاريخ 21 مارس 56 (انظر الملحق) .

(2) نفس المصدر ونفس التاريخ .

(3) مصدر سابق : ( ) Julien (Ch.A): Et la Tunisie... Op, Cit, P: 205. ) 3

الحذر واليقظة ومضاغفة الجهود ومواصلة الكفاح الشريف لتقويض  
صرح الاحتلال الاجنبي ،لأنه لا معنى للاستقلال ما دامت جيوش العدو  
الاستعماري ترابط بأرض الوطن فتكون خطرا دائما يهدد في كل ان  
رحين مصير الشعب ومقومات السيادة ومقدرات البلاد " (1) .  
ومن هنا يبدو ان صالح بن يوسف لم يرفض بروتوكول 20 مارس جملة  
وتفصيلا مثلما كان موقفه من اتفاقيات 3 جوان 1955 اذ يقول :بقدر  
ما تقدر هذا الحادث الجديد الهام بقدر ما نبدي التحفظات العميقة  
بشروط حدود هذا التكافل ،ولا سيما ان اولئك المذنبين تسببوا في كارثة  
الاتفاقيات وخلق جو من التقتيل والارهاب والتعذيب في البلاد ،هم  
انفسهم سيعدون مع فرنسا رغم ارادة الشعب الحقيقية كارثة التكافل  
الجديدة " (2) .

وعلى هذا الاساس يطلب من الشعب " الحذر " ويطرح على الحركة الوطنية  
التونسية مواصلة الكفاح لتحقيق الجلاء " .

وقد جاء في برقية بعث بها بن يوسف الى الحبيب بورقيبة ( رئيس الحكومة  
التونسية ) اثر اختطاف الطائرة التي كانت تقل احمد بن بلة واربعة من  
رفاقه للحيلولة دون حضورهم مؤتمر شمال افريقيا المقرر عقده في  
تونس بدعوة من محمد الخامس ملك المغرب وذلك يوم 22 اكتوبر 1956  
" ان مصلحة الشعب العليا في هذا الظرف الحاسم تفرض قطع كل تفذ وض  
وكل تعاون مع حكومة فرنسا ما دامت لا تعترف باستقلال الجزائر ولن  
يمود التفاوض مع فرنسا الا اذا شمل في وقت واحد تونس والجزائر ومراكش  
وكان يهدف الى جلاء الجيوش الفرنسية وتحريره تحريراً نهائياً يضمن له حياة  
كريمة ويحقق له وحدته المنشودة فيكتمل كيان امتنا العربية (3) .

(1) مصدر سابق : الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية . صص 169 - 170 .

(2) نفس المصدر نفس الصفحات .

(3) نفس المصدر : ص 170 .

ومن المثير للانتباه تبني بورقيبة مطلب " الجلاء " بسرعة مذهلة  
ففي 20 جوان 1955 نادى بورقيبة في خطابه بتطاوين بضرورة جلاء  
القوات الفرنسية عن البلاد بل ذهب الى اكثر من ذلك حين صرح  
في 14 جويلية 1955 بان تونس مستعدة لمواصلة الكفاح في سبيل  
دعم استقلالها مهددا باستمرار مقاطعة المفاوضات ما لم تعدل فرنسا  
من موقفها من قضية الجلاء ( 1 ) .

ومن هنا يظهر لنا بورقيبة وكأنه يناغم بن يوسف الذي بدوره  
يظهر وكأنه قد تحول الى ضمير يقين " يدفع بورقيبة الى ترميم  
نقائص الاتفاقيات والبروتوكولات الجديدة المبرمة بين تونس وفرنسا  
ومع ذلك بما اذا تفسر الحملة الشرسة ضد اليوسفية ولا سيما عناصر  
جيش التحرير التونسي رغم ان بورقيبة ما زال في حاجة اليها للضغط  
على فرنسا قصد " دعم الاستقلال " وتحقيق الجلاء ؟ فهل كان هو " لا بمثابة  
القرايين الشاهدة على تمسك بورقيبة بمبدأ الحل السلمي ؟ او هم بمثابة  
الشواهد على قيام نظام جديد رافض لكل معارضة ؟ "  
ومن ناحية أخرى لماذا يواصل بن يوسف تزعم المعارضة وقد تحقق  
هدفه في الغاء اتفاقيات 3 جوان 1955 وكذلك الغاء معاهدة باردو 1881 ؟  
لـ نجاح الجبهة القومية في الانتخابات وصعود البورقيبية الى الحكم :

يسدوان بروتوكول 20 مارس 1956 رغم انه نص على مبادئ عامة ولم يحل  
اي مشكل ، حيث ابقى على كل شيء معلقا حسب وجهة نظر كوهين  
حضرية ( 2 ) كان مفتاح البورقيبية الى السلطة والنفوذ الواسع ، فبعد النجاح  
الباهر الذي حققته الجبهة القومية المترتبة من الحزب الدستوري التونسي

( 1 ) مصدر سابق : لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ص 78 - 79 .

( 2 ) مصدر سابق : كوهين حضرية : من الحماية الى الاستقلال ص 284 .

الجديد والاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والاتحاد القومي للمزارعين التونسيين في انتخابات المجلس القومي التأسيسي في 25 مارس 1955 ، تشكلت حكومة تونسية جديدة يوم 14 افريل 1956 برئاسة الحبيب بورقيبة الذي احتفظ لنفسه بحقيقتي الشؤون الخارجية والدفاع ، أما المنجي سليم والمصمودي فقد عينا وزير دولة مكلفين بالمفاوضات مع فرنسا من اجل تجسيم الاستقلال في حين حافظ الباهي الادغم على خطة كاهية رئيس المجلس ، أما بقية الحقائق فقد وزعت كما يلي ( 1 ) .

- وزارة الداخلية على رأسها الطيب المهيري .
- وزارة العدل على رأسها المستيري .
- وزارة المالية على رأسها نويـرة .
- وزارة الأشغال على رأسها العباسي .
- وزارة التجارة والصناعة على رأسها الفرجاني بالحاج عمار .
- وزارة التربية القومية على رأسها الشابي .
- وزارة الفلاحة على رأسها الفلالي .
- وزارة الصحة على رأسها الماطري .
- وزارة البريد والبرق والهاتف على رأسها محموند الخياري .
- وزارة الاسكان على رأسها اندري باروش ( يهودي ) .
- وزارة الشؤون الاجتماعية على رأسها شقرون .
- وزارة الاعلام على رأسها البشير بن احمد .
- كتابة الدولة للشباب والرياضة عزوز الرباعي .

وهكذا ضمت الحكومة الجديدة خمسة اعضاء من الاديوان السياسي انقلبهم من ذوي التوجه " الجمهوري " وبذلك أصبح بورقيبة يمهد لازاحة

( 1 ) مصدر سابق : ( ) Perillier(L): A la Conquête... Op,Cit, P: 297.

"الحكم الحسيني" فمنذ شهر جانفي صرح بورقيبة امام الزيتونيين  
"بان طالما العائلة الحسينية موجودة لن يحرز الشعب التونسي على  
أي تقدم" (1) في حين قالها صراحة في خطابه بمجال: "لو كان  
الشعب يرغب في "الجمهورية" فيمكن المطالبة بها" (2) .  
وفي 30 ماي 1955 الغت الحكومة الامتيازات الجبائية والحصانة امام القضاء بالنسبة  
لانفراد العائلة المالكة ووقعت تسوية تسوية بسائر المواطنين (3) وفي 25 جويلية 57 اصدر  
المجلس القومي التأسيسي قرارا يلغي النظام الملكي ويعلن ان تونس دولة جمهورية ويكلف  
الحبيب بورقيبة برئاسة الدولة ويطلق عليه لقب رئيس الجمهورية (4) .

وهكذا نلاحظ سعي بورقيبة للوصول الى السلطة ومحاولة الانفراد بها عاملا على اقضاء  
منافسه صالح بن يوسف ومن ناحية اخرى لاطاحة العائلة الحسينية التي تقف امام  
طموحاته نظرا لتمتعها بشرعية توارث الحكم، ومع ذلك يمكن ان نتساءل عن كيفية انقلاب  
نظام الحكم بتونس من ملوكية الى نظام جمهوري في حين كان المقصود من امر  
الباي الصادر في 29 ديسمبر 1955 والمتعلق باحداث مجلس تأسيسي هو اقامة  
ملوكية دستورية فهل تعرض المجلس القومي التأسيسي الى "ضغوطات"  
جعلته يتجاوز مهمته الاساسية وهي اعداد دستور للبلاد، ليعلن عن  
النظام الجمهوري؟

ما هو رد فعل الشعب والقصر عن هذا الاجراء؟ فهل كانوا جميعا من  
انصار النظام الجمهوري؟ او كانوا من الضعف الى درجة الاستسلام  
بدون ادنى معارضة خوفا مما قد ينجر عن ذلك اعتبارا بما وقعت  
ليه اليوسفية؟

ج - تصدع الجبهة اليوسفية :

(1) الاسبوع: 9 جانفي 1956 .

(2) مصدر سابق: ( ) Perillier(L): A la Conquête... Op, Cit, P: 296.

(3) مصدر سابق: لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ص 78 .

(4) الصحافة التونسية الصادرة يوم 26 جويلية 1957 .

لقد استطاعت الشعارات التي طرحها صالح بن يوسف كاستقلال التام، والكفاح المسلح، والتمسك بالعروبة والاسلام والتضام مع الثورة الجزائرية، ان تنتزع عطف وحماس الجماهير الشعبية وان تستقطب عناصر مرتباية الانتماء الاجتماعي والفكري .  
ومن هنا يبديون هذا الانصهار في حركة " معارضة " يخفي شقا عميقا مكبوتا تحت مطلب " الاستقلال التام " ، فليس غريبا ان ان ينجح بروتوكول 20 مارس فيما عرجت عنه وسائل " القمع " والاضطهاد " والتعذيب " ( في صباط الظلام " ) من تفتيت الحركة اليوسفية ، بل يمكن القول بان هذه الوسائل " الارهابية " قد زادت الحركة شعبية وانتشارا بكسب المتعاطفين معها من المنادين بحق الاختلاف وممارسة الرأي المخالف " ، بينما احدث بروتوكول 20 مارس 1956 رجعة في اعماق اليوسفية وخاصة بين جناحها السياسي وجناحها العسكري ، فاذا ابصالح بن يوسف ( زعيم المعارضة ) يدعو الى مواصلة الكفاح في حين يقف الطاهر الاسود ( القائد العسكري للحركة ) متسائلا ما الغاية من مواصلة الكفاح واستمرار المعارضة بما ان الاستقلال قد تحقق ، وحكومة بن عمار قد سقطت ؟  
فيجيب صالح بن يوسف في بيانه بتاريخ 18 افريل 1956 : " لماذا نواصل الكفاح ؟ فالامانة العامة وان سجلت هذا الانتصار على الخصوم لناضطرتهم الى اقرار مبدأ الاستقلال ، لتؤكد الاحترازا الواردة في تصريح لها نشرته الصحف العربية والاجنبية بتاريخ 23 مارس الماضي الذي قلنا للشعب التونسي بان التكافل المقصود قد يفرغ الاستقلال من معانيه السوية بما نال اليه تصريح من داسرفرانس في 31 يوليو 1954 من اتفاقيات جعلت الاستقلال الداخلي السعطي عنه عديم الأركان ، ولونا جديدا من الوان الاستعمار ( 1 ) .

( 1 ) مصدر سابق : الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية . . . صص 172 - 173 .

فابن يوسف يستريب في المفاوضات المقبلة بين تونس وفرنسا التي حدد بروتوكول 20 مارس 1956 يوم 16 افريل موعدا لانطلاقها فهو يخشى ان تؤدي الى ا فراغ مبدؤ الاستقلال من محتواه في غياب قوة ضاغطة على سير المفاوضات وهي في نظره " المقاومة المسلحة" اذ يقول: " نكون خائنين لرسالتنا اذا نحن اکتفينا بمجرد تصريح مبدئي باستقلال تونس ودعونا شعبنا الى موقف القتال . ان مواصلة القتال لهي الضمان الوحيد للحيلولة دون تجديد كارثة الاتفاقيات التونسية الفرنسية في قالب جديد ، قالب التكافل" (1)

ويستند صالح بن يوسف في احترازاته على اربع نقاط :

(1) - تصريحات رئيس الحكومة الفرنسية ووزير خارجيتها بعد 20 مارس 56 التي جاءت لتوضح ان استقلال تونس ليس معناها تنازل فرنسا عن حقها في الاشراف او المشاركة في الدبلوماسية التونسية او في شؤون الدفاع او في الامن او الاقتصاد (2) .

ومن هنا يذهب بن يوسف الى حد اليقين " بأن التكافل المقصود في المفاوضات المقبلة هو عبارة عن تركيز الاستعمار الفرنسي بصورة مقنعة بتونس (3) .

(2) - تصريحات الحبيب بورقيبة يوم 11 افريل 1956 التي جريدة " لاهازيت دي لوزان " والى صحفية " لابريس " والتي قال فيها: " ان تونس ستظل مخلصه الى فرنسا والى الكتلة الغربية على الدوام ، وان حقوق الفرنسيين المستوطنين بتونس لن تمس بسوء" اذ ان اتفاقيات جوان 1955 ستبقى ضامنة لتلك الحقوق " (4) .

ويقوم صالح بن يوسف بتحليل هذه التصريحات .

(1) بيان صالح بن يوسف بتاريخ 28 افريل 1956 ذكره الطاهر عبد اللهي كتابه الحركة الوطنية التونسية ص 76 .  
(2) نفس المصدر : ص 174 .  
(3) نفس المصدر : ص 176 .  
(4) نفس المصدر : ص 174 .

ليقف على تأكيد بورقيبة احترام حقوق الفرنسيين وتجنبيهم كل تشريع يمس بحقوقهم مذكرا " بأن اتفاقيات 3 جوان 1955 الاقتصادية والمالية جعلت تجارتنا تصديرا وتوريدا ، و عملتنا النقدية ، و سياستنا الجمركية ، جزوا لا يتجزأ من الاقتصاد الفرنسي ، فسبقى دائما وأبدا تحت رحمة فرنسا ولا نستطيع الاقتراض من غيرها الا بمصادقتها ، كل ذلك سجلته الاتفاقيات القديمة التي اكد الطرفان الفرنسي والتونسي الابقاء عليها فيما يتعلق بمصالح الفرنسيين ( 1 ) .

( 3 ) - اعياد المفاوضات التونسية التنازل امام الجانب الفرنسي ، فقياسا على ما وقع في مفاوضات 1955 من تجريد المقاومين من اسلحتهم ، يرى صالح بن يوسف في هذه المرة ايضا حاول هؤلاء المفاوضات الذين هم انفسهم الذين ابرموا اتفاقيات 3 جوان 1955 ان يستعملوا وسائل الترغيب والتهديد والتقتيل والاختطاف للتخلص من كل قوة ايجابية ومن كل معارضة سلبية ليخلو لهم الجو ، فيتنازلوا من جديد على شروط التكافل التي قد تكون نوعا من الالحاق اخطر من اتفاقيات 3 جوان 1955 . ( 2 )

ومن هنا يمكن ان نلاحظ خوف صالح بن يوسف من فتح مفاوضات " التكافل " والوفد التونسي مجردا من كل ادوات الضغط مما ستنجر عنه تنازلات لفائدة فرنسا التي بدورها قد دفعت الحكومة التونسية بل ساعدتها على تحطيم هذه الادوات ( المعارضة وقوات جيش التحرير التونسي ) كشرط لمواصلة المفاوضات .

( 4 ) - الاطر القانونية التي ستقر نتائج مفاوضات التكافل : فمن ناحية تمتع الدولة التونسية المستقلة بأهلية التعاقد كاملة وبالتالي " ما يضمنه هذا التعاقد من امتيازات لفرنسا سوف تكون له صبغة شرعية دائمة

1) نفس المصدر ، ص / 175 .

2) نفس المصدر ، ص / 173 .

في نظر العلم كله وجمعية الامم المتحدة " (1) ومن ناحية اخرى  
المجلس التأسيسي وان كانت مهمته سن دستور للبلاد فقد تتخذه  
الحكومة التونسية سندا لها تعزز جانبها ويشاركها مسوؤلية قبول  
اتفاق من نوع التكافل (2) .  
وهكذا نقف من جديد على اختلاف رؤىة صالح بن يوسف عن رؤىة  
انصار " الاتفاقيات " فيظهر لنا بن يوسف من خلال بيان الامانة العامة  
الصادر في 28 افريل 1956 خائفا مما قد يلحق السيادة التونسية من  
تأزلات تحول دون استرجاع استقلالها والتحكم في مصيرها " فاستقلال تونس  
لن يسمح لنا بالتمتع بمساندة هذا الجزء العظيم من العالم ( مجموعة  
بازدونغ ) اذا نحن ارتبطنا من جديد بعجلة الغرب كأن نسلم له تسليمنا  
الى فرنسا قواعد حربية كقاعدة بنزرت او نرفض بان ترابط الجيوش  
الفرنسية بدعوى انها تابعة لجيوش الحلف الاطلسنطي ببلادنا (3) .  
فصالح بن يوسف يبدو مصمما على تحقيق " استقلال حقيقي ملموس  
تكون الدولة التونسية فيه حرة من كل قيود تربطها بصورة من الصور  
او تجعلها تابعة لفرنسا والغرب ، وذلك بان تصبح البلاد التونسية مع بقية  
الشمال الافريقي جزءا من الامة العربية (4) ولهذا تظن صالح بن يوسف  
لخطورة كلمة " التكافل " في حين توقف آخرون من اتباعه عند كلمة  
الاستقلال ولهذا طالب صالح بن يوسف " بمواصلة الكفاح من اجل  
التحصيل من فرنسا على الاعتراف بمبدأ الجلاء . . . . . ان لا استقلال و جيوش المستعمر  
مرابطة بالبلاد المستقلة (5) .

كما ان بن يوسف يرمي من مواصلة الكفاح " الى ابقاء الشعب التونسي في

(1) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(2) نفس المصدر ، ص 174 .

(3) نفس المصدر ، ص 176-177 .

(4) نفس المصدر ، ص 176 .

(5) نفس المصدر ، ص 177 .

حالة تأهب " للخدش في مشوعية الاتفاقي الفرنسي التونسي المقبل  
اذا اسفر هذا الاتفاقي عن استقلال مزيف واستعمار جديد مقنع " (1)  
وهكذا نلاحظ ان صالح بن يوسف استعمل نفس العبارة التي نعت بها  
" الحكم الذاتي المزيف " لدلالة على رفضه لاستقلال مزيف " ايضا ، كما  
مول على استخدام نفس القوة " الشعب " للطعن في اهليتها ( الحكومة  
التونسية ) وفي شرعية ما سوف يتعاقد عليه مع فرنس في شأن التكافل  
المقصود ، ان يكون هذا التعاقد غير مستند الى رضا الشعب " (2) .  
ومع ذلك يفاجؤنا الظاهر الاسود وهو يدعو " جيش التحرير التونسي  
لتسليم السلاح للشوار الجزائريين والعودة الى الحياة العادية وفي  
الليلة الفاصلة بين 2 و 3 جويلية قطع الظاهر الاسود الحدود التونسية  
الليبية وفي 3 جويلية سلم مع مجموعة من رفاقه ( محمد بن ضو ،  
وعمر بن موسى العيفة ، عمر بن خليفة ) انفسهم الى والي مدينين (3) .  
فماذا حدث بين قائدي الحركة اليوسفية ؟ فهل يعارض الظاهر الاسود  
مبدأ مواصلة الكفاح من اجل اتمام الاستقلال باجلاء التواجد العسكري  
عن البلاد التونسية ؟

يبدو ان الاجابة تكمن في الجزء الاخير من بيان الامانة العامة الصادر  
في 28 افريل 1956 والذي يوقفنا عند عدة نقاط منه اذ يقول البيان :  
" وهكذا تنجلي مشروعية مواصلة الكفاح لتحطيم ذلك التعاقد وتحطيم  
من سوف يشرفون عليه من المسوءولين التونسيين ... وهكذا يؤول كفاحنا  
في نهاية الامر الى تطهير الشعب التونسي من هذه العناصر المجرمة  
التي ابتلى بها ... (4) .

(1) نفس المصدر : ص 180 .

(2) نفس المصدر ونفس الصحيفة .

(3) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ( Note de Renseignement / ) S.506/2H 313

N°791/2/D.S/S.C

(4) بيان الامانة العامة بتاريخ 28 افريل 1956 ورد بكتاب الطاهر عبد الله " الحركة الوطنية " ص 180

اما الطاهر الأسود فيقول: " كانت غاية بن يوسف القضاء على الديوان السياسي وعلى بوقببة ، اما بالنسبة لي فهدفي مواجهة العدو الفرنسي حتى الاستقلال وقد تحققت غايتي بالاعلان عن الاستقلال التام ، وبعد ذلك ، فلا مبرر للقتال التونسي ، ولا معنى لبقاء الثوار في الجبال التونسية ولهذا وجهت نداء للثوار التونسيين ادعوهم فيه الى اعادة السلاح الى الثوار الجزائريين وتسليم انفسهم الى السلط التونسية ، والالتحاق بالثورة الجزائرية على التراب الجزائري " .

ومن هنا نتبين تقاطع وجهات النظر بين صالح بن يوسف الذي أمر بمواصلة الكفاح ولا سيما بعد ما تدخلت الحكومة التونسية مباشرة فقامت باغلاق نوادي الامانة العامة واعتقال ابرز الأعضاء اليوسفيين واقامت محاكم " استثنائية " بتونس العاصمة و داخل البلاد لمحاكمتهم باحكام قاسية بلغت حد الاعدام او الاشغال الشاقة لسنوات طويلة ، ولهذا تكثفت تحركات الامانة العامة وخاصة جناحها العسكري خلال شهر فيفري ومارس ضد انصار الديوان السياسي ، فمثلا مقتل حسين بوزيان يوم 27 مارس 1956 بقفصة نظرا لترشحه لانتخابات المجلس التأسيسي التي طالبت الامانة العامة بمقاطعتها لانها تخشى موافقة المجلس التأسيسي على الاتفاقيات الفرنسية (2) بالاضافة الى مدهمة مراكز الامن والجندرية وضيقات المعمرين ومواقع الجنود الفرنسيين ، اما الطاهر الاسود وعديد المقاومين الذين استجابوا تلقائيا لندائه " الى الثورة الثانية " يوم 9 ديسمبر 1955 (3) فقد اقتنعوا بان الثورة الثانية قد نجحت في تحقيق مالم تحققة الثورة الاولى اي الاستقلال التام ، وامام اشتداد الخلاف وخطورته

انعمقد مؤتمر جنزور " شرح خلاله الطاهر الاسود صعوبة وصول الامدادات

(1) استجواب الطاهر الاسود في ماي 1988 .

(2) الصباح : 14 جانفي 1956 .

(3) الزهرة : 10 ديسمبر 1956 .

والاسلحة ، وان ما كان يرسل من تموين و سلاح لا يصل الى المقاتلين حتى باتوا يقتاتون الحشائش (1) كما اشتكى الطاهر الاسود من وجود خيانات و دسائس تعيقت عملية تسليم السلاح لجبهات المقاومة في شمال افريقيا وتجعلها تقع في يد القوات الفرنسية عند مرورها بالتراب التونسي الى درجة انه اصبح يخفي امرها حتى على صالح بن يوسف الذي حفت به مجموعة مندسة تعمل لصالح اطراف اخرى خارج الحركة (2) .

وتثبت لنا ذلك التقارير العسكرية السرية الصادرة عن فصائل قوات الجيش الفرنسي بالجنوب التونسي (3) التي تكشف عن اشتباكات دامية وقعت بين عصابات تهريب السلاح والقوات الفرنسية فمثلا تذكر هذه التقارير كل التفاصيل عن معركة 8 جوان 1956 (4) التي دارت بين مجموعة من 200 فلاح بقيادة " الحرازي " وقوات الجيش الفرنسي واسفرت المعركة عن مقتل 20 شخصا و أسر ستة آخرين (5) .

كما تذكر التقارير العسكرية عدة عمليات نظمها الجيش الفرنسي لقطع الطريق عن قوافل تهريب السلاح فمثلا ما وقع في بنقردان يوم 28 و 29 جوان 1956 بحيث وقعت مجموعتان تونسيتان و 3 جزائريين باسلحتهم و ذخيرتهم في يد القوات الفرنسية و ذلك يوم 28 جوان بجبهة سانية " سوين " اما يوم 29 جوان فقد وقع السلاح في يد القوات الفرنسية في حين لاذت المجموعة المصاحبة له و عددها ستة افراد ( تونسيون و جزائريون ) بالفرار (6) . وقد كان الطاهر الاسود ملما بما جرى على الجبهة من معاناة

(1) مصدر سابق : الطاهر محمد الله : الحركة الوطنية التونسية . ص 183 .

(2) استجواب الطاهر الاسود في ماي 1935 .

(3) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( Notes de Renseignement ) S.506/2 H 313 .

(4) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( Notes du 16/6/1956 ) S.506/2H 313 .

(5) وهم محمد بن بلقا سم عبد النبي ( نغطة ) تيجاني بن بلقا سم بن مبروك ( المظيلة ) علي بن عبد اللين صالح ( راس الوادي بقابس ) علي بن محمد بن عمار ( راس الوادي بقابس ) عيادي بن مبروك مؤمني ( راس الوادي بقابس ) علي بن عمر بن عمار ( راس الوادي بقابس )

(6) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( Notes de Renseignement ) S.506/2H 313 .

الشوار الصامدين وهم بين المطرقة والسندان فبالاضافة الى الاعداء  
التقليديين للثورة ( القوات الفرنسية والقومية والجواسيس... ) كان  
عليهم مواجهة البورقيبيين والمرتدين ( الذين كانوا في صفوف المقاومة  
وانسلخوا عنها ليصبحوا في صفوف لجان الرعاية ) مع ضعف في التمويلات  
من مؤونة وسلاح فهم لا يستطيعون اللجوء الى الاهالي مثل ما كان  
الحال ايام الثورة الاولى ، خوفا من الوقوع في يد السلط الفرنسية  
او التونسية ، هذا ما يفسر تهافت عدد منهم على الاستسلام ، بعد الاعلان  
عن بروتوكول 20 مارس 1956 وبعد ما راجت الاشاعات حول ادماج  
عناصر جيش التحرير التونسي في الجيش التونسي وفي الحرس الوطني  
مع جراية بعشرة آلاف فرنك ( 1 ) كما استطاع بورقيبة الذي اصبح رئيس  
الحكومة ان يزعزع اركان اليوسفة بتبنيه مطلب الجلاء وبتاعلانه يوم  
27 جوان 1956 عن انتداب متطوعين لحزب الجزائر ( 2 ) وبذلك اصبح جيش  
التحرير التونسي الذي لم يمض على تأسيسه الا بعض اسابيع امام  
خيارين ، اما مواصلة " الحرب الاهلية " او الانضمام تحت لواء السلط الجديدة  
ولما توزعت مناشير تسليم السلاح في التراب التونسي وقام الطاهر الاسود  
بتسليم نفسه للسلط التونسية تعبيراً منه عن رفضه لاستئناف الحرب الاهلية  
وعن الثورة بتونس قد انتهت ، تكثفت عمليات الاستسلام خلال شهر  
جويلية 1956 ، فمثلاً سلم يانسرين يانسر ومجموعته ( 30 رجلاً )  
انفسهم في 2 جويلية الى والي قابس كما قام نفس الشيء كل من محمد  
بن احمد الزيدي والطاهر الدباشي ( 3 ) بينما في 30 جويلية سلم مبروك  
بن جليطي التطاويني نفسه الى السلط التونسية بمطماطة ( 4 ) وفي الوقت

1) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( S.506/2H 313 Notes de Renseignement  
N°953/2/D.S/S.G .

2) نفس المصدر : ( S.506/2H 313 Notes de renseignement/762/2/D.S/S.G .

3) نفس المصدر ونفس الرقم ،

4) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( S.506/2H 313 Notes de Renseignement )

N°953/2/D.S /S.G .

الذي فضلت فيه بعض "العصابات" من جيش التحرير التونسي الا  
الاتحاق بالثورة الجزائرية مباشرة مثل مجموعة بوهدمة (1) .  
بقيت مجموعات اخرى معزولة لمواصلة الكفاح بتونس كانت عرضة  
لمصادمات مجموعات الديوان السياسي وشرطة المدن والقوات الفرنسية  
وهنا تجدر الاشارة الى ان حملات "الاستسلام" في صفوف جيش التحرير  
التونسي كانت تلقائية ومبادرات فردية ، وبدون ضمانات مسبقة من  
السلط التونسية ، مثل ما كان الحال في ديسمبر 1954 حيث تعهد المقيم  
العام الفرنسي والحكومة التونسية بعدم ازعاج الفلاحة او تتبعهم بعد  
تسليمهم للسلاح (2) لكن في هذه المرة يقوم "المقاوم" بتسليم نفسه  
وسلاحه اذا كان معه للسلط التونسية (الوالي) الذي يسلمه شهادة في  
"ولائه للحكومة" تمنحه "الامان" بشرط عدم العودة الى التمرد (3) .  
وهكذا ، ومنذ نهاية جويلية 1956 اخمد التمرد المسلح وانطلقت فترة  
المحاكمات الكبرى (4) ، وعبثا حاول صالح بن يوسف ايقاف نزيف تراجع  
انصاره سواء عن العمل السياسي او عن مواصلة الكفاح بالجبال رغم توليه  
قيادة جيش التحرير التونسي بنفسه بعد انسحاب الطاهر الاسود .  
وربما هذا يدفعنا الى الاعتقاد بان التقارب بين صالح بن يوسف ومن  
المعارضة السياسية والطاهر الاسود رمز المقاومة المسلحة كان ظرفيا  
ومؤقتا ناتج عن عدم رضا الطرفين بما هو دون الاستقلال التام ، ولما  
اعلان عن انجاز ذلك بمقتضى بروتوكول 20 مارس 1956 الذي اعترفت فيه  
فرنسا باستقلال تونس في نطاق التكافل ، اكتفى الطاهر الاسود بما

(1) نفس المصدر ونفس المذكرة :

(2) الصباح : 26 نوفمبر 1954 .

(3) انظر الانموذج بالملحق .

(4) علي بن عامر : "سيرة صالح بن يوسف" ، اطروحة العدد 15 ، 1989 ، ص 15 .

جاء في الجزء الاول من الجملة ( اعتراف بالاستقلال ) في حين توقف صالح بن يوسف عند الجزء الثاني منها ( التكافل ) ميمدثا مخاوفه من انجاز استقلال " مزيف " يلقي بتونس في احضان الغرب ويحرمها من انتمائها العربي ومن مساندة مجموعة " باندونغ " التي نادت بسياسة عظم الانحياز لتجنب الحرب الباردة واستراتيجية معاداة الامبريالية والاستعمار بخلف تكتلات اقليمية داخل ما سيطلق عليه اسم بلدان العالم الثالث ، ويبدو ان صالح بن يوسف كان متحمسا لهذا الطرح ورأى في وحدة المغرب العربي نموذجا لذلك ، ولهذا طرح بن يوسف على حركته مهمة " الجلاء " لكن بورقيبة تبني بطريقته الخاصة هذا المبدأ " الجلاء " ومبدأ التضامن مع الثورة الجزائرية " وبالتالي تمكن بورقيبة من سحب البساط من تحت اقدام بن يوسف الذي عجز عن اعادة بناء حركته وافتقد وسائل التعبئة من جديد ولعل ذلك ناتج عن عدم قدرته على الخروج عن خطه الاصلاحى الذي بقي مخلصا له ولم يحاول تجديد خطابه السياسى . ومع ذلك فقد استمرت الحركة اليوسيفية كمصدر قلق للسلط التونسية والفرنسية ، معا ، فقامتا بالضغط على الحكومة الليبية التي احتضنت صالح ابن يوسف كلاجى سياسى منذ فيفري 1956 ، ونظرا لمعاهدته الصادقة الرابطة بين فرنسا وليبيا ، طالبت حكومة مصطفى بن حليم ، الليبية من صالح بن يوسف مغادرة التراب الليبي في اكتوبر 1956 (1) . بينما يذكر شارل اندري جوليان أن طرد بن يوسف من ليبيا كان ابان الامضاء على المعاهدة التونسية الليبية في جانفي 1957 (2) . وعلى كل ، ان كان الطرد قبل معاهدة 1957 او بعدها ، فقد انتقل صالح بن يوسف الى مصر ، مواصلا معارضته للنظام البورقيبي ، ولهذا حوكم

(1) مصدر سابق : مذكرات فتحي الديب " مجلة مصر " ص 6 .

(2) مصدر سابق : ( ) Julien (Ch.A) : Et la Tunisie... Op, Cit, P: 202 .

غيايبا بتونس في 24 ماي 1957 و صدر ضده حكم بالاعدام زاد في تعميق القطيعة بينه وبين " رفيق الامس " الحبيب بورقيبة ، واصبح بن يوسف يعمل جاهدا على الاطاحة بالنظام البورقيبي عبر الاندساس في الاجهزة الحساسة في القوالة ( الجيش ، سلك الامن ) مع محاولة تدبير الانقلابات العسكرية ( 1 ) و ضاق بورقيبة ضراعا باصرار صالح بن يوسف على مواصلة المعارضة التي اصبحت تترصده شخصيا للتخلص منه جسديا عبر محاولات الاغتيال مثل محاولة 1959 ، وقد اتهم فيها 128 يوسف ( 2 ) .

ولكن يبدو ان بورقيبة قد استغل هذه المعارضة كاداة ضغط على فرنسا حتى منحته ما يطالب به بن يوسف الاستقلال التام ، الجلاء ، قاعدة بنزرت موظفا لفائدة ذلك ابداء توجهها مغاربية ( معاهدة الاخوة والتضامن مع المغرب 17 جوان 1958 ، الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تأسست في 20 سبتمبر 1958 كذلك انخرط في جامعة الدول العربية في غرة اكتوبر 1958 بالاضافة الى مغازلة الولايات المتحدة الامريكية من خلال تحرير معاملات تونس مع منظمة الدولار والغاء الاتجاه الجمركي مع فرنسا يوم 20 اوت 1959 .

لقد استطاع بورقيبة ان يستحوذ على النفوذ السياسي بتونس ويعمل على ضرب الحركة اليسوعية وتهميشها بسحب شعاراتها وتبني مطالبها ومن ناحية اخرى تمكن بورقيبة من فرض وجهة نظره على فرنسا عبر سياسة " خذ وطالب " و هكذا ظهر بورقيبة اواخر الخمسينات ليس بمظهر الخصم الاول لابن يوسف فحسب ، بل المنافس الاول لجمال عبد الناصر على زعامة " الوطن العربي " وفي هذه المرحلة بالذات يمكننا ان نتحدث عن " غيرة "

( 1 ) علي بن عامر : سيرة صالح بن يوسف " اطروحات العدد 15 / ص 15 .

( 2 ) مصدر سابق : ( ) Julien (Ch.A): Et la Tunisie... Op,Cit, P: 203.

ابن يوسف من بورقيبة التي يتساءل عنها لويبريللي (1) بل عن حقد ابن يوسف على بورقيبة مثلما يقول شارل اندري جوليان (2) دون ان ننسى فيظ بورقيبة من استمرار معارضة بن يوسف له شخصيا ولحكومته اذ جاء في رسالة بعث بها صالح بن يوسف الى ابراهيم طوبال بتاريخ 1 اوت 1961 ( اثناء معركة بنزرت ) : " اذ انك تعلم هل ان بورقيبة جاد في الحرب ام لا ، اذ ان لم يتبق له الا الحرب كوسيلة لانقاذ موقفه ، انني اعتقد انه غير جاد وانه لن يقدم على حرب تشتبك فيها الجزائر والمتطوعون العرب وغيرهم لاسباب معلومة لدى الجميع اذ لا زلت اقف منه ومن حكومته موقف الاحتراز ومستمر في عملي ... (3) ولكن بورقيبة الذي يبدو وكأنه يقن من صحة منهجه بعد تجربة اسلوبه الدبلوماسي في معالجة القضية التونسية فاصبح هو منا بامكانية تعميم هذه التجربة في حل قضايا التحرر في الوطن العربي " كالقضية الجزائرية او القضية الفلسطينية يقول بورقيبة في خطابه بالقاهرة يوم 16 جانفي 1964 بمناسبة انعقاد اجتماع الدول العربية حول القضية الفلسطينية " وليس هناك طريقة ناجحة غير طريقة المراحل ، وهي لا تعني التخلي عن الهدف او الرضى بامور تافهة تضيي عليها اسم المراحل بل ان طريقة المراحل الايجابية الشورية اشبه ما تكون بالخطة الحربية التي ترمي الى احتلال المراكز الحساسة التي تساعد على مواصلة السير والتوغل في الميدان والاقتراب اكثر فأكثر من الغاية القصوى (4) الا ان صالح بن يوسف بتحالفه مع جمال عبد الناصر كان حجر عثرة امام رغبة الحبيب بورقيبة في ان يلعب دورا فعالا في حل قضايا " التحرر العربية " ولا سيما دور الوساطة بين الغرب والدول العربية اذ قال مبررا عملية اغتيال صالح بن يوسف " لقد اضطررنا لسدادة الاستقلال الى مواجهة الفتنة اليوسفية فقد كان صالح بن يوسف ينتقل من بلد الى آخر ويقوم بحملته الدعائية ضدنا وقد وضع جمال عهده الناصر كل الامكانيات تحت تصرفه عن طريق سفارته في الخارج التي تمده بكل ما يحتاج من دعم

(1) مصدر سابق : ) Perillier(L):La Conquete...Op,Cit,P: 278.

(2) مصدر سابق : ) Julien (Ch.A.):Et la Tunisie... Op,Cit,P: 202.

(3) وردت هذه الرسالة بكتاب منصف الشابي : صالح بن يوسف بالملحق .

(4) الحبيب بورقيبة "خطب" مج 7 لوزارة الاعلام والشؤون الثقافية والمطبعة الرسمية ص 132

الى اليوم الذي قتل فيه بفرانكفورت وان كان كثير من التونسيين  
يتهمون زرق العيون بهذه الحادثة بينما في الواقع لم يطأ زرق العيون  
ارض المانيا ولا ارض فرانكفورت وانما كان بسويسرا في حين الذي نفذ  
العملية هما اثنان من الساحل اصيلي الوردانيين او مساكن ... (1)  
فهل نفذ صبر بورقيبة من تحمل معاضة خصمه صالح بن يوسف فدبر  
عملية اغتياله بمعية ابن خالته بن يوسف البشير زرق العيون الذي  
استخدم " الوردانيين " لتنفيذ العملية حتى يبعد عنه الشبه ؟  
ثم اليس غريباً ان يبدأ الخلاف بين الرجلين في افريل 1955 وينتهي  
بفاجعة في 1961 وبحضور بشير زرق العيون في البداية والنهاية ؟  
واخيراً هل هي عملية الاغتيال التي يصر عليها كل من بن يوسف  
وبورقيبة كانت الحل الوحيد لانتهاء الخلاف بينهما ؟ وبعد تصفية  
صالح بن يوسف جسدياً هل ماتت الحركة اليوسفية بموته ؟  
الا يمكن ان تكون مؤامرة لزهرة الشرايطي في ديسمبر 1962 واحداث  
قصة في جانفي 1980 امتداداً لها ؟

---

(1) Bourguiba(H): Ma. Vie... Op, Cit, P.P: 336-337. (1)

نتائج الحركة : بين السلبية والايجاب :

رغم ان دراستي للحركة اليوسفية مبتورة اذ اقتصر على مرحلة منها ( 1955-1956 ) الا انها مرحلة هامة واساسية في تاريخ الحركة اليوسفية بل فترة حاسمة في تاريخ تونس وهي تنتقل من النظام الاستعماري المباشر الى عهد جديد " سيرسم ملامح تونس ما بعد الحماية .  
ولهذا كانت النتائج التي اسفرت عليها الحركة اليوسفية نقوشا عميقة ورسوما لا تمحى في تشكل هذا النظام الجديد . فما هي هذه النتائج وهل بقي للحركة افاق بعد ما ضربت ؟

١- النتائج :١- على الصعيد الداخلي :أ- الخسائر البشرية :

لقد اسفرت الحرب الاهلية التي اندلعت في اواخر اكتوبر 1955 وبدأت نازها تخدم تدريجيا خلال 1957 عن مقتل اكثر من الف قتيل ، أي ضعف ما قتل من التونسيين خلال الثورة الاولى ( 1952-1954 ) ( 1 ) في حين بحصي ابراهيم طوبال ما بين 1957 و 1959 اكثر من 40 وطنيا من قادة جيش التحرير التونسي او من المناضلين السياسيين تم اعدامهم بعد محاكمات صورية ( 2 ) صادرة عن محاكم استثنائية سميت محاكم " شعبية " وتعتبر احكامها نافذة مباشرة دون استئناف او تعقيب . وقد احيل على هذه المحكمة الشعبية من اواخر سنة 1955 الى سنة 1958 اكثر من 1200 ماضل حسب تقديرات الظاهر عبد الله ( 3 ) ولكننا يمكننا ان نشير الى ان هذه المحكمة قد انبعثت في مطلع فيفري 1956 بعد حملات الاعتقال الجماعية التي استهدفت اليوسفيين اثر قرار زعيمهم في 28 جانفي الى ليبيا ، غير ان ليس كل من اعتقل قدم للمحكمة الاستثنائية فقد اعتقل الكثيرون وبقوا بالسجن

( 1 ) مصدر سابق : ( ) : Bessis et Belhassen: Bourguiba...Op, Cit, P:171.

( 2 ) مصدر سابق : ابراهيم طوبال : البديل الثوري في تونس ، ص 47 .

( 3 ) مصدر سابق : الداهر عبد الله : الحركة الوضوية التونسية ، ص 163 .

لمدة تزيد عن السنة ثم اطلق سراحهم دون محاكمة (1) بعد ما  
تأكدت الحكومة التونسية من زوال الخطر الحقيقي للحركة اليوسيفية  
بفضل ما تجند من القوى في سبيل ذلك من لجان رعاية وحرس وطني  
وشرطة المدن والقوات الفرنسية وعاشت البلاد فترة من الازهاب اعادت  
الى الازدهان عهد المقيم العام دي هتوكلوك ، فكان كبت الحريات العامة  
وقطع الطريق عن " المعارضة " بالقوة والقمع (2) .

ب - فشل ممارسة الرأي المخالف " في اول نظام ما بعد الاستعمار المباشر .

لم تعرف تونس ما قبل الحماية ممارسة الرأي المخالف رغم مرورها  
بتجربة دستور 1961 . ومع انتصاب الحماية الفرنسية بتونس وقع جلب  
سلوكيات " مدنية " جديدة مستعارة من المجتمع والحضارة الفرنسية منها  
الديمقراطية والتعددية والمواطنة وممارسة الرأي المخالف في نطاق  
أطر قانونية وقد ظهر اول قانون منظم لهذه الأطر في 15 سبتمبر 1888  
لاحداث الجمعيات الذي جاء في فصله الثاني " لا يمكن احداث أي جمعية  
الا بمقتضى ترخيص من الحكومة التي تصدر قرارها في ظرف شهر وهذا  
الترخيص يبقى دائما قابلا للسحب " (3) وقد وقع تنقيح هذا القانون  
بأمر صادر في 6 اوت 1936 ابان حكومة الجبهة الشعبية .  
وقد عرفت تونس نظاما متعددا تحت الحماية وظهرت عدة جمعيات  
ومنظمات واحزاب سياسية نذكر منها :

جمعية الخلدونية (1896) ، جمعية قدماء الصادقية (1905) ، تونس

الفتاة (1907) ، الحزب الحر الدستوري التونسي (1920) ، حزب الاصلاح 1921

(1) استجواب الظاهر العقربي من موالي دقايسر ، شارك في الثورة الاولى ثم تحول الى الجزائر بعد نداء  
تسليم السلاح بتونس وعاد الى تونس اثناء الثورة الاولى ثم اطلق سراحه بعد 13 شهر ا دون محاكمة  
محمد مصباح النيفر ثم اعتقاله في 28 جانفي 56 ثم اطلق سراحه بعد 13 شهر ا دون محاكمة .

(2) الصباح : 20 جانفي 1956 .

(3) زهير المظفر : التجمع والتعددية السياسية ، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ( القصة ، تونسيدون  
تاريخ ، ص 92 .

الحزب الشيوعي (1921) ، جامعة عموم العملة التونسيين الاولى (1924) والثانية (1935) ، الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد (1934) ، الاتحاد العام التونسي للشغل (1946) للصناعة والتجارة (1947) ، لطفلاحة التونسية 1949 صوت الدالاب الزيتوني (1950) ، الاتحاد النسائي ...

اذن ، ورث نظام " الاتفاقيات " مجتمعا عاش تجربة الرأي المخالف " رغم ما صاحبها من اضطهاد وقمع من قبل السلط الاستعمارية لذلك كان التونسي يتوق لممارسة " الديمقراطية " والحرية على غرار ما كان يمارسه الفرنسيون من مشاركة في الحياة السياسية في تونس وحق في فرنسا ، عن طريق الانتخابات والترشح وحرية التعبير وابداء الرأي المخالف . ورغم ان الاستعمار قبل انسحابه اوصى بالحكم لنخبة من السياسيين ذوي الثقافة المزدوجة ، ظنا منه انه بذلك سيحافظ على المد الحضاري الغربي في مقدراته القديمة ، الا ان هؤلاء الاوصياء يبدو انهم حنوا الى موروثهم الحضاري القديم من تقديس " الحاكم " وعدم عصيانه ويظهر لنا ذلك جليا من خلال مواجهة الحكومة التونسية ( سواء حكومة بن عمار او حكومة بورقيبة ) لأول نواة معارضة لنظام ما بعد الاستعمار ( الحركة اليوسيفية ) فكانت مطاردة اليوسفيين ومنع الصحف الموالية لهم عن صدور ( كالبلاغ والبلاغ الجديد والاسبوع واليقظة وصدى الزيتونة ... ) كما تم اصدار قانون 8 ديسمبر 1955 يقضي بمنع الاجتماعات والمظاهرات ، الى جانب القانون الانتخابي لجانفي 1956 الذي يمنع النساء من المشاركة في انتخابات المجلس القومي التأسيسي ، اما فصله السادس عشر فينص على " ان تجري الانتخابات على قاعدة الاقتراع على القائمة التي تحرز على الاغلبية من دورة واحدة " اي انه يمنع الخلط بين القوائم والتشطيب على الاسماء المرسمة ( 1 )

( 1 ) لطفي عيسى : اضواء على المجلس القومي التأسيسي التونسي 1956-1959 " اطروحات

واضافة الى دعم الحكومة ، شكل انصار الديوان السياسي " لجان الرعاية " مكلفة بمقاتلة " الارهابيين " وقد كتب قايد المهدية الى وزير الداخلية : " يسود الامن في كل منطقة القيادة فاعضاء لجان اليقظة يواصلون القتال ضد الارهابيين بنجاح وقد اظهروا اثناء الحملة الانتخابية حيوية ونشاطا عظيمي الفائدة .

ان المحافظة على لجان اليقظة ضرورة لحفظ الامن خاصة في هذه الظروف الصعبة ( 1 ) . وطلب بورقيبة مساندة القوات الفرنسية فلم تبخل عليه السلط الفرنسية في تونس بذلك و مكنته من امكانيات عسكرية للقضاء على " الفلاحة الجدد " المتمركزين بالجنوب والجهال التونسية بواسطة القصف الجوي و عمليات التمشيط .

ويمكن ان نفسر هذه الاجراءات وهذه التحالفات حتى مع الشيطان " على حد عبارة بورقيبة بمحاولة استيلاء الفئة العليا من البورجوازية الصغيرة بقيادة بورقيبة على دواليب الحكم منذ تشكيل حكومة الطاهر بن عمار الثانية في سبتمبر 1955 مع محاولتها التمركز في السلطة دون الفئات الاجتماعية الاخرى التي شاركت في الحركة الوطنية ، لذلك رفضت شعار " الوحدة القومية " يقول بورقيبة في خطابه في الحامة 9 ديسمبر 1955 : " وان اخاف ما اخافه ان يفتح باب الشرفي وجه الامة " ( 2 ) كما يقول في خطابه بتطاوين 13 ديسمبر 1955 : " والان اصبحت لنا بعد كفاح مرير دولة وطنية تتمتع بالسيادة ويمسك بمقاليد الحكم فيها ابناء الشعب الذين برهنوا على اخلاصهم وتحملوا في سبيل وطنهم الام السجون والنفي وعقدوا العزم على ان يخدموا امتهم ويعملوا لصالحها لهذا يتحتم عليكم ان تشدوا ازر هذه الدولة الناشئة

وتضربوا على ايدي العابثين المضللين ( 3 ) .

- ( 1 ) علي بن عامر : سيرة صالح بن يوسف ، اطروحات ، العدد 15 ، 1989 ، ص 14 .
- ( 2 ) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة : خطب " لثلاث ص 245 .
- ( 3 ) نفس المصدر : ص 216 .

فهؤلاء الذين استأثروا بالسلطة منادين بالوحدة القومية يعرفون جيدا انها وحدة هشة وسريعة العطب ولذلك كان عليهم قمع حركات المعارضة ورفض التعددية والمنحى الديمقراطي خشية دمارهم ، كما انهم يدركون ان الشعب التونسي اُمي في اغلبيته لذلك مارسوا معه سياسة " الترهيب والترغيب " مع استخدام ايديولوجية تخلق من بورقبيية " اسطورة المعصوم من الخطأ والرمز الموحد للامة والمتعالي فوق المصالح الطبقية ...

ج - اليوسفية "نكبة" على الحزب الدستوري التونسي الجديد وعلى التونسيين عموما :

لقد ادت الحركة اليوسفية الى انشقاق الحزب الدستوري التونسي الى صفتين يسعى كل صف الى ازاحة الآخر ، فهي قد ساهمت في افراغ الحزب من قواعده بحيث تم القضاء على الشق المعارض في حين اجبر الشق الآخر على الصمت (1) يقول الباهي الادغم : " كل محاولة ومجهود وسعي للتغيير وتصويب الاخطاء كان يعد خروجا على الاجماع ونيلا من قوة الدولة وبالتالي من وحدة الامة (2) ، ويعلق التهامي التركي على ذلك " بأن التفرقة اساس الخذلان وقد وجد الانتهازيون الفرصة فأخذوا يحيكون الدسائس ويتقربون من الزعيمين المتنافرين عن طريق الوشاية بالدستوريين المخلصين ، وامام حاجة الحزب الى تعميم الفراغ ، اندس هؤلاء في صفوف الحزب وعملوا على عزله شعبيا فلم يعد يحظى لدى شباب اليوم بما كان يحظى به في ايامنا " (3) .

ومع ان اليوسفية " ساهمت في فراغ الحزب من قواعده الا انها لا تتحمل وحدها المسؤولية الكاملة ، فالبورقبيية ايضا لعبت دورا في ذلك ، زيادة

(1) استجواب التهامي التركي ( ذكر سابقا ) .

(2) تصريحات الباهي الادغم في المائدة المستديرة حول 20 مارس ، المغرب العربي عدد 92 ، 18 مارس 88 .

(3) استجواب التهامي التركي .

على ان هناك من الدستوريين خاصة المقاومين كانوا ينظرون الى الاستقلال كهدف في حد ذاته وليس مجرد محطة أساسية في طريق إنجاز مهام وطنية كبرى كالرقي الاجتماعي والديمقراطي والعدالة الاجتماعية ومن هنا كانوا يعتقدون ان مهمتهم انتهت بالحصول على الاستقلال فانسحبوا ليركوا المجال لآخرين ممن تجلبهم المناصب ويهمهم النفوذ ويمكن الاستشهاد بالطاهر الاسود مثلا الذي انزوى " بالروحانية " بعيدا عن العاصمة وهمومها " (1) .

وعموما ورغم ضرب الحركة اليوسفية والتخلص منها كمنغصلا استقرار السياسي في فجر " الاستقلال " ، يقول بورقيبة معلقا <sup>على</sup> عملية اغتيال صالح بن يوسف " وهكذا تخلصت تونس من هذه الحية الرقطاء (2) يبدو ان الحية نفثت سمها في اعماق التونسيين حكومة وشعبا ، بحيث اصبحت هاجسا للنظام البورقيبي في علاقته بالمجتمع مع التونسي والمجتمع الدولي فهو يخشى ان تقوم فتنة جديدة بتونس لذلك شدد الرقابة على الحياة العامة وسعى الى تجريد البلاد من السلاح " فكل من يعثر على سلاح لديه يعاقب بتهمة حمل السلاح بغير رخصة " ، ومن ناحية اخرى حاول الرئيس الحبيب بورقيبة كسب تأييد الشعب فأظهر اهتماما بالقضايا العربية وفي الان نفسه سعى الى اتمام نقائص بروتوكول 20 مارس 1956 وحل القضايا العالقة بين تونس وفرنسا ، ظهر متشددا عما كان عليه ايام مفاوضات " الحكم الذاتي " ومفاوضات الاستقلال " مما جعل العلاقات بين تونس والجمهورية الفرنسية الخامسة تتأرجح بين الثقة والعنف ، وبدت اكثر تطلبا من علاقة المغرب بفرنسا (3) .

(1) استجواب الطاهر الاسود .

(2) Bourguiba: Ma Vie... Op, Cit, P: 338.

(3) مصدر سابق :

(3) Guy de Carmoy: Les Politiques... Op, Cit, P.P: 286-287. مصدر سابق :

اما بالنسبة للشعب التونسي ، فقد سرى فيه الخوف من " سلطة الحاكم " بفضل الصمت عن الكلام ، ولم يعد يهتم بالحياة السياسية " باسم ان السياسة لها اصحابها " .

كما بدت اللحمة التي فرضتها ظروف الصراع مع الحماية تتقلص فبدأ الصراع الطبقي يتبلور ، و ساد التنافر والكراهية بين عناصر البورقراطية وعناصر اليوسفية وكثرت الوشاية وانعدمت الثقة بين المجتمع والدولة وبين افراد المجتمع فيما بينهم فاضطر المرء الى اظهار ما لا يبطن . و وقف الاطفال يشاهدون مآسي عائلات اليوسفيين الناتجة عن عمليات التفتيش والترويع والاعتقال والسجن وحتى الاعدام ، وتساءلوا في صمت " ما ذا فعلوا هؤلاء ، هل قاوموا الاستعمار الفرنسي ليلقوا هذا المصير على ايدي التونسيين ؟ لكن الاجابة جاهزة " انهم ارهابيون ومتآمرون على أمن الدولة الناشئة " لكن هذه الاجابة غير مقبنة لهم ، وشعروا بالتعاطف مع هؤلاء بقى مكبوتا وكبر معهم نتيجة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي لم تحقق احلام التونسيين في الاستقلال فانفجر الغيظ المكتوم منذ اواخر الستينات في اشكال معارضة جديدة وفي اثواب جديدة ايضا (1) .

ومن هنا هل يمكننا القول بأن للحركة اليوسفية الفضل في فتح النضال السياسي بتونس على افاق وتوجيهات جديدة كوحدة المغرب العربي والقومية العربية والناصرية والبعثية والاشتراكية حتى ان الحزب الدستوري التونسي الجديد غير اسمه بالحزب الاشتراكي الدستوري ؟

وهل يمكننا ان نعتبر ان الحركة اليوسفية قد ساهمت الى جانب الثورة الجزائرية والعدوان الثلاثي على مصر في انماء الشعور العفوي الموجود بين

---

(1) يمكن ان نذكر من ضمن حركات المعارضة في الستينات والسبعينات المجموعة البعثية ومجموعة افاق ، المجموعة الشيوعية ، المجموعة الماركسية ( العامل التونسي والشعلة ) الجبهة القومية للقوى التقدمية لتحرير تونس ، حركة الوحدة الشعبية - حركة الديمقراطيين الاشتراكيين - التجمع القومي العربي ...

الجماهير بانتسابها الى امة عربية اسلامية تتجاوز حدودها حدود البلاد التونسية وتحويله الى وعي سياسي بالقومية العربية بضمونها الوجودي من الخليج الى المحيط وهو ما برز منذ مطلع الستينات في تونس؟

## (2) - نتائج الحركة على الصعيد الدولي :

نتيجة تطور الحركة اليوسفية وتعايدها، عن حدود البلاد التونسية ومستنري العام الدولي المحيط بها فكانت التحالفات: الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية و"الناصرية" من جهة والبورقيبية وفرنسا من جهة ثانية .

### أ- الجزائر :

يبدو ان الثورة الجزائرية قد شكلت احدى نقاط التباين في موقف طرفي الصراع اليوسفي البورقيبي كما ان قادة الثورة انفسهم لم يلتزموا بالحياد من هذا الصراع بل وقفوا الى جانب اليوسفية منذ دين بقرار طرد بن يوسف من عضوية الحزب وتجريده من الامانة العامة بالاضافة الى استنكارهم قبول تونس الحكم الذاتي "المزيف" في فترة دحر لفيها الاستعمار في انحاء العالم، فهم يعتبرون الحكم الذاتي وسمة عار ونقطة سوداء في تاريخ تونس والرض به لهو دليل على ضعف القدرة على الجهاد "وهو ما صرح به العربي التونسي من الجزائر" (1)

اما محمد خيضر همثل الجبهة الوطنية لتحرير الجزائر، فقد صرح في ندوة صحفية بالقاهرة "بانه لا سبيل الى وضع السلاح ولن تتوقف الثورة ما دامت قضية شمال افريقيا قائمة والمسألة التونسية والمغربية والجزائرية لم تحل في وقت واحد وعلى قاعدة الاستقلال التام الذي هو ركيزة وحدة المغرب العربي والتي هي هدف شعوب شمال افريقيا بعد ان تجاوزت فترة الوعي

الوطني الاقليمي وبلغت اليوم مرحلة وطن مغربي واحد" (1) .  
وهذا هو نفس الخطاب اليوسفي الداعي لمواصلة الكفاح من اجل تحقيق  
استقلال اقطار المغرب الثلاثة ، ومن هنا تعززت الثورة الجزائرية بدعم  
سكان الجنوب في عمليات تهريب السلاح عبر التراب التونسي اضافة  
الى مشاركة اليوسفيين في عمليات عسكرية ضد القوات الفرنسية في  
التراب الجزائري كما استغل الثوار الجزائريون الاراضي التونسية كمخابي  
او كقواعد للانطلاق ضد القوات الاستعمارية فكانت محاولة تشتيت  
القوات الفرنسية ولما دعا الطاهر الاسود الى تسليم السلاح الى السلطات  
التونسية ونزول جيش التحرير التونسي من الجبال التحق قسم منه  
بالثورة الجزائرية وواصل الكفاح في صفوفها .

وهكذا استفادت الثورة الجزائرية من هذا الدعم البشري من التونسيين  
الى جانب مساندهم السياسية لها .

اما بالنسبة لتونس فقد سارعت فرنسا بمنحها الاستقلال في 20 مارس 56

حتى يكسر هذه الجبهة المعارضة لحضورها في شمال افريقيا .

كما لا نستطيع ان ننكر ان الحركة اليوسفية واعتراف فرنسا بعدم صلاحية  
معاهدة باردو وبالتالي سقوط بندها التاسع (2) قد شجع بورقيبة  
على تجاوز ارتبائه وحذره تجاه الثورة الجزائرية ليصبح من المنادين  
باستقلالها ( على غرار التجربة التونسية ) وقد جاء في تصريحه للاذاعة  
الامريكية ( س.ب.س ) يوم 29 مارس 1958 : " ان السلام لن يستقر بشمال افريقيا  
وان العلاقات بين فرنسا وبين شعوب هذه المنطقة لن تعود الى مجراها

(1) الصباح : 8 فيفري 1955 .

(2) جاء في البند التاسع من معاهدة باردو : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري  
من تهريب الاسلحة والذخائر فان دولة سمو الباي تتعهد بان تمنع قطع ادخال السلاح والذخائر  
الحربية الاخرى بالمملكة التونسية .

العادي الا اذا اقترنت بفرنسا مبدءاً استقلال الجزائر (1) .

## ب - فرنسا :

لقد نجحت فرنسا بفضل الاتفاقيات المبرمة في 30 جوان 1955 في شق صفوف الحزب الدستوري التونسي ومن ورائه الحركة الوطنية التونسية التي اصبحت تهدد مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية بمطالبتها بالاستقلال وهو رغبة كل التونسيين اذ يعتبره هندي دي مونتيني مراسل صحيفة لوموند " بتونسر " : " نجم بزغ في قلوب التونسيين " .  
فبأنشقاك الحزب وتفتيت الوحدة الوطنية " الهاء للوطنيين عن مواجهة الاستعمار بتناحرهم فيما بينهم " يقول الاستاذ روءوف حمزة :  
" ان فرنسا قد استغلت هذه الانقسامات لكي تضع نفسها في موقع الاحتكام ، اذن في موقع قوة بالنسبة للطرفين وحاولت وتمكنت الى حد ما من خلال العهود والوعود التي قدمتها الى كلا الطرفين من صيانة جانب من امتيازاتها ومن موقعها في البلاد (2) .  
ويكشف بروتوكول 20 مارس عن " التضيقات " التي فرضتها فرنسا على مبدء الاستقلال اذ جاء فيه : " وتتفق فرنسا وتونس على ان تحدد اوتتتما تدابير التكافل ...

وذلك بتنظيم تعاونهما في الميادين التي تشترك فيهما مصالحهما وخاصة في وادتي الدفاع والعلائق الخارجية ...  
وستضبط الاتفاقيات ... صيغ الاعانة التي تقدمها فرنسا لتونس قصد تأليف الجيش الوطني التونسي " .

(1) مصدر سابق : لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ، ص 88 .

(2) مصدر سابق : تاريخ الحركة الوطنية التونسية ، وثائق الحزب الدستوري الجديد يدخل في حوار اخير

(1950-1951) ص 250 .

(3) التدخل الكامل للاستاذ روءوف حمزة في ندوة المغرب حول 20 مارس المغرب العربي عدد 25/93

مارس 1988 ، ص 51 .

ومن هنا يشير بيان الحزب الدستوري التونسي الاول ( اللجنة التنفيذية )  
الي خطورة هذا التعاون والاعانة في ميداني الدفاع والدبلوماسية  
مما ينجرعنه " نيل من السيادة التونسية " ولا سيما ان تصريحات  
المسؤولين في الحكومة الفرنسية تؤكد ذلك بحيث صرح رئيس  
الحكومة الفرنسية م. م. قبي مو للي بالاذاعة الفرنسية يوم 22 مارس 56  
" انه في خصوص الجيش والسيادة الخارجية فانه من البديهي ان الحكومة  
الفرنسية لن تقبل بأي تخل " ( 1 ) .

وهكذا نفهم ان اعتراف فرنسا بعدم صلاحية معاهدة باردو ليعني  
الغاءها ، كما ان بروتوكول الاستقلال لا يلغي تماما جميع اتفاقيات  
3 جوان 1955 وانما ينص على تحويلها والغاء الاحكام التي تتنافى مع  
النظام الجديد لتونس بوصفها دولة مستقلة ذات سيادة .  
وربما يتبادر الى ذهننا سؤال عن جدوى وزارتي الدفاع والشؤون  
الخارجية " المحدثتين " في حكومة افريل 1956 ؟ ولماذا احتفظ  
بهما بورقيبة الى جانب رئاسة الحكومة ؟ وهل يصح القول بان  
فرنسا استرجعت باليسر ما قدمته باليمن في نطاق الاستعمار الجديد  
الذي بدأت مجموعة باندونغ " تحذر منه الشعوب المستعمرة ؟  
ج - مصر :

لقد مثلت مصر نقطة ارتكاز المقاومة المسلحة بالمغرب العربي  
حيث كانت تمددها بالاسلح والذخيرة والاموال ، كما فتحت معسكرات  
لتدريب " الكومندوس " على ارضها ووظفت علاقتها الدولية لخدمة  
قضية شمال افريقيا على مصر في اكتوبر 1956 .  
كما مثلت مصر ملجأ لابن يوسف وانصاره اليوسفيين الفارين من  
القمع البورقيبي في تونس .

( 1 ) بيان " اللجنة التنفيذية " الصادر بجريدة " الاستقلال " بتاريخ 30 مارس 1956 .

وان تنقصنا المعلومات الكافية عن نشاط صالح بن يوسف في مصر (1) فان مساندة مصر له لا تخفى على احد بحيث مكنته من ابلاغ صوته عبر اذاعة " صوت العرب " وعبر اعمدة الصحافة المصرية كما سهلت له عمليات التنقل من بلد الى آخر قصد الدعاية لحركته ، ويبدو ان هذا الدعم قد اقلق بورقيبة ولا سيما الدعم العسكري يقول " بورقيبة : " ان الجمهورية العربية المتحدة ( مصر ) لم تنجدنا بأي عون زمن ما كنا نكافح ضد فرنسا ، اما لانعاش الاضطرابات فهي لا تتوانى عن توفير السلاح لها " (2)

وهكذا توترت العلاقات بين مصر وتونس الى حد القطيعة ، فهل كانت الحركة اليوسفية وحدها سبب هذا التوتر بين الحكومة التونسية والحكومة المصرية ؟ او هناك اغراض اخرى دفيئة بين الزعيمين بورقيبة وجمال عبد الناصر اتخذت الحركة اليوسفية واجهة لها ؟

---

1 ) نظرا لعدم فتح الارشيف المصري والجزائري الخاص بهذه الحقبة التاريخية للعموم .

2) Bourguiba: Ma Vie... OP, Cit, P: 324.

(2) مصدر سابق: )

ثلاثية النجاح والفشل في الحركة اليوسفية

لقد انطلقت الحركة اليوسفية بمعارضة منفردة من قبل صالح بن يوسف لاتفاقيات 3 جوان 1956 التي قال فيها المقيم العام الفرنسي بويي دي لا تور بانها لم تفقد الفرنسيين شيئا على شرط الا تمنح فرنسا لبقية اقطار شمال افريقيا اكثر مما منحته الى تونس التي <sup>تعد</sup> الاكثر تقدما (1) وكانت غاية هذه المعارضة الغاء الاتفاقيات والاعتراف بالاستقلال التام وبذلك تصبح تونس حرة مستقلة ومسؤولة عن اختياراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وعن تحديد علاقتها الدولية (2) ولتحقيق هذه الغايات اعتمد صالح بن يوسف في الداخل على الشعب التونسي الذي استجاب قسم كبير منه ولا سيما ابناء الجنوب للدعاية اليوسفية ، اما في الخارج فقد عول صالح بن يوسف على مساندة مجموعة باندونغ و دول الشرق العربي وخاصة مصر جمال عبد الناصر فربط القضية التونسية بالثورة في اقطار المغرب العربي .

فهل نجحت الحركة اليوسفية او فشلت ؟

(1) - على الصعيد التنظيمي :

لقد نجح صالح بن يوسف في توسيع دائرة المعارضة التي تجاوزت شخصه لتستقطب قسما كبيرا من المجتمع التونسي دون الاقتصار على فئة أو طبقة معينة تحت شعار الاستقلال التام ، مما يوكد ضعف الصراع الطبقي وتقلص التناقضات الاجتماعية داخل المجتمع التونسي في فترة الاستعمار الفرنسي المباشر ، بل كان التناقض بين المعمرين من ناحية والاهالي من ناحية اخرى ، فكان الصراع بين المستعمر والمتعاونين معه من التونسيين

(1) مصدر سابق : (1) Boyer de la Tour: Verités... Op, Cit, P: 122.

(2) بيان 28 افريل 1956 للامانة العامة ورد بكتاب الطاهر عبد الله / صص 172 الى ص 181

من جهة والرافضين له من جهة اخرى ولهذا يصعب علينا تصنيف

المنتمين لليوسفية حسب انتماءاتهم الطبيعية او الاجتماعية او الجهوية

اذ ضمت ما كان قد ضم الحزب فهي فيئات اجتماعية متباينة . وعلى اساس

الولاء والعلاقات الشخصية ، وذلك بان الخلاف اليوسفي البورقيبي قد

كان داخل الحزب ولم يخرج عن دائرة ايديولوجية واستراتيجية ، فما

كان يظاللب به صالح بن يوسف هو ما جاء في قرارات الحزب الدستوري

التونسي ولا سيما قرار مؤتمر 18 جانفي 1952 اذ جاء في اللائحة السياسية

الصادرة عن هذا المؤتمر " يدعو المؤتمر الديوان السياسي للقيام

بكل عمل من شأنه ان يوء دي الى مراجعة العلاقات مع فرنسا ، ويؤكد

لا يمكن التعاون الودي والمثريبين البلديين في الميادين الثقافية والاقتصادية

والدفاع الا بانتهاء الحماية واستقلال البلاد التونسية وابرام معاهدة ود

وتحالف على قدم المساواة (1) .

فقد شرع هذا المؤتمر الذي انعقد في غياب الحبيب بورقيبة اذ كانت السلط

الفرنسية قد القت عليه القبض في صباح 18 جانفي 1952 كل عمل ينهي

الحماية ويحقق الاستقلال ووفقا لذلك استعمل صالح بن يوسف العمل

السياسي لمناهضة الاتفاقيات الفرنسية التونسية والعمل العسكري للمطالبة

بالاستقلال التام ، وبذلك استطاع ان يركز حركة منظمة تركز على تنظيم سياسي

قائم على ترتيب سلمي ينطلق من خلايا لليوسفية منتشرة في انحاء

البلاد ، تابعة لجامعات جهوية ، منضوية تحت لواء الامانة العامة المركزية

بتونس العاصمة التي يترأسها صالح بن يوسف ، أما أمينها العام فحسين

التريكي وهو الناطق باسمها . ومهمة هذه الهياكل السياسية :

الدعاية وتأطير قواعد الحركة ، كما ركزت الحركة الى جانبي هذه

الهياكل السياسية تنظيما عسكريا يعتمد في القاعد على مجموعات

(1) مصدر سابق : لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ص 60 - 61 .

العصابات ) تنقسم الى نوعين :

العصابات المباشرة للعمل العسكري في الجبال والاحراش والمدن التونسية

وتتكون عادة من مجموعة قد يرتفع او يقل عددها بحيث يتراوح عموما

ما بين العشرة والمائتي نفر وتتميز هذه العناصر عادة التي نفس الجهة

نسب الانتماء القبلي ( مرزايق - ورغمة - حزم - حمارنة - نفزاوة ... )

مثلا مجموعة يانسر بن يانسر تضم مجموعة بثلاثين رجلا كلهم من

عرش اولاد خليفة ( الحامة ) وقد تضم مجموعة عناصر من عروش مختلفة (1)

مثل مجموعة الساسي بالهادف التي جمعت بين الحزم والحمارنة والغرائرة

وكان عددها اكثر من 200 " فلاق" وكان مسح عملياتها المنطقية

الواقعة ما بين سيدي امحمد التواتي بمطاطة اين يقع مخبأ اسلحتها

وجبل بوهدمة (2) وفي بعض الاحيان تشترك هذه المجموعات

في تنفيذ عمليات مشتركة مع ثوار جزائريين .

وعموما اعتمدت هذه المجموعات على اسلوب " حرب العصابات " بمهاجمة

مراكز الامن وقواعد الجيش الفرنسي وضيعات المعمرين مع تخريب

شبكة الخطوط الهاتفية بالاضافة الى التعرض الى انصار الاديوان السياسي

لثرو يعهم قصد انتماهم <sup>له</sup> عن الولاء لحكومة بن عمار التي تسهر على

تطبيق الاتفاقيات الفرنسية التونسية كما انها فقدت موضوعيتها

في نظر اليوسفيين بضمها عناصر من الاديوان السياسي مما جعلها

تحتاز الى الشق البورقيبي .

ومن الملاحظ ان قادة هذه المجموعات المباشرة لحرب العصابات انحاء

الخاطفة كانت تتلقى الاوامر والتعليمات من قيادة جيش التحرير التونسي

1) استجواب سعيد بن فالح السبوعي وقد كان ضمن هذه المجموعة وشارك في عدة معارك ضد القوات

الفرنسية ولجان الرعاية مثل معركة عين البيضاء .

2) المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( Notes de Renseignements ) J, 506/2H 313, 2) N° 953/ 2, D, S/SC.

والتي هي في الان نفسه قيادة جيش تحرير شمال افريقيا ، وذلك عبر لجان فرعية تكلفت بأن تلعب دور الواسطة بين قادة العصابات والقيادة العامة المتواجدة خارج البلاد بالتراب الليبي .

ب- عصابات تهريب السلاح وتتركب عادة من تونسيين او من تونسيين جزائريين ، عدد عناصرها ضعيف لا يتجاوز عموما العشرة انفار ، يتكلف بعض مرشدي الطريق بمصاحبة القافلة التي تتركب من بعض الجمال ( 2 أو 3 ) خصصت لحمل السلاح ، تسلك القافلة مسالك عديدة قصد التموية انطلاقا من الحدود الليبية مرورا بالتراب التونسي حيث يزود جيش التحرير التونسي بما يحتاج من الاسلحة والذخيرة ، لتصل القافلة الى الجزائر واذا كانت الاسلحة موجهة الى الجهة الغربية فانها تواصل طريقها نحو وهران ومراكش ( 1 ) .

واذا كانت هذه الاسلحة تأتي من مصر وتشرف القيادة العامة لجيش تحرير شمال افريقيا على انزالها بالسواحل الليبية تنقل فورا الى مخزن "التشويين" بزوارق ( 2 ) ومنه توزع على اللجان الفرعية المكلفة بايصال السلاح الى الحدود الليبية حيث تتفصله قوافل تهريب السلاح ، ويجري ذلك في كامل السرية والتحفظ خشية انكشاف الامر ، وما ينجر عنه من انعكاسات وخيمة على المقاومة بشمال افريقيا وعلى علاقة مصر بكل من فرنسا واسبانيا .

ومن الملاحظ ان في البداية واثرا لتحاق صالح بن يوسف بليبيا كان هناك تنسيق بينه وبين الطاهر الاسود القائد العام لجيش التحرير التونسي ولكن امام الصعوبات التي اصبحت تواجهها قوافل تهريب السلاح عبر التراب

( 1 ) استجواب الطاهر الاسود في ماي 1985 .

( 2 ) مصدر سابق : مذكرات فتحي الديب : مجلة مصر / ص 2 .

التونسي اخفى الظاهر الاسود عن صالح بن يوسف المحاط "بالجواسير" حسب رأي الظاهر الاسود (1) كل ما يتعلق بموعد انزال السلاح و مسالك توزيعه حتى يبلغ الشوارب شمال افريقيا دون أن تعرف السلطة الفرنسية بالجنوب التونسي عن ذلك شيئاً .

وربما كان هذا احدى اسباب توتر العلاقة بين الرجلين ولا سيما بعد ما اقتنع الظاهر الاسود بأن الثورة قد انجزت اهدافها باعلان برو توكول 20 مارس .

وهكذا نتبين ان صالح بن يوسف قد بنى حركة معارضة متينة التنظيم ولكن غير متجانسة العناصر تجتمع حول مبدأ الاستقلال التام ، وربما هذا ما جعلها تحمل بذور انشقاقها ، وما ذلك الا مظهر الفرقعة الائتلاف والتحالفات الظرفية في صلب الحزب الدستوري التونسي الجديد وهو يتهيأ ليخلف الاستعمار الفرنسي المباشر في السلطة بتونس في ظل التحولات العالمية التي افرزتها الحرب العالمية الثانية .

(2) - على مستوى الاهداف :

يسدوان الحركة ليس لها هدف واحد ، بل مجموعة من الاهداف خاصة " سياسة المراحل " .

وفي البداية يسدوان الحركة اليوسفية قد رسمت كهدف لها الغايات الاتفاقيات الفرنسية التونسية والمطالبة بالاستقلال التام .

ولتحقيق هذين الهدفين ، سعى صالح بن يوسف الى تعبئة عامة ضد الاتفاقيات 3 جوان 1955 ، قصد المغائها باعتبارها " خطوة الى الوراء " بما انها اقرت ما لم تقره معاهدة باردو " فدعا وهوفي الخارج الى مناهضة الاتفاقيات للحيلولة دون المصادقة عليها ، ولكن تم التوقيع

(1) استجواب الظاهر الاسود .

عليها من قبل الجانب الفرنسي ، والجانب التونسي وصادقت عليها  
المؤسسات السياسية الفرنسية والتونسية ( البرلمان الفرنسي - مجلس  
الجمهورية الفرنسية و بباي تونس) فما بقي امام صالح بن يوسف الا  
العودة الى ارض الوطن وتأليب الرأي العام التونسي لاسقاط الاتفاقيات  
بانعدام شرط رضا الشعب بها ” .

ولكن بورقيبة الذي كان قد انقذ مفاوضات 54 - 1955 بموافقته  
على اتفاق 21 افريل 1955 ادرك خطورة موقف بن يوسف من الاتفاقيات  
هذاته للموقف المحسوب على الحزب الدستوري التونسي باعتبار صالح  
بن يوسف امين عام هذا الحزب وخوفا من ان يتهم انتصاره الفرنسيون  
بالحكومة الفرنسية وفي اوساط الرأي العام الفرنسي الحزب الدستوري  
الجديد بالتلاعب، والتأرجح على الحبلين ، بادر الحبيب بورقيبة بتأييد  
من اعضاء الديوان السياسي الى طرد صالح بن يوسف من الحزب  
وتجريدته من الامانة العامة ، الا ان صالح بن يوسف لم يمتثل لقرار الطرد  
وأصر على انتمائه للحزب لأن قرار الطرد الصادر في شأنه لم يصدر عن مؤتمر عام  
حسب القانون الداخلي للحزب ، وايدته الكثيرون من التونسيين في ذلك مما جعله يعتبر  
ان الامانة العامة هي الممثل لا لوحيده للحزب في حين يعتبر الديوان السياسي منحلا  
وبذلك انقسم الحزب الدستوري التونسي الجديد و من ورائه المجتمع التونسي الى  
مؤيد لهذا الشق أو ذاك فربما ان كل شق يحسب نفسه على صواب ويجعل الاخر  
على ضلالة ساد ” حوار الصم ” ودخلت البلاد دوامة الحرب الاهلية التي استفحل  
امرها اثر مؤتمرات صفاقس الذي ايد قرار طرد وتجريد بن يوسف من الامانة  
العامة وقد كان بن يوسف دعا الى مقاطعة حضور المؤتمر باعتبار الدعوة  
لانعقاده لم تصدر عنه بكونه الامين العام وهذا ما يضبطه القانون الداخلي  
للحزب .

ورغم عدم حضور اغلبية اليوسفيين اشغال المؤتمر فقد اقر هذا الاخير

في لوائحها بان اتفاقيات 3 جوان 1955 ما هي الا خطوة نحو الاستقلال  
تستوجب مواصلة الجهد والسير لتحقيق " المني " ، غير ان بن يوسف  
الرافض للمؤتمر الصفاقسي وبالتالي هوفي حل من قراراته ، اتجه نحو  
استخدام العنف الثوري في اتجاه :

اولا : الديوان السياسي والحكومة التونسية ليرغمها على المطالبة  
بتجاوز الاتفاقيات وعدم الوقوف عندها وهذا ما نجحت فيه الحركة  
اليوسفية ، اذ اقر المجلس الملي المنعقد في جانفي 1956 ان الاتفاقيات  
الفرنسية التونسية المبرمة في 3 جوان 1955 منقوضة وقد تجاوزتها  
الاحداث ولا بد من تعديلها لاستقرار النظام .

ثانيا : الحضور الفرنسي الذي سمحت له الاتفاقيات بمواصلة تواجده بالمناطق  
الاستراتيجية من البلاد التونسية ، فاصبح كل ما يرمز الى هذا الحضور  
من مراكز امن وقواعد عسكرية وضيعات معمرين وشبكات اتصال ... هدفا  
لنشاط " الفلاقة " الجدد نواة جيش التحرير التونسي وخشيت فرنسا  
من تنامي المعارضة السياسية بتونس والتي قد تصل الى السيطرة على المجلس  
القومي التأسيسي عبر انتخابات 25 مارس 1956 وعند ذلك قد يعلن المجلس  
القومي التأسيسي عن الغاء الاتفاقيات باعتباره جهاز تمثيلي للشعب ، ومن  
ناحية اخرى خشيت فرنسا من تحالف الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية  
ومن التحام جيوش التحرير التونسي بجيش التحرير الجزائري مما قد يودي  
الى قيام حرب شاملة بمستعمرتها شمال افريقيا وهي لا قدرة لها عليها ،  
لذلك سارعت فرنسا بمنح الشق البورقيبي استقلال تونس بموجب بروتوكول  
20 مارس 1956 بعد هط منحت الاستقلال للمغرب في 2 مارس 1956 وقد افصح  
المسؤولون في الحكومة الفرنسية عن غايتهم من وراء ذلك امام البرلمان  
الفرنسي في جوان 1956 اذ اجمعوا على ان فرنسا وقعت على وثيقة

استقلال تونس لا يقف الثورة بها وقطع محاولات الالتحام مع الثورة الجزائرية ومنع تونس من دخول الجامعة العربية بالاضافة الى مساندة حزب بورقيبة صديق فرنسا الذي يعمل على ايقاف المد القومي العربي تجاه افريقيا الشمالية " (1) .

وهكذا يمكن ان نعتبر ان الحركة اليوسفية بجناحها السياسي والعسكري قد نجحت الى حد ما في تحقيق الهدفين الاولين : تجاوز الاتفاقيات والمطالبة بالاستقلال التام ، ولكن لحساب خصومها " انصار الاتفاقيات " . وربما هذا ما جعل بن يوسف يحذر من خطورة التكافل الذي قد يؤدي الى تركيز استعمار جديد بالبلاد ، فطرح على حركته هدفين جديدين : " الجلاء " وازاحة حكومة بورقيبة عن السلطة ، ولا سيما أن هذه الحكومة قد تفننت في محاصرة الحركة اليوسفية وخنق كل معارضة لها ولسحب البساط نهائيا من تحت اقدام صالح بن يوسف تبني بورقيبة شعاراته ، فاصبح يطالب " بالجلاء " والاستقلال الجزائري وحتى بوحدة المغرب العربي ، اذ ادلى الحبيب بورقيبة بتصريح للاذاعة الامريكية ( سي . ب . سي ) يوم 23 مارس 1958 قال فيه : " ان الهدف الاول للسياسة الخارجية التونسية هو وحدة الشمال الافريقي في نطاق اتحادين تونس والمغرب ودولة جزائرية حرة مستقلة ... "

وهكذا ما بقي امام صالح بن يوسف الذي صدر ضده حكم غيابي بالاعدام في ماي 1957 وبعد ما وقع طرده من ليبيا وتشنت حركته نتيجة القمع السياسي واستسلام اغلبية قوته العسكرية وردة انصاره ، الا ان يحصر معارضته في الاطاحة بالنظام البورقبي و خاصة شخص بورقيبة في فترة اصبح

(1) من تصريحات الان سافري امام الجمعية الوطنية الفرنسية في جوان 1956 وردت بمجلة " وعى

الضرورة " العدد الاول ماي - حيزران بيروت ، لبنان 1978 / ص : 118 .

فيها هذا الاخير يتطلع الى الظهور امام المجتمع الدولي بانه قادر على حل معضلة الاستعمار بالوطن العربي على غرار التجربة التونسية بينما أصبح بن يوسف يسعى الى الاستلاء على السلطة ، كانه ادرك اخيرا انه لا يمكنه فرض رأيه الا اذا تقلد مقاليد الحكم .

ولهذا اصبح كل منهما عبثا ثقيلًا وحجر عثرة بالنسبة للآخر فكانت الرغبة المتبادلة في التخلص من الخصم بتصفيدته جسديًا وان فشلت محاولة بن يوسف في 1959 فقد نال بورقيبة من صاحبه بن يوسف في اوت 61 أيّان كانت كل الانظار متجهة الى معركة بنزرت .

وهكذا نتبين دور الحركة اليوسفية في دفع القضية التونسية تدريجيا الى حل نهائي طبقا لسياسة المراحل ، فمثلا اثر قصف الطائرات الفرنسية قرية ساقين سيدي يوسف في 8 فيفري 1958 مما أدى الى سقوط 68 قتيلًا وجرح 87 آخرين بعث صالح بن يوسف ببرقية الى الحبيب بورقيبة رئيس الحكومة التونسية يقول فيها : " نظرا لتطور الحوادث ببلادنا وسائر بلاد المغرب العربي اعلن عن الاشهاد الى حكومتكم الموقرة والى الشعب التونسي المكافح ان الظرف التاريخي ... يفرض على شعبنا ان يتكتل في وحدة جبارة لا تترك ثلثة بين جهاعات المعارضة وجماعات الحكومة لتكون تونس حكومة وشعبا قوة هائلة تستطيع بالتعاون الوثيق مع الشقيقتين الجزائر ومراكش المناضلتين التغلب على الاستعمار الفرنسي الغادر الغشوم وطرده من اراضيها ... " (2)

ومن هنا يبدو وكأن بورقيبة وبن يوسف وجهان لعملية واحدة قد تقاسما الادوار داخل الحزب الدستوري التونسي الجديد بحيث ظهر بن يوسف

(1) مصدر سابق : لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ، ص 88 .

(2) وردت هذه البرقية بكتاب الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية (مصدر ذكر سابقا) ص 171 .

في مظهر " المتصلب " الرافض المنسجم مع مجموعة بانندوشغ "   
والمناصر لوحيدة المغرب العربي وبذلك كسب تأييد الشعب وخسر   
ثقة فرنسا في حين ظهر بورقيبة في مظهر " المعتدل " المتفهم   
" المتعلق بالغرب " الراضي بالحلول الوسطى ، وبذلك استعاد ثقته   
بفرنسا التي منحته ما كان يطالب به خصمه بن يوسف وبالتالى يمكنه   
من استرجاع ما قد فقده لصالحه أي تأييد الشعب .

وهكذا من خلال عملية حسابية ظهر بن يوسف خاسرا في الوقت   
الذي نجح فيه في تحقيق اهداف حزبه على يد الشق " اللين " فجاءت   
الصورة غير الصورة .

فما هي اسباب فشل الحركة اليوسفية في انجاز مهمة التحرر الوطني   
فهل كان ذلك نتيجة عوامل داخلية خاصة بالحركة في حد ذاتها ؟   
او نتيجة عوامل خارجية خارجة عن نطاقها ولا قدرة لها عليها ؟   
3 اسباب وعوامل فشل الحركة اليوسفية :

أبيبدو وكأننا وقعنا في التناقض ان فادتنا دراستنا للحركة اليوسفية في   
مرحلتها الكبرى من افريل 1955 الى جويلية 1956 الى الاعتقاد بأن الحركة   
اليوسفية قد نجحت في تحقيق اهدافها نسبيا ان فرضت على فرنسا   
التعامل مع الشق البورقبي الذي تبني مطالب الحركة لا سيما " مطلب   
الاستقلال التام " وبالتالى بدأ الحزب الدستوري الجديد كأنه تقمص ثوب   
الحزب الحر الدستوري القديم ( اللجنة التنفيذية ) المطالب بهذا الاستقلال   
منذ 1937 وهذا ما نستشفه من خلال بيان " اللجنة التنفيذية " من   
بروتوكول 20 مارس 1956 ان جاء في هذا البيان : " رابعا : ان هذا   
البروتوكول يحمل ضمنه بذور المبادئ التي اقترتها الاتفاقيات المبرمة   
3 جوان 1955 تلك الاتفاقيات التي كان حزبا الحر الدستوري أول من رفضها

وقد رأينا بمزيد الارتياح الاستاذ صالح بن يوسف قد رفضها هو  
الاخرون الدستور الجديد الذي كان تبناها بتحمس منقطع النظير  
قد اعترف في النهاية بانها اصبحت غير متماشية مع الواقع وطالب  
بالاستقلال التام الذي كنا نطالب به منذ السنين الطوال... فقد كنا  
متطرفين وخياليين وحتى معتوهين ولكن ها انه جاء اليوم الذي  
رجع فيه القوم الينا واعتنقوا مبادئنا (1) ...

وهكذا نستنتج ان في تلك المرحلة التاريخية ( منتصف الخمسينات ) قد  
اجمعت مختلف التيارات السياسية والمنظمات الوطنية ومن ورائها الشعب  
التونسي على مبدأ الاستقلال التام ، فكان بروتوكول 20 مارس 1956 الذي  
يعترف بأن تونس دولة مستقلة ذات سيادة في نطاق التكافل بينها وبين  
فرنسا ، مما جعل الأمانة العامة للحزب الدستوري التونسي الجديد ،  
يحذر من لفظ التكافل والذي رأته اللجنة التنفيذية ايضا . ضغطا خطيرا  
هو مرادف للتبعية ذات الاتجاه الواحد عند ما يضبط علاقات دولة ضعيفة  
بشعب قوي (2) .

ومن هنا تبدأ هزيمة الحركة اليوسفية ، بحيث لم تستطع هذه الحركة  
ان تفرض خطها السياسي " حل القضية التونسية عبر هيئة الامم المتحدة  
طبقا لمبدأ: حق الشعوب في تقرير المصير " بل فشلت حتى في فرض نفسها  
على فرنسا في إطار التفاوض الشائئ وجعلها تستجيب لطموحات الشعب  
التونسي التي تقول بانها تعبر عنها وبالتالي تجنبه " الاستقلال (الصوري)  
والذي يراه بن يوسف كارثة على تونس وعلى الثورة الجزائرية " (3)  
وهكذا سمحت لبورقيبة بارادتها وبعدم ارادتها ان تفرض خطها السياسي

(1) حرية الاستقلال : 30 مارس 1956 .

(2) نفس الجريدة ونفس التاريخ .

(3) مصدر سابق : ابراهيم طوبال : البيدليل الثوري في تونس ، ص 56 .

المنادي بالتعاون الذي لا يكون بالقوة والقهر بل يجب ان يتم على اساس الاختيار الحر، والتساوي والفائدة المشتركة والمنافع المتبادلة لأنه لا توجد في عالم اليوم امة من الامم على اختلاف الملل والنحل تستطيع ان تعيش بمعزل عن بقية الامم (1) .

وهذا يجعلنا نتساءل عن أسباب فشل الحركة اليوسيفية، يبدو ان الحركة اليوسيفية قد فشلت في نقطتين :

الاولى قضية التحرر الوطني " : منذ ان اعلن عن اتفاق 21 افريل 1955 بين

بورقيبة وادقار فور ( رئيس الحكومة الفرنسية ) ، صرح صالح بن يوسف وهو

في بانندونج يحضر بصفة ملاحظ اشغال المؤتمر الاول لمجموعة الدول الافريقية

الاسياوية قائلا : " ان الحزب الدستوري التوشسي قبل الحكم الذاتي كخطوة

نحو الاستقلال التام فان كل اتفاق يقر الوضع السياسي الراهن سيقلق

باب الاستقلال و سيرفضه الشعب التونسي (2) .

ولتحقيق هيدوا الاستقلال التام والناجز رسم صالح بن يوسف خطتين تكمل

الواحدة الاخرى وهما معارضة سياسية كقوة سلبية (3) تدفع الى عقد مؤتمر

عام للحزب ترفض خلاله الاتفاقيات الفرنسية التونسية المبرمة في 3 جوان 55

الى جانب مواصلة الكفاح المسلح في نطاق تحرير شمال افريقيا من الاستعمار

الفرنسي .

ومن الملاحظ ان الحكومة التونسية التي اصدرت قرار 8 ديسمبر 1955 قد

حالت دون عقد هذا المؤتمر الذي حدد ليوم 8 جانفي 1956 وذلك

تأكيدا من صالح بن يوسف زعيم الحركة انه ما زال ملتزما بقرارات مؤتمر

الحزب الدستوري التونسي الجديد المنعقد في 8 جانفي 1952 وانه لم

(1) مصدر سابق : الحبيب بورقيبة "خطب" ع.ج. الم.م ص 10 ع

(2) قوة سلبية " وقوة ايجابية " كلمتان استعملهما صالح بن يوسف .

(3) بيان الامانة العامة حول الوضع الراهن بتونس الصادر في 28 افريل 1956 ورد بكتاب الطا هر عبد الله

الحركة الوطنية التونسية : ص 173 .

يخرج عن مبادئه مثلما جاء في قرار طرده يوم 12 اكتوبر 1955

من عضوية الحزب وتجريده من الامانة العامة .

اما الكفاح المسلح وهو اسلوب مارسه الحزب خلال 1952 و 1954 كاداة ضغط على فرنسا لتفتح باب التفاوض الثنائي من جديد بعد ما اقترت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة مبدأ التفاوض بين تونس وفرنسا خلال دورتي 1952 و 1953 وقد دعا صالح بن يوسف الى مواصلة الكفاح المسلح منذ مارس 1955 ابان مفاوضات الحكم الذاتي كما اكد على ذلك في خطابه بجامع الزيتونة في 7 اكتوبر 1955 وفي بقية خطبه اللاحقة . ومن هنا يبدولنا ان صالح بن يوسف قد التجأ الى هذا الاسلوب الثوري " باعتباره قوة ايجابية تحول دون تنازلات المفاوضات بين التونسيين المريضة ( 1 ) .

فهو اذن لم يخرج عن نظرة الحزب الدستوري الجديد الى الكفاح المسلح بكونه اداة ضغط و مناورة وانطلاقا من هذه النظرة استخدم صالح بن يوسف " الفلاحة الجدد " في اتجاه خصومه " الديوان السياسي والحضور الفرنسي ) بتونس ، كما استخدم ايضا بورقيبة قسما من الفلاحة القدامى لمخاصمة خصومه بعد ما اغدقت عليهم الحكومة التونسية امتيازات اقتصادية كتمكينهم من الاراضي و رخص الاستيراد والتصدير ( الجمركي ) و رخص خطوط النقل المدني ...

ومن هنا يتضح لنا غياب رؤية ثورية واضحة لفهم كلمة الاستقلال المنشود بالنسبة للمقاومين التونسيين جميعا سوى اليوسفيين او البورقيبيين فالمقاومة التونسية لم ترم الى بناء مجتمع جديد على اساس العدالة والديمقراطية فهي لم تطرح أي افئاق سياسية واجتماعية ويرجع محمد عابد الجابري ذلك الى " ان حركة المقاومة لم تكن حركة منفصلة عن الحركة الوطنية

بل كانت التعبير المسلح لهذه الحركة ، وبالتالي فالآفاق السياسية والاجتماعية التي كانت تتحرك فيها المقاومة هي نفسها الافاق التي كانت تتحرك فيها الحركة الوطنية عموما والصراع السياسي والاجتماعي الوطني كانت تخوضه المقاومة داخل الحركة الوطنية وليس خارجها (1) وربما لا تنقص الرواية الثورية الواضحة الجناح العسكري للحركة اليوسيفية فقط بل تنقص ايضا الجناح السياسي وقيادته ( صالح بن يوسف نفسه ) الذي استطاع ان يجمع قسما كبيرا من المجتمع التونسي حول شعار مواصلة الكفاح من اجل الاستقلال التام ، ولكن ماذا بعد ذلك ؟ هل يتعلق الامر بالانفصال عن النظام الرأسمالي او السير في طريق الاشتراكية او مواصلة الطريق التي رسمتها الدولة الاستعمارية ؟

وباختصار يبدو ان الحركة اليوسيفية التي لم تخرج عن دائرة الحركة الوطنية التونسية ذات الطابع الاصلاحى عموما ، كانت عازمة على افنتكاك الاستقلال التام والتخلص من الاستعمار الفرنسى والتعبئة المباشرة للعرب ، الا ان مشروع ما بعد الاستعمار يبقى امرا غامضا ، وهذه احدى نقاط ضعفها اثر الاعلان عن وثيقة استقلال تونس في 20 مارس 1956 .

(ب) - النقطة الثانية: " الوصول الى السلطة .

قد تقع في الخطأ عند ما تعبّر الحركة اليوسيفية من بدايتها الى نهاية زعيمها صالح بن يوسف ( في 1961 ) هي حركة صراع على السلطة والنفوذ السياسي اندلع عند ما اشرفت تونس على حصولها على الاستقلال اذ من خلال دراسة اطوار الحركة في مرحلتها الكبرى ( افريل 1955 مارس 1956 ) ظهر لنا بن يوسف عازفا عن تقليد الحكم حتى ولو كانت رئاسة الحكومة وهذا ما يشاهده الكثيرون من الدستوريين نذكر منهم

(1) مصدر سابق : محمد عابد الجابري : المغرب المعاصر ، ص 122 .

شهادة الباهي الأدهم الذي اتصل ببورقيبة قصد اقتناعه بالتراجع عن قرار طرد بن يوسف من الحزب فقال له بورقيبة : " ان تراجع ( بن يوسف ) على انها ( الاتفاقيات ) الى الوراثة ، فليتفضل ، وسأكلم الباي ليصبح هو رئيس الحكومة بدلا من الطاهر بن عمار... فرد ابن يوسف بالرفض " ( 1 ) .

ولعل هذا الرفض يفسر برفض صالح بن يوسف للاتفاقيات والنظام الذي افرزته بل طرح على نفسه وعلى حركته مهمة مقاومة هذه الانشقاقات فكانت حركته أول حركة معارضة لنظام ما بعد الحكم الاستعماري المباشر ولكن هل لحركة المعارضة غاية غير الوصول الى السلطة ؟

يقول شارل سوماني (charles saumagne) المؤرخ والموظف السامي بالاقامة العامة بتونس : " ان الزعيم صالح بن يوسف كان يسعى بكل السبل الى اقتناع فرنسا بأنه اقدر من بورقيبة على خدمة و ضمان مصالحها ( 2 ) . ومن هنا يلاحظ الاستاذ روف حمزة " ان صالح بن يوسف هو نفسه مقتنع وشاعر الى حد بعيد بوجود تقديم بعض الضمانات وبعض التطمينات الى الحكومة الفرنسية حتى تقبل مبدأ الاستقلال ، وهو كذلك مقتنع بوجود توخي شيء من التدرجية ( gradualisme ) في تعامله مع فرنسا وذلك على شاكلة المنهج الذي اتبعه بورقيبة " ( 3 ) وان لا نستبعد تقارب بن يوسف مع فرنسا ومع الغرب خاصة الولايات المتحدة الامريكية الا اننا نذهب الى ما ذهب اليه الاستاذان : عبد الجليل بنوقره ولطفي عيسي " بالحوار الذي دار بين صالح بن يوسف و سوماني لا يوحي البتة بان الرجل ( بن يوسف ) مفترق في العاطفية او حاد المزاج

كما جاء في وصف شارل اندرى جوليان ، ذلك اننا نكتشف بالعكس شخصية

- 1 ( تصريحات الباهي الأدهم في المائدة المستديرة حول 20 مارس المغرب العربي ) عدد 92 / مارس 88 ص 6
- 2 ( جاء في مذكرات نشرتها مجلة ( les temp mod ) في عدد 35 والنص الاصيل حرره صاحب يوم 23 جانفي 1956 اثر لقاءه مع صالح بن يوسف ( ورد بكتاب المصنف الشاب ، صالح بن يوسف ص 208 .
- 3 ( التدخل الكامل للاستاذ روف حمزة في ندوة المغرب حول 20 مارس المغرب العربي ) عدد 93 / 25 مارس 88 ص 57 .

سياسية محنكة قادرة على ترتيب الادوار و التعامل مع كل طرف حسب موقفه داخل الرقعة السياسية فهو لا يطالب من فرنسا سوى حقه في ان يسمع من طرفها حتى يضمن حياتها في مواجهته مع رئيس الحزب على ان يلتزم لها في المقابل بنفس ما قد تجنبه من تحالفها مع بورقيبة (1) اما الظاهر عميرة فيقول : " ان الحكومة الفرنسية اذاك ، ولما ايقنت ان لا مناص من الاستقلال فكرت في التفاوض في شأنه مع شق صالح بن يوسف الذي كان يههين على الرأي العام وعلى الساحة... الا ان الوزير " الان سافري رجح الكفة لصالح شق بورقيبة وهذا ما يفسر ان الان سافري حظي بشرف اول حتى سمي شارع كبير بالعاصمة باسمه (2) وهكذا دقت الساعة الحاسمة " بالنسبة لفرنسا في تونس حسب عبارة " جان روس " فاما ان تكون ساعة التصالح الاعظم ، او قد تكون ساعة الانفصال النهائي الموغل في اليأس . (3) وبما ان فرنسا " غيرة على امبراطوريتها الاستعمارية ولا سيما شمال افريقيا وحصنها المتقدم تونس والتي هي موقع امامي للكتلة العربية فواجهها يملى عليها الاحتفاظ بها (4) وهكذا اضطرت فرنسا الى اختيار النزعة البورقيبية التي تتمتع بعطف فرنسا ومصداقيتها وميلها للعالم الغربي وتعاطفها مع فرنسا تفاديا لابن يوسف الذي يمثل بانندونغ والنزعة العربية (5) .

وهكذا يمكن ان نستنتج ان فشل صالح بن يوسف في فرض وجهة نظره على فرنسا يرجع الى فشل " رهانات " فقد راهن صالح بن يوسف على المجموعة الاسيوية الافريقية المعادية للامبريالية والمنادية

(1) عبد الجليل بوقرة و لطفي عيسى : بورقيبة ولد بن يوسف تهافت على الحكم تصادم اختيارات؟ المغرب العربي العدد 8167 سبتمبر 1989 ص 24 .

(2) تصريحات الطاهر عميرة في " المائدة المستديرة حول 20 مارس، المغرب العربي عدد 18/92 مارس 1988 ص 58 .

(3) مصدر سابق : الحزب الدستوري الجديد يدخل في حوار اخير ص 196 .

(4) نفس المصدر : ص 254 .

(5) تصريحات الباهي الادغم في المائدة المستديرة 20 مارس المغرب العربي عدد 18، 92 مارس 88 ص 6 .

بعدم الانحياز والتكتلات الاقليمية كوحدة المغرب العربي في حين راهن بورقيبة على فرنسا بالذات فما انفك يعبر عن حبه لها واعترافه بانه احد الوجوه الايجابية للاستعمار الفرنسي فقد جاء في حديث صحفي اجراه معه السيد بيار البان مارتيل ( M.Pierre Albin Martel ) ونشرته صحيفة لومند " بتاريخ 10 جويلية 1954 : " فان مصلحة فرنسا تقتضي ان تتفاوض مع حزب رجاله عصريون لائكيون ، كونتهم هي نفسها ، يحيون بعبقريتها وثقافتها والمباديء التي علمتهم ، فيمكننا معا ومن دولة الى دولة ان نشيد بناء قويا متماسكا قائما على اعمدة متينة ودائمة " (1)

في حين يبدو صالح بن يوسف من خلال حديث اجراه معه بطرابلس مراسل الصحيفة الايطالية استامبانوفا ( Stampa Nova ) بتاريخ 14 مارس 1956 فقد تذكر لتصور الحزب للعلاقات التونسية الفرنسية المستقبلية فلم يعد يعتبر فرنسا هي التي خلصت التونسيين وبدونها لا يستطيعون شيئا (2) بل اصبحت العدو الذي يجب محاربتة بدون هوادة و سنحصل (3) على الاستقلال التام ولو أدى بنا الى توسيع رقعة الارهاب فالى هذا الحد لا يمكن ان نعتبر ان الدفاع الاساسي للحركة اليوسفية هو الوصول الى سلطة على عكس البورقيبية ، ففي آخر لقاء بين بورقيبة واقار فور ابان مفاوضات الحكم الذاتي ، صافح بورقيبة رئيس الحكومة الفرنسية قائلا : " فهذه اتفاقياتكم انتهت امرها ، وانتم تعلمون جيدا بانه بدوني ما كانت لتوجد " (4) .  
قد يبدو ان رغبة اليوسفية في بلوغ السلطة والوصول الى مصير القرار لم تتهلورا الا بعد ما استحوذ بورقيبة واتباعه على دواليب الحكم في اول حكومة للاستقلال ، ففي افريل 1956 اصبح بورقيبة رئيس الحكومة ورئيس المجلس ووزير

- 1) مصدر سابق : ( ) Op,Cit,P P 446-447. Bourguiba(H) La Tunisie et la France
- 2) = = ( ) : Et la Tunisie...Op,Cit,P:201. Julien(Ch.A)
- 3) الصباح : 20 مارس 1956 .
- 4) مصدر سابق : ( ) Bessis et Belhassen Bourguiba...OP,Cit,P:152.

الدفاع ووزير الشؤون الخارجية، وعمل على سلب الحركة اليوسيفية مطالبها ( الجلاء - وحدة المغرب العربي - عدم الانحياز ) كما عمل على قمع الحركة بدون حركة، ففتحت وطأة هذه الظروف أصبحت اليوسيفية بتونس وبدفع من زعيمها اللاجي، في الخارج تسعى الى الوصول الى الحكم ولكن في وقت نشبت فيه الحركة اليوسيفية وضعفت فيه ناهم اداة ضغطها " الفلاحة الجدد " ، لذلك حاولت الاندساس داخل الجيش وقوات الامن او ارسال الكوموندو سر من الشرق للقيام بانقلابات عسكرية قصد الاطاحة بالنظام البورقيبي منذ سنة 1958، الا ان هذه المحاولات قد فشلت لأن بورقية قد احكم قبضته على البلاد بتركيز نظام رئاسي على شاكلة الكمالية على اساس تمازج بين انفصال السلطات وتعاونها مع منح السلطة التنفيذية صلاحيات واسعة فتراقب المجلس النيابي وتلغي مسؤلية الحكومة امامه (1) مع تركيز السلطة كلها في يد حزب واحد مهمته الاولى هي تحقيق افراغ عناصر " الامة " في بوتقة واحدة، فهي تراقب السلطة التنفيذية و مجموع السكان وتأمين مراقبة الرأي العام ( مراقبة الصحافة - التوقيف التحفظي والكشف عن " المؤامرات " ) . (2) وبفضل قانون الطواريء الذي يعطي البوليسرسلطات واسعة تجري تصفية المعارضة بصورة عنيفة باقصاء زعمائها، او بامتصاصها او بوضعها في حالة تبرى نفسها معها عاجزة تماما عن العمل بالطرق الشرعية (3) .

ويبقى لنا ان نتساءل لماذا فشل " رهان " بن يوسف في اعتماده على مجموعة " باندونج " الكتلة الثالثة الصاعدة في السياسة العالمية؟ فهل تخلت هذه المجموعة عن نصرته لتحقيق اهداف حركته؟ او هل اخطأ بن يوسف في اختيار " رهان " او هل اساء تحالفه مع جمال عبد الناصر اليه والى

(1) الدستور التونسي الصادر في 1 جوان 1959 .

(2) مصدر سابق : موريس كروزيغي : تاريخ الحضارات العام المجلد السابع (العهد المعاصر، ص 774) .

(3) نفس المصدر ونفس الصفحة .

حركته دون ان يخدمه كتيار سياسي مناهض للاستعمار الجديد بحيث  
ظهر امام الغرب كحليف للاتحاد السفياتي بصورة غير مباشرة نظرا لاتهمام  
الغرب مصر جمال عبد الناصر بالولاء الى الاتحاد السفياتي رغم ادعائها  
عدم الانحياز ؟

ولو عول صالح بن يوسف على المعسكر الاشتراكي ( الاتحاد السوفياتي  
والصين .. ) هل كانت حركته تنجح مثل ما هو الحال في مناطق اخرى  
من العالم كالهند الصينية وكوريا وأثيوبيا ...  
وهل كان من الممكن ان تقوم روسيا بحرب ضد فرنسا من اجل تونس ؟

## خاتمة الفصل الثاني

من خلال دراسة شاملة للحركة اليوسفية، يمكن ان نتحسس مرور هذه الحركة بمرحلتين كبيرتين :

(1) - مرحلة اولى : وتنتقل من افريل 1955 الى 20 مارس 1956 ( هي موضوع بحثنا ) .

(2) - مرحلة ثانية وتبدأ من جويلية 1956 الى أوت 1961 أي مع بداية المحاكمات الجماعية لليوسفيين الى النهاية الدرامية لزعيمهم صالح بن يوسف .

مع الاشارة الى ان هاتين المرحلتين تنقسمان الى مراحل فرعية اخضعت جميعا للظرفية التاريخية التي تمر بها الحركة الوطنية التونسية في خضم التطورات السياسية على الصعيد الداخلي .

ومن خلال الجولة التي قطعناها مع هذه المراحل تبينتنا طبيعة الحركة اليوسفية ونوع الخلاف الذي نتج عنه تصدع رأس قيادة الحزب الدستوري التونسي الجديد والذي ما انفك بورقيبة يعطيه هوية تتلون حسب المكان والزمان والمتلقي لخطابه، فهو خلاف سطحي (1) و شخصي " لغياب شخصية مادية " (2) .

اذا كان الخطاب موجها الى الشعب التونسي في حين اذا كان الخطاب موجها الى صحفيين أجازب فيصبح الخلاف خلافا في وجهات النظر حول قبول الاتفاقيات او رفضها مع نفي الخلاف الشخصي بحيث يقول في تصريح لمجلة التحرير المصرية بتاريخ 17 جانفي 1956 : " انه ليس هناك اي خلاف شخصي بيني وبين صالح بن يوسف ، وانما يتعلق الامر

(1) مصدر سابق: الحبيب بورقيبة "خطب" الجزء III، ص 232 .

(2) نفس المصدر ونفس الصفحة .

في الحقيقة باختلاف في وجهات النظر، ففي الوقت الذي كان فيه الشعب والملبك والحكومة مقتنعين بان نهاية النفوذ الفرنسي المباشر والغاء الحماية وتركيز حكم ذاتي هي مرحلة حتمية نحو الاستقلال وخطوة هامة تسمح باقامة دولة عربية ذات سيادة وفي هذا الوقت تأتي اقلية من الناس تريد ان ترجعنا الى الوراء " (1) . وفي نفس المجلة يجيبه صالح بن يوسف قائلا : " ان معارضتي للاتفاقيات الفرنسية التونسية تستند الى القانون الدولي الذي ينص على ان المعاهدات لا تصبح نافذة وملزمة للشعب والحكومة اللذان وقعا عليها الا بعد درسها من قبل برلمان شرعي وممثل للشعب، فلو عارض الشعب التونسي او ممثلوه الشرعيون هذه الاتفاقيات فهي تصبح لاغية في نظر الشرعية الدولية ولا مستقبل لها .

اذن فأساس معارضتي ينبع من المبادئ الوطنية المشتركة من جميع الشعوب المناضلة من اجل الحرية والاستقلال " (2) .

ومن هنا يمكن ان نتبين طبيعة الحركة اليوسفية التي انفجرت بصفة مفاجئة وجرت وراءها اغلبية الشعب التونسي رافعة شعار " الاستقلال التام " فهي لا تبعد ان تكون حركة معارضة في صلب الحزب الدستوري التونسي الجديد دون ان تخرج عنه لا تكتيكيًا ولا استراتيجيًا ( أي اعتماد سياسة المراحل والحوار واستعمال العنف كأداة ضغط على فرنسا ) فهي في الواقع معارضة لموقف بل لتيار داخل الحزب " أفرط في

---

1) المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية : ( Service historique de l'armée de Terre, seïe 2H Tunisie, Dossier: N° 1(2H 152) Bobine: S 387, Dates: 1956/02(Physionomie de la Presse Arabe Tunisienne, Assabah du 20/1/1956) P: 146.

(2) نفس المصدر ونفس الصفحة .

تقديم التنازلات الى حد افراغ مبدؤالحكم الذاتي والاستقلال من معانيهما (1) في الوقت الذي تسمح فيه النظرية العالمية والوضع الداخلي بتصعيد الكفاح في سبيل تحقيق " استقلال حقيقي ملموس تكون فيه الدولة التونسية حرة من كل قيود تربطها بصورة من الصور او تجعلها تابعة لفرنسا والغرب (2) .  
وهذه الظروف يمكن ان تلخص في عدة نقاط :

### اولا : على الصعيد الداخلي :

- تجربة الكفاح المسلح بتونس من 1952 الى 1954 والتي تراءت لكثير من المقاومين بانها لم تنجز مهامها أي تحقيق الاستقلال التام ولا سيما ان هؤلاء قد أصيبوا بخيبة أمل عندما لم يتحقق ما كانوا يصبون اليه بعد عملية التجريد من السلاح .

- الوضع الاقتصادي والاجتماعي بتونس الذي بلغ قمة التدهور نتيجة استفحال ازمة الاقتصاد التونسي المرتبطة بالظروف الطبيعية ( الجفاف - وقلة خصوبة الارض وملوحة التربة ) وكذلك الناتجة عن هروب رؤوس الاموال وتقلص الاستثمارات الاجنبية ... بالاضافة الى انعكاسات ازمة النظام الاستعماري " الكلاسيكي " ، مما أدى الى تفجير الوضع الاجتماعي وخاصة تكثف مظالم الاتحاد العام التونسي للشغل

### ثانيا : على الصعيد العالمي :

- هزيمة فرنسا في معركة 7 ماي 1954 " بديان بيان فو " التي ادت الى انسحابها من مستعمرتها " الهند الصينية " فهي قد كشفت عن ضعفها واسقطت عنها قناع الدولة العظمى التي لا تهزم ، وهذا ما جعل

( 1 ) بيان الامانة العامة الصادر في 28 افريل 56 ورد بكتاب الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية ص 172

( 2 ) نفس المصدر . ( أنظر الملحق : الوثائق ص 638

مستعمرتها " شمال افريقيا " تتلمل وتطاول عليها .  
- حرب الجزائر: اندلعت الثورة الجزائرية في الفترة التي جردت فيها  
المقاومة التونسية من السلاح مما جعل كثيرا من التونسيين يرون  
في ذلك محاولة عزل الثورة للقضاء عليها ولا سيما ان الثورة اندلعت  
والجزائر تشهد تشتتا سياسيا وانشقاقا داخل الحركة الوطنية  
فكان السياسيون يعتقدون انها لن تصمد اكثر من بعض الايام والاشهر  
الا ان الثورة الجزائرية اثبتت لفرنسا وللعالم انها ليست " حركة  
تمرد شرذمة يائسة ، بل نضال مستمر انقلب الى جهاد مستميت"  
ضد (1) الاستعمار الفرنسي .

- تفجر الوضع في المغرب الاقصى اثر اقتحام قوات الجنرال "Guillaume  
المقيم لعام الفرنسي القصر الملكي وارغام الملك محمد بن يوسف  
( محمد الخامس ) على التنازل عن العرش (2) ثم تم نفيه الى خارج  
المغرب وتنصيب ابن عرفة مكانه ، فكان ذلك من اسباب اشتعال المقاومة  
بالمغرب الاقصى مطالبة بعودة " الملك الشرعي " الى العرش كمطلب  
اساسي مرتبط بهدف الاستقلال .

- مؤتمربان دونغ " في أفريل 1955 وقد جاء لتتويجا لتنامي تيار  
عالمي في البلاد المستقلة حديثا مناهضا للامبريالية ومطالبها بالغاء  
جيوب الاستعمار من آسيا و أفريقيا ومحدرا من مخاطر الاستعمار الجديد  
داعيا الى عدم الانحياز وقيام تكتلات اقليمية في نطاق وحدة الشعوب  
لمجابهة الاطماع الاستعمارية ...

ويبدو ان قراءة كل من بورقيبة وابن يوسف لهذا الوضع التاريخي

(1) مصدر سابق: الحبيب بورقيبة "الخطب" الجزء السابع عشر، ص 29 .

(2) روم لاندو: محمد الخامس، منذ اعتلائه عرش المغرب الى يوم وفاته ، تعريف ليلي ابو زيد ، منشورات  
دار الافاق الجديدة بيروت ، 1979 - ص 97 .

كانت من زاوية مختلفة ، وانعكس ذلك على رؤى يتهدمها فجاءت متباينة بحيث اكتفى الاول بمنح فرنسا الحكم الذاتي " ولوانه " حل منقوص " يتطلب مواصلة السير من اجل تحقيق الهدف الاسوى : الاستقلال التام الا انه خطوة اساسية في سبيل ذلك (1) اما الثاني فرأى ان قبول اتفاقيات الحكم الذاتي " المزيف " هو دون المطلوب فالضغوط العالمية الجديدة بإمكانها تحقيق الاستقلال التام ، وربما كانت مبادرة فرنسا بمنح تونس استقلالها بعد اشهر قليلة من ابرام اتفاقيات الحكم الذاتي لدليل على ذلك .

ومن للطبعي ايضا وانطلاقا من قراءة الواقع التاريخي ستكون التحالفات والرهانات بحيث راهن بورقيبة على فرنسا وتحالف مع قواها المؤمنة بضرورة تطوير النظام الاستعماري " الكلاسيكي " في نطاق تحرير المستعمرات لكن دون القطيعة مع " المتربول " ، فكان توجه بورقيبة نحو الغرب فلبس ثوب الحداثة والفضيلة ، وجرف وراءه معظم البورجوازية ، اما صالح بن يوسف فقد راهن على كتلة " باندونج " وتحالف مع الثورة الجزائرية والثورة الناصرية ، فكان توجهه نحو الشرق ونحو الحضارة العربية الاسلامية ، ولكن دون ان ينسلخ عن اقليميته وايمانه بالقومية التونسية ، او يذوب في مشروع جمال عبد الناصر الوحدوي ويتجلى ذلك فيما صرح به في بيان الامانة العامة الصادر في 18 افريل 1956 : " ان الامانة العامة تهدف بحركتها... الى ان استقلال الشعب التونسي لن ترتضيه له الا اذا كان استقلالا حقيقيا ملموسا تكون فيه الدولة التونسية حرة... وتحول دون دخولها في اتجاه الغرب... وذلك بلأن تصبح البلاد التونسية مع بقية الشمال الافريقي جزءا من الامة العربية التي تسيّر اليوم في طريق التحرر الحقيقي بابتعادها (1) اللائحة السياسية لمؤتمرات صفاقس 1955 .

عن الاحلاف الغربية ، تلك الاحلاف التي سوف تجرنا او تجر علينا  
ويلاات الحرب المهلكة " (1)

ومن هنا جرفت الحركة اليوسفية كل التونسيين المتعطينين  
للاستقلال وغير الراضين باستمرار الاستعمار الفرنسي في شكله الجديد  
فكانت حركة مفتوحة على الشرق دون القطع مع الغرب وخاصة الولايات  
المتحدة الامريكية التي يعتبرها الحزب الدستوري التونسي الجديد من  
أهم ادوات الضغط على حليفها فرنسا وما جاء في نص تقرير صالح  
ابن يوسف بتاريخ 14 فيفري 1954 (2) : " ولربما يتقول الكثير من  
اولئك المذبذبين ما فعل لنا العالم العربي والاسيوي وما فعلت لنا  
الأمم المتحدة وما صنعت لنا امريكا... ولكن هل يكون التونسيون  
الطلقاء اقل صبورا من زعيضا الحبيب بورقيبة الذي كثيرا ما كتب من  
منصفاه موصيا بالصبر ومنبئا بان الأحداث العالمية ستكون من جانبنا  
ولكن ببطء من ذلك سياسة امريكا التي لا محالة ستتغير لفاؤدتنا...  
وذلك لا لسواد عينينا وانما ارضاء لمجموعة دول العرب وآسيا التي يهم  
امريكا ان تجعل منها نقطة ارتكاز لسياستها عند روسيا (3) .  
وكذلك كانت الحركة اليوسفية مفتوحة على كافة فيئات المجتمع  
بما فيها القصر" ملما كان عليه الحزب الدستوري التونسي الجديد  
المولوده من صلبه .

وهكذا نصل الى أن صالح بن يوسف وبورقيبة وجهان لعملة واحدة  
للحزب الدستوري التونسي الجديد وجه باتجاه الغرب يغازل فرنسا

(1) مصدر سابق : الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية ، ص 172 .

(2) انظر النص الكامل لهذا التقرير بالملحق .

(3) مصدر سابق : ( Ladgham 5 (Bahi): Correspondances .. OP, Cit, P:14 ) (Partie arabe).

والحلف الاطلسي ووجه آخر باتجاه الشرق يغازل مجموعة باندونغ  
مناديا بالانظام الى جامعة الدول العربية والوجهان يعملان لنفس الغاية  
خدمة القضية التونسية أساسا .

ولعل الاحداث العالمية في منتصف الخمسينات هي التي فرضت على زعيمى الحزب  
( رئيسه وأمينه العام ) الظهور بمظهر الخلاف فقد قال لنا بعض المستجوبين من  
المقاومين باننا لما سألنا بورقيبة لماذا لا يتفق مع بن يوسف ويجنبنا ما نحن  
في غنى عنه اجابهم قائلا : " ان نظركم قصير، فلو اتفقنا " لاتخذتم بمعنى هلكتم  
( 1 ) " .

ومع ذلك لم يسلم اليوسفيون من " التهلكة " عند ما اراد بورقيبة ان يضع حدا لهذه  
الازدواجية في الحزب بعد ما استخدمها كورقة ضغط فعالة ليجبر فرنسا على  
منح تونس استقلالها في نطاق تعاون حريض من مصالح الشعبين التونسي  
والفرنسي " ( 2 ) وعملا على انجاح هذه التجربة " الرائدة " والتي يراد منها ان  
تصبح نموذجا لحركات التحرر في العالم ، تحالفت حكومة فرنسا والحبيب  
بورقيبة على تصفية اليوسفية " ككول نواة معارضة لأول نظام تونسي ما  
بعد الحماية ومن ورائها ثم التصدي لكل ممارسة للرأي المخالف ولاسيما  
النزعة العربية التي بدأت تنشأ في تونس نتيجة عودة المهاجرين  
التونسيين من الشرق وانعكاسات الثورة الجزائرية والعدوان الثلاثي على  
مصر وهكذا تم القضاء تدريجيا على التعددية الى ان تم اقامة نظام الحزب الواحد وبالتالي  
اخفقت اول تجربة للديمقراطية في اطار مجتمع مدني كان من المفروض ان يتأسر في ظل  
" العهد الجديد " الذي نهى عليه بروتوكول 20 مارس 1956 .

( 1 ) استجواب الطاهر العقربي ( ذكر سابقا ) .

( 2 ) مصدر سابق : ( 2 ) Bourguiba (H): La Tunisie... OP,Cit, P: 449.

## خاتمة فامة

على ضوء سماعنا الى اصوات اخرى غير ما تعودنا سماعه عبر وسائل الاعلام الرسمية نعود لنطرح السؤال من جديد ماذا تمثل الحركة اليوسفية؟ تهدولنا الحركة اليوسفية كأول صوت معارض ارتفع عند قيام اول نظام سياسي ما بعد الاستعمار المباشر.

وقد انطلق من بانندونج حيث كان يعقد اول مؤتمر للدول الافريقية الآسوية المناهضة للاستعمار، وكان هذا الصوت في اتجاهين :

اولا : في اتجاه الوفد التونسي المفاوض في باريس حتى لا ينهى اجراءات التوقيع على اتفاق 21 افريل 1955 الذي تم بين الزعيم الحبيب بورقيبة ورئيس الحكومة الفرنسية ادقار فور حول صيغة الحكم الذاتي "المزيف" حسب عبارة صالح بن يوسف .

اما الاتجاه الثاني فكان نحو الشعب التونسي حتى يتجنبد لمعارضة نتائج الاتفاقيات الفرنسية التونسية .

وتتابنا الدهشة امام هذا التحول الذي يظهر لنا مفاجئا في مواقف صالح ابن يوسف ، امين عام الحزب الدستوري الجديد والوزير السابق في حكومة محمد شنيق التفاوضية ( 1950 / 1951 ) ويزداد استغرابنا عند ما نعاين انقلاب " فرحة " التونسيين بعودة المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة ( " مظفرا " في غرة جوان 1955 ، الى غضب عام تحول الى حرب اهلية بين " اخوة الامر " في وقت يتطلب وص الصفوف لمواجهة الاستعمار " الدخيل " ولا نستطيع ان نخرج من دهشتنا وحيرتنا الا اذا حاولنا فهم الظرفية التاريخية ، منتصف الخمسينات على المستوى العالمي وعلى المستوى المحلي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، لنتبين ان صالح بن يوسف لم يخرج عن الطابع الاصلاحى للحركة الوطنية التونسية عموما ولا عن

خط العام للحزب الدستوري الجديد ، كما انه لم يأت " ببدعة " الاستقلال التام ولم يتحول بين عشية وضحاها الى صف اصحاب " الكل أولا شيء " وانما حسب ما يظهر لنا ان صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة هما وجهان لعملة واحدة هي الحزب الدستوري الجديد وانما ، صعود كتلة سياسية جديدة ثالثة الى مسرح السياسة العالمية جعل زعيمي الحزب يختلفان في وجهات النظر بحيث تمسك الحبيب بورقيبة بسياسة " خذ وطالب " فرحب بالاتفاقيات الفرنسية التونسية واعتبرها " خطوة الى الامام " ، في حين رفضها صالح بن يوسف واعتبرها " خطوة الى الوراء " مطالباً بانجاز الاستقلال التام . وكان هذا الخلاف ناتجا عن قراءة متباينة لواقع المرحلة التاريخية التي تقطعها " القضية التونسية ، بحيث ترى لبورقيبة ان مركز " الثقل " لحل هذه القضية ، يجسده الغرب ، وهو لا يخرج عن يد فرنسا ، فراهن على القوى والتيارات السياسية الفرنسية المنادية بالتغيير وتجديد العلاقات بين " المتربول " والمستعمرات والتخلي عن نمط الاستعمار الكلاسيكي ،

اما صالح بن يوسف فقد آمن بقدرة كتلة " بانندونغ " الصاعدة في تحقيق الاستقلال التام لشعوب افريقية وآسوية لم تتحرر بعد من نير الاستعمار ، فراهن على مساعدة ومساندة هذه القوى اذا ما عرضت القضية التونسية من جديد على هيئة الامم المتحدة نظرا لحالة التوتر والاضطرابات التي تسود البلاد ، لذا عمل على تحريك الشعب التونسي لمناهضة الاتفاقيات المبرمة في 3 جوان 1955 ومعارضة الحكومة الجديدة التي افرزتها هذه الاتفاقيات مع المطالبة بالاستقلال في نطاق استقلال كامل شمال افريقيا . كما شق خطابه بكلمات

العروبة" والاسلام" متخذاً منها لونا مميزا لهذا الخطاب الجديد للحزب الدستوري الجديد ومغازلا من ورائها دول الشرق وخاصة مصر جمال عبد الناصر ، ومستعملا لها كأداة في النضال ضد الاستعمار . ومن الأرجح ان شعار " الاستقلال التام " الذي رفعه صالح بن يوسف قد جعله يحظى بتأييد شعبي دعمه قرار الطرد والتجريد من الامانة العامة ، وقد استطاع صالح بن يوسف ان يحول هذا التعاطف معه الذي ابداءه ابناء الجنوب خاصة ، الى تيار سياسي " معارض " تجاوز شخص مؤسسه ليصبح حركة تستقطب قسما هاما من المجتمع التونسي وتستخدم العمل السياسي والعمل العسكري في نفس الوقت مما جعلها حركة منظمة تبنت التعبير عن طموحات مجتمع جديد تولد عن الحضور الفرنسي و سياسته بالبلاد التونسية لمدة 75 سنة ولكن دون ان يقطع تماما مع الماضي .

وفي هذه الفترة تحطمت منظومة المجتمع القلي المبنية على التجزء وظهرت نتائج عمليات هيمنة الاستعمار على الاراضي الزراعية ومكنتها مما دفع بقسم هام من الفئات في اليد العاملة الريفية الى المدن والمناطق المنجمية مما ساهم في تبلور طبقة عاملة عبرت عن نفسها بتأسيس اطر نقابية اهمها الاتحاد العام التونسي للشغل .

كما ان التزايد الديمغرافي الذي شهدته البلاد التونسية منذ الثلاثينات قد زعزع الهرم السكاني القديم فبدأت قاعدته تتسع شيئا فشيئا مما يعني ارتفاع نسبة الشباب المتطلع الى التغيير والعازم على نيل الاستقلال في وقت استطاعت فيه الطبقات الوسطى ( البورجوازية ) التقليدية والبورجوازية الصغرى ) ان تأطر الحركات النقابية ( عدد من اطارتها هم من جامعة الموظفين سابقا ) والحركات السياسية ( الحزب الدستوري الجديد )

ورغم انقسامها الايديولوجي الى توجه تقليدي واخر ليبرالي فانها حاولت ان تتماسك في " وحدة قومية " لمواجهة الاستعمار الفرنسي المهيم على مراكز القرار ( الادارة ) .

غير ان هذه التناقضات الجوهرية المكتومة في ظل الصراع مع الحماية وجدت في الخلاف اليوسفي - البورقيبي فرصة للانفجار ، كما وجه الحزب الدستوري الجديد في هذا الخلاف فرصة لاعادة " ترتيب البيت " والاستعداد للدخول في عهد جديد ، اما فرنسا ومن ورائها الاستراتيجية الغربية فقد كانت تنظر بقلق الى هذه التحولات الاجتماعية التي بدأت تتجذر منذ مطلع الخمسينات نتيجة الازمة الاقتصادية والاجتماعية واصبحت تخشى مصيرا شبيه بمصيرها في الهند الصينية ، فحاولت تحويل الصراع الموجه اليها الى صراع داخلي بين البورقيبية واليوسفية واستغلت ذلك لتمير مشروع الاستقلال المتكافل " كبديل للاستقلال التام الذي تناهى به كتلة باندونغ " على لسان صالح بن يوسف وهكذا اختارت فرنسا " اخف الضررين " فسحبت البساط من تحت اقدام اليوسفية في حين عمل الحبيب بورقيبة على تبني شعاراتها فأفرغها من قواعدها .

ومع ذلك لا يمكننا ان ننكر دور " اليوسفية " التي عمدت الى العنف الثوري ، في الاسراع بانجاز بروتوكول الاستقلال ، غير ان هذه الحركة التي بسطت رؤىة وطنية متجذرة وقفت دون مسوءلياتها في تعميق محتوى النضال الوطني وتصفيده الى معنى التحرر الكامل من اشكال الهيمنة والتبعية وذلك لطبيعة قيادتها ذات التوجه الاصلاحى ، وبالتالي فشل اليوسفية بمعنى فشل طبقة البورجوازية وليدة الاستعمار في انجاز النضال الوطني عبر ممارسة العنف وطرح البديل السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى لنظام الحماية في عهد ما بعد الاستعمار المباشر .

ا ف م ة الم ص ا د ر و الم ر ا ج م ح

مصادر الوثائق المعتمدة في البحث  
\*\*\*\*\*

(1) المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس  
( I.S.H.M.N )

يعتبر هذا المعهد رافداً بالغ الأهمية لتاريخ الحركة الوطنية التونسية ، رغم حداثة عهده ( 1990 ) ، فهو يحتوى في (1993) على 2457 يـكـوه ( Bobines ) من ميكرو فيلم أي ما يقابل 4658 صندوق من الوثائق المحفوظة سواء في وزارة الخارجية الفرنسية أو في قصر فرسنان ( Vincennes ) أو في مدينتي نانت ( Nantes ) و اكس ( Aix-en-Provence ) . (1)

وإلى جانب إصدار مجلة " وثائق " وتنظيم الندوات خصص المعهد وحدة لجمع وتحليل ودراسة الشهادات والروايات الشفوية حول تاريخ الحركة الوطنية وهكذا يتمكن الطالب والباحث من الإطلاع في نفس الوقت على الوثائق المكتوبة وعلى الشهادات الشفوية وعلى الدراسات في أحسن الظروف وبأقل التكاليف ورغم غزارة الوثائق في هذا المعهد فقد حاولنا التركيز على

Les Archives Microfilmées de l'I.S.H.M.N :

Presses et Rapports Periodiques de 1882-1960 .

1) Services Historique de l'armée de Terrés ( Physionomie de la Presse Arabe et Tunisienne de 1954 a 1956 ) .

(1) : من كلمة الترحيب التي ألقاها مدير المعهد السيد عمار المحجوبي في افتتاح أعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرين ( أيام 13 و 19 و 20 نوفمبر 1993 .

\* Bobine, S 384/2 H149) 314 (Negociations Franco-Tunisiennes et Mouvement de R esistance armée.

\* Bobine , S 386/2H 151/533,(Autonomie interne et opposition entre le Secretaire General et le Bureau politique du Neo - Destour.

\* Bobine, S 387/2H 152/769, ( Les Negociations Franco-Tunisiennes, Mouvement Youssefiste. Guerre d'Algerie.

## 2) Rapports et Notes de Renseignement

\* Document : 14.C.N.C,A. Scuyris; Le Mouvement Fellaga Tunisien, Expression d'une Revolution Sociale, 18 P.

\* Bobine,S 506/Carton 2H 313/Dossier 1:Commandement Superieur des Troupes de la Tunisie, Division du Sud, 2<sup>eme</sup> Bureau ( Notes de Renseignement de 1955-1957/non Filios.

\* Bobine,S 392/2H 159/577 ( Mouvement de Fellagahs).

\* Bobine, 639/299/Neo-Destour en 1955/252.

\* Bobine, 646/309/Neo-Destour, Dossier nominatif, Activites de Salah Ben Youssef ( 1945-1955 ) 374.

\* Bobine, 624/Resident: Boyer de la Tour/1955/245.

2) أرشيف ال وزارة الأولى ب تونس أو الخزينة العامة للحكومة التونسية:

يحتوى هذا الأرشيف على وثائق هامة توفر معلومات متنوعة عن الحركة الوطنية التونسية من خلال تقارير الشرطة والمقيمين العاممين والمراقبين المدنيين ورؤساء المكاتب الأهلية والقياد ولا سيما بالجنوب التونسي وتوجد

ضمن سلسلة E و A

كما يتطلب موضوع بحثنا الإطلاع على سلسلة E / 550-30/15 (التي نخص المشبوه فيهم) إلى جانب الإطلاع على الكرتونة

53 و 54 و 56 و 58 . . . غير أن الوثائق المحفوظة في  
الأرشيف الوطني لا تغطي كامل الفترة المدروسة إذ  
توقف في نهاية ديسمبر 1955 .  
(3) المركز القومي الجامعي للتوثيق العلمي والتقني  
( C.N.U.D.S.T ) شارع فرنساتونس .  
يحتوي هذا المركز على وثائق منسوخة ( Microfilme )  
عن وثائق أصلية محفوظة في الأرشيف الفرنسي تتعلق  
بتاريخ البلاد التونسية في ظل نظام الحماية في  
مختلف المجالات ووردت ضمن مراسلات بين الإقامة العامة  
ووزارة الخارجية الفرنسية ( M.A.E ) ومن أهم الوثائق التي  
أعانتنا ندرسها لإنهاء توقف عند 1949 .

- Serie Tunisie 1917-1940, Bob ine 124, D<sub>1</sub>, N° 394.
- Fonds de la Residence.

## المراسلات والتقارير

.....

- رسالة الحبيب بورقيبة الى العابد بوخافة بتاريخ 5 جويلية 1950 "نشرتها صحيفة ليفيقاروفي 1952/7/5 .
- رسالة بورقيبة الى صديقه المصري " ابو الحسن بتاريخ 4 افريل 1956 ( عثرت على هذه الرسالة بمقر اللجنة الثقافية بقابس ) .
- رسالة صالح بن يوسف الى الباهي الادغم من جنيف بتاريخ 24/11/1954 ( وردت في كتاب الباهي الادغم مراسلات ، ص 271 - 274 ( القسم الفرنسي ) .
- رسالة صالح بن يوسف الى الباهي الادغم من مالطة 2 افريل 1955 ( وردت في كتاب الباهي الادغم ، مراسلات ، ص 282 - 283 ( القسم الفرنسي ) .
- تقرير صالح بن يوسف الموجه الى الديوان السيناسي بتاريخ 14 فيفري 1954 ( ورد بكتاب الباهي الادغم ، مراسلات ، ص 7 - 17 ) .
- تقرير السيد ايف ريسل ( ) بتاريخ 16 فيفري 1952 ( عن ارشيف الوطني بالوزارة الاولى ، كرتون 54 دفتر 3 ، 72 صفحة .

### تصريحات وخطب :

- خطاب منداسرفرنسرفي 31 جويلية 1954 .
- تصريح صالح بن يوسف يوم 31 ديسمبر 1954 .
- تصريحات صالح بن يوسف قبل وبعد اختتام مؤتمر باندونغ ( افريل 1955 ) .
- خطاب جامع الزيتونة في 7 اكتوبر 1955 .
- خطاب صالح بن يوسف في الملعب البلدي 18 نوفمبر 1955 .
- اجتماع قابسرفي 20 نوفمبر 1955 .
- نداء الظاهر الاسود الى اعادة الثورة من جديد ( 9/12/1955 ) .
- خطاب الحبيب بورقيبة بالجنوب من يوم 11 الى 21 ديسمبر 1955 .
- بيان الامانة العامة في 28 افريل 1955 .

## استجابات

- استجواب : الجلنولي فار مر 3 جانفي 1996 •
- استجواب : عبد الله الغنوشي من موليد قابس مناضل دستوري تقلد عدة مسوؤليات في شعبة جارة قابس •
- استجواب : حسين عزيز ، رئيس شعبة جارة قابس •
- استجواب : الطاهر الاسود قائد المقاومة المسلحة في تونس منذ 1952 في شهر ماي 1985 •
- استجواب : الغيساوي الشكاي من مواليد 1914 بقابس • سائق سيارة اجرة انخرط بالحزب الدستوري منذ 1934/9/3 •
- استجواب : الكيلاني بن علي الناجح شهر الغول وهو من مواليد جارة قابس 1933 شارك في الثورة الاولى والثانية ضمن اللجنة الفرعية المكلفة بتوزيع السلاح في تونس •
- استجواب : علي الساحلي من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية بقابس •
- استجواب : صالح الشين من مواليد قابس 1911 من قبل جمعية البحوث التاريخية والجغرافية بقابس في افريل 1985 ( من شعبة جارة ) •
- استجواب المختار دبية : من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس ، مارس 1986 •
- استجواب : الحبيب قرفال من قبل الجمعية المذكورة آنفا في نوفمبر 1985 •
- استجواب : سعيد بن الفالح بن الحاج صالح السبوعي من مواليد الحامة شارك في عدة معارك ضد القوات الفرنسية ولجان الرعاية شهرها معركة عين البيضاء •
- استجواب : الطاهر العقرسي من مواليد قابس شارك في الثورتين الاولى والثانية وشارك

الى جانب الشوار الخزائريين في مقاومة الاحتلال الفرنسي •

- استجواب : التهامي التركي من مواليد قابس في 1910 ، انخرط في الحزب الدستوري سنة 1934 وعمل كرئيسر شعبة بالمنزل قابس من 50 الى 1952 عمل كواسطة بين الديوان السياسي ومناضلي قبايس •

- استجواب : الشيخ التومي بن احمد مولود بشنفي قابس 1913 عمل بالجيش الفرنسي ترأس اول شعبة دستورية بقابس 1935 ، كان احد افراد مجموعة (السود الاحدى عشرة) المتكونة في 1950 •

- استجواب : الطاهر بن علي مولود بقابس في 1925 مناضل دستوري يعمل تاجر •

- استجواب : عمر الظاهري المكفي بالمجاهد وهو احد عناصر فرقة الظواهرية •

- استجواب : عمر السراي من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية

بقابس في ماي 1985 •

- استجواب : الحاج حسين الغيلوفي من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية

والجغرافية بقابس في افريل 1985 وهو حسن بالحاج محمد الغيلوفي مولود

مولود في 1/12/1920 بني غيلوف بالحامة وهو مقاوم ضمن فرقة الغياليف ومناضل

دستوري قديم •

- استجواب : محمد لعطرن مواليد الصباط بالحامة سنة 1913 التي عليه القبض مع

مجموعة من سكان الحامة وحوكموا بتهمة التعامل مع المحور وحكم عليهم بالسجن والنفي •

- استجواب : الحاج عامر الغيلوفي من مواليد بني غيلوف بالحامة حوالي 1893 عاش ثورة

1915 وهو عم مصباح بزيش وقع استجوابه في افريل 1986 •

- استجواب : صولة بالصّادق من مواليد الحامة وهو احد عناصر مجموعة الظاهرا لسود

في الثورة الاولى من قبل الجمعية التاريخية بقابس في 1985 •

- استجواب : محمود النوري من قبل جمعية البحوث والدراسات التاريخية بقابس في 1985 •

## المصادر والمراجع باللغة العربية

- احمد الرحال : قانون العلاقات الدولية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الاولى ، بيروت ، 1990 .
- احمد توفيق المدني : حياة كفاف الجزائر 1976 ( الجزء الاول ) .
- ابن منصور : لسان العرب ، دار الجيل ، بيروت 1988 ، المجلد 13 .
- ابن ابي الضياف : اتحاف اهل الزمان لمولوك تونس وعهد الامان بالجزء الاول ، تونس 1954 .
- ابراهيم طوبال : البديل الشوري بتونس دار الكلمة للنشر ، بيروت لبنان 79 .
- اعمال المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ المغرب وحضارته "التبعية والمقاومة وحركات التحرر في تاريخ المغرب ، عدد خاص ، نشرت في الكراسات التونسية ج 29 ، رقم 117-118 ، الثلاثية الثالثة والرابعة 1981 .
- اعمال الندوة الثانية لتاريخ الحركة الوطنية حول مصادر تاريخ الحركة الوطنية التونسية ومناهجه ( 1920 - 1954 ) ، ايام 27-28 و 29 ماي 1983 ، نقلها الى اللغة العربية حمادي الساحلي ، منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1991 ، ص 25 - 72 .
- اعمال الملتقى الرابع لتاريخ الحركة الوطنية التونسية حول تونس من 1939 الى 1945 ايام 5 و 6 و 7 جوان 1987 منشورات علمية تونسية سلسلة تاريخ الحركة الوطنية عدد 4 تونس 1989 .
- اعمال الندوة الدولية الخامسة ، حول البلاد التونسية في فترة ما بعد الحرب ( 1945 - 1950 ) ايام 26 و 27 و 28 ماي 1989 منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1991 .
- اعمال الندوة الدولية السادسة ، البلاد التونسية سنتي 1950-1951 ، ايام 13 و 14 و 15 ديسمبر 1991 ، منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية تونس ، 1993 .
- اعمال الندوة الدولية السابعة ، حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرون ، المنعقدة ايام 18 و 19 و 20 نوفمبر 1993 منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1995 .
- ابن ابي دينار : ( محمد الرعييني ) المؤنسرفي اخبار افريقية وتونس ، تونس 1967 .

- ابن خلدون ( عبد الرحمان ) ، المقدمة ، منشورات مؤسسه الاعلي للمطبوعات ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .
- ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التيجاني ، رحلة التيجاني ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، 1981 .
- الاتحاد العام للفلاحة التونسية ، مؤتمر النهضة الزراعية .
- المؤتمر الوطني الثالث ، الشركة التونسية للفنون والرسوم ( بدون تاريخ ) .
- البشير التليلي : عناصر لدراسات الحركة الوطنية التونسية سنة 1934 الى سنة 1954 " في بحوث الندوة الثانية لتاريخ الحركة الوطنية حول مصادر تاريخ الحركة الوطنية التونسية ومناهجها ( 120 - 1951 ) ، نقلها الى اللغة العربية حماد الساحلي ، منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس ، 1991 .
- بيسى سلامة : ثورة بن غداهم ، الدار التونسية للنشر 1967 ( كتاب مترجم ) .
- تاريخ الحركة الوطنية التونسية وثائق 11 ، الاستعداد للمحنة الثالثة الحزب الدستوري الجديد يدخل في حوار اخير 1950 . 1951 ، نشر وزارة الاعلام ، تونس ، 1984 .
- حمة الهمامي : المجتمع التونسي ، دراسة اقتصادية اجتماعية ، دار صامد للنشر والتوزيع صفاقس - تونس ، 1989 .
- الحبيب بورقيبة : خطب " في 30 جزء " ( من 1955 الى 1974 ) نشرات كتابة الدولة للاعلام ، المطبعة الرسمية بداية من 1974 ...
- حبيب قزديغلي : اللجنة التونسية للسلم والحرب ، اعمال الندوة الدولية الخامسة حول البلاد التونسية في فترة ما بعد الحرب ( 1945 . 1950 ) منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية تونس ، 1991 صص 367 - 339 .
- حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر تونس ، 76 .
- روم لاندري : محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب الى يوم وفاته تعريب ليلي ابو زيد منشورات دار الأفق الجديدة ، بيروت ، 1979 .
- زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، دار النهار للنشر ، بيروت لبنان ، 1972 ( الطبعة الثانية ) .

- الظاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية، رؤى شعبية قومية جديدة ( 1930-1957 ) مكتبة الجماهير ،بيروت 1975 .
- لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري ،كتابة الدولة للاعلام مارس 1975 .
- محمد بن حسن : القبائل والارياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الابعة للنشر ،تونس 1965 .
- محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس، دار السراسي للنشر ،تونس 1985 ( الطبعة الثانية ) .
- محمد الهادي الشريف: الحركة الاجتماعية والحركة الوطنية بتونس ، مشاكل المناهج والمصادر ،بحوث الندوة الثانية لتاريخ الحركة الوطنية حول مصادر تاريخ الحركة الوطنية التونسية ومناهجه ( 1920-1954 ) منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ،تونس 1991 صص 129 و137 .
- محمد الهادي العامري: تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ،بين الازدهار والذبول ،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس 1974 .
- محمد المرزوقي : صراع مع الحماية ،دار الكتب الشرقية تونس 1975 .
- محمد المرزوقي : دماء على الحدود ،ثورة 1915 ،الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس 1975 .
- محمد المرزوقي : محمد الدغباجي ،مكتبة المنار ،تونس 1979 الطبعة الثانية ) .
- محمد المرزوقي : ثورة المرزوقي ،تونس 1979 .
- محمد الكيلاني : الحركة الشيوعية في تونس ( 1920-1985 ) ،المطابع الموحدة المنطقة الصناعية الشرقية ،تونس 1989 .
- محمد الفاضل بن غاشور: الحركة الادبية والفكرية في تونس ،الدار التونسية للنشر ، 1983 ( الطبعة الثالثة ) .
- محمد العابد المجابري : المغرب المعاصر ،الخصوصية والهوية والحدائث والتنمية ،مؤسسة ينشره للطباعة والنشر ،الدار البيضاء نوفمبر 1988 .
- محمد ضيف الله "في ظاهرة العنف الطالبى: الطلبة الزيتونيون في فترة المقاومة العنيفة 1954" ،اعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ( 18 و 19 و 20 نوفمبر 1993 ،منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ،تونس 1995 ،صص 81-96 .

- محمد فروة : المقاومة المسلحة في تونس خلال القرنين 19 و 20 ، مثال قبيلة بني زيد ، أعمال الندوة ، الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس ، منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1995 ص 43 و 65 .
- محي الدين الحضري : الحركة الوطنية التونسية في تاريخ العلاقات الدولية ( 1920 - 1954 ) ، أعمال الندوة الثانية حول مصادر تاريخ الحركة الوطنية ومناهجه ، منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1991 ص 257 - 296 .
- منصف الشابي : صالح بن يوسف ، حياة كفاح ، دار الفنون للنشر ( بدون تاريخ ) .
- محمد العيادي العوني : منصور الهوش : ومقاومته للحملية "مداخلية القيت في الملتقى الاول للمقاومة الشعبية بمدنين ( ايام 14 و 15 و 16 مارس 86 ) ( 27 صفحة مرقونة ) .
- المنجد في اللغة والاعلام : دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت لبنان 59 .
- موريس كروزبي : تاريخ الحضارات ، العالم ، المجلد السابع ، منشورات عويدات ببيروت - باريس 1987 ( الطبعة الثانية ) .
- عبد السلام بن حميدة : الحركة النقابية والوطنية للشغيلة بتونس 1924 و 56 دار محمد علي الحامي ، تونس 1984 ( في جزئين ) .
- عمار محجوبي : الاحتلال الروماني ومقاومة اهالي البلاد ، تاريخ افريقيا العام ، المجلد الثاني ، جون افريك واليونيسكو 1985 .
- عائدة الهاني : اضواء على أصول الشعب التونسي العرقية و ظروف استعراجه ، دار بيرم للنشر ، تونس 1988 .
- عبد الرحمان التشايحي : المسألة التونسية والسياسة العثمانية ( 1881 - 1813 ) ترجمة عبد الجليل التيمومي ، دار الكتب الشرقية ، تونس 1973 .
- سالم كريم المرزوقي : التنظيم السياسي الاداري بالبلاد التونسية ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1991 .
- سعد الغزال : القائد مصباح الجرسوع " مدخلة القيت في الملتقى الاول للمقاومة الشعبية بمدنين ( ايام 14 و 15 و 16 مارس : 9 صفحات مرقونة ) .
- علي البلهوان ، نحن أمة ، طبع ادارة الحرية ، تونس 1954 .

- سعيد بوبكر: مؤتمرات البعث، حول مؤتمر قصر هلال، تونس ( بدون تاريخ ) .

- السجل القومي للشهداء: دار العمل، تونس 1978 .

- الهادي التيمومي: نقابات الاعراف التونسية 1932-1955، دار محمد علي صفاقس، تونس 1989 .

- وزارة الاعلام: الاستعداد للمحنة الثالثة 1950-1957، تونس 1957 .

### - أطروحات الجامعة غير المنشورة -

- البشير العربي: الدور الاجتماعي لمثقفي المجتمع التونسي في فترة الاحتلال الفرنسي حتى 1956، شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الانسانية، تونس 1983 ( 115 صفحة ) .

- البشير العربي: التحولات الاجتماعية والبناء القبلي ومستويات التنمية في حامة بمغني زيد بالجنوب التونسي، اطروحة الحلقة الثالثة، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس الاولى، افريل 1991 ( 563 صفحة ) .

- منيرة المحضي: المسألة التونسية من 31 جويلية 1954 الى 20 مارس 1956 شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 1985 ( 149 صفحة ) .

- نور الدين الدوقي: دراسة مونوغرافية لمؤسسة استعمارية كبرى شركة الفسفاط والسكك الحديدية بقفصة ( 1897-1939 )، اطروحة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 29 جوان 1991، ( 605 صفحة ) .

- عروسية التركي: المقاومة المسلحة في جهة الاعراض من 1952 - 1954 شهادة الكفاءة في البحث كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس، ديسمبر 1989 ( 114 صفحة ) .

- محمد المختار ناصري: الحركة الوطنية التونسية، بين البورقبيبة واليوسفية ( 1934-1961 )، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 1991، ( 142 صفحة ) .

- فتحي ليسيير: نجع ورممة، تحت الادارة العسكرية الفرنسية ( 1881-1939 ) اطروحة شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، ماي 1991 ( 408 صفحة ) .

- سامية المساط : جامعة الدول العربية ، والمسألة التونسية  
56 - 1945 اطروحة دكتوراة في الاداب والعلوم الانسانية ، كلية  
نيسر ، قسم التاريخ ، 19 ، ماي 1990 ( 543 صفحة مرقونة بالفرنسية . )

### المجلات والصحف :

( 1 ) - المجلات :

\* اطروحات

- علي بن غامر ، سيرة صالح بن يوسف " قراءة نقدية ، تعريب محمد معالي ،  
اطروحات العدد 15 ، 1989 ، ص 6 - 17 .

- لظفي عيسى : اضواء على المجلس القومي التأسيسي ( 1956 - 1959 ) ،  
اطروحات عدد 03 ، 1987 ، ص 12 - 20 .

- خالد المنوبي : " الانموذج التونسي في سيرورة تفكك الدولة الخارجية  
ونشأة الدولة الرأسمالية التابعة " ، اطروحات جانفي - فيفري 1985  
ص 31 - 38 .

- الطاهر شقروش : " الحركة الطلابية التونسية من 1945 الى 1956 ، اطروحات  
العدد 9 ، اكتوبر 1985 ، ص 49 - 57 .

- سمير امين : في ذكرى الثلاثين لمؤتمر باندونغ ، اطروحات ، العدد 9 اكتوبر  
1985 ، ص 7 - 12 .

\* المغرب العربي :

- مائدة مستديرة ، قراءة جديدة لـ " 20 مارس 1956 " المغرب العربي السنة السابعة  
عدد 92 ، الجمعة 18 مارس 1988 ، ص 64 - 56 ( بالقسم العربي ) و ص 12 - 17  
( بالقسم الفرنسي ) .

- عبد الجليل بوقرة و لظفي بن عيسى : بورقيصة و بن يوسف تهافت على الحكم  
تصادم اختيارات ، المغرب العربي ، الجمعة 8 سبتمبر 1989 ، ص 20 - 25 .

- وثيقة ، ندوة المغرب حول 20 مارس ، التدخل الكامل لـ استاذ رؤوف حمزة ،  
المغرب العربي عدد 93 الجمعة 25 مارس 1988 ، ص 57 .

\* المجلة التاريخية المغربية :

- علي محجوبي : مقاومة السكان التونسيين للاحتلال الفرنسي ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة 11 العدد 33-34 - جوان 1984 ، ص 111-124 .
- علي الزيد : الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى اصلاح سنة 1951 ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 33-34 جوان 1984 ، ص 71-109 .
- حمادي الساحلي : نشاط الوطنيون التونسيين في المهجر اثناء الحرب العالمية الاولى ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 33-34 جوان 1984 ، ص 182-192 .
- يوسف الرويسي : نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق ( 1946-1961 ) ، المجلة التاريخية المغربية عدد 6 ، جويلية 1976 ، ص 123-124 .
- احمد بن ميلاد : وثائق عن ليلة القدر ، المجلة التاريخية المغربية عدد 24 نوفمبر 1981 .
- المنجي واردة : جذور الحركة اليسوعية والمجلة التاريخية المغربية عدد 20 الموقف : ماي سنة 1993 ، ص 480 الى 563 .
- رشيد حشانة : الحركات القومية في تونس ، الموقف ، العدد 56 ، السبت 8 جوان 1985 ، ص 6-8 .
- \* مجلة مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية :
- توفيق البشروش : القومية الفطرية في تونس قبل الحماية ، مجلة مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، العدد 4 ، عدد خاص بالذاتية الاعربية بين الوحدة والتنوع ، تونس 1979 ، ص 97-119 .
- \* وعى الضرورة :
- الطيبر الرياحي : مقدمة لفهم الصراع الفوضي ووعي الضرورة ، العدد الاول ، ماي - جوان 1978 ، ص 112-131 .
- احمد الخوارمي : وجهة نظر في رصد الازمة البورقبيية " وعى الضرورة " ، العدد الاول ، ماي - جوان ، ص 132-157 .
- \* كتاب العربي : اراء ودراسات في الفكر القومي ، العدد الثامن ( عدد خاص ) 15 يوليو 1985 .
- \* المجلة المصرية ( بدون تاريخ ) مفكرات فتحي الذيب تطوير عمليات تهريب السلاح ص 2 و 8 .

- \*مجلة المعرفة: السنة 3 العدد 29 ( بدون تاريخ )
- عبد الوهاب الازرق : القواعد العسكرية والقانون الدولي "صص 16-25 .
- \*مجلة " المصور " المصرية بتاريخ 25 نوفمبر 1955 .
- \* المشعل ، العدد السابع ، نوفمبر 1974 ( تاريخ مؤتمرات الحزب الدستوري الجديد من 1934 - 1974 .
- \* دراسات عربية ، العددان 1 و 2 تشرين الثاني وكانون الاول ، 1983 ، محمد عابد الجابري تطور الانتليجانسيا المغربية ، الاصاله والتحديث في المغرب صص 3 و 23 .
- ( 2 ) - الصحف :

- الارض ( الناطقة باسم الاتحاد العام للفلاحة التونسية ) 20 جانفي 1956 .
- الاخبار : 16 نوفمبر 1956 .
- الارادة : 15 اوت 1950 .
- الارادة : 22 ماي 1951 .
- الاستقلال : 30 مارس 1956 .
- الاستقلال : 27 فيفري 1956 .
- الاسبوع : 9 جانفي 1956 .
- الاسبوع : 26 ديسمبر 1955 .
- الاسبوع : 21 نوفمبر 1955 .
- الاسبوع : 5 ديسمبر 1955 .
- الاسبوع : 2 ماي 1955 .
- الاكبر : 20 جانفي 1956 .
- الاكبر : 24 جانفي 1956 .
- البلاغ الجديد : 28 جانفي 1956 .
- البلاغ : 3 ديسمبر 1955 .
- البلاغ : غردة ديسمبر 1955 .
- البلاغ : 4 نوفمبر 1955 .
- الزهرة : 7 جويلية 1946 والزهرة 16 جويلية 1946 .
- الزهرة : 1 جويلية 1955 .
- الزهرة ! 18 اكتوبر 1955 .

- الزهرة : 17 ماي 1955 .
- الزهرة : 2 و 3 ديسمبر 1955 .
- الزهرة : 23 نوفمبر 1955 .
- الزهرة : 24 جانفي 1955 .
- الزهرة : 29 ديسمبر 1955 .
- الزهرة : 10 ديسمبر 1955 .
- النهضة : 6 ماي 1950 .
- النهضة : 13 جوان 1950 نشرت تصريح المقيم العام الجديد بتونس .
- النهضة : 18 اوت 1950 .
- النهضة : 10 فيفري 1951 .
- الرائد الرسمي : المؤرخ في 1 جوان 1959 ص 746 (الدستور التونسي ) .
- صدى الزيتونة : 2 جانفي 1956 .
- صدى الزيتونة : 28 و 29 ديسمبر 1955 .
- صدى الزيتونة : 28 / 12 / 1955 .
- جريدة صوت الطالب الزيتوني : عدد 11 و 15 1950 .
- صحيفة لومند : بتاريخ 19 / 4 / 1950 رسالة اندري جيليان مستشار الوحدة :  
الفرنسية .
- صحيفة لومند : 15 و 16 و 17 و 18 حويلية 1950 مقال لفرنسي يقيم بتونس  
كان قد شغل خطة مراقب مدني تحت عنوان : " تونرفي مفترق الطرق " :  
صحيفة لومند : 3 جوان 1950 تصريح شومان بشأن مهمة المقيم العام  
" بريلي " .
- الصحف التونسية الصادرة يوم 10 ديسمبر 1955 .
- الصحافة التونسية الصادرة يوم 26 جويلية 1957 .
- الحرية : 5 / 3 / 1950 عدد 102 .
- جريدة التونسي : افتتاحية العدد الاول 16 / 2 / 1907 لصاحبها علي باش  
حانبة .
- الصباح : 8 فيفر 1955 .
- الصباح : 10 و 12 و 14 و 20 جانفي 1956 و 22 و 26 جانفي 1956 .

- الصباح : 22 اكتوبر و 29 نوفمبر 1955 •
- الصباح : 10 و 18 نوفمبر 1955 •
- الصباح : 2 و 3 فيفري 1955 •
- الصباح : 3 مار و 17 مار و 18 مار و 21 مار 1955 •
- الصباح : 14 جانفي 1955 •
- الصباح : 25 نوفمبر 1954 •
- الصباح : 28 جويلية لو 7 ديسمبر و 2 ديسمبر 1955 •
- الصباح : 20 نوفمبر 1955 و 5 نوفمبر و 1 و 15 ديسمبر 1955 •
- الصباح : 16 و 18 ديسمبر 1955 •
- الصباح : 12 و 16 جانفي 1955 •
- الصباح : 26 نوفمبر 1954 •
- الصباح : 3 اكتوبر 1955 •
- الصباح : 5 جانفي 1955 (النص الكامل لتصريحات الاستاذ صالح بن يوسف  
الامين العام للحزب الدستوري عند رأيه في الاستقلال الداخلي التونسي  
- الصباح : 12 و 13 و 14 و 15 و 16 و 17 و 18 و 19 جوان 1955 " النص الكامل  
للاتفاقية العامة الصادرة في جوان 1955 ) •
- الصباح : 19 افريل 1955 •
- الصباح : 14 سبتمبر 1955 •
- الصباح : 17 ماي 1955 •
- الصباح : 14 اكتوبر 1955 •
- الصباح : نوفمبر 1955 • ( ندوة صحيفة لابن يوسف 4 نوفمبر 1955 ) •
- الصباح : 1 و 4 و 8 اوت 1954 •
- الصباح : 14 سبتمبر 1954 •
- الصباح : 22 و 26 افريل 1955 •
- الصباح : 11 و 19 ماي 1955 •
- الصباح : 22 فيفري 1955 •
- العمل : 12 و 14 و 15 و 16 و 17 ديسمبر 1955 •
- العمل : 1 ديسمبر 1955 •

- العمل : 20 و 22 جانفي 1956
- العمل : 8 ديسمبر 1955
- العمل : 20 نوفمبر 1955
- العمل : 16 نوفمبر 1955
- العمل : 19 و 28 نوفمبر 1955
- العمل : 2 و 4 و 9 ديسمبر 1955
- اليقظة : 28 نوفمبر 1955 ( ملاحظات عن مؤتمرات صفاقس )
- اليقظة : 16 جانفي

- Abdelmalek (A); La pensée politique contemporaine.  
Editions du seuil, 2<sup>ème</sup> édition Paris 1970
- Achour (H); Ma vie politique et syndicale, entousiasme et déception 1944-1981, T1  
Alif, Tunis 1989
- Ageron (Ch.R); " L'insurrection du 20 Aout 1955 en Algérie, de la résistance armée à la guerre du peuple". In Actes du VII<sup>ème</sup> colloque international sur la résistance armée en Tunisie aux XIX<sup>ème</sup> et XX<sup>ème</sup> siècles (tenu les 18, 19 et 20 Novembre 1993)  
Publications de L'I.S.H.M.T, Tunis 1995, pp 205-223.
- Ayadi (T); " La résistance sfaxienne à l'occupation coloniale en 1881". In Réactions à l'occupation française de la Tunisie. Actes du 1<sup>er</sup> séminaire sur l'histoire du mouvement national (29, 30 et 31 Mai 1981).  
Publications S.T, Tunis 1983, pp 159-194.
- Azaïez (B.L); Tels syndicalistes tels syndicats ou les péripéties du mouvement syndical tunisien. 1<sup>ère</sup> partie 1900-1970. Editions Imp. Tunis-Carthage (S.D).
- Azzam (M); Industrie et accumulation du capital en Tunisie.  
Publications du C.E.R.P. de la faculté de droit et des sciences politiques de Tunis 1983, (2tomes).
- AZZOUZ (E); L'histoire ne pardonne pas : Tunisie de 1938-1969, l'harmattan.  
Dar Ashraf. Editions 1988.
- Bechraoui (A); La vie rurale dans l'oasis de Gabès.  
Publications de l'université de Tunis. 1980
- Ben Hamida (A); Le syndicalisme tunisien de la 2<sup>ème</sup> guerre mondiale à l'autonomie intrne.  
Publications de l'université de Tunis. 1989.
- Ben Salem (M); L'antichambre de l'indépendance tunisienne. 1947-1957  
C.E.R.E.S. Publications Tunis 1988.
- Bouhdiba (A); Culture et société.  
Publication de l'université de Tunis. 1978.
- Bessis (J); Les Etats-Unis et le protectorat tunisien dans la 2<sup>ème</sup> guerre mondiale .  
In La Tunisie de 1939 à 1945. Actes du 4<sup>ème</sup> séminaire sur l'histoire du mouvement national (5, 6 et 7 Juin 1987). S.T. Tunis 1989, pp 197-213.
- Bessis (J) et Belhassen (S); Bourguiba à la conquête d'un destin. (1901-1957)  
Jeune-Afrique livre, Paris 1988.

- Bourguiba (H); La Tunisie et la France : Cinq ans de lutte pour une coopération libre.  
Maison tunisienne de l'éditions. Tunis 1954.
- Bourguiba (H); Ma vie, mes idées, mon combat.  
(Séries de conférences données par le président devant les étudiants de I.P.S.I.)  
Tunis 1977.
- Boyer de la Tour (P.G); Vérités sur l'Afrique du Nord.  
Plon. Paris 1956.
- Charles de Gaulle; Mémoire de guerre. Tome III  
Plon. Paris 1959.
- Cherif (M.H); Mouvement national et occupation germano-italienne de la Tunisie  
(Novembre 1942 -Mai 1943). In La Tunisie de 1939 à 1945. Actes du 4<sup>ème</sup>  
séminaire sur l'histoire du mouvement national (5, 6 et 7 Juin 1987).  
Publications S.T. Tunis 1989. pp 157-169.
- Cherif (M.H); Pouvoir et société dans la Tunisie de Hussyn Bin Ali (1705-1740)  
Tunis 1986 (2 tomes)
- Cherif (M.H); "Les réactions citadines à l'occupation française de la Tunisie en 1881 et  
leurs limites". In Réactions à l'occupation française de la Tunisie en 1881. Actes du  
1<sup>er</sup> séminaire sur l'histoire du mouvement national (29, 30 et 31 Mai 1981).  
S.T. Tunis 1983. pp 227-238.
- Cherif (M.H); "Les mouvements paysans dans la Tunisie du XIX<sup>ème</sup> siècle".  
R.O.M.M. 1<sup>er</sup> trimestre 1980. pp 21-55.
- Cohen Hadria; Du protectorat français à l'indépendance tunisienne.  
Souvenir d'un témoin socialiste. Nice 1976.
- Driss (R); "Premières années d'exil". Les cahiers de Tunisie. Tome 29. N° 115-116  
1<sup>er</sup> et 2<sup>ème</sup> trimestre 1981. pp 405-424.
- Edward-Blanc; "Le sud de la Tunisie, renseignement agricole, éco et commerciaux".  
In revue : Société et géographie. Paris, Avril 1889. pp 497-522.
- El Machat (S); La Tunisie pendant la deuxième guerre mondiale (1939-1944).  
In Revue d'histoire magrebine. N° 33-34. Juin 1984. pp 64-84.
- Encyclopédia universalis, vol II p 556.
- Encyclopédie de l'islam, article "Fitna" T II , par L.Gardet. pp 953-959
- Faroua (M); "La Tunisie en 1950-1951 : l'aggravation de la situation économique et  
sociale, un des facteurs de la radicalisation du mouvement national".  
In La Tunisie de 1950-1951. Actes du VI<sup>ème</sup> colloque international (13, 14 et 15  
Décembre 1991). Publications de l' I.S.H.M.N. Tunis 1993.

- Ganiage (J); Les origines du protectorat français en Tunisie (1861-1881).  
P.U.F Paris 1959.
- Ganiage (J); " La population en Tunisie vers 1860, essai d'évolution d'après les registres fiscaux". In Population N° 5, sept-oct. 1966
- Garas (F); Bourguiba et la naissance d'une nation.  
Julliard. Paris 1956.
- \*-Goldestein (D); Libération ou anexion  
Aux chemins croisés de l'histoire tunisienne (1914-1922) M.T.E. Tunis 1978
- Goldzeïguer (A.R); " L'opinion publique tunisienne 1940-1944".  
La Tunisie de 1939 à 1945. Actes du 4<sup>ème</sup> séminaire sur l'histoire du mouvement national (5, 6 et 7 Juin 1987). Publications S.T. Tunis 1989. pp 133-155.
- Goldzeïguer (A.R); " Reflexion sur le déclenchement de la lutte armée en Algérie le 1<sup>er</sup> Novembre 1954; continuité ou rupture". Les cahiers de Tunisie. Tome : XXIX, N° 117-118, 3<sup>ème</sup> et 4<sup>ème</sup> trimestre 1981, pp 367-383.
- Goldzeïguer (A.R); "La frontière algéro-tunisienne pendant la guerre d'Algérie dans les archives militaires de Vincennes". La résistance armée en Tunisie aux XIX<sup>ème</sup> et XX<sup>ème</sup> siècles. Actes du VII<sup>ème</sup> colloque international (18, 19 et 20 Novembre 1993). Publications de l'I.S.H.M.N. Tunis 1995. pp 41-89.
- Guellouz (F); La Tunisie husseïnite au 18<sup>ème</sup> siècle. In Histoire de la Tunisie.  
Les temps modernes. S.T.D. Tunis 1983. pp 135-275.
- Gay de Carmoy; Les politiques étrangères de la France. 1944-1966.  
Editions de la table ronde. Paris 1967.
- Hadri (M); L'Afrique du Nord en guerre. Réflexions sur les stratégies des puissances belligérantes. In La Tunisie de 1939 à 1945. Actes du 4<sup>ème</sup> séminaire sur l'histoire du mouvement national (5, 6 et 7 Juin 1987).  
Publications S.T. Tunis 1989. pp 249-268.
- Harbi (M); Aux origines du F.L.N : le populisme révolutionnaire en Algérie.  
Christian Bourgeois éditeur. Paris 1975
- Haydar (A); L'industrialisation à Gabès et ses conséquences.  
Publications de l'université de Tunis 1986.
- Helmut Mejcher; "North Africa in the strategy and politics of the axis powers 1936-1943".  
In Les cahiers de Tunisie. N° 117-118, tome XXIX, 3<sup>ème</sup> et 4<sup>ème</sup> trimestre 1981,  
pp 629-648.
- Julien (Ch.A); Et la Tunisie devient indépendante (1951-1957)  
Editions J.A / S.T.D 1985

- Julien (Ch.A); Colons français et jeunes tunisiens.  
In Revue française de l'histoire d'outre-mer. T.LIV 1967
- Kraïem (A); "Ali Ben Khalifa Anaffati avant 1881". In Réactions à l'occupation française de la Tunisie en 1881. Actes du 1<sup>er</sup> séminaire sur l'histoire du mouvement national (29, 30 et 31 Mai 1981). S.T Tunis 1983. pp 145-156.
- Lacouture (J); Cinq hommes et la France . Seuil. Paris 1961.
- Ladgham (B); Correspondances : 1952-1955. Les années décisives. Cerès production 1990
- Laroui (A); L'histoire du Magreb. Un essai de sythèse. Paris 1970
- Le Boeuf (J); Les confins de la Tunisie et de la tripolitaine.  
Berger-Levrault et compagnie, éditeur, Paris-Nancy 1909
- Lejri (M.S); Evolution du mouvement national tunisien, des origines à la deuxième guerre mondiale. M.T.E Tunis 1974 (2 tomes)
- Louis (A); La Tunisie du sud : ksars et villages de crête. C.N.R.S Paris 1975
- Mahjoubi (A); L'établissement du protectorat français en Tunisie.  
Publication de l'université de Tunis 1977
- Mahjoubi (A); Les origines du mouvement national en Tunisie. (1904-1934)  
Publication de l'université de Tunis 1982
- Mahjoubi (A) et Karoui (H); Quand le soleil s'est levé à l'ouest:  
Tunisie en 1881, impérialisme et résistance. Tunis 1983.
- Mansar (A); Les Hamamma et les Beni Zid dans la guerre de libération nationale, d'après les sources orales. In La résistance armée en Tunisie aux XIX<sup>ème</sup> et XX<sup>ème</sup> siècles. Actes du VII<sup>ème</sup> colloque international (18, 19 et 20 Novembre 1993). Publications de l'I.S.H.M.N. Tunis 1995.
- Martel (A); Les confins saharo-tripolitains de la Tunisie. 1881-1911.  
P.U.F 1965 (2 tomes)
- Martel (A); Soulèvements tribaux et ingérences étrangères dans les steppes tunisiennes 1854-1953. In La résistance armée en Tunisie aux XIX<sup>ème</sup> et XX<sup>ème</sup> siècles. Actes du VII<sup>ème</sup> colloque international (18, 19 et 20 Novembre 1993). Publications de l'I.S.H.M.N. Tunis 1995.
- Martel (A); L'année 1941 dans le monde arabe ou le temps des allemands.  
In La Tunisie de 1939 à 1945. Actes du 4<sup>ème</sup> séminaire sur l'histoire du mouvement national (5, 6 et 7 Juin 1987). Publications S.T. Tunis 1989. pp 29-42.

- Mathlouthi (S); 'Le pouvoir beylical face à l'occupation française'.  
In Réactions à l'occupation française de la Tunisie. Actes du 1<sup>er</sup> séminaire sur  
l'histoire du mouvement national (29, 30 et 31 Mai 1981). Tunis 1983. pp 329-351
- Meynier (C); L'Algérie révélée. Paris-Genève 1981.
- Micro Robert, dictionnaire du Français primordial. S.N.L le Robert 1977.
- Mzabi (H); La Tunisie du sud-est. Géographie d'une région fragile, marginale et dépendante.  
Publication de la faculté des sciences humaines et sociales. Tunis 1993.
- Mzali (M.S); Au fil de ma vie, souvenir d'un tunisien.  
collection 'Léon l'Africain' Editions Hassan Mzali Tunis 1972.
- Nouchi (A); De la dépendance à l'indépendance? la France, le pétrole et les algériens de  
1956 à 1955. Les cahiers de Tunisie. N° 117-118, tome XXIX, 3<sup>ème</sup> et 4<sup>ème</sup> trimestre  
1981. pp 345-366.
- Perillier (L); La conquête de l'indépendance tunisienne. Edition Robert Laffont. Paris 1979
- Poncet (J); La colonisation et l'agriculture européenne en Tunisie depuis 1881.  
Etude de géographie historique et économique. La Haye, Mouton, Paris 1961
- Raymond Aron, Paix et guerre entre les nations. Calmann Lévy (5<sup>ème</sup> édition) Paris 1968
- Rous (J); Bourguiba. L'homme de l'Afrique. Editions J. Didier. Paris 1966.
- Sayah (M); Histoire du mouvement national. D 14, T 2, la victoire. Dar El Amel Tunis 1979
- Histoire du mouvement national, D15 : l'indépendance, Dar El Amel Tunis 1979
- Le nouvel Etat aux prises avec le complo youssefiste, 1956-1958, Dar El Amel (3 tomes)  
Tunis 1983
- Sebag (P); La Tunisie. Essai de monographie. Editions sociales Paris 1951.
- Smida (M); La Tunisie Husseinite au 19<sup>ème</sup> siècle. Histoire de la Tunisie.  
Les temps modernes. S.T.D Tunis 1983. pp 279-392.
- Sliman Ben Sliman; Suvenirs politiques. Cérés productions. Tunis 1989
- Stambouli (F); "Système urbain et développement" In Système urbain et développement  
du magreb. Travaux du séminaire international du Hammamet (22 - 30 Juin 1976).  
Cérés productions, Tunis 1980. pp 54-66
- Tlili (B); Etude d'histoire sociale tunisienne du XIX<sup>ème</sup> siècle  
Publications de l'université de Tunis 1974

- Triki (F); L'esprit historien dans la civilisation arabe et islamique.  
M.T.E et faculté des sciences humaines et sociales de Tunis
- Valensi; Fellahs tunisiens, économie rurale et la vie de campagnes du 18<sup>ème</sup> et 19<sup>ème</sup> siècle  
Monton Paris 1977
- Veyne (P); Comment on écrit l'histoire. Seuil Paris 1971

Bulletins, Revues, et Journaux  
=====

- Bulletin des Geographie Français, Paris 1952.
- Bulletin économique et Sociale de la Tunisie, mars 1955, "Chronique du mars de Fevrier 1955, La Vie economique et financière.
- Bulletin éc onomique et Sociale, N° 98, Lepidi(Jules);  
" Le Commerce Exterieur de la Tunisie en 1954 ".
- Revue Tunisienne 1903: " Le Beni Zid et l'Oasis d'El Hamma".
- Revue Tunisienne, 1907; Le Boeuf, "Historique de la Conqu-  
ête Pacifique des Territoire Militaires de Tunisie ".
- Revue du Maghreb, N° 1, le 30 mai 1916:" Notre Programme".
- Revue du Maghreb N°11-12, Nov.Dec 1977," Les Revendications  
du Peuple Tunisien ".
- L'Homme et la Société Jan-Fev 1968,Rodenson(M)," Le masxis-  
me et la Nation".
- L'Avenir de la Tunisie 11 mars 1949.
- La Depêche Tunisienne, 11 Juin 1955.
- La Depêche Tunisienne, du 18 Decembre 1955.
- Le Figaro, 5 Janvier 1955.
- Le Monde , 20 Mars 1956.
- Le Monde, 13 Mars 1956.
- Le Monde, 2 Aout 1954.
- Mission, N°52, 7 Avril 1949.
- Le Petit Matin, 2 Aout 1954.
- Le Petit Matin, 3 Aout 1954.
- Le Petit Matin, 16,18,19 et 22 Nov 1954.
- Le Petit Matin, 24 Nov 1954.
- Le Petit Matin, 6 Jan 1955.
- Le Petit Matin, 20 Avril 1955.

- Le Petit Matin, 26 Avril 1955.
- Le Petit Matin, 28 Avril 1955.
- Le Petit Matin, 8 Oct 1955.
- Le Petit Matin, 13 Oct 1955.
- Le Petit Matin , 18 et 22 Nov 1955.
- Le Petit Matin , 21 Dec 1955.
- Le Petit Matin , 29 Janvier 1955.
- Le Petit Matin, 17 et 19 Fev. 1956.
- Le Temps Moderne, N°35; le 26 Janvier 1956 .
- Tunis Socialiste, 25 Nov . 1955.
- Tunis Socialiste, 4 Nov . 1955.



الإجابة بصراحة على الأسئلة المطروحة ، مع العلم أن المعلومات الصرح بها  
من لغاية علمية أساسا ، فهي لا تعرض صاحبها لأي مشكل مهما كان وهي لا تحمل  
أية عناوين ،

وشكرا مسبقا على المساعدة

الجنس : ( \* ) ذكر  أنثى

العمر : .....

الجهة : .....

الستوى العلمي : ( \* )

بالخارج		زيتوني	ابتدائي	أمي
الشرق	أروبا			

الإنتماء المهني في منتصف الخمسينات : 1955 - 1956 . ( \* )

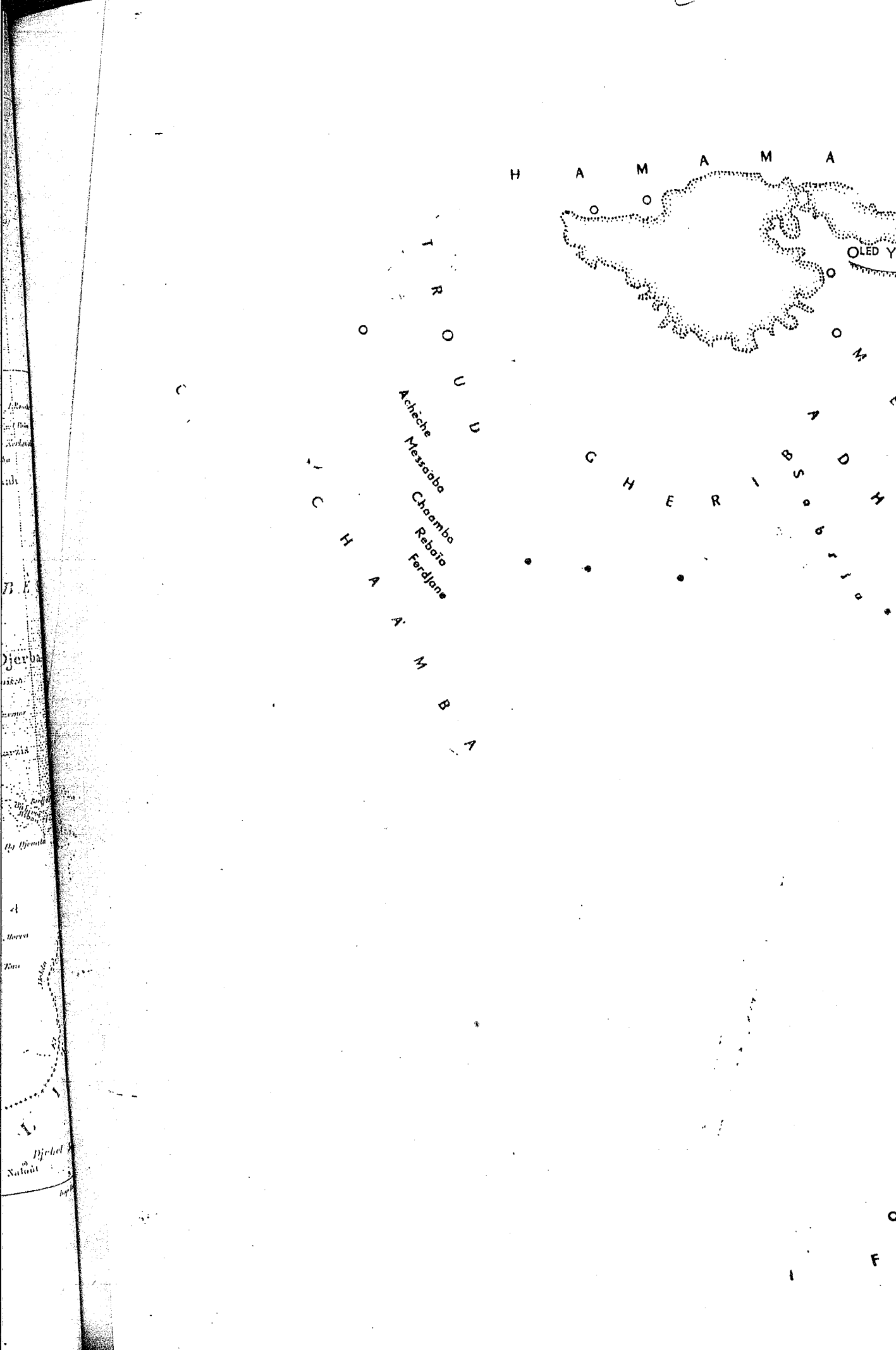
عامل  راعي  فلاح  حرفي  تاجر  موظف  غير ذلك

الإنتماء السياسي :

( \* ) لليوسفية  للبورقبيية  لا موقف

..... ؟  
.....  
.....  
.....

ضع علامة X في الرّبع المناسب .



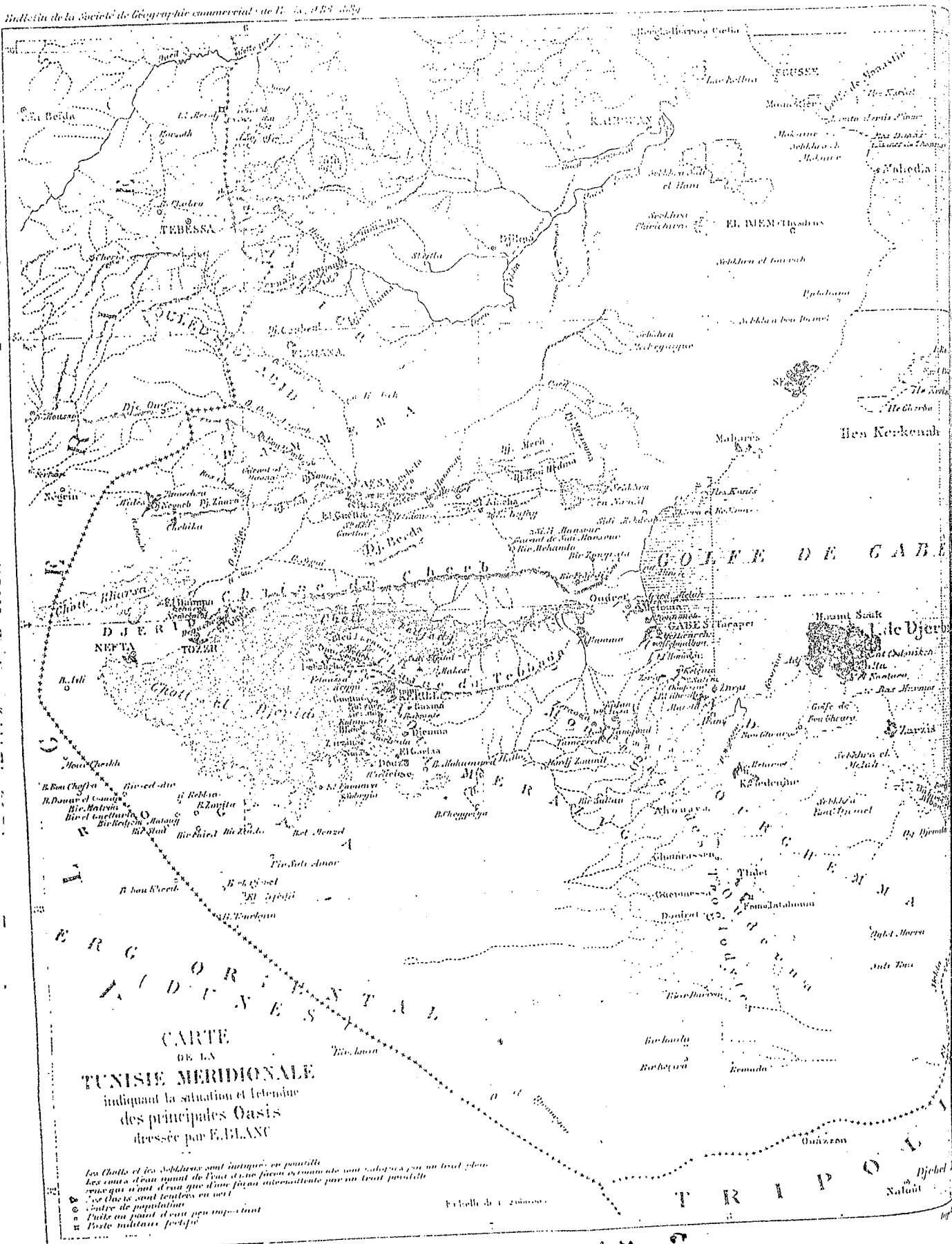
H A M A  
O L E D Y  
O M

T R O U  
A C H I C H E  
M E S S A O B A  
C H A M B A  
R E B A I O  
F E R D J O N E  
A M B A

A D H  
G H E R I  
B S O B I



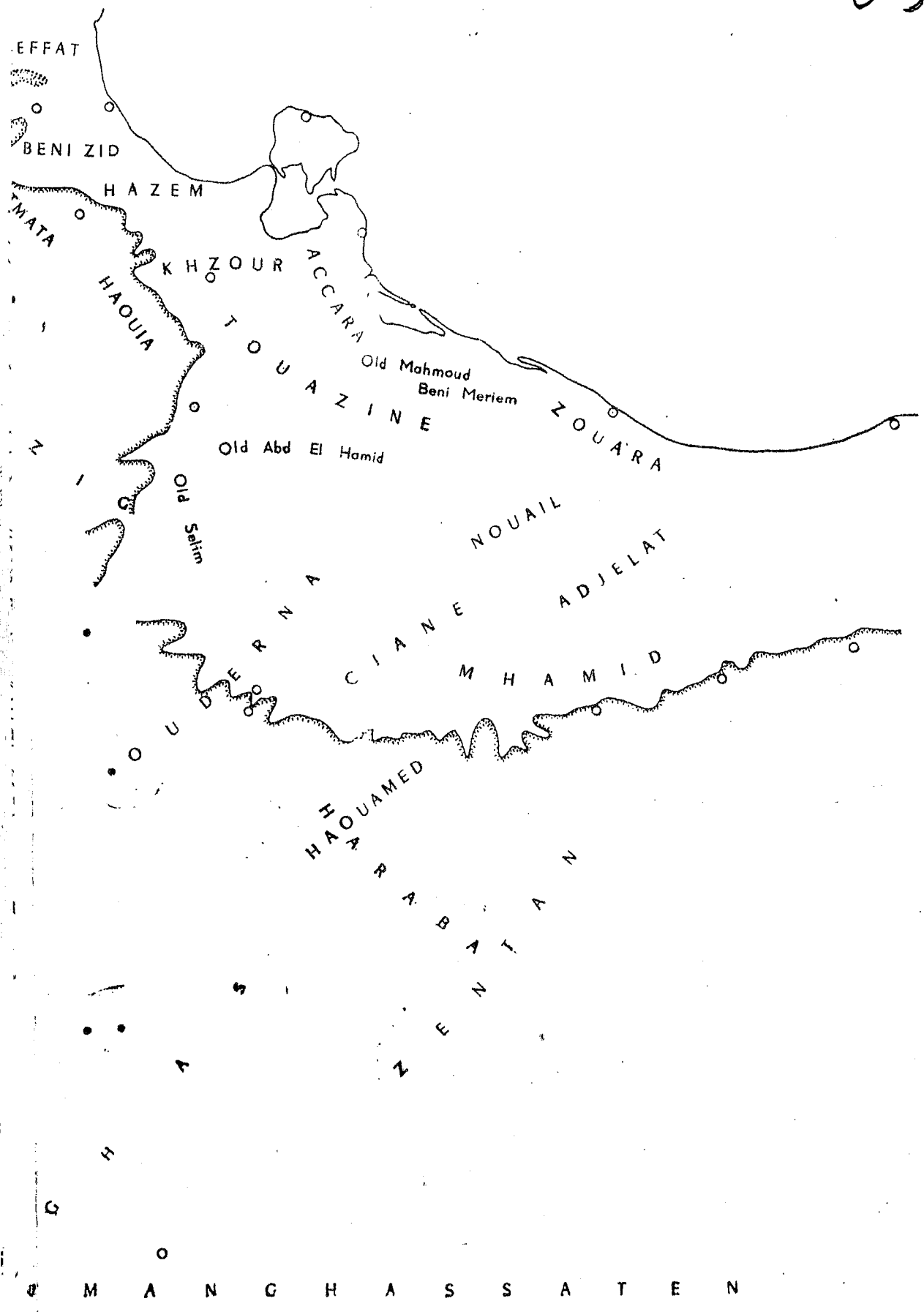
Djerba  
Natal  
Djebel  
Natal



Dressé par E. Blanc

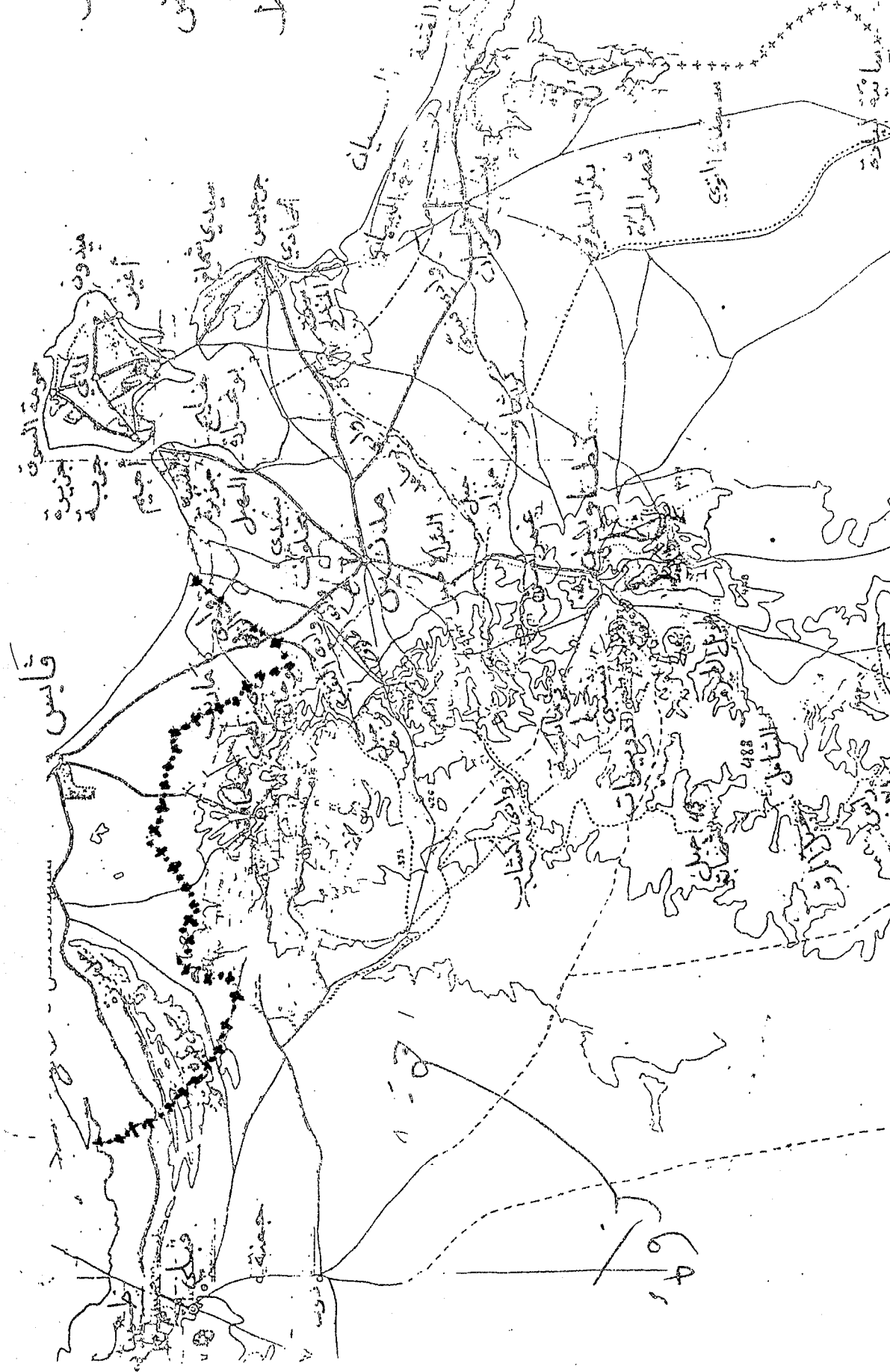
موقع الجنوب التونسي (رقم 1)

القبايل  
 جنوب تونس  
 شرقي مازال  
 (تم 2)



مقياس 1/1000000

البحر الأبيض المتوسط



قايس

البيات

بئر السبع

حصن الزين

مدينتان التوي

مدينتان التوي

ميدون

أغير

سيدي سمارة

جمنيس

الحادي

جمعة الصوف

اللاوي

جزيرة

جوبه

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

جمنيس

مفتاح

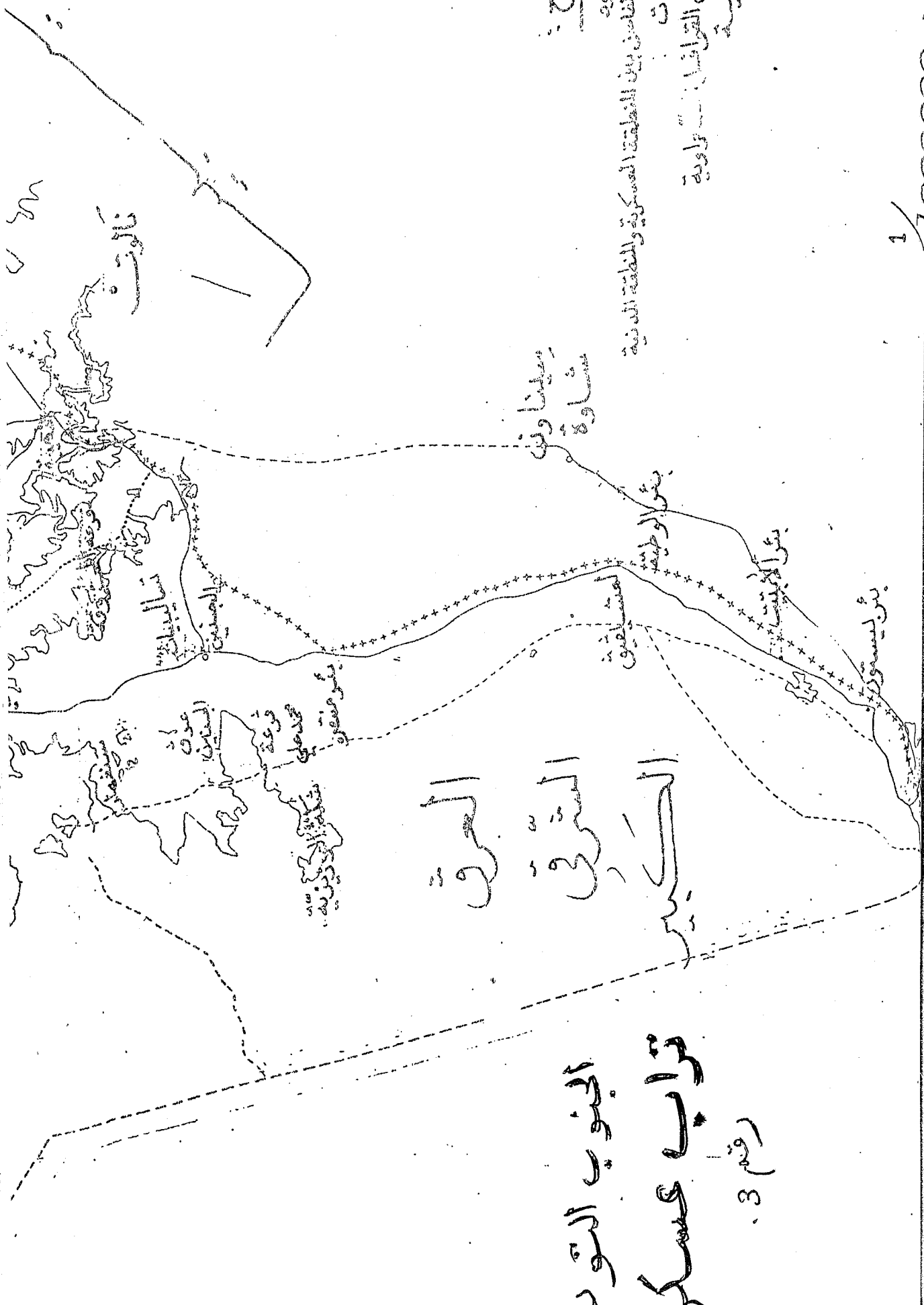
حدود

الحد الفاصل بين المنطقة العسكرية والمنطقة المدنية

طرق

طريق القوافل - وادي

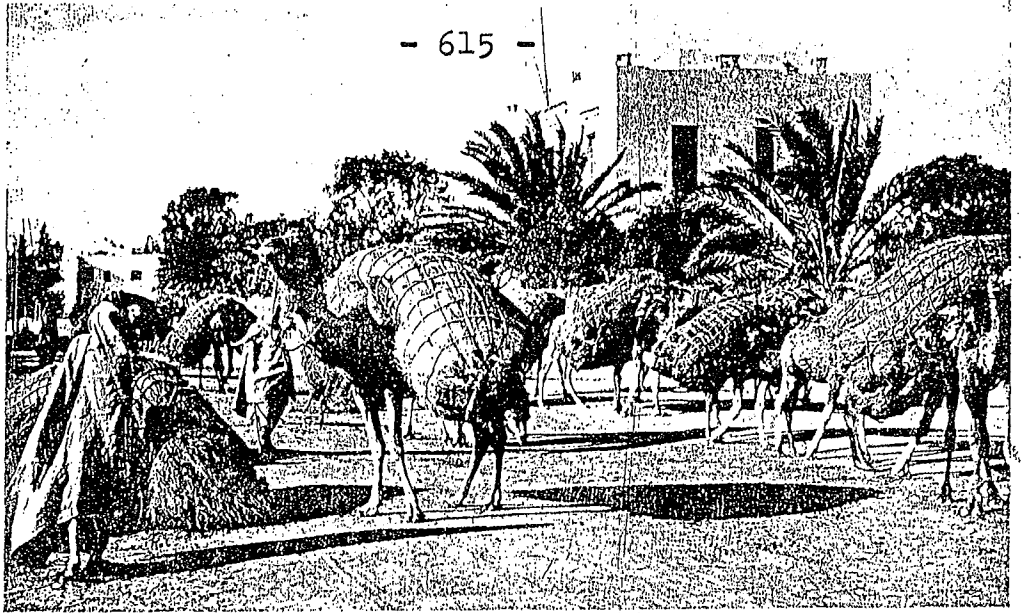
أودية



الجزء الشرقي الكبير

رقم 3





17 GABÈS - Chameaux porteurs d'alfa

عينات عن الوضع  
الاقتصادي  
والاجتماعي  
بالجنوب  
التونسي



Famille Arabe dans l'Oasis de Gabès

V. P. Paris 19

*Un bon  
Madame*

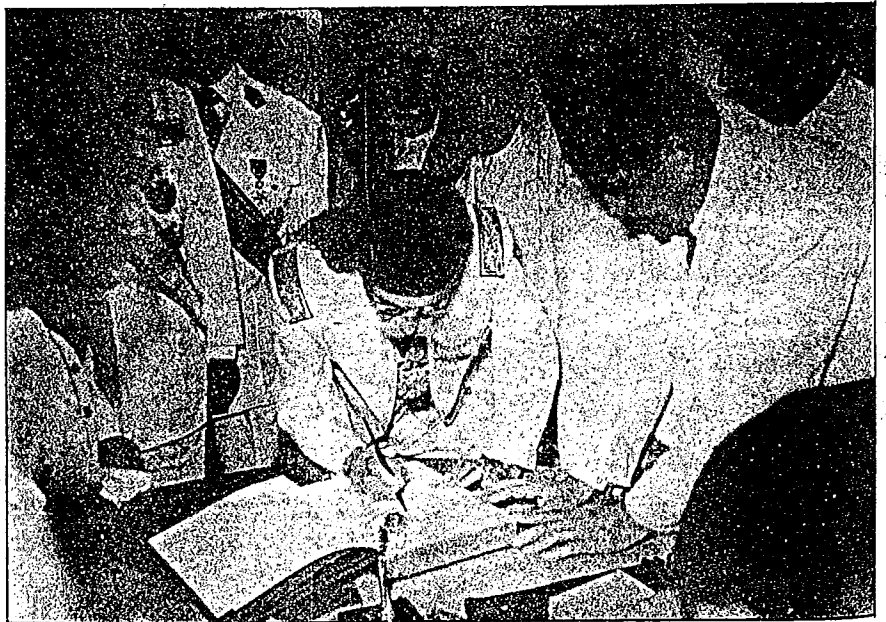


GABÈS.

Panorama et l'Eglise

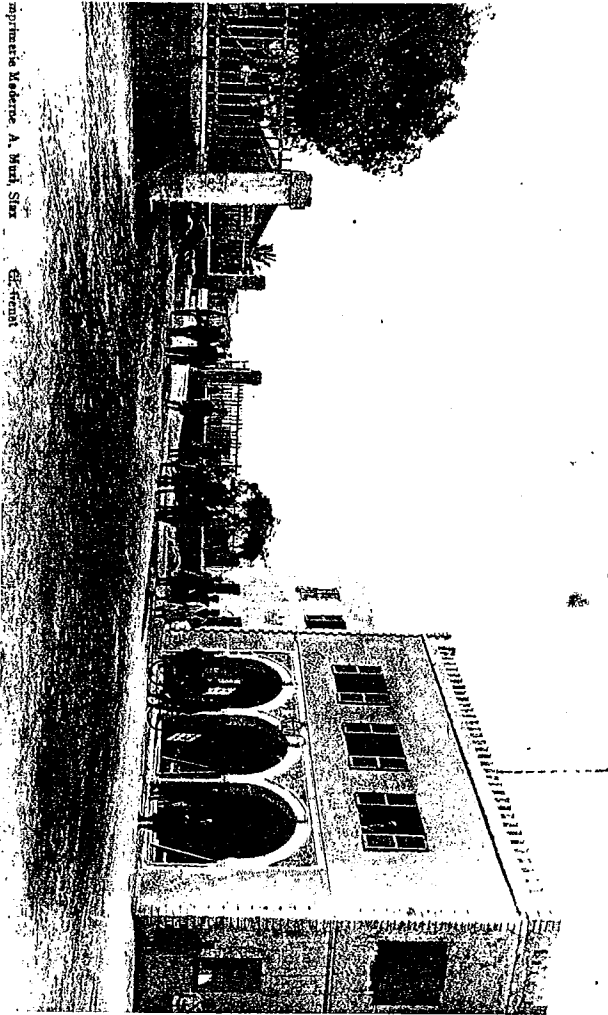


*Le Ministère M'Hamed Chenik constitué le 17/08/50 pour négocier avec la France, l'autonomie interne.  
De gauche à droite : Ahmed Kassar - le Général Saadallah - le Docteur M. Ben Salem - Mohamed Salah Mzali - Mohamed Badra - Dr Mahmoud El Materi - Salah Ben Youssef et M'Hamed Chenik.*



*Juillet 55, les conventions entre la France et la Tunisie ayant été acceptées par Bourguiba et signées par les Ministres Destouriens au nom du Bey, Lamine Ier a fait signer tous les partenaires tunisiens de cette négociation.  
Sur la photo, Lamine Ier apposant le dernier sa signature. Derrière lui, on reconnaît Mongi Slim du Néo-Destour et Ministre de l'Intérieur, et les deux cheikhs El Islam Djait et Abbès.*

19. - GABÈS. - Maison du Caid - Entrée du Camp



Imprimerie Moderne, A. Mami, Sfax - Tunisie

# Images de Tunisie



Voyage dans le  
Centre et le Sud du  
Résident Général :

Le Résident Général arrive à Oued El Ksob près de Gafsa où, au titre des chantiers d'assistance, sont exécutées des tabias en courbe de niveau pour l'irrigation.

(Ph. E. Montefiore)



A Oued El Ksob, le Résident Général s'entretient avec des agriculteurs. (A droite, M. Simoneau, Contrôleur Civil de Gafsa, qui depuis 12 ans est l'animateur du développement agricole de ces régions désertées où il a déjà fait construire 22 barrages d'épandage de



بسم الله الرحمن الرحيم  
 اني انا المصطفى  
 دفاعا عن ابي رضى الله عنه  
 والاف انتها الترابي  
 انما ارجو شعبة من قاضي  
 له انظاره وادبته عن طينته  
 سبب من كرسه للامام  
 والاسلام



لواء ابي رضى  
 الترابي

Touhami. by Hadj. by Osman Turki..... Décision N°  
 a été libéré du Centre d'hébergement de Téboursouk le.. 15 sept.  
 Il devra se présenter au Contrôle civil de sa résidence des son  
 l'intéressé  
 Le Commandant de  
 P. ix

نص التقرير الموجه الى الديوان السياسي من ظرف صالح بن يوسف بتاريخ 14/2/54  
والذي ارسل به الى المنجي سليم صحبة الرسالة السابقة.

القاهرة في 14 فبراير 1954.

حمدا وصلاة وسلاما،

موقف الحزب بعد تسمية المقيم العام .

كان لتصريحات الهادي نوييرة التي نادت بالتزام الهدوء اثر نداء جلاله الباي اسوأ الاثر على نشاطنا في الخارج خصوصا وانها صادفت انعقاد دورة الامم المتحدة في اكتوبر المنقضي فكانت اكبر عائق في فشل القرار الخاص بالقضية التونسية امام الجمعية العامة للامم المتحدة اذ وجدنا خصوصا في تصريحات ممثل الحزب بتونس ما يجعلهم " يستبشرون بجو الوفاق السائد بتونس فلا يجدر ان يعكس هذا الجو بقرار جديد يصدر من الامم المتحدة .. الى آخر ما جاء بخطب متعددة لخصوصنا " . ان الحملة التي شنتها علينا الدول الاستعمارية في اروقة الامم المتحدة اثناء الدورة كانت لا محالة شديدة ولكن الدول المترددة بيننا وبين خصوصنا وجدت في تصريحات الهادي مستندا لأن تميل الى جانب الخصوم . نعم ليس في قرار ما تتخذه الامم المتحدة لفائدتنا شيء يحملنا على الاعتقاد بانه الوسيلة لتخلصها من السيطرة الاستعمارية وطرده الفرنسيين من تونس ولكن كل تأييد يصدر عن الامم المتحدة لفائدتنا ليقوي ساعدنا ويشجع كفاح الشعب ويجعل الجانب التونسي - ولولم يكن من الحزب - قويا في مفاوضات يمكن ان تفتح مع فرنسا لحل المشكل التونسي ، وعند رجوعي من نيويورك اثر الدورة مررت بسويسرة حيث قابلت الاخوان وابلغتهم كل ذلك واوصيتهم بان يبلغوا لكم وللهادي بان تلتزم الاحتياط في المستقبل في كل التصريحات التي تصدر عن الديوان السياسي كما بينت ذلك بمكتوب ارسلته اليك بعد ان اخبرت الاذاعة بالافراج عنك .

المواقف العالمية للحزب في الخارج من يناير 1952 :

بعد ان رفعت الشكوى لمجلس الامن في 14/1/1952 ودخلت البلاد في الكفاح المروع الذي ابهر العالم اصحنا كبعثة من الحكومة الشرعية تمثل البلاد باسرها تصرح بان الشعب التونسي يكافح من اجل استرداد استقلاله وسيادته كاملة و سواء في خطب اذعتها من القاهرة او في مؤتمرات صحفية وعقدتها بالشرق وامريكا والسويد طيلة هذين العامين جعلت الهدف الذي اكافح من اجله داخل البلاد وخارجها هو الاستقلال والسيادة الكاملة ولم تكن في ذلك الا منفذين لقرار المؤتمر التاريخي لحزبنا وهو المؤتمر المنعقد في 18/1/1952 يوم القي القبض عليكم جميعا والذي نادى بوجوب الغاء الحماية والاعتراف باستقلالنا التام كاساس وحيد لحل المشكل التونسي وقد رأى المؤتمر المرحوم الهادي شاکر وكان المقرر له الهادي نوييرة

فتولى هو مع بعض الاخوان تبليغ القرار الى جلاله الباي بحمام الانف ثم حالت السلطة

دون وصولهم الى القصر .

ولكم كان اندهاشي عظيما عند ما لقيت الاخوين محمود المسعدي والنوري البودالي باستكهم ولهم في 14/7/1953 اثناء انعقاد مؤتمر النقابات ومؤتمر الاحزاب الاشتراكية وسمعت منهما ان مؤتمر الحزب المشار اليه انعقد في ظروف خاصة فلا يمكن التقيد بقراراته . كان ذلك الرد منهما لما تعرضت للمفعول السيء الذي انجر على تصريحات الهادي نويرة سواء بالنسبة للحوادث او حتى بالنسبة لمبادئنا (تصريح به عرض مشاركة الحزب في تصفية الجو والاخذ بنصيبه من المسوءوليات عقب تصريحات رؤساء الوزارة الذين تعاقبوا لطلب الثقة من البرلمان الفرنسي اثر الازمة الوزارية الفرنسية الاخيرة وهو تصريح كان نهاية في الضعف خصوصا في ايام دي هوتكلوك وفي ابان سياسة التقتيل واغتيال اخواننا الدستوريين ، تصريحات اخرى تستنكر اعمال العنف بينما ما يسميه الفرنسيون عنفا انما رد فعل من جانب الوطنيين لسياسة البطش) . فقلت يومئذ للاخوين باستكهمولهم انه لا بد من تدارك الموقف وكنا نائد على ابواب دورة الامم المتحدة فسلمت للمسعدي والبودالي نسخة من خطاب لي اذيع بمصر بتاريخ 1953/7/9 ونسخة من التصريح بالفرنسية حددت فيها الاسر التي ينبغي ان تعتمد من طرفنا من حل المشكل التونسي : الافراج عن المعتقلين والمساجين والمحكوم عليهم والذين ينتظرون الحكم - الغاء الاحكام العرفية وحالة الحصار - تمكين جلاله الباي من تشكيل حكومة وطنية تمثل الشعب تمثيلا حقيقيا تكون مهمتها مفاوضات فرنسا على اساس الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال والسيادة الكاملة .

اكادت على الاخوين المسعدي والبودالي بان يبلغ الهادي نويرة ما ياتي :

بمناسبة اقتراب دورة جمعية الامم يدلي الهادي نويرة بتصريح مماثل في الجوهر لما جاء في تصريحاتي المذكورة حتى نتقدم الى دورة جامعة الامم في انسجام تام بين الداخل والخارج ولما مر من مصر الشيخ الشاذلي النيفر بمناسبة الحج وكان ذلك اثر نقلة دي هوتكلوك الححت عليه بأن يطلب من الهادي جمع مؤتمر الاربعين واذا تعذر ذلك ان يدلي هو بتصريح من الديوان السياسي يتجه فيه الى الامم المتحدة ويناشدها الاهتمام بقضية تونس العادلة مع ابداء اسفه لعدم امتثال فرنسا للقرار السابق كل ذلك بغية الانسجام والمحافظة على وحدة المنهاج السياسي وعبرت للشيخ الشاذلي النيفر عن رأي في ان عزل دي هوتكلوك يجعل الاخوار بما فيهم الهادي في مأمن من كل خطر اذا هم اقدموا على تصريح سياسي من النوع الذي اشرت اليه فكانت نتيجة توصياتي ان فوجئنا بتصريح للهادي يدعو فيه للهدوء ويضح نوعا من الثقة للمقيم الجديد وذلك قبيل انعقاد الدورة بأيام الامر الذي تسبب عنه ما ذكرته من اسباب

لفشل كل قرار .

لماذا امسكت عن كل تصريح بالراديو بعد رجوعي من الامم المتحدة .

سلكت الصمت لاني علمت ان هناك مساع منكرة من جلالة الباي للتحصيل على سراح اكثر ما يمكن من الاخوان وعلى رأسهم زعيمنا الحبيب بورقيبة فرأيت من الحكمة ان التزم الصمت حتى لا يتخذ كلامي في صورة ضغط على المقيم فتفشل المساعي المبذولة وتتوقف حركة الافراج اذ كنت ارمي من وراء ذلك الى عمل سياسي منظم تقومون به بعد الافراج عنكم وقد سطرت هذا البرنامج في رسالتي التي يظهر انها لم تصلكم .

البرنامج : لا شك ان الجبهة الداخلية التونسية تصدعت منذ حلول المقيم الجديد بتونس واصبح المترددون وصعاف النفوس والخونة يشتركون في مادب تجمع كولونا (Colonna) وبيو (Puaux) واقضاب التجمع الفرنسي قتلة فرحات حشاد والهادي شاكرو وغيرهما من اخواننا الدستوريين ولم يجروء احد من التونسيين على اتباع ذلك السلوك المخزي الا بعد ان فتح الحزب الباب على مصراعيه بتصريح الهادي الذي منح المقيم ولجديد الثقة قبل ان يقدم هذا الاخير أي عربون على حسن نيته وحسن نية حكومته سوى خطاب كليله عبارات جوفاء فكان الاجدر بالهادي الايفضي بأي تصريح وان يقف مع المقيم الجديد موقف الاحتراز حتى لا يجد الانهزاميون مبررا لحضور مأدبة جمعت في (الليانس فرنسيسيز L'Alliance Française) بين مزالي وسعد الله والماظري والبكوش وكولونا (Colonna) وبيو (Puaux) الخ ثم بعد ذلك تهاطل سيل التأييد للمقيم من كل الطبقات (المجلس الشرعي : وغيره) التي كانت محجمة اما خوفا من انتقام الشعب او مراعاة للكرامة الوطنية فاصبح يخيل اليها ان الوحدة القومية التي كانت متماسكة حول الملك والحزب انتقلت الى السفارة واصبح الحزب في معزل عنها الى ان افرج عنك . فجاءتك كل تلك الطبقات مهنية ومعبرة من جديد على ولائها للحزب في شخصك ولما كنت راسلتك من قبل ظننت ان رسالتي سوف يكون لها المفعول المرجى وقد جاء في رسالتي تلك ما ياتي :

يجب توضيح الموقف للامة على طريق الحزب بعد ما اخذ التبليل يسود الافكار فتارة تتكلم الصحافة عن مذكرة 31 اكتوبر 1951 وتارة على الاستقلال الداخلي وتارة على اصلاحات كل ذلك مركز على تعديل وزارتي يسعى اليه لبعض من الذين يريدون الوصول الى الوزارة او الرجوع اليها على جثث اخواننا الشهداء فتوضيح الموقف يكون بجمع مجلس الاربعين بعد الاتفاق مع سيدي الشاذلي واذا تعذر ذلك تسعون انتم في جمعه باتفاق مثلا مع الحزب القديم والمنظمات القومية . واثناء الاجتماع تقومون انتم بعرض الحالة من يناير 1952 - كفاح الامة - رفض مجلس الاربعين للاصلاحات المشوهة - رسالة جلالة الباي في 16/12/1952 الى رئيس الجمهورية والتي حددت الاسس العملية والمبدئية للقضاء على التوتربين تونس وفرنسا كما تعرضت الى امر خطير ومفيد الا وهو

الوصول بالتفاوض الى تركيز علائق جديدة مع فرنسا على اساس الحرية و مباديء ميثاق الامم المتحدة - تذكير بالخلاف الجوهرى بيننا وبين فرنسا في مباشرة السيادة التونسية - ذكر الغموض الذي يكتنف تصريحات المقيم حول الجوهر - وجوب توضيح موقف التونسيين حتى يزول كل التباس حول ما يمكن ان نقبله من الحلول من فرنسا - الخروج من هذا الاجتماع بقرار يؤكد تمسك الشعب التونسي بوجوب الغاء الحماية الذي اصبح نظاما لا يقره الكثير من الفرنسيين كالحزب الاشتراكي مثلا ( راجع Le Petit Matin تاريخ 19/1/1954 ص 3 عمود 3 ) والمطالبة بتحقيق جو من الحرية كامل يكون برفع الحصار واطلاق كل المساجين المحكوم عليهم والموقوفين من الوضيين وعلى راسهم الزعيم الحبيب بورقيبة اذ من العيب ان نطالب بنقل الزعيم الى فرنسا كهدف يكفي لتصفية الجوهر . واذ ما تحققت تلك الشروط الاولية يمكن له لدخول في مفاوضات مع فرنسا على اساس الغاء الحماية والاعتراف بالسيادة الكاملة والاستقلال وتجري هذه المفاوضات حكومة تونسية صرفة يعينها جلالة الملك وتكون ممثلة للشعب التونسي تمثيلا حقيقيا فتتسلم حالا اثر تعيينها جميع السلطات بما فيها المالية والاشغال والامن والتعليم والبريد وندوية البناء فيصبح لها من الحرية ما يكفي لأن تقوم بالامرين ، ادارة البلاد والتفاوض ، دون ان تكون معرضة لمشاغبات قسم فرنسي اذا ما بقى داخلها فاذا سيطرت هذه الحكومة على جميع مرافق الدولة بدون منازع لسلطاتها في الداخل تستطيع ان تباشر مع التفاوض مع فرنسا لابرام معاهدة جديدة معها فتحدد في تلك المعاهدة الجديدة مصالح فرنسا المشروعة وضمن له المصالح المشروعة للفرنسيين المستوطنين بتونس كما يلتزم الجانب التونسي بالمعاهدة نفسها بالا تصدر ابدا عن الدولة التونسية تشريعات عنصرية تمس بمصالح الجالية الفرنسية دون سواها ... تلك هي الأسر التي نرى الاجتماع المقترح يسفر عن اتخاذها في شكل قرار واضح لا لبس فيه والذي يعبر تعبيرا صادقا على رغبة الشعب التونسي الحقيقية تلك الرغبة التي اقرها حزبنا في مؤتمره المنعقد في 18/1/1952 والتي دخل الشعب من اجلها ويالها من معركة فلم يضحى الوطنيون ولم يستشهدوا للمطالبة بالاستقلال الداخلي . انها مرحلة اجتزناها واجتازها الشعب فاصبحنا مركزين حركتنا بالخارج على مبدأ استقلالي صرف والشعوب التي تأيدنا لا تفعل ذلك الا لأننا نطالب باستقلالنا كسائر الشعوب المكافحة ولن يفهم شعب او امة اننا بعد الكفاح الطويل والتضحيات الجسيمة التي وجه الحزب الامة اليها نتراجع ونصبح نطالب بالاستقلال الداخلي والسيادة الداخلية فكيف بنا بعد ان بعثنا باخواننا الى الموت من اجل الاستقلال نصبح نكيل لفرنسا العربيين على اعتدالنا وتراجعنا دون اي مبرر .

فاذا لم يتيسر اقناع السيد الشاذلي او جلالة الباى بالخطة المذكورة انفا لتسعى مع الحزب القديم

والمنظمات في تحقيقها واذا تعذر ذلك مع هوء لاء فليقم الديوان السياسي وحده بهذه المهمة التاريخية وليصدر التصريح المشار اليه وحده فيكون بذلك و سيبقى اهلا لحمل مشعل الحرية والاستقلال ولا يخون الرسالة التي استشهدوا من اجلها الكثير من اخواننا الدستوريين .

فبينما كنت انتظر تلك الخطة حسبما بينتها في مكتوبي السابق اذا بي أفاجا بتصريح الديوان السياسي الذي نشر في صحافة مصر وفي لومند " نقلا عن شركات الاخبار الفرنسية والاجنبية والتي تضمن المطالبة بالسيادة والاستقلال الداخلي فأبرقت لك لترسل لي برقية النص الكامل للتصريح فقلت في نفسي ان هناك احد امرين اما ان تكون لم تتصل بمكتوبي السابق او ان شأنه كان شأن كل التوصيات التي بعثت بها للمهادي من قبل والتي لم تحظ بالاعتبار وفي كلتا الحالتين لا يمكن لي ان ابرر بحال هذا الموقف من الديوان السياسي لأن فيه قضاء على الفكرة الوطنية التي من اجلها كافح الشعب وخرج على المهادي التي قررها مؤتمر يناير 1952 والاطخر من الكل هو تحطيم كل النشاط الذي نقوم به في الخارج والذي بدأ يؤتي ثمره من حيث التنظيم والاستعداد لاستئناف الكفاح اذا ما أصرت فرنسا على التمسك بسياستها الخرقاء وهي عدم التسليم لنا بسيادتنا الكاملة وكان في رأيي ان نتخذ الخطوات التي بينتها آنفاً - وهي اجتماع وتصريح موضح للموقف يكون قوميا وحزبيا - اولا للقضاء على المناورات التي راجت سوقها في هذه الايام كتعديل وزارتي وقبول بعض اصلاحات على طريق وزارة جديدة... الخ حتى لا يتخذ سكوتنا او بالاحرى تصريحاتكم المائعة متكئا يستند اليه من يهيمهم الامر في تسوية الحالة بأي ثمن اما لمصلحة شخصية او لضجر وخوف في نفوسهم ،ثانيا ليمكن لي متابعة الجهود مع الاخوان في الخارج لتوفير اسباب استئناف الكفاح بصورة مجدية وقد دخلنا في هذا الطور منذ مدة ولعله بلغكم نبأ شيء منه لاننا نوء من كما توء من انت وبقية الاخوان بأن فرنسا لن تتنازل على شيء جوهري من سيطرتها للشعب التونسي الا تحت عامل الاضطرار .فالمساعي التي تقوم بها في الميدان الدبلوماسي او في الميدان المادي لا يمكن ان تستمر بحال اذا فقد عنصرها الاساسي في الداخل وهو المحافظة على مبدأ الاستقلال والتمسك به كوسيلة وحيدة لا ثانية لها لنحمل من نعمل معه في الميادين المذكورة على مساعدتنا .اني لا اطالب من الديوان السياسي ان يرجع الى الكفاح حالا او اطلب من الدستوريين ان يرتموا على التضحية بلا حساب لكنني اطلب من الجميع الا يتحملوا مسوءولية النزول بالقضية التونسية ،قضية التحرير والاستقلال الى مستوى قضية اصلاحات واستقلال الداخلي وغير ذلك من العبارات والاضاليل التي طهر الحزب من ادائها اخواننا الدستوريون الذين استشهدوا في ساحات الشرف واغتيلوا من ايدي الاثمين .

فبرحائي الملح ان تعيدوا النظر في الموقف وان تسلكوا الخطوات التي بينتها آنفا حتى ترجع الثقة في حركتنا لأنني اعتزمت السفر الى آسيا في منتصف شهر مارس المقبل حيث اقوم برحلة

واسعة النطاق تستغرق شهرين او اكثر ضغطا على فرنسا .

ملخص: يعقد اجتماع باحدى الطرق المبينة آنفا يؤول الى توضيح الموقف بتصريح كالذي ذكرت . اني اعتقد ان المؤتمرات التي تحاك الآن ضد القضية التونسية سوف تفشل عند ذاك واذا ما نجحت احداها نكون في حل ازاءها لاستنكارها اولا ولمقاومتها ثانيا ، واما اذا بقينا على التصريحات السابقة والاخيرة للديوان السياسي تكونون احببتم ام كرهتم قد مهدتم السبيل لتلك المناورات ولا يمكن بحال للحزب ان يتخلص من المسوءولية امام الشعب والمشاغبين والخصوم ( لجنة صوت الطالب... الخ . ) الذين يبدو انهم اجتمعوا امرهم من جديد لمقاومة الحزب فيكون من الاجرام ان نعطي لهم الفرصة للطعن في سياسة الحزب كأن يحملوه مسوءولية التنكر للمبادئ القومية القدسة التي استشهد في سبيلها الكثير من المواطنين و سوف يكون هذا منطقتهم وهو في حد ذاته منطوق سليم .

### نتيجة التصريح المطلوب :

تعيد فرنسا النظر في سياستها اذا ما فشلت المناورات فيصبح التصريح هو الرائد الجديد الواضح الذي يقع على اساسه كل شروع في استئناف مفاوضات او مفاوضات او اتصالات سواء على طريق الحزب او غيره من التونسيين فنكون نحن اقوياء في الخارج وتكونون انتم ماسكين لزاما الموقف داخل البلاد واما اذا نجحت مؤامرة بتشكيل وزارة او بتعديل الحالية نكون نحن في حل منها وتكون للحزب وللشعب الحرية المطلقة في مقاومتها بكل ما تسمح به الظروف ففي كل الحالات نكون قد اغتنامنا هذه الفترة لتجهيز العوامل اللازمة للمستقبل القريب والبعيد واذا وضحنا موقفنا فالوقت سيكون لفائدتنا وما علينا الا ان نصمد ونثبت والانسعى الى حتفنا بايدينا وليس الأدلاء بتصريح واضح معناه جر الاخوان الدستوريين الى محنة جديدة او كارثة يدخلونها ولم يخض من طويل عن محتثهم السابقة وانما معناه التمسك بالمبدأ القويم الذي يمكننا من متابعة نشاطنا في الخارج والاستعداد لاستئناف الكفاح في الداخل عند ما تتوفر اسبابه في القريب ان شاء الله . واذا ما ضايقتنا بعض العناصر من الانهزاميين او غيرهم لحملنا على تأييدهم فيما يذهبون اليه مما يسمونه " انقض الموقف " و " التخفيف على الشعب " فلنصارحهم لان الشعب لبي دعوتنا الى الكفاح لا الى الترويح عليه و تضليله بعروضات فرنسية لن تؤول الا الى تثبيت السيطرة الاستعمارية على البلاد واقرار استعبادنا بايدينا فليذهبوا وشأنهم واليقبلوا ما ارادوا من فرنسا انما نحن لا نجاريهم ابدا بل نحذرهم ونفهمهم باننا سوف نستنكر سلوكهم و سوف نحملهم مسوءولية العيب بتضحيات الشعب و بدمائه الزكية ولا يضرنا انفصالهم عنا مهما علت مكانتهم ما دنا نكون قد وضحنا موقفنا و رسمنا الطريق لانفسنا وللجيال المقبلة . ولا ربما يتقول الكثيرون من اولئك المذبذبين ما فعل لنا العالم العربي والاسيوي وما فعلت لنا الامم المتحدة و ما

صنعت لنا امريكا... التي آخر ما يجري الان على الالسنة الكثيرة والذي استشرى سمه حتى في بعض المسوء و ليين من الدستوريين \*

نعم لم تكن الاحداث الاخيرة مساعفة لنا كما نريد ونتمنى ولكن هل يكون التونسيون الطلقاء اقل صبورا من زعيضا الحبيب بورقيبة الذي كثيرا ما كتب من منغاه موصيا بالصبر و منبثا بان الاحداث العالمية ستكون من جانبنا ولكن ببطء من ذلك سياسة امريكا التي لا محالة ستتغير لفائدتنا عندما تتحقق هزيمة فرنسا نهائيا بالهند الصينية و يفشل مشروع الجيش الاروبي امام برلمان فرنسا اذ ان يقع تحول السياسة الامريكية عن وجهة فرنسا وهو ما اصبحنا متأكدين منه بدورنا حسب معلوما تضا الصحيحة فيتغير في المجال الدولي موقف امريكا منا وذلك لالسواد عيننا وانما ارضاء لمجموعة دول العرب وآسيا التي يهم امريكا ان تجعل منها نقطة ارتكاز لسياستها عند روسيا عند ما يصبح اعتمادها على فرنسا واهيا بسبب رفضها لمشروع الجيش الاروبي و تحويل سياستها - اي سياسة فرنسا - نحو روسيا وهو ما اصبح الامريكان يعتقدونه اعتقادا جازما ولي على ذلك ادلة لا تقبل الشك واما مجموعة الدول العربية والآسيوية وفي مقدمتها الهند و اخيرا مصر فهي الان اخذت تتجه نحو الحياد والابتعاد عن كل تعاون مع الغرب ما دام الغرب (اي فرنسا وانجلترا) معرضا على التسليم بحقوق الشعوب العربية كاملة غير منقوصة بما فيها المغرب العربي وقد اصبحت بذلك قضيتنا جزءا من كل ، الامر الذي يجعلنا نستفيد من المستقبل القريب من ضغط مصر على الغرب و تعليق تعاونها معه على شرط الاعتراف بحقوقنا والتسليم بها و هذا الموقف من مصر اصبح يوتر على امريكا تأثيرا كبيرا لما اصبحت تتمتع به مصر من المكانة الممتازة في العالم العربي واصبحت كل دولة عربية تؤكد بدورها عدم التعاون مع الغرب على المناهج التي قررتها مصر و امريكا قد استولى عليها ذعر كبير لان سياستها و هي سياسة تطويق روسيا بوسائل الاستراتيجية المسماة باستراتيجية الاطراف (Stratégie péripérique) اصبحت فاقدة لأهم حلقاتها و هي حلقات الشرق الاوسط وان توقفت امريكا الى جلب البكستان و ايران الى حظيرتها بربطهما مع تركيا فهذا لا يكفيها حصانة ضد الخطر الشيوعي و أما لاستراتيجية الاطراف ان تبقى الحلقة الوسطى - وهي حلقة الشرق العربي - ثلثة و اية ثلثة خصوصا وان سياسة احكام الاطراف ( اسبانيا - شمال افريقيا - مصر والبلاد العربية ) تصبح حيوية لأمريكا بعد ان تكون قد يئست من اقامة الجيش الاروبي و ادخال المانيا ضمنه برضى فرنسا ولكن فرنسا لن ترضى بهذا الوضع مما سيؤول لا محالة الى التحول المذكور في سياسة امريكا . كل هذه التطورات في صالحنا و المشاورات تجري الان لعقد مؤتمر افريقي والدول العربية التي كانت تجاري فرنسا لمصالح لها معها خاصة اصبحت في حل من وجوب مجاملتها . ولما كانت امريكا هي التي تسعى لدى العرب بأن لا يزعجوا حليفها فرنسا بعقد مؤتمر من النوع المذكور اصبح العرب اليوم

متحررين من ذلك الضغط الادبي عليهم من قبل امريكا التي فشلت في حمل فرنسا على تغيير سياستها والتي لم تبق كما كانت مضطرة الى خدمة ركاب فرنسا باعتبارها حجر الزاوية في بناء الحصن الاطلنطي ضد الروسيين . ولذا من الاسباب التي جعلتني اقوم برحلة في آسيا هو الدعوة الى عقد هذا المؤتمر قبل الدورة المقبلة لجمعية الامم المتحدة واعتقد انه سيكون له اثر فعال على فرنسا وعلى امريكا نفسها ومن ذلك يتبين ان الظروف هي التي تحكم فينا وان دورنا فيها هو استغلالها لقضيتنا عند ما تصبح مواتية كما ان مسألة المساعدات التي لم تكن تغدق علينا كالسيل لمجرد اتصالنا بالشعوب الموالية والصديقة خلافا لما كان يعشقه البعض وهذا الامر ايضا كان لا بد له من وقت .

فكيف يمكن لي ان اتابع اتصالاتي للأغراض المذكورة اذا لم اعتمد في تونس على موقف واضح جلي يستحق العناية والتأييد ان المواقف المائعة لا تجلب عطفًا ولا تأييدا ولا مساعدة ، وانما الذين يريدون جرننا الى تأييدهم على الضلال بدعوى تقصير او عجز الذين كنا معتمدين عليهم في قضيتنا ذلك لا يوتر علينا ان سيكون شأنهم شأن الذي يأكل القسطل بيد القط كما يقول المثل العامي . اننا كحزب لا نطالب هؤلاء لا بتضحية ولا بشيء ما سوى انهم يمسون عن كل تعاون فيه خذلان الامة فاذا ما ركبوا رؤوسهم نكون في حل منهم على شرط ان نتمسك بمبدئنا وان نصرح به قبل فوات الفرصة .

ما يمكن عمله في هذه الفترة وهي فترة توضيح الموقف في الداخل والقيام بالرحلة التي اشرت اليها لتحقيق اغراض استئناف الكفاح من جهة والوصول الى عقد المؤتمر الافريقي الآسيوي من جهة اخرى تحضيرا للدورة المقبلة لجمعية الامم ؟

ان السياسة التي تسير عليها سلطات الاستعمار في تونس منذ مدة اثارت غضب كل الطبقات من عملة وتجار واصحاب مهن حرة و موظفين ... الخ .. فلماذا لا تستعمل هذه الازمة لفتح واجهة ثانية على الاستعمار في الناحية الاجتماعية والاقتصادية كأن يقوم اتحاد الشغل باضرابات عنيفة للمطالبة بانجاز رغباتهم الحيوية المستعجلة ، وكذلك الموظفون وكذلك التجار مع التنصيص في الخطب واللوائح على ان العيث بالحقوق الحيوية لجميع الطبقات - كل منها من ناحية - يسببه بقاء النظام الاستعماري المفروض وعلاج البهالة لا يتأتى الا بزوال ذلك النظام وتعويضه بنظام ديمقراطي يمكن الشعب من ادارة شؤونه بنفسه وهو متمتع بسيادته الكاملة وتبدأ المقاومة هكذا في الناحية الاجتماعية ولو ادت الى حوادث دامية بمناسبة اضرابات العملة فيكون في ذلك مصلحة كبرى لتنبه الرأي العام العالمي من جديد الى الحالة بتونس . وذلك يعيننا كثيرا في العمل الذي نحن بصدده كما ذكرت انفا ويكون ذلك تهيئة للجو الذي نستأنف فيه الكفاح عند توفر اسبابه فبدلا من ان يسود السكوت على البلاد نستطيع ان نفتح

واجهة ثانية تبقي الغليان والتوتر الى ان تتجمع القوى الشعبية من جديد وتستأنف المعركة على اساس قويم وقوي واما الاقتصار على اجتماع منظماتنا القومية (اتحاد التجارة الاتحاد العام للشغل - الحجرات الاقتصادية) بالاشترك مع المنظمات الفرنسية فهذا حقيقة من الامور الخطيرة اذ اصبحت هذه المنظمات كأنها تطبق في الواقع المبدأ الذي يراد فرضه علينا وهو مال البلاد التونسية حتما على جامعة تونسية فرنسية ينادي بها اقطاب التجمع الفرنسي وقاومها الحزب والشعب بكل ما استطاع، واما الاتحاد التونسي للشغل فالمفروض انه يتحرى في كل عمل مشترك بينه وبين (U.S.T.T.) لأنني واثق حسب معلوماتنا انه ولو قام بعمل بانفراده ولو كلفه تضحيات جسيمة لا محالة فانه سينفع العملة والقضية العامة باسرها ففي جميع ميادين الكفاح - لا بد من اجتناب الخلط والتخليط .

تعد اجتماع خاصة في غاية الحذر بعمداء الحزب والمنظمات القومية واطلاعهم على الآراء المبينة بهذا الخطاب حتى يعلموا كل الظروف والمبلاسات التي تحيط بكفاحنا الطويل المرير حتى نستعد له من جديد ونأخذ له كل الوقت على شرط ان نكون وضحنا موقفنا وجنبناه كل لبس وابهام .

الامين العام للحزب صالح بن يوسف





من الجمهورية الفرنسية م. روني كورتسي ورئيس الحكومة فيها مستشار القمار فيسور  
 وزير محاسبين جنرالسي لها استشاري في الشؤون المالية والسياسة الخارجية  
 له من جمهورتي في سويسرا المستشار العام لها والبرلمان والسياسة  
 من مستشار في فرنسا الذي تمثله في البرلمان استشاري لها في 19 جريسي  
 19 والمتضمن اعلان الاستقلال الداخلي الذي ارجعها الى رئاسة للفرنس  
 رئيسي الختام في عهد الملك ونشكره ونسبته له الاعانة والتوفيق لها في  
 من هذا السخط وسكانه بالتميز والسياسة والسياسة

ARCHIVES GENERALES

بيان للاستاذ صالح بن يوسف

الامين العام للحزب الحر الدستوري التونسي

حول المصادقة على الاتفاقيات التونسية - الفرنسية

وأخيرا صادقت الجمعية التونسية الفرنسية على الاتفاقيات التونسية الفرنسية بأغلبية لم يعهد لها نظير في تاريخ الجمهورية الرابعة حتى في بعض المناقشات التي أصبحت تاريخية وكانت تتناول مستقبل فرنسا ومصيرها . ذلك أن حكومة المسيو ادجار فومر استطاعت أن تحصل من المفوضين التونسيين على تنازلات فادحة جعلت تحكم الذاتي المعلمان منه من قبل فرنسا خاليا من مقوماته الأساسية وأدخلت البلاد في نظام وحدة فرنسية - فرنسية ، يوافق المستعمرون الذين رضوا في آخر لحظة بالاتفاقيات أن تفشل آراؤها كل حركة وطنية تستهدف استقلال بلادنا استقلالا كاملا .

ان فرنسا ستظل لمدة غير محددة تتحكم في مصيرنا ، إذ تعترف لها الاتفاقيات بحق إدارة شؤوننا الخارجية وتبني شؤون الدفاع بصورة مطلقة ، والنصرف في بلادنا تصرفا مطلقا كلما دعا الى ذلك قيام فرنسا بمسؤولياتها الدولية أو الخاصة . أما الامن وهو من المقومات الأساسية لسيادة أية دولة فانه سيظل لصدة طويلة خارجا عن نفوذ الحكومة التونسية ، وسوف لا يتم توحيد القضاء إلا بعد مدة طويلة مجحفة . وفي الميدان الاقتصادي والمالي فان الاتفاقيات تقر بصورة نهائية جميع ما اغتصبه الاستعمار الفرنسي من الثروة الوطنية ، سواء بالنسبة للاراضي الزراعية أو المناجم أو غيرها . وستكدر نهضة الاقتصاد التونسي بصفة دائمة تحت رحمة رأس المال الفرنسي ، وبذلك يصبح من العبث أن يتغنى بعض التونسيين بقرب خلاصهم من السيطرة الاقتصادية الاجنبية .

ان الدولتين الرئيسيتين للنظام المقبل الذي سعى ، مخادعة ، بالحكم الذاتي هما " حكومة صورية " وبرلمانيات سيصبحان وكلاء يديرون النظام الاستعماري الذي فرض على تونس منذ ٧٤ عاما . والان وقد تمت المصادقة على الاتفاقيات ، ونشرت نصوصها ، لن يستطيع أحد أن يقنع الشعب التونسي بأنها تعد مرحلة جريئة نحو استقلالنا التام ، والحقيقة أنها عبارة عن اضافة الصبغة الشرعية على نظام استعماري أو شك على الانهيار .

وخلافا لما سبق أن أكده الرئيس الحبيب بورقيبة فإن البرلمان الفرنسي عندما صادق على الاتفاقيات بأغلبية تقرب من الاجماع انما عزز بذلك السيطرة الاستعمارية الفرنسية على بلادنا . وانني إذ أصر على معارضي لهذه الاتفاقيات والتشهير بها على رؤوس الملائ ، ليس ذلك توقعا لسوء تطبيقها من جانب الفرنسيين ، بل لاني أعتبرها في ذاتها خطرا يهدد كيان الامة التونسية ، قد يكون من الصعب درؤه او تلافيه .

م. شرف الوزارة الأولى ، كرسون 58 ، حذوق 1

بند برحافة

مكتب تحرير شمال افريقيا

ورك

الملك  
المعظم  
محمد الأمين باشا باي

برة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم محمد الأمين باشا باي  
صاحب المملكة التونسية الفتاة ، حفظه الله وأبقاه ذخرا للبلاد .

صاحب الجلالة

ان الحوادث التي وقعت أخيرا بين الشباب التونسي ، وسبوت اواقه دما ، برهنة فضلا عن الشقاق  
فبيض والانقسام في صفوف كان لها أثر مؤلم في نفسي وأوقعت حزنا وثكلا يعلين ، اذا ان ذلك كلسه  
شك يزيد في لبطلة الاعداء ويقوى ساعد المستعمرين ، فانتبهزت الصحف الأجنبية هذه الحوادث  
ستفلتها ايما استغلال لصالحها الشخصي .

واثنى يا مولاي كأحد من رعاياكم المخلصين قد حاولت جهد طاقتي ابان السنوات الست الماضية أن  
سأهم ما استطعت في خدمة وطني العزيز وتحقيق أمنه الهائلة للتحرر من قيود الاستعمار وتبيل استتلاكه  
ملا غير منقوص ، ولذا اتقدم الي مولاي راجيا ان تسدوا النصح الكريم الي زعماء البلاد الوطنيين لتتأسس  
لائقاتهم ووضع حد للنزاع والشقاق بينهم الذي ينقص بلاشك من قيمة الوطنية التونسية ، ليس داخل البلاد  
فحسب بل خارجها كذلك ، وعلى وجه الخصوص بين البلاد العربية الشقيقة الاخرى التي ترجو لنا كل نصر  
وفيق .

وكما لا يخفى على فطنة مولاي فشمع تونس تواق الي استنشاق هواء الحرية ، والتمتع بالسلام والمعادلة  
الإنسانية في ظل حكمكم السعيد ، وفي ظل العائلة المالكة العثمانية الشريفة التي انتزعت حب الشعب  
اللاه لما بذله افرادها المخلصون من تضحيات وعلى رأسهم مولاي محمد الأمين باشا باي وساكننا الجنان

7



# تطوير عمليات تهريب السلاح

تقرر شراء حربية بعد استبعاد فكرة استخدام قطع الاسطول المصري

الملك سعود في عملية تهريب السلاح من ليبيا تحت اسم المملكة

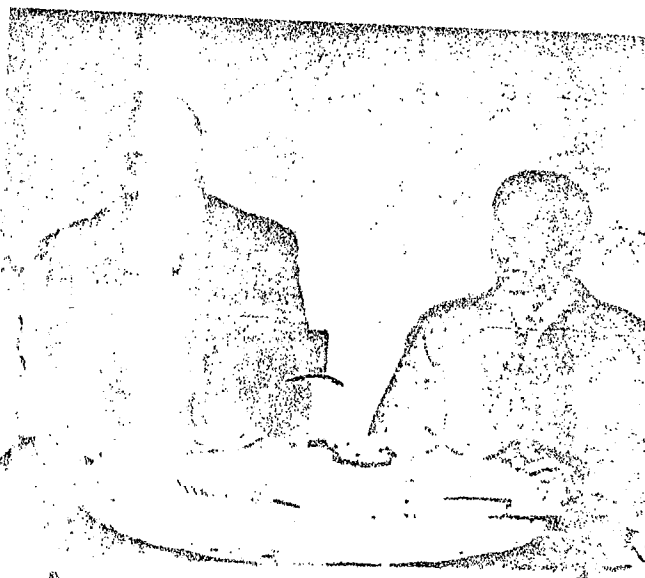
وهو تادة جواسيس زوروا اختفوا على وجه الكفاح في شمال إفريقيا - بقيادة الطاهر الزهرود

نشط متزايد في تهريب سلاح في مارس ١٩٥٦ عبر الحدود الليبية - التونسية

التجارية، ذات حمولة مناسبة، لشراؤها واستخدامها في عمليات التهريب لتجبهة الغربية، مع حصر دور اليخت «غودهوب» في التهريب الى السواحل الليبية وتونس، لمواجهة احتياجات الجبهة الشرقية، حيث كنا قد بدأنا فعلاً في استخدامه في هذا المجال، لنقل الشحنة السادسة يوم ١٨ يناير ١٩٥٦، لتلبية احتياجات الجبهة الشرقية بالجزائر، ولامداد جيش التحرير التونسي بكمية من السلاح والذخيرة تكفيه لبدء عملياته الايجابية، مسلحة ضد القوات الفرنسية المرابطة بتونس.

٣ - تضمنت هذه الشحنة الكميات التالية:

الجهة المطلوب تزويجها بها	المنصف	العدد
كلها لتونس	بنندقية ٧,٩٢	٣٣٠
منها ١٥٠ للجزائر والباقي لتونس	بنندقية ٣٠٣	٢٣٦
منها ٤٥ للجزائر والباقي لتونس	رشاش لانكستر	١٠٠
كلها لتونس	رشاش فاو ٧,٩٢	٢٣
كلها للجزائر	رشاش فيكوز ٣٠٣ و	١١
كلها لتونس	مسدس برتا ٩ ملم	٥٠
٣ لتونس	وصلة اينرجا ضد اندابات عدد ٢	٥
توزع بواقع ٢ خزانة لكل رشاش	خزانة لزوم لانكستر	٢٠٠
كلها للجزائر	شريط للفليبيكوز	٤٠
توزع بنسبة الأسلحة	طلقة ٣٠٣ ر	٢٥,٠٠٠
	طلقة ٧,٩٢	٢٥,٠٠٠
٢٠٠ للجزائر + ٣٠٠ لتونس	طلقة ٩ ملم للانكستر	٥٠,٠٠٠
كلها لتونس	قنبلة يدوية	٥٠
١٤٥ لتونس + ١٠٥ للجزائر	طلقة ٩ ملم للمسدس	٦٠٠
	قنبلة النبرجا ص/د	٢٠٠



الطاهر الزهرود

## الفصل الثاني

### تطوير عمليات تهريب السلاح

١ - قبل مغادرة الأخوة ممثلي جيش التحرير الى القاهرة، عقدنا جلسات عدة لعرض ظروف عمليات التهريب بصورتها، وسحت إمكانية تصديرها.

وتوصلنا الى أهمية تركيز عملياتنا في أقل عدد من رحلات لتسرب مع مضاعفة كمية الشحنة لتغطية احتياجات الكناخ لمدة طويلة، لتجنب الجهد، وتغدياً للتعرض للكشف، وبالتالي حرمان المكافئين من الامداد، إضافة الى ما استولت السلطات الفرنسية أو الإسبانية على الشحنة، لان تهريبها

٢ - وبعد استبعاد فكرة استخدام إحدى قطع الاسطول المصري في التهريب، عن قناعة بخطورة هذا الاستخدام، ووضوح من ان الشحنة «غودهوب» على امداد الحميين باحتياجاتهم بالسرعة، بالسرعة، من جهة، وحمولته، استقر رأينا على ضرورة البدء فوراً في التحضير، عن جدي الشأن

ومغادر اليخت «غودهوب» ميناء الاسكندرية بعد تحيله يوم ٢٠ يناير ١٩٥٦، بعد ان زودناه بكافة ترتيبات خطة الانزال على الشاطئ الليبي، حيث كلفنا ملحقنا العسكري اسماعيل صادق تنفيذ عملية الانزال، بالاتفاق مع ممثلي الجزائر وتونس وبمعاونة القائمقام عبد الحميد درنه، ولتتم نقلها فوراً الى مخزن التشوين بزورارة، وتم بالفعل انزال الشحنة يوم ٢١ فبراير ١٩٥٦ لاضطرار اليخت لقضاء فترة طويلة بميناء مرسى مطروح لسوء الأحوال الجوية.

٤ - امام الحاجة الملحة والماسة والسريعة لتلبية احتياجات جبهتي مراكش ووهران من السلاح والذخيرة لمواجهة هجوم الربيع المنوه عنه سابقاً، لجأنا الى

جريدتنا (لاديش) و (الزهرة) تنشران نص

# منشور القائد الطاهر الاسود

كان الناطق بلسان الحكومة تد  
تحدث في ندوة اصحفية منذ يومين  
منشور وزع في البلاد يسجل امضاء  
السيد الطاهر الاسود بوصفه القائد العام  
لجيش التحرير التونسي ، ولم يلمس  
نعم للصدفة ولكننا طالعنا اس  
بالصفحة الثانية من الزميلة ( لاديش  
تونيزيان ) نصا بالفرنسية تقول انه  
الترجمة الكاملة لما جاء في المنشور وقد  
نقلته منها الزميلة ( الزهرة ) ماء  
امس ، ولما رأينا ان تنقل لتسراء  
- الصباح - النسخ المصري للمنشور  
طبعا لما ورد بالزميلة - الزهرة - نقلا  
عن الزميلة الفرنسية .  
ومنا نحن :

بسم الله الرحمن الرحيم  
هذا بيان من القيادة العامة لجيش  
التحرير الوطني التونسي نوجهه الى  
الشعب التونسي : نطلق على روموس  
الملا لتصب التونسي والشعب الفرنسي  
والعالم باسمه اننا احببنا على بركة

# منشور القائد الطاهر الاسود

( بقية المنشور على الصفحة الاولى )

والاصلة الركن العليا  
الى ان قال البيان . ونحن ندعو  
الدولة الفرنسية الى ادراك خطورة الحاح  
وان لا تربط مصلحة وازادة شعب كامل  
بمصلحة شخص مهما كان وان تجنح  
الى السلم حتى نتجح الى السلم بدورنا  
ولا يمكن تحقيق ذلك الا اذا اعترفت  
الدولة الفرنسية بحقوقنا الكاملة وتشرح  
في فتح مفاوضات حلالا على قاعدة  
الاعتراف بالاستقلال التام وتكون هذه  
المفاوضات مع الناطقين الحقيقيين باسم  
حزبنا الدستوري العتيق من الذين بقوا  
مخالفين لتسامرية التي عهد بها  
الشعب اليهم  
وفي الختام نحث كل مشوش وكل  
انتهازي من العواقب الوخيمة التي  
تترقب كل من لم يسود واجبه على  
الوجه الاكمل وتعلم كل من يحاول  
تعطيل عمل جيش التحرير الوطني  
في هذه المعركة الحاسمة في تاريخ  
كفاحنا ومسير اجيالنا المقبلة ان  
تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم  
وان ينصركم الله فلا غالب لكم .

وقد تورنا ضد جيشنا المبارك الى جيوش  
اخواتنا الجزائريين والقطرية  
وبهذه المناسبة التاريخية نقدم الى  
جلالة ملكنا العظم سيدنا ومولانا محمد  
الامين الاول سراسم ولائنا واخلاننا  
ونحن مقتنعون من ان عطفه الابوي  
سيشمل شعبه دائما كما في الماضي في  
الدفاع عن حقوق وطن هذا الشعب  
وكرامة هذه الامة ونحن نهيي بجميع  
طبقات الشعب التونسي الران يذكروا  
خطورة الظروف الحالية ويدركوا الدور  
التاريخي الذي يستعد الشعب التونسي  
للقيام به ونحن نندد الشعب ان لا يهتم  
بالاشخاص وان لا يكون نصب عينيه

الصباح 14 فيفري 1956

# النص الكامل للبروتوكول التونسي الفرنسي

## اعلان الاستقلال وعدم خلاقية معاهدة ٢٨٨١ وحق تونس في تكوين جيش وطني

في ٣ جوان ١٩٥٥ على اثر مفاوضات سرية حلت بين وفديهما انتقت الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية على الاعتراف لتونس بممارستها الكاملة للسيادة الداخلية قابديتا على هذا النحو يزمها على تمكين الشعب التونسي من بلوغ ازدهاره الكامل وتولي الاشراف على مسيره على مراحل .

وتعترف الحكومتان بان التطور الناجم والسلمي للعلاقات التونسية الفرنسية يشي مع مقتضيات الميثاق المصري ويلاحظان باهتمام ان ذلك التطور يصبغ الفلتوح للسيادة الكاملة بدون الام بالنسبة للشعب ويؤمن مستقبله بالنسبة للدولة .

وتؤكدان اقتناعهما بانه باقامة علاقاتهما على الاحترام المتبادل والكامل لسيادتهما في نطاق استقلالهما الدولتين وتساويهما تدعم فرنسا وتونس التضامن الذي يربط بينهما لاجل خير البلدين .

وعلى اثر خطاب التولية الذي القاها رئيس الحكومة الفرنسية وجواب جلالة الملك المؤه كدين لزمهما التمسك على التقدم بعلاقاتهما في كنف نفس روح السلم والعدالة افتتحت الحكومتان مفاوضات بباريس يوم ٢٧ فيفري . وبناء عليه تعترف فرنسا علانية باستقلال تونس . وينجم عن ذلك :

( أ ) - ان المعاهدة البرمة بين فرنسا وتونس يوم ١٢ ماي ١٨٨١ لا يمكن ان تبقى تتحكم في العلاقات الفرنسية التونسية .

( ب ) - ان احكام اتفاقيات ٣ جوان ١٩٥٥ التي قد تكون متعارضة مع وضع تونس الجديد وهي دولة مستقلة ذات سيادة يقع تعديلها او الفسوخ عنها وينجم عن ذلك ايضا .

( ج ) - مباشرة تونس لسوولياتها في مادة الشؤون الخارجية والامن والنفاع وكذلك تكوين جيش وطني تونسي . وفي نطاق احترام سيادتهما تحقق فرنسا وتونس على تحديد او اكمال الميثاق بتكافؤ يمكن ان يكون مطلقا في حرية بين البلدين بتنظيم تعاونهما في الميادين التي تكونون مصالحهما فيها مشتركة خاصة في مادة النفاع والعلاقات الخارجية .

ويضع الاتفاقات بين فرنسا وتونس ميثاق المساعدة المتبادلة التي تشملها فرنسا وتونس في اثناء الجيش الوطني التونسي وستتألف المفاوضات يوم ١٦ افريل ١٩٥٦ تصدق على هذا البروتوكول لابرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ .

بمصر بباريس في نسختين اصليتين يوم ٢٠ مارس ١٩٥٦

عن فرنسا : ( امضى ) كريستيان بينو  
عن تونس : ( امضى ) الطاهر بن عمار

الصباح ١٠ مارس ١٩٥٦

بيان " الامانة العامة " بتاريخ 28 افريل 1956 (1) :

1- الاعتراف : استقلال تونس نتيجة لحركة المعارضة :

تحاول الحكومة التونسية الحالية اقناع المكافحين من الشعب التونسي أو المعارضين السلميين من انصار الامانة العامة لسياستها بأن لا مبرر اليوم لمواصلة الكفاح في الجبال ولا ظهور التردد والاحتراز ازاء حكومة الاستاذ الحبيب بورقيبة ، خصوصا بعد ما تسلمت هذه الحكومة سلطات الامن الداخلي واصبحت تركز سيادتها الخارجية بايفاد مندوب عنها للاقطار العربية حتى تكون مع هذه الاقطار صلات تعاونية في جميع الميادين تلك هي الدعاية التي تقوم بها الحكومة التونسية الحالية صباحا مساء لجلب المعارضة بجانبها بضيغ لا تخلو من التهديد والوعيد .

ان الامانة العامة للحزب الدستوري التونسي الجديد قد عارضت بشدة اتفاقيات 3 جوان 1955 وانتصرت على الحكومة وعلى فرنسا حتى اضطرتهما رغم دعاية واسعة النطاق ان تعترف امام العالم بسقوط معاهدة باردو وبوجوب تعديل او الغاء الاتفاقيات مع التصريح العلني بأن تونس دولة مستقلة ذات سيادة على ان يكون هذا الاستقلال داخل تكافل فرنسي تونسي تضبطه مفاوضات مقبلة بين فرنسا وتونس بالنسبة للدبلوماسية والدفاع والامن وشؤون الاقتصاد .

2) لماذا تواصل الكفاح ؟

فالامانة العامة وان سجلت هذا الانتصار على الخصوم فاضطررتهم الى اقرار مبدأ الاستقلال لتؤكد الاحترازات الواردة في تصريح لها نشرته الصحف العربية والاجنبية بتاريخ 23 مارس الماضي وهذه الاحترازات لا تخلو

( 1 ) ورد بكتاب الطاهر عبد الله : تاريخ الحركة الوطنية التونسية ، صص 172 - 181 .

من مشروعية ، اذ قلنا فيها للشعب التونسي بأن التكافل المقصود في تصريح 20 مارس المنصرم قد يفرغ الاستقلال من كل معاونيه اسوة بما آل اليه تصريح مندار فرانس في 31 جويلية 1954 من اتفاقيات جعلت الاستقلال الداخلي المعلن عنه عديم الاركان ولونا جديدا من الوان الاستعمار اضى على ما اغتصبتة فرنسا طيلة 75 سنة صفة المشروعية حسبما صرحت بذلك حكومات فرنسا امام البرلمان الفرنسي أ بي حكومة مندار فرانس ثم حكومة ادغار فور .

طلبنا من الشعب التونسي ان يكون يقظا فيواصل كفاحه حتى يضغط على المفاوضين التونسيين الذين اعتادوا التنازل خصوصا وان المفاوضين التونسيين هم انفسهم الذين ابرموا اتفاقيات 3 جوان 1955 بعد تجريد المقاومين من اسلحتهم حتى يتخلصوا من كل ضغط شعبي يجعلهم يتجنبون التنازلات المريعة ، ولو ادى ذلك الى قطع مفاوضاتهم ، ففي هذه المرة ايضا حاول هؤلاء المفاوضون - باستعمال وسائل الترغيب والتهديد والتقتيل والاختطاف - التخلص ايضا من كل قوة ايجابية و من كل معارضة سلبية ليخلو لهم الجوفيتنازلوا من جديد على شروط التكافل التي قد تكون نوعا من الالحاق اخطر من اتفاقيات 3 جوان 1955 ، لأن الدولة التونسية المستقلة في نظر العالم يكون لها اهلية التعاقد كاملة ، وما يتضمنه هذا التعاقد من الشرعية الدائمة في نظر العالم كله وجمعية الامم المتحدة هذا بالاضافة الى ان الذين هم اليوم يتصرفون في حظوظ الامة قد احتاطوا لانفسهم بأن كونوا مجلسا تأسيسيا في جو من الارهاب والضغط على الحريات واقصاء كل معارض حاليا او محتملا ، جعل نسخة طبق الاصل من الحكومة نفسها ، اذ جميع اعضائها من المناصرين ويظن القوم بل يؤولون ان هذا المجلس وان كانت مهمته سن دستور للبلاد دون اي صلاحية

اخرى سوف يساعدهم في المفاوضات المقبلة ويصادق على اتفاقيات التكافل التي ستبوءول اليها تلك المفاوضات ، وهكذا تصبح الحكومة التونسية مستندة الى تمثيل شعبي شرعي يعزز جدلها ويشاركها مسؤولة قبول أي اتفاق من نوع التكافل المقصود .

واننا نستدل على سوء عاقبة التفاوض المقبل بما رددته المرة تلو الاخرى رئيس الحكومة الفرنسية ووزير خارجيتها بعد تصريح 20 مارس المنصرم من ان استقلال تونس ليس معناها تنازل فرنسا عن حقها في الاشراف او المشاركة في الدبلوماسية التونسية او شؤون الدفاع او في الامن او في الاقتصاد .

كما ان فرنسا وان اعترفت باستقلال تونس لهدى مصممة على التمسك بحقوق الجالية الفرنسية ، حسبما ضبطتها اتفاقيات 3 جوان 1955 هكذا يصح باستمرار رجالات فرنسا المسؤولون في شأن الاستقلال المعلن عنه فلنبحث الآن عن موقف رجالات تونس والمسؤولين ازاء تصريحات الفرنسيين المذكورة آنفا ...

ان السيد الحبيب بورقيبة) المسؤول التونسي الاول نجد في تصريحاته يتجاوب مع المسؤولين الفرنسيين ان يقول بالحرف الواحد الى جريدة : ( لاجزيت دي لوزان ) والى جريدة ( لا بريسر) التونسية المؤرخة في 11 افريل الحالي : " ان تونس ستظل مخلصه الى فرنسا والى الكتلة الغربية على الدوام ، وان حقوق الفرنسيين المستوطنين بتونس لن تمس بسوء اذ ان اتفاقيات جوان 1955 ستبقى ضامنة لتلك الحقوق " .

ونحن نعلم ما هي تلك الحقوق : احترام كل ما اغتصبه الفرنسيون طيلة 75 سنة من اراضي زراعية وحق في استغلال ثروتنا المعدنية بشروط مجحفه والاتفاقيات الفرنسية صرحت بل واكدت ان هذه الحقوق لن يمسهما تشريع تونسي

و ستبقى مستثناة منه ولومست الحاجة الى ذلك وجوب تحقيق  
اصلاح زراعي يحدد الملكية الزراعية مثلا لمجابهة المشكلة الاجتماعية  
العظمى التي تتمثل اليوم بصفة مروعة في تزايد عدد السكان التونسيين  
من جهة وفي وجود مساحات كبرى من الاراضي الزراعية الجيدة بايدي  
مزارعين فرنسيين وشركات استعمارية من جهة اخرى، هذه الاراضي  
لا يمكن بحال - حسب نصوص الاتفاقيات - ان ترضخ لقانون يحدد من  
ملكها توفيرا لما زاد عن ذلك لفائدة التونسيين الذين - وقد  
يتزايد عددهم كل سنة - لم يبق لهم الا الانتشار في اراضي قاحلة بالوسط  
وبالجنوب ذلك مثال من امثلة لما يعنيه الفرنسيون والاستاذ الحبيب  
بورقيبة من تأكيد احترام حقون الفرنسيين وتجنبيهم كل تشريع يمس  
بحقوقهم، فاذا نحن انتقلنا الي ركن هام من اركان الدولة، الا وهو  
امن البلاد الداخلي نلاحظ انه قبيل تسلم الحكومة التونسية مصالح الامن  
سبقت فرنسا باتخاذ قانون عن طريق رئيس جمهوريتها يؤكد ان  
مصالح الامن المتعلقة بالحدود الارضية والجوية والبحرية ستظل من  
مشمولات فرنسا، كما ان الامن السياسي بالاراضي التونسية سيقى ايضا من  
مشمولات فرنسا، ولم نر من الحكومة التونسية سوى احتجاج سلبي على ذلك  
الاختصاص بل بتسليمها فعليا مصالح الامن دون التعرض الى ما كانت استثنته  
منها فرنسا لدليل على رضا الحكومة التونسية بان يكون دورها السهر على  
امن البلاد محدودا، كما ان الحكومة التونسية لم تنبسر بنبذ شفة عند ما  
صدر من فرنسا اخيرا قانون آخر يقتضي اختصاص السلطات الفرنسية  
بتونس بمراقبة الاجانب والتصرف في شؤونهم ولا ننسى ما تعرضت اليه  
اتفاقيات 3 جوان 1955 الاقتصادية والمالية من ان تجارنا تصديرا وتوريدا  
وعملتنا النقدية وسياستنا الجمركية كل ذلك سيظل جزءا لا يتجزأ من الاقتصاد

الفرنسي ، فسنبقى دائما وابدا تحت رحمة فرنسا ولا نستطيع الاقتراض من غيرها الا بمصادقتها كل ذلك سجلته الاتفاقيات التي اكد الطرفاني الفرنسي والتونسي الابقاء عليها فيما يتعلق بمسألة الح الفرنسيين ومعلوم ان جوانب الاقتصاد المذكورة سابقا تتصل اتصالا متينا باصحاب الاعمال والمتاجر والبنوك الفرنسية بالبلاد التونسية .

واما تاكيد الاستاذ الحبيب بورقيبة لأخلاق تونس وللكتلة الغربية فاننا نعلم ما يراد منه اذا ربطناه بما كان قد افضى به الى جريدة " التيميسر " الانجليزية من ان تونس سرفي نظره جزءا لا يتجزأ من الغرب ، وانها ستدخل في الحلف الاطلسي وانه لو خير بين هذا الحلف والانضمام الى الجامعة العربية يفضل الاولى على الثانية لايمانه بان تونس بموجب موقعها الجغرافي لن تستطيع العيش والازدهار الا في فلك فرنسا والغرب .

لما اصبحنا موقنين بان التكافل المقصود من المفاوضات المقبلة هو عبارة عن تركيز الاستعمار الفرنسي بصورة مقنعة بتونس وربط بلادنا بعجلة الغرب ، واقرار الجيوش الفرنسية بأراضينا نكون خائنين لرسالتنا اذا نحن اکتفينا بمجرد تصريح مبدئي باستقلال تونس ، ودعونا شعبنا الى وقف القتال ، ان مواصلة القتال لهي الضمان الوحيد للحيولة دون تجديد كارثة الاتفاقيات التونسية الفرنسية في قالب جديد قالب التكافل الفرنسي التونسي ، خصوصا كما قلت سابقا هناك تمثيل شعبي مزيف ، ولكنه شرعي في نظر العالم قد يؤول بمصادقته على التكافل الذي اصبحنا نعرف جيدا ما سيؤول اليه حسب تصريحات المسؤولين الفرنسيين والتونسيين - الى اقرار اوضاع استقلالية لا تمت بصله الى اهداف الامانة العامة التي تجاوبت بسرعة مع شعور الشعب التونسي ومطامحه الدائمة

### (3) - اهداف المعارضة:

ان الامانة العامة تهدف بحركتها حسب الخطاب المنهاجي الذي القيناه بجامع الزيتونة المعمور الى ان استقلال الشعب التونسي لن ترتضي له الا اذا كان استقلالا حقيقيا ملموسا تكون الدولة التونسية فيته حرة من كل قيود تربطها بصورة من الصور او نجعلها تابعة لفرنسا والغرب ، وتحول دون دخولها في الاتجاه الغربي ، اتجاه التحرر الكامل من سيطرة الغرب ، وذلك ان تصبح البلاد التونسية مع بقية الشمال الافريقي جزءا من الامة العربية التي تسير اليوم في طريق التحرر الحقيقي بابتعادها عن الاحلاف الغربية تلك الاحلاف التي سوف تجرنا او تجر علينا ويلاات الحرب المهلكة .

فالسياسة العربية اليوم تجعلنا مرتبطين بمجموعة الشعوب الافريقية الاسياوية ، اي مجموعة بانندونغ " التي اصبح لها اليوم شأن كبير في ترجيح كفة السياسة العالمية وابعاد شبح الحرب وويلاتها عن الشعوب الفتية التي تريد ان تتقدم وتزدهر في ظل السلم العالمي ، اذ السلم وحده هو الذي يمكننا من التقدم في طريق الرقي الحقيقي ، الا وهو الرقي الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، فاستقلال تونس لن يسمح لنا بالتمتع بمساندة هذا الجزء العظيم من العالم اذا نحن ارتبطنا من جديد بعجلة الغرب وقبلنا سيطرته كأن نسلم له تسليمنا الى فرنسا قواعد حربية كقاعدة بنزرت او نرضى بأن نربط الجيوش الفرنسية بدعوى لنها تابعة لجيوش الحلف الاطلسي ببلادنا ومستقرة بها دون تحفيد اجل قصير لجلائها عن الاراضي التونسية ، ان من اهدافنا الكبرى التي تفرض مواصلة الكفاح وجوب التحصيل من فرنسا على الاعتراف بمبدأ الجلاء والالتزام بتنفيذ هذا الجلاء وتحقيقه في مدة قصيرة اذ لا استقلال

وجيوش المستعمر مرابطة بالبلاد التونسية المستقلة ، فالامانة العامة تدعو الشعب التونسي لمواصلة الكفاح حتى تتحقق تلك الاهداف كلها .  
(4) مساعدة الكفاح التونسي لجهاد الجزائريين وموقف حكومة بورقيبة

منه .

ان مواصلة كفاح الشعب التونسي ليعمد مساندة ايجابية لكفاح اشقائنا الجزائريين ، وهي مساندة ايجابية ولا قولية ، ان حكومة بورقيبة لكثيرا ما تتظاهر بمساندتها للشعب الجزائري المكافح وتسلك في الواقع سلوكا هو الى الخيانة والفدر اقرب ، تجند هذه الحكومة عصابات بقيادة البعض من المقاومين التونسيين الذين شاركوا في ثورة تونس سنة 1954 ، ففي الجنوب التونسي بمنطقة " الحامة " عصابة يقودها " الساسي الاسود " مهمتها مطاردة القوافل التي تحمل السلاح الى الجزائريين عبر الاراضي التونسية ، وقد حجزت بالفعل هذه العصابة قافلتين اثنتين بعد معارك دامية سقط فيها عديد من المجاهدين الجزائريين الذين كانوا يرافقون تلك القوافل ، وكان ذلك من شهر جانفي وشهر مارس المنصرمين . وهناك عصابة اخرى يقودها المسمى " المحجوب بن علي " مهمتها مطاردة اخواننا الجزائريين الذين قد يلجؤون في بعض الاحيان الى داخل الاراضي التونسية فيتصدى لهم المحجوب بن علي باذن من حكومة بورقيبة لمقاتلتهم بجانب الجيوش الفرنسية ، وكذلك الامر بجهة " قفصة " بالجنوب الغربي التونسي حيث كان المسمى " الحسين بوزيان " يدير عصابات تحرس الطرق المؤدية للجزائر وتقبض على القوافل الحاملة السلاح ، وقد تمكن " الحسين بوزيان " من حجز كمية هائلة من الاسلحة المعدة للجزائر بعد معركة خاضتها عصابته متعاونة مع الجيش الفرنسي ولذلك كانت خاتمة هذا الرجل

الذي اصبح نائبا في المجلس التأسيسي التونسي ان قتله المقاومون .  
لقد حل اخيرا بالبلاد التونسية مائتان من اخواننا الجزائريين  
وهم في طريقهم الى الجزائر للاتحاق باخواننا المجاهدين فألقت  
عليهم السلطات الفرنسية القبض ولم يصدر عن الحكومة الا احتجاج  
بينما وقفت السلطات المراكشية وقفة جد من السلطات الفرنسية لما  
ارادت هذه الاخيرة القاء القبض على عدد من الجزائريين قدموا من فرنسا  
ايضا للاتحاق باخوانهم في الجبال فحمتهم حكومة جلالة السلطان  
وخلصتهم من قبضة الفرنسيين باعتبارهم مواطنين مسلمين ليسر عليهم  
من السلطات الاجنبية من سبيل .

وهكذا تسلك الحكومة التونسية سلوكا اجراميا نحو اخواننا الجزائريين  
بينما السيد الحبيب بورقيبة رئيس هذه الحكومة يملاء الدنيا صراخا لنصرة  
الشعب الجزائري المكافح .

واما المعارضة التي تتزعمها الامانة العامة للحزب الدستوري التونسي  
بجانب الكفاح الجزائري ، تشتتتا للقوى الفرنسية حتى لا تتجمع كلها  
ضد المكافحين الجزائريين وقد اضطرت الحكومة الفرنسية امام الكفاح  
التونسي ان تبقى بالاراضي التونسية ما يزيد عن 50 الف جندي  
من جيوشها لمحاربة مجاهديها بالجبال ، هذا زيادة على التأثير  
الميكولوجي على دولة فرنسا ، ذلك التأثير الذي يحط من مجهودها  
الحربي ما دامت تجابه جبهتين بالشمال الافريقي .

وهكذا تقوم الامانة العامة بدعوتها لمواصلة الكفاح بتونس ربما يؤمن  
به الشعب التونسي من ضرورة تحرير الجزائر لضمان استقلال تونس ومراكش  
اذ التاريخ عرفنا وان احتلال تونس ثم مراكش كان نتيجة لأحتلال الجزائر  
فنحن جماعة الامانة العامة نؤمن باستقلال يكون تحررا حقيقيا من

السيرة الاجنبية في نطاق مغرب عربي محررة اجزائه الثلاثة تحررا

كاملا يضمن دوامه .

(5) - اهداف المعارضة هي اهداف الشعب التونسي :

هذه الاهداف وهي اهداف الشعب التونسي و لو لم تكن كذلك لاقتنع الشعب التونسي بعد اعلان الاستقلال التام بان لا مبرر لاستمرار الكفاح الايجابي ، ولما وقف انصارنا من الحكومة الحالية موقف المتحرز الامر الذي نسمعه كل يوم يردد على صفحات جرائد الحكومة وعن طريق اذاعتها ان تحاول اكتساب المؤيدين من انصارنا بشقي الوسائل اضعها الاختطافات والاغتيالات المتوالية لانصار المعارضة رغم مناداة الرئيس بورقيبة في خطابه التوجيهي للمجلس التأسيسي يوم افتتاحه وفي تصريحه الاخير باسم الحكومة التونسية امام المجلس التأسيسي ايضا - باحترام حرية الرأي وبالمساواة بين جميع المواضين التونسيين بصرف النظر عن معتقداتهم وعن تباين نزعاتهم السياسية ، فاين هذا مما يقتضيه انصار الحكومة وعصابتها من جرائم يومية ضد الارزاق والارواح لمجرد كون اصحابها غير مؤيدين للحكومة بل ان جريدة " العمل " وهي لسان حال الحكومة التونسية الحاضرة تتوعد كل يوم الذين لم يعلنوا تأييدهم للحكومة بأن مآلهم الابدان ، وتضيف هذه الجريدة قائلة بانه على الشعب ان يضم قواه لقوى الحكومة حتى يستأصل كل المعارضين بتونس ، ومن ذلك المحكمة الشعبية التي اتحفت بها الحكومة الحالية للشعب التونسي كهدية له منها بعد ان تبين للحكومة نزاهة القضاة التونسيين ، اذ كان موقفهم من كل المعارضين الذين يحالون عليهم من اجل فكرتهم الوطنية موقفا شريفا .

فالقضاة التونسيون قد ضربوا للحكومة الجائزة اروع الامثال في احترام حرية الرأي وتقدير الحرية الشخصية والكرامة الانسانية ، ولذلك ترى

الحكومة التونسية اليوم توجه تأنيبها للقضاة التونسيين من اجل نزاهة موقفهم ثم توألف محكمة شعبية يعين اعضاءها المجلس التأسيسي من بين الشعب وهذه المحكمة تصدر احكامها على كل معارض لسياسة الحكومة دون استئناف او تعقيب وستكون هذه الاحكام قاسية اذ هي صادرة عن خصوم سياسيين وهم الذين سيعينهم المجلس التأسيسي الموالي للحكومة ضد خصومهم السياسيين ، وهكذا لم تكف الحكومة الحالية بتشجيع اغتيالات واحتفاظات المعارضين بل ارادت ان تضيف على سلوكها الاجرامي ثوب المشروعية بتنصيب حكام شعبيين وهم خصوم في آن واحد لمن يحاكمون .

### (6) - لماذا تهبطش حكومة بورقيبة بالمعارضة :

ان الامانة العامة للحزب الحر الدستوري التونسي لن تسكت على هذا الاسلوب الجائر في الحكم والذي لم تشاهده حتى اطلع عصور الدكتاتورية الغاشمة .  
وواجب الامانة العامة التشهير بهذه المآسي كلها وفضح امر هذه الحكومة التي تلجأ الى سفك الدماء... دماء الابرياء لتستقر في الحكم . واذا ما فضحنا عن حقيقة هذه الحكومة وعن نواياها ، ونكون قد احطناها في جو من الطمن في اهليتها وفي شرعية ما سوف تتعاقد عليه مع فرنسا في شأن التكافل المقصود . اذ يكون هذا التعاقد غير مستند الى رضاء الشعب وانما يستند الى القوة والقمع والبطش ، فمقاومتنا عندئذ بل مواصلة الكفاح ضد ذلك التعاقد المحتمل يكون مركزا على كون الشعب التونسي غلب على امره وحرم التعبير عن رأيه في ذلك التعاقد بالوسائل الارهابية التي ذكرناها آنفا لأن فضح الحكومة ليسرغاية في حد ذاته وانما هو للخدش في مشروعية الاتفاق الفرنسي التونسي المقبل اذا اسفر هذا الاتفاق عن استقلال مزيف واستعمار جديد هقنع .  
وهكذا تتجلى مشروعية مواصلة الكفاح لتحطيم ذلك التعاقد

وتحطيم من سوف يشرفون عليه من المسؤولين التونسيين \*  
وهكذا يؤول كفاحنا في نهاية الامر الى تطهير الشعب التونسي  
من هذه العناصر المجرمة التي ابتلى بها اذ في مثل هذه الظروف  
التي مرت بها شعوب اخرى تكون الثورة على الاوضاع الاستبدادية والاجرامية  
واجبا مقدسا على كل فرد من افراد الشعب اذا كان هذا الشعب شعبا  
واعيا مؤمنا بالديمقراطية والشورى التي فرضها الاسلام قبل ان ينادي  
بها فلاسفة الغرب واتباعهم \*

القاهرة في 28 أبريل 1956

صالح بن يوسف الامين العام للحزب الحر الدستوري

التونسي

تونس ١٤٥٦ / ٤

الجنرال المبراهيمي التونسي

الذي يوزن السياسي

عز يزوي الاخ ابراهيمي حفظه الله

٩٢ شارع باب سويقة - تونس

الهاتف ٢٦٠٠٧٢٨

قوية عربية خالصة

كانت الهدية الاخيرة كتبها بخلا ومهذباته وانتصاراته وافراحا  
 وكانت كما نرى التي لا يعود ضياعها خيرا نزل علي بريا وسلاما. وكتم  
 كنت اريد ان تكون معي في تونس لتشاركني وتشارك الشعب التونسي  
 اغبارة. وعلى كل فاني ادعوك لزيارة تونس في اقرب وقت ممكن  
 وسلا وجهه لك غدا تذكرة الطائرة ذهبا واراياا نكي اتحققه من  
 جيتك... بل كما ان تعلمني بالتفصيل باسم شركة الطيران فادفع بها فالتذكرة  
 ومكتبها بتونس كدت ارسل كلمتي هذه الى عنوانك بالقاهرة فها مني وانك تكون  
 قد رجعت الى القاهرة فالكفي اليوم رسالتك من دمشق - قند ، رئيس  
 منذ كنت في الامانة الجبرية - بفرنسا - وانا اوجه ميا تشرة  
 سياسة الحكومة التونسية في المناوضات الاولى والثانية - وفي السياسة  
 الداخلية والتوجيه الشعبي ايضا. ولنا تراسلي في اجتماعات خاصة  
 دعامة بصفة دائمة، اعد العدة مع الاخوان وابنه وانبئي وانذل  
 البصجاب وانقلب على العراويل لانا بصدد بحث سعيك ككل كامل  
 وانتادامة وتأسيس دولة، وقد تمت انتخابات المجلس  
 التاسي الذي سيطر دستور هذه الدولة على دعائم ثابتة  
 خاصة وانا ارجعنا السياسة الى الشعب نفسه وخلصناه  
 نياتيا من الطغاة والظغيان. وكان عدد الذين سجلوا اسما هم  
 ٧٢٦ الف - وقد تعطلت بطاقات الانتخاب  
 لسنتين الباقينهم - واجتمع عن الانتخاب ابناء الفئة مظلمة ما يقارب  
 عشرين الفا - وكانت جملة الناخبين ٦٢٦ الف، حصلت الجهة القومية

تونس ١١٥٦ / ٤ / ٤

الجنرال المبرور السويدي التوفيق

الذي يوان السيابي

عزيزي الاخ ابراهيم حفظه الله

٩٢ شارع باب سوقنا - تونس

الهاتف ٧٢٨٠٠٢٦٠

هوية عربية خالصة

كانت الهدية الاخيرة كلها بخلا ومفاتيح، وانتصارات وافراحا  
 وكانت كما نذكر التي لا يعوضها غيرها نزل علي بريا وسلاما، وكتم  
 كنت ارد ان تكون معي في تونس لتشاركني وتشارك الشعب التونسي  
 اغبارة، وعلى كل فاني ادعوك لزيارتنا في اقرب وقت ممكن  
 ونسأ وجهك كذا تذكر الطائفة ذهبا واراياا نكي اخصقه فيه  
 جئتك... بل كذا ان تعطيني بالتحفيز باسم ~~شركة~~ ~~الكبير~~ ~~تأديع~~ ~~مها~~ ~~كان~~ ~~معلم~~ ~~التذكير~~  
 و مكتبها بتونس كدت ارسل كلمتي هذه الي عنوانك بالقاهرة فها مني وانك تكون  
 قد رجعت الي القاهرة فالكفي السيم رافتموه دسده - قند، رئيسي  
 منذ كنت في الإحالة الجبرية - بفرنسا - وانا اوجه مياشرة  
 سياسة الحكومة التونسية في المفاوضات الاولى والثانية - وفي السياسة  
 الداخلية؛ والترجيح السعي ارضا، ولنا تراني في اجتماعات خاصة  
 وعامة بصفة دائمة، اعد العدة مع الاخوان وانه وانبئي وانذل  
 الصجاب وانقلب على العرائيل لانا بصد رعبك مستب ~~تحت~~ كامل  
 وانتارامة وتاسيس دولة، وقد تمت انتخابات المجلس  
 التاسيسي الذي سيطر دستور هذه الدولة على رعايهم تابتة  
 خاصة وانا ارجعنا السياسة الي الشعب نفسه وعلصنا  
 نياثيا من الطغاة والظلمة، وكان عدد الذين سجلوا اسماءهم  
 سنة ١٩٥٦ سنة الي ما يورد - ٧٢٦ الف - وقد تعطلت بطاقات الانتخاب  
 لسبب الباطل منهم - واجتمع عن الانتخاب ارباعا لثقة مظلمة ما يقارب  
 عشرون الفا - وكانت جملة الناخبين ٦٢٦ الف، حصلت الجبهة القومية

التي انشأها ٥٩٧٥ هـ صوت - جماعة ربيعة وتبعين صوتاً ومائة  
 صوت. أي ان الحزب المراد ستور حصص على ما يقارب الإجماع ،  
 يستعمل جميع المقاعد ما عدا المستقلين وهم سبعة الذين اذ بحجة اسماهم  
 في عاثة الحزب نفسه .

وقد عزمنا على متابعة الكفاح بنفس الحواس والاندماع  
 لتسييد دولة عصرية تسيير بهذا الشعب في طريقه النهوض التام  
 في جميع الميادين - بتزجج المستور الكنوي وتزكز الضاعة والفلاعة  
 والتجارة على اسس سليمة لا فردتها الاقتصاد العام ، وتحققه  
 العلة الاجتماعية والحزبية للأفراد والجماعات .

رحمت اليوم العزة والكرامة للعروبة والاسلام بوش  
 واصحابنا تكلم في مصرها وفتار حرة تامة ما نريد به النظام  
 الكرم ، وخلصت سيادتنا الداخلية والخارجية من السيطرة الأجنبية ،  
 وباني احمد عليك لكن تكلم اليوم كما كنت بالاس لان تونس لدى  
 اخواننا العربية اجمعين لتبين لهم ما قام بنا وما بذلنا من جهد  
 وما التهنينا من لباقة وحكمة وحسن تصرف وعزم خلاص هذا القطر  
 العربي حتى كلف جميع الدعايا الكاذبة المغرقة في نهر الصبح  
 للندى عبيده ولكن جذوة اخواننا العربية التأييد الكاظم الذي  
 تعدى مقارنااتهم لنا عدة الكفاح  
 وانه كحدي طينة والمجدله وعلى لا ينسى وتونس حاضرة

الى الامام والسلام من محمد واهله

الطيب  
 عليه يوازي تبارك لا يقبل  
 قبلة الا في ان في لافيه  
 اللدوني والسلام